افادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة وارشادهم الى الاخلاق
المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم وانما قلنا ان هذا افضل من ساير الحرف
والصناعات لان شرف الصناعة يعرف بثلثة امور اما بالالتفات الى الغريزة
التي بها يتوصل الى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية اذ تدرك الحكمة بالعقل و
اللغة بالسمع والعقل اشرف من السمع واما بالنظر الى عموم النفع كفضل الزراعة
على الصياغة واما بملاحظة المحل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة
اذ محل احدهما الذهب ومحل الآخر جلد الميتة وليس يخفى ان العلوم الدينية وهي
فقه طريق الآخرة انما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل اشرف صفات
الانسان كما سياتي بيانه اذ به تقبل امانة الله تعالى وبه يتوصل الى جوار الله تعالى
واما عموم النفع فلا يستراب فيه فان نفعه وثمرته سعادة الآخرة واما شرف المحل
فكيف يخفى والمعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم واشرف موجود على الارض
جنس الانس واشرف جزء من جواهر الانسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتجليته
وتطهيره وسياقته الى القرب من الله تعالى فتعليم العلم من وجه عبادة لله تعالى
ومن وجه خلافة لله تعالى وهو اجل خلافة فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم
العلم الذي هو اخص صفاته فهو كالخازن لانفس خزائنه ثم هو مأذون له في الانفاق
على كل محتاج اليه فاية رتبة اجل من كون العبد واسطة بينه وبين خلقه في تقريبهم
الى الله تعالى زلفى وسياقتهم الى الجنة المأوى

الباب الثاني

في العلم المحمود والمذموم واحكامهما واقسامهما وفيه بيان

ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان ان موقع الفقه والكلام من علم الدين
الى اي حد هو وتفضيل علم الآخرة

بيان العلم الذي هو فرض عين

قال النبي صلى الله عليه وآله طلب العلم فريضة
على كل مسلم وقال اطلبوا العلم ولو بالصين فاختلف الناس في العلم الذي
هو فرض على كل مسلم وتحزبوا فيه اكثر من عشرين فرقة ولا نطول بنقل التفصيل
ولكن حاصله ان كل فريق نزّل الوجوب على العلم الذي هو بصدده فقال
المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله وصفاته وقال
الفقهاء هو علم الفقه اذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات
وما يحل وعنوا به ما يحتاج اليه الآحاد دون الوقايع النادرة وقال المفسرون
والمحدثون هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها وقال المتصوفة
المراد به هذا العلم فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله تعالى وقال
بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان
وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على اقوام مخصوصين هم اهل ذلك
وصرفوا اللفظ عن عمومه وقال ابو طالب المكي هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه
مباني الاسلام وهو قوله عليه السلم بني الاسلام على خمس لان الواجب هذه
الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب والذي ينبغي ان يقطع به
المحصل ولا يسترتب فيه ما نذكره وهو ان العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب
ينقسم الى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم الا علم المعاملة و
المعاملة التي كلفها العبد العاقل البالغ على ثلثة اقسام اعتقاد وفعل وترك
فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام او السن ضحوة نهار مثلا فاول واجب
عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناهما وهو قوله لا اله الا الله محمد رسول الله

وليس

وليس يجب عليه ان يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الادلة بل يكفيه ان يصدق
به ويعتقده جزما من غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد
والسماع من غير بحث ولا برهان اذ اكتفى رسول الله صلعم من اجلاف العرب بالتصديق
والاقرار من غير تعليم دليل فاذا فعل ذلك فقد ادى واجب الوقت وكان العلم
الذي هو فرض عليه في الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما وليس يلزمه امر وراء هذا
في الوقت بدليل انه لو مات عقيب ذلك مات مطيعا لله غير عاص وانما يجب
غير ذلك بعوارض تعرض وليس ذلك ضروريا في حق كل شخص بل يتصور الانفكاك
عنه وتلك العوارض اما ان تكون في الفعل واما في الترك واما في الاعتقاد
اما الفعل فبان يعيش من ضحوة النهار الى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت
الظهر تعلم الطهارة والصلوة وان كان صحيحا وكان بحيث لو صبر الى زوال الشمس
لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل خرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد ان
يقال الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل ان يقال وجوب العلم
الذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوات
فان عاش الى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو ان يعلم ان وقته من
الصبح الى غروب الشمس وان الواجب فيه النية والامساك عن الاكل والوقاع
وان ذلك يتمادى الى رؤية الهلال فان تجدد له مال او كان له مال عند بلوغه
لزم تعلم ما يجب عليه من الزكاة ولكن لا يلزمه في الحال انما يلزم عند تمام الحول من
وقت اسلامه فان لم يملك الا الابل لم يلزمه تعلم زكوة الغنم وكذا في سائر الا

فاذا دخل اشهر الحج فلا يلزمه المبادرة الى علم الحج مع ان فعله على التراخي فلا يكون علمه
على الفور ولكن ينبغي لعلماء الاسلام ان ينبهوه على ان الحج فرض على التراخي على كل
من ملك الزاد والراحلة اذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة
فعند ذلك اذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه الا تعلم اركانه وواجباته
دون نوافله فان فعل ذلك نفل فعلمه ايضا نفل فلا يكون فرض عين وفي تحريم
السكوت عن التنبيه على وجوب اصل الحج في الحال نظر يليق بالفقه وهكذا
التدريج في علم ساير الاعمال التي هي فرض عين واما التروك فيجب علم ذلك
بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص اذ لا يجب على الابكم تعلم
ما يحرم من الكلام ولا على الاعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البدوي تعلم ما يحل
الجلوس فيه من المساكن فذلك ايضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم
انه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الاسلام
لابسا للحرير او جالسا في غصب او ناظرا الى غير محرم فيجب تعريفه ذلك وما
ليس ملابسا له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالاكل فيجب تعليمه حتى
اذا كان في بلد يتعاطى فيه شرب الخمر واكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه
عليه وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه واما الاعتقادات واعمال القلوب
فيجب علمها بحسب الخواطر فان خطر له شك في المعاني التي تدل عليها كلمتا الشهادة
فيجب عليه تعلم ما يتوصل به الى ازالة الشك فان لم يخطر له ذلك ومات
قبل ان يعتقد ان كلام الله تعالى قديم وانه مرئي وانه ليس محلا للحوادث
الى غير ذلك مما ذكرناه في المعتقدات فقد مات على الاسلام اجماعا ولكن هذه الخواطر
الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها بالسماع من اهل البلد فان كان في

بلد

وبامور حسابية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويرصد
له وقت مخصوص في المطالع ويقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع
ويتوسل بسببها الى الاستعانة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم اجرآء الله العادة
احوال غريبة في الشخص المسحور ومعرفة هذه الاسباب من حيث انها ليست مذمومة موقدم
ولكنها ليست تصلح الا للاضرار بالخلق والوسيلة الى الشر شر فكان هو السبب في
كونه مذموما بل من اتبع وليا من اولياء الله ليقتله وقد اختفى منه في موضع حريز اذا
سال الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه وذكر موضعه ارشاد
وافادة علم بالشي على ما هو عليه ولكنه مذموم لادائه الى الضرر السبب الثاني
ان يكون مضرا بصاحبه في غالب الامر كعلم النجوم فانه في نفسه غير مذموم لذاته اذ هو
قسمان قسم حسابي وقد نطق القران بان مسير الكواكب محسوب اذ قال
تعالى الشمس والقمر بحسبان وقال والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم
والثاني الاحكام وحاصله يرجع الى الاستدلال على الحوادث بالاسباب
وهو يضاهي استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض وهو معرفة لمجاري
سنة الله وعادته في خلقه ولكنه مذموم في الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر القدر
فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال عليه السلام اخاف
على امتي بعدي ثلث حيف الائمة والايمان بالنجوم وتكذيب بالقدر وقال عمر تعلموا من
النجوم ما تهتدوا به في البر والبحر ثم امسكوا وانما زجر عنه من ثلثة اوجه احدها
انه مضر باكثر الخلق فانه اذا القي اليهم ان هذه الاثار تحدث عقيب سير الكواكب
وقع في نفوسهم ان الكواكب هي المؤثرة وانها الالهة المدبرة لا. نها جواهر

شريفة سماوية تعظم وقعها في القلوب فيبقى القلب ملتفتا اليها ويرى الخير والشر محذورا او مرجوا من جهتها وينمحي ذكر الله تعالى عن القلب فان الضعيف يقصر نظره على الوسائط والعالم الراسخ هو الذي يطلع على ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره سبحانه وتعالى ومثال نظر الضعيف الى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهي تنظر الى سواد الخط يتجدد فتعتقد انه فعل القلم ولا تترقى في نظرها الى الاصابع ثم منها الى اليد ثم منها الى الارادة المحركة لليد ثم منها الى الكاتب القادر المريد ثم منه الى خالق اليد والقدرة والارادة فاكثر نظر الخلق مقصور على الاسباب القريبة السافلة مقطوع عن الترقي الى مسبب الاسباب هذا احد اسباب النهي عن النجوم

وثانيها ان احكام النجوم تخمين محض ليس يدرك في حق آحاد الاشخاص لا يقينا ولا ظنا فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث انه جهل لا من حيث انه علم فلقد كان ذلك معجزة لادريس عليه السلم فيما يحكى وقد اندرس ذلك العلم وانمحق وما يتفق من اصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لانه قد يطلع على بعض الاسباب ولا يحصل المسبب عقيبها الا بعد شرائط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع عليها فان اتفق ان قدر الله تعالى بقية الاسباب وقعت الاصابة وان لم يقدر اخطأ وذلك كتخمين الانسان في ان السماء تمطر اليوم مهما راى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمى النهار بالشمس ويذهب الغيم وربما يكون بخلافه ومجرد الغيم ليس كافيا في مجيء المطر وبقية الاسباب لا تدرى وكذلك تخمين الملاح ان السفينة تسلم اعتمادا على ما الفه من العادة في الرياح ولتلك الرياح اسباب خفية هو لا يطلع عليها فتارة يصيب في تخمينه وتارة يخطئ ولهذه العلة يمنع القوي عن النجوم ايضا

وثالثها انه لا فائدة فيه فاقل احواله انه خوض في فضول لا يغني وتضييع العمر الذي هو انفس بضاعة الانسان في غير فائدة غاية الخسران فقد مر رسول الله صلعم برجل

برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا قالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر
وانساب العرب فقال علم لا ينفع وجهل لا يضر وقال انما العلم آية محكمة او سنة قائمة
او فريضة عادلة . واذن الخوض في النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض جهالة من غير فائدة
فان ما قدر كائن والاحتراز غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة اليه ماسة واكثر
ادلته مما يطلع عليه وبخلاف التعبير وان كان تخمينا لانه جزء من ستة واربعين جزءا
من النبوة ولا خطر فيه **السبب الثالث** الخوض في علم لا يستقل الخائض
فيه به فانه مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليها وكالبحث عن اسرار الالهية اذ تطلع
الفلاسفة والمتكلمون اليها ولم يستقلوا بها ولا يستقل بالوقوف على طرق بعضها الا
الانبياء والاولياء فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم الى ما نطق الشرع به ففي
ذلك مقنع للموفق وكم من شخص خاض في العلوم واستضر بذلك ولو لم يخض في ذلك لكان
حاله احسن في الدين مما صار اليه ولا ننكر كون العلم ضارا لبعض الناس كما يضر لحم
الطير وانواع الحلاوات اللطيفة بالطفل الرضيع بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الامور
فلقد حكي ان بعض الناس شكى الى الطبيب عقم زوجته وانها لا تلد فجس الطبيب نبضها وقال
لها لا حاجة بك الى دواء الولادة فانك ستموتين الى اربعين يوما وقد دل النبض عليه فاستشعرت
المرأة خوفا عظيما وتنغص عليها عيشها واخرجت اموالها وفرقتها واوصت وبقيت لا
تاكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت فجاء زوجها الى الطبيب وقال لم تمت فقال الطبيب
علمت ذلك فجامعها الآن فانها تلد فقال كيف ذلك قال رايتها سمينة وقد انعقد الشحم على
فم رحمها وعلمت انها لا تهزل الا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة
فهذا ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله صلعم نعوذ بالله من علم لا ينفع

فاعتبر
بهذه الحكاية
ولا تكن بحاثا عن علوم ذمها
الشرع وزجر عنها ولازم الاقتداء بالصحابة والاتباع و
واقتصر على اتباع السنة فالسلامة في الاتباع
والخطر في البحث والاستقلال ولا تكثر اللهج برايك ومعقولك
ودليلك وبرهانك وزعمك اني ابحث عن الاشياء لاعرفها على ما هي عليه
فاي ضرر في التفكر في العلم فان ما يعود عليك من ضرره اكثر وكم من شي تطلع
عليه فيضرك اطلاعك ضررا يكاد يهلكك في الآخرة ان لم يتداركك الله برحمته
واعلم انه كما يطلع الطبيب الحاذق على اسرار في المعالجات يستبعدها من لا يعرفها فكذا الانبيا اطبا القلوب والعلما باسباب الحيوة
الاخروية فلا تتحكم على سننهم بمعقولك فتهلك فكم من شخص يصيبه عارض في اصبعه فيقتضي عقله ان يطليه
حتى ينبهه الطبيب الحاذق ان علاجه ان يطلي الكف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد
من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الاعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن فهكذا الامر في طريق الآخرة
وفي دقائق سنن الشرع وآدابه وفي عقائده التي تعبد الناس بها اسرار ولطائف ليس في سعة العقل وقوته الاحاطة
بها كما ان في خواص الاحجار امورا عجائب غاب عن اهل الصنعة علمها حتى لم يقدر احد على ان يعرف السبب الذي به يجذب
المغناطيس الحديد فالعجائب والغرائب في العقائد والاعمال وافادتها لصفاء القلوب ونقائها وطهارتها وتزكيتها
واصلاحها للترقي الى جوار الله وتعرضها لنفحات فضله اكثر واعظم مما في الادوية والعقاقير وكما ان العقول
تقصر عن ادراك منافع الادوية مع ان التجربة سبيل اليها فالعقول تقصر عن ادراك ما ينفع في
حيوة الاخرة مع ان التجربة غير متطرقة اليها وانما كانت التجربة تتطرق اليها لو رجع الينا بعض
الاموات فاخبرنا عن الاعمال المقبولة النافعة المقربة الى الله زلفى وعن
الاعمال المبعدة عنه وكذا عن العقائد وذلك مما لا يطمع فيه
فيكفيك من منفعة العقل ان يهديك
الى صدق النبي صلعم ويفهمك
موارد اشاراته
فاعزل

فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فانك لا تسلم الا به ولذلك قال صلى الله عليه وآله
ان من العلم جهلا وان من القول عيا ومعلوم ان العلم لا يكون جهلا ولكنه يؤثر تاثير الجهل في الاضرار
وقال ايضا قليل من التوفيق خير من كثير العلم وقال عيسى عليه السلم ما اكثر الشجر وليس كلها بمثمر
وما اكثر الثمر وليس كلها بطيب وما اكثر العلوم وليس كلها بنافع **بيان ما بدل من**
الفاظ العلوم اعلم ان منشا التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الاسامي
المحمودة وتبديلها ونقلها بالاغراض الفاسدة الى معان غير ما اراده السلف الصالح والقرن
الاول وهي خمسة الفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه اسامي محمودة
والمتصفون بها ارباب المناصب في الدين ولكنها نقلت الآن الى معان مذمومة وصارت القلوب
تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع اطلاق هذه الاسامي عليهم **اللفظ الاول**
الفقه فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل اذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى
والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان
اشد تعمقا فيها واكثر اشتغالا بها يقال هو الافقه ولقد كان اسم الفقه في العصر الاول مطلقا
على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الاعمال وقوة الاحاطة
بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدلك عليه قوله
تعالى ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وما به الانذار والتخويف هو هذا
الفقه دون تفريعات الطلاق واللعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به انذار ولا
تخويف بل التجرد له على الدوام يقسي القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد من المتجردين له
وقال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها واراد به معاني الايمان دون الفتاوى ولعمري الفقه
والفهم في اللغة اسمان لمعنى واحد وانما يتكلم في عادة الاستعمال قديما وحديثا وقال تعالى

لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون فاحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر ان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى او هو نتيجة ما ذكرناه من العلوم وقال عليه السلم علما حكما فقها للذين وفدوا عليه وسئل سعد بن ابرهيم اي اهل المدينة افقه فقال اتقاهم لله فكانه اشار الى ثمرة الفقه والتقوى ثمرة العلم الباطن دون الفتاوى والاقضية وقال عليه السلم الا انبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يويسهم من روح الله ولم يدع القران رغبة عنه الى ما سواه ولما روى انس بن مالك قوله صلعم لان اقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع رقاب قال لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقران وجوها كثيرة وروي ايضا موقوفا على ابي الدرداء مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها اشد مقتا وسال فرقد السبخي الحسن عن شي فاجابه فقال ان الفقهاء يخالفونك فقال الحسن ثكلتك امك فريقد وهل رايت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الاخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف نفسه عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى ولست اقول ان اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى في الاحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول او بطريق الاستتباع فكان اطلاقهم له على علم الاخرة اكثر فبان من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والاعراض عن علم الاخرة واحكام القلوب ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به الى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع

قال فالتفت الى زيد الرقاشي وزياد النميري وقال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه ... انما كنا نقعد فنذكر الايمان ونتدبر القران ونتفقه في الدين ونعد نعم الله علينا تفقها

اللفظ الثاني العلم

وقد كان يطلق على العلم بالله وباياته وافعاله في عباده وخلقه وقد تصرفوا فيه ايضا بالتخصيص حتى شهروه في الاكثر بمن يشتغل في المناظرة مع الخصوم في المسايل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم بالحقيقة وهو الفحل في العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفة ولا يعدونه في زمرة اهل العلم وهذا ايضا تصرف بالتخصيص ولكن ما ورد من فضايل العلم والعلماء اكثره في العلماء بالله وباحكامه وافعاله وصفاته وقد صار الآن يطلق على من لا يحيط من علوم الشرع بشي سوى رسوم جدلية في مسايل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والاخبار وعلم المذهب وغيره وصار ذلك سببا مهلكا لخلق كثير من طلبة العلم

اللفظ الثالث التوحيد

وقد جعل الآن عبارة عن صنعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بمناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الاسولة واثارة الشبهات وتاليف الالزامات حتى لقب طوايف منهم باهل العدل والتوحيد وسمي المتكلمون العلماء بالتوحيد مع ان جميع ما هو خاصية هذه الصناعة لم يكن يعرف منه شي في العصر الاول بل كان يشتد منهم النكير على من يفتح بابا من الجدل والمماراة فاما ما يشتمل عليه القرآن من الادلة الظاهرة التي تسبق الاذهان الى قبولها في اول السماع فلقد كان ذلك معلوما للكل وكان العلم بالقرآن هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن امر آخر لا يفهمه اكثر المتكلمين وان فهموه لم يتصفوا به وهو ان يرى الامور كلها من الله روية تقطع التفاته عن الاسباب والوسايط فلا يرى الخير والشر الا منه وهذا مقام شريف احدى ثمراته التوكل كما سياتي بيانه في كتاب التوكل ومن ثمراته ترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله تعالى وان يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل من اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال صلى الله عليه وآله ابغض اله عبد في الارض عند الله هو الهوى وعلى التحقيق من تامل عرف ان عابد الصنم ليس يعبد الصنم انما يعبد هواه اذ نفسه مايلة الى دين آبايه فيتبع ذلك الميل ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات اليهم فان من يرى الكل

من الله
كيف ينخرط علاجه من
فقد كان التوحيد عبارة عن [illegible] اخذ بهذا يستحق
هذا المقام وهو من ثمراته [illegible] العلم الذي [illegible]
فانظر الى [illegible] اذا [illegible] يجهد مع [illegible] عن [illegible] وقد صار الآن
[illegible] في الصحيح [illegible] وتوجه الى القبلة [illegible] وجه
بجد الجهتين وذكر [illegible] الارض وهو اول كذب يفاتح الله تعالى به كل يوم ان لم يكن وجه قلبه
تقدى فطر السموات والارض فانه ان اراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه الا الى الكعبة وما صرفه الا عن سائر
متوجها الى الله على الخصوص فقدى فطر السموات والارض حتى يكون المتوجه اليها متوجها اليه تعالى وان اراد به وجه القلب
الجهات والكعبة ليس جهة للذي فطر السموات والارض وهو المطلوب فكيف يصدق في قوله وقلبه متردد في اوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب
القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق قوله وقلبه متوجه الى الدنيا فمتى وجه وجهه للذي فطر السموات والارض
والجاه واستكثار الاسباب ومتوجه بالكلية اليها فمتى وجه وجهه للذي فطر السموات والارض قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم
القول باللسان انما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب اخرى فانما موضع نظر الله تعالى من الترجم القلب
اللفظ الرابع الذكر والتذكير فقد قال الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقد ورد في الثناء على مجالس
الذكر اخبار كثيرة كقوله عليه السلام اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر وفي الحديث
ان لله ملائكة سياحين في الهواء سوى ملائكة الخلق اذا راوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا الا هلموا الى بغيتكم
ويحفون بهم ويستمعون الا فاذكروا الله وذكروا انفسكم فنقل ذلك الى ما ترى اكثر الوعاظ في هذا الزمان
يواظبون عليه وهو القصص والاشعار والشطح والطامات اما القصص فهو بدعة وقد ورد النهي عن الجلوس
الى القصاص وقالوا لم يكن ذلك في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله ولا في زمان ابي بكر وعمر حتى ظهرت الفتنة
القصاص واخرج ابن عمر القصاص من مسجد البصرة ولا يسمع كلام الحسن البصري اذ كان كلامه في
علم الآخرة والتذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الاعمال وخواطر الشيطان
ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقصير العبد في شكره وتعريف
حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها وقلة عهدها
الآخرة واهوالها فهذا هو التذكير
المحمود شرعا الذي ورد
الحث عليه
في

في حديث ابي ذر حضور مجلس ذكر افضل من صلوة الف ركعة وحضور مجلس علم افضل
من شهود الف جنازة قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال وهل ينفع قراءة القرآن الا بالعلم
واما الاشعار فتكثيرها في المواعظ مذموم قال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في
كل واد يهيمون وقال وما علمناه الشعر وما ينبغي له واكثر ما اعتاده الوعاظ من الاشعار ما يتعلق
بالتواصف في العشق وجمال المعشوق وروح الوصال والم الفراق والمجلس لا يحوي الا اجلاف العوام
وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات الى الصور المليحة فلا تحرك الاشعار من قلوبهم
الا ما هو مستكن فيها فيشتعل فيها نيران الشهوة فيزعقون ويتواجدون واكثر ذلك او كله يرجع
الى نوع فساد فلا ينبغي ان يستعمل من الشعر الا ما فيه موعظة وحكمة على سبيل استشهاد واستيناس
فقال النبي صلى الله عليه وآله ان من الشعر لحكمة ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق
قلوبهم بحب الله ولم يكن معهم غيرهم فان ذلك لا يضر معهم الشعر الذي يشير ظاهره الى الخلق فان المستمع
ينزل كل ما يستمعه على ما يستولي على قلبه كما سياتي تحقيق ذلك في كتاب السماع ولذلك كان
الجنيد يتكلم على بضعة عشر فان كثروا لم يتكلم وما تم اهل مجلسه عشرين وحضر جماعة باب دار ابن
سالم فقيل له تكلم فقد حضر اصحابك فقال ما هؤلاء اصحابي انما هم اصحاب المجلس ان اصحابي هم الخواص
واما الشطح فنعني به صنفين من الكلام احدثه بعض المتصوفة احدهما الدعاوي الطويلة
العريضة في العشق مع الله سبحانه والوصال المغني عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم الى
دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل
لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين الحلاج الذي صلب لاجل اطلاقه كلمات من
هذا الجنس ويستشهدون بقوله انا الحق وبما يحكى عن ابي يزيد البسطامي انه قال سبحاني سبحاني
وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من اهل الفلاحة فلاحتهم واظهروا
مثل هذه الدعاوي فان هذا الكلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة من الاعمال مع تزكية النفس

وقد ورد ان ... في بيان الاخبار الوارده
بفضيلة التعلم

درك المقامات والاحوال فلا يعجز الاغبيا عن دعوى ذلك لانفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما انكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن ان يقولوا ان هذا انكار مصدره العلم والمجادله والعلم حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بمكاشفه نور الحق فهذا ومثله مما قد استطار في بعض البلاد شرره وعظم في العوام ضرره حتى من نطق بشي منه فقتله افضل في دين الله من احيا عشره واما ابو يزيد البسطامي فلا يصح عنه ما يحكى وان سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله تعالى في كلام يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني فانه ما كان ينبغي ان يفهم منه ذلك الا على سبيل الحكايه

الصنف الثاني من الشطح كلمات غير مفهومه لها ظواهر رايقه وفيها عبارات هايله وليس وراها طايل وذلك اما ان تكون غير مفهومه عند قايلها بل يصدرها عن خبط في عقله وتشويش في خياله لقله احاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الاكثر واما ان تكون مفهومه له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وايرادها بعبارة تدل على ضميره لقله ممارسته العلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالالفاظ الرشيقه ولا فايده لهذا الجنس من الكلام الا انه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الاذهان او يحمل على ان يفهم منها معاني ما اريد بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه وقد قال النبي صم كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون اتريدون ان يكذب الله ورسوله وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قايله فان كان يفهمه القايل دون السامع فلا يحل ذكره قال عيسى عليه السلم لا تضعوا الحكمه عند غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدوا في موضع الدا

واما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وامر آخر يخصها وهو صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومه الى امور باطنه لا يسبق منها الى الافهام فايده كدأب الباطنيه في التاويلات فهذا ايضا حرام وضرره عظيم فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضروره تدعو اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقه بالالفاظ وتسقط به منفعه كلام الله تعالى

وكلام رسوله فان ما يسبق منه الى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر
ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا ايضا من البدع الشايعه العظيم ضررها وانما قصد اصحابها
بها الاغراب فان النفوس مايله الى الغريب ومستلذه له وبهذا الطريق توصل الباطنيه
الى هدم جميع الشريعه بتاويل ظواهرها وتنزيلها على رايهم كما حكيناه من مذاهبهم في الكتاب المستظهري
المصنف في الرد على الباطنيه ومثال تاويل اهل الطامات قول بعضهم في تاويل قوله تعالى
اذهب الى فرعون انه اشاره الى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغي على كل انسان و
في قوله الق عصاك اي كل ما يتوكا عليه ويعتمده مما سوى الله فينبغي ان يلقيه وفي قوله عليه السلم
تسحروا فان في السحور بركه اراد به الاستغفار بالاسحار وامثال ذلك حتى يحرفون القران من اوله
الى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وساير العلما وبعض هذه التاويلات
يعلم بطلانه قطعا كتنزيل فرعون على القلب فان فرعون شخص محسوس تواتر الينا وجوده ودعوة
موسى له كابي لهب وابي جهل وغيرهما من الكفره وليس من جنس الملايكه والشياطين ومما لم يدرك
بالحس حتى يتطرق التاويل الى الفاظه وكذلك حمل التسحر على الاستغفار فانه كان صلى الله عليه وسلم
يتناول الطعام ويقول تسحروا وهلموا الى الغدا المبارك فهذه امور تدرك بالتواتر والحس
وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في امور لا يتعلق بها الاحساس وكل ذلك حرام وضلاله
وافساد للدين على الخلق ولم ينقل من ذلك شي عن الصحابه ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري
مع اكبابه على دعوة الخلق ووعظهم ولا يظهر لقوله عليه السلم من فسر القران برايه فليتبوا مقعده
من النار معنى الا هذا النمط ولا يبعد ان يفهم منه انه يجب ان لا يفسر القران بالاستنباط
والفكر فان من الآيات ما نقل فيها عن الصحابه والمفسرين خمسه معان وسته وسبعه ونعلم
ان جميعها غير مسموع من النبي صم فانها تكون متنافيه لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن

طغى

وهو ان يكون غرضه ورايه متقررا ومحققه فيستجر شهاده القران اليه ويحمله عليه من غير ان يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظيه لغويه او نقليه ح

اللهم

وطول الفكر ولهذا قال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل

قال صلعم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فمن يستجيز لاهل

الطامات مثل هذه التاويلات مع علمه بانها غير

مرادة بالالفاظ ويزعم انه يقصد به دعوة الخلق الى الخالق يضاهي من

يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلعم لما هو في نفسه حق ولكن لم

ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسئلة يراها حقا حديثا عن النبي صلعم فذلك ظلم و

ضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله صلعم من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار بل الشر في تاويل

هذه الالفاظ اطم واعظم لانها مبطلة للثقة بالالفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القران بالكلية فقد عرفت

كيف صرف الشيطان دواعي الخلق عن العلوم المحمودة الى المذمومة وكل ذلك من تلبيس علماء السوء بتبديل الاسامي فان اتبعت

هولاء اعتمادا على الاسم المشهور من غير التفات الى ما عرف في العصر الاول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيما فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم في هذا

العصر وذلك بالغفلة عن تبديل الالفاظ **اللفظ الخامس** الحكمة فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب و

الشاعر والمنجم حتى على الذي يدحرج القرعة على اكف السوادية في شوارع الطرق والحكمة هي التي اثنى الله عليها فقال تعالى يؤتي الحكمة من يشاء

ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقال صلعم كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها فانظر ما الذي كانت الحكمة

عبارة عنه والى ماذا نقل وقس به بقية الالفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان شرهم على الدين اعظم

من شر الشياطين اذ الشيطان بواسطتهم يتدرج الى انتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا لما سئل رسول الله صلعم

عن شر الخلق ابى وقال اللهم غفرا حتى كرروا عليه فقال هم علماء السوء فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس

واليك الخيرة في ان تنظر لنفسك فتقتدي بالسلف او تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف وكل ما ارتضاه

السلف من العلوم قد اندرس وما اكب الناس عليه فاكثره مبتدع محدث وقد صح قول رسول الله صلعم بدا

الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء فقيل ومن الغرباء قال الذين يصلحون ما افسده الناس من سنتي والذين يحيون ما اماتوه من سنتي وفي خبر اخر هم المتمسكون

بما انتم عليه اليوم وفي حديث اخر

الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم اكثر من يحبهم وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ولذلك قال الثوري اذا رايت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط لانه ان نطق بالحق ابغضوه

بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة

اعلم ان العلم بهذا الاعتبار ثلثة اقسام قسم هو مذموم قليله وكثيره وقسم هو محمود قليله وكثيره وكلما كان اكثر كان احسن وافضل وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه وهو مثل احوال البدن فان منه ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ومنه ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ومنه ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فان التبذير لا يحمد فيه وهو بذل وكالشجاعة فان التهور لا يحمد فيها وان كان من جنس الشجاعة وكذلك العلم فالقسم المذموم قليله وكثيره ما لا فايدة فيه في دين ولا دنيا او فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم فبعضه لا فايدة فيه اصلا وصرف العمر الذي هو انفس ما يملكه الانسان اليه اضاعة واضاعة النفايس مذموم ومنه ما فيه ضرر يربى على ما يظن انه يحصل به من قضاء وطر في الدنيا فان ذلك لا يعتد به بالاضافة الى الضرر الحاصل منه واما القسم المحمود الى اقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله وبصفاته وافعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الاخرة على الدنيا فان هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به الى سعادة الاخرة وبذل المقدور فيه الى اقصى الجهد قصور عن حد الواجب فانه البحر الذي لا يدرك غوره وانما يحوم الحائمون على سواحله واطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض اطرافه الا الانبياء والاولياء والراسخون في العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله في حقهم وهذا هو العلم المكنون الذي لا يسطر في الكتب ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة احوال علماء الاخرة كما سياتي علامتهم هذا في اول الامر ويعين عليه في الاخر المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علايق الدنيا والتشبه فيها بانبياء الله واوليائه ليتضح منه لكل

ما عمر الى الذين سرى فيه
كله بعد وكلته لا تغنيانه
لابد الجد والى هذه مفتاح الهداية لا الاعتداد
عن الاجتهاد واما العلوم التي لا تجد الا الاعتداد فان لكل علم منها
مفتاح لها سواه واما العلوم التي اوردناها في فروض الكفايات ورآء الاقتصاد والاولى
مخصوص في العلوم التي اوردناها فلكل علم منها
اقتصار وهو الاقل واقتصاد وهو الاوسط واستقصاء وراء ذلك لا مرد له الى
آخر العمر فكن احد رجلين اما مشغولا بنفسك واما متفرغا لغيرك بعد الفراغ من نفسك
واياك ان تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي هو
فرض عينك بحسب ما تقتضيه حالك وما يتعلق منه بالاعمال الظاهرة من تعلم الطهارة والصلوة والصوم وانما الاهم الذي اهمله
الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم اذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة مثل الحرص والحسد والرياء
والكبر والعجب واخوات هذه الخصال وجميع ذلك مهلكات واهمالها من الواجبات مع ان الاشتغال بالاعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال
بطلاء ظاهر البدن عند التأذي بالجرب والدماميل والتهاون باخراج المادة بالفصد والاسهال وحشوية العلماء
يشيرون بالاعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الاطباء بطلاء ظاهر البدن وعلماء الآخرة لا يشيرون
الا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بافساد منابتها وقلع مغارسها وهي في القلب وانما فزع الاكثرون
الى الاعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة اعمال الجوارح واستصعاب اعمال القلوب كما يفزع الى طلاء
الظاهر من يستصعب شرب الادوية المرة فلا يزال يتعب في الطلاء ويزيد في المواد وتتضاعف
به الامراض فان كنت مريدا للآخرة وطالبا للنجاة وهاربا من الهلاك الابدي فاشتغل بعلم العلل الباطنة
وعلاجها على ما فصلناه في ربع المهلكات ثم ينجر بك ذلك الى المقامات المحمودة المذكورة في ربع
المنجيات لا محالة فان القلب اذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود والارض اذا نقيت من الحشيش نبت
فيها اصناف الزرع والرياحين وان لم تفرغ من ذلك فلا تشتغل بفروض الكفايات لا سيما و
في

في الخلق من قد قام به فان مهلك نفسه في صلاح غيره سفيه فما اشد حماقة من دخلت الافاعي و
العقارب داخل ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن
لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب اذا همت به وان تفرغت من نفسك
وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الاثم وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة
فيك وما ابعد ذلك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدريج فيها فابتدئ بكتاب الله
تعالى ثم بسنة رسوله صلعم ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول
والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك في السنة ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه
دون الخلاف ثم باصول الفقه وهكذا الى بقية العلم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت
ولا تستغرق عمرك في فن واحد منه طالبا للاستقصاء فان العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات
ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي ان ينسى فيه المطلوب
ويستكثر منه فاقتصر من شائع علم اللغة على ما تفهم به كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على
غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة
فما من علم الا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء ونحن نشير اليها في الحديث والتفسير والفقه و
الكلام لتقيس بها غيرها فالاقتصار في التفسير ما يبلغ ضعف القرآن في المقدار كما صنفه النيسابوري
والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة اضعاف القرآن وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه

ويكفيه البسيط ٥

فاما حفظ اسامي
الرجال فقد كفيت فيه بما حمله عنك
قبلك ولك ان تعول على كتبهم وليس
يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله
تحصيلا تقدر منه على طلب ما تحتاج اليه عند الحاجة ٥
واما الاقتصاد فيه فان تضيف اليهما ما خرج عنهما مما ورد في المسندات الصحيحة و
اما الاستقصاء فما وراء ذلك الى استيعاب كل ما نقل
من الضعيف والقوي والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق
الكثيرة في النقل ومعرفة احوال الرجال واسمائهم
واوصافهم

الباب الرابع

في بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق

قال حجة الإسلام بعد ذكر آفات [illegible] اعلم وتحقق أن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والإفحام وإظهار الفضل والشرف عند الناس وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله المحمودة عند عدو الله إبليس ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد [illegible] وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة وكما أن الذي خير بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه فدعاه ذلك إلى ارتكاب بقية الفواحش في سكره فكذلك من غلب عليه حب الإفحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهاة دعاه ذلك إلى إضمار الخبائث كلها في النفس وهيج فيه جميع الأخلاق المذمومة وهذه الأخلاق ستأتي أدلة مذمتها [illegible] في ربع المهلكات ولكنا نشير الآن إلى مجامع ما تهيجه المناظرة فمنها الحسد وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ولا ينفك المناظر عن الحسد فإنه تارة يغلب وتارة يغلب وتارة يحمد كلامه وأخرى يحمد كلام غيره فما دام يبقى في الدنيا واحد يذكر بقوة العلم والنظر أو يظن أنه أحسن منه كلاما وأقوى نظرا فلا بد أن يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف القلوب عنه إليه والحسد نار محرقة فمن بلي به فهو في العذاب في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأعظم ولذلك قال ابن عباس خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض فإنهم يتغايرون كما تتغاير التيوس في الزريبة. وهكذا ذكر رحمه الله التكبر والحقد والغيبة وتزكية النفس والتجسس وتتبع عورات الناس والفرح بمساءتهم والنفاق والاستكبار [illegible] والرياء [illegible]

[illegible]

فإن قلت [illegible]

فاعلم [illegible]

فاعلم [illegible]

ومنها التكبر والترفع عن الناس

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [illegible] تواضع رفعه الله وقال [illegible]

[illegible] والعظمة ازاري [illegible] والكبرياء ردائي [illegible]

حكاية عن الله تعالى [illegible] الناظر على تكبر على الاقران والامثال والترفع [illegible]

[illegible] على مجلس من المجالس [illegible] والتقدم في الدخول [illegible] عند مضايق الطرق والارتفاع [illegible]

قدره حتى انهم [illegible] الصدد والبعد منه [illegible] وان المؤمن [illegible] الذين [illegible]

والقرب [illegible] عند الله عز وجل [illegible] وآله وسلم [illegible]

والمكابرة [illegible] الخداع [illegible] بالذل [illegible]

عليه وسائر [illegible] ومنها الحقد [illegible]

[illegible] ان لا [illegible] على [illegible] بالنفاق [illegible]

وتزكية النفس [illegible] ومنها الغيبة [illegible]

على ترجيح كلامه [illegible] ومنها تزكية النفس [illegible] فلا تزكوا انفسكم [illegible]

[illegible] ومنها [illegible]

[illegible]

الباطنة سوى ما ينبغي لغير المتماسكين منهم من الخصام المؤدي الى الضرب واللكم وتمزيق الثياب
الى غير ذلك ثم ينبعث من كل واحد من هذه الخصال العشر عشرة اخرى من الرذائل لم نطول بذكرها
وتفصيل آحادها مثل الانفة والغضب والبغضاء والطمع وحب طلب المال والجاه للتمكن
من الغلبة والمباهاة والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والسلاطين والتردد اليهم والاخذ
من حرامهم والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المحظورة واستحقار الناس بالفخر والخيلاء
الخوض فيما لا يعني وكثرة الكلام وخروج الخشية والرحمة من القلب واستيلاء الغفلة عليه
حتى لا يدري المصلي منهم في صلاته ما الذي يقوله ومن الذي يناجيه ولا يحس بالخشوع من
قلبه واستغراق العمر في العلوم التي تعين في المناظرة مع انها لا تنفع في الآخرة من تحسين
العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر الى غير ذلك من امور لا تحصى والمناظرون يتفاوتون
فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولا ينفك اعظمهم دينا واكثرهم عقلا عن
جمل من مواد هذه الاخلاق وانما غايته اخفاؤها ومجاهدة النفس بها واعلم ان
هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ ايضا اذا كان قصده طلب القبول
واقامة الجاه ونيل الثروة والعز وهي لازمة ايضا للمشتغل بعلم المذهب والفتوى
اذا كان قصده طلب القضاء وولاية الاوقاف والتقدم على الاقران وبالجملة
هي لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الآخرة فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك
الابد او يحييه حياة الابد ولذلك قال صلى الله عليه وآله اشد الناس عذابا يوم القيمة
عالم لا ينفعه الله بعلمه **فان قلت** في الرخصة في المناظرة فايدة وهو ترغيب
الناس في طلب العلم اذ لولا حب الرياسة لاندرست العلوم فقد صدقت فيما ذكرته
من وجه ولكنه غير مفيد اذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير ما رغب الصبيان
في المكتب وذلك لا يدل على ان الرغبة فيه محمودة ولولا حب الرياسة لاندرس

قوله وجه فلان اي تغيّر من الغضب

العلماء على
لا بد لذلك ... باستدراج الله ... فانه
ان طالب الدنيا قال فيعلم لينصح ان الله ... بنفسه
بل هو من الذين قال ... لا اخلاق لهم ... ان ... وذلك فيمن كان
يؤيد هذا الدين باقوام لا اخلاق لهم ...
الله تعالى ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فطالب الدنيا ...
ذلك وقد يصلح بسببه غيره ان كان يدعو الى ترك الدنيا وذلك فيمن كان
حاله في ظاهر الامر حال علماء السلف ولكنه يضمر قصد الجاه فمثاله مثال الشمع الذي يحترق
في نفسه ويستضيء به غيره فصلاح غيره في هلاكه فاما اذا كان يدعو الى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة
التي تأكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلاثة اما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها
واما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون للخلق الى الله تعالى ظاهرا وباطنا واما مهلك نفسه مسعد غيره
وهو الذي يدعو الى الاخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق واقامة الجاه فانظر من
اي الاقسام انت ومن الذي اشتغلت بالاستعداد له ولا تظنن ان الله تعالى يقبل غير الخالص لوجهه تعالى من العلم و
العمل وسياتيك في كتاب الرياء بل في جميع ربع المهلكات ما ينفي عنك الريب فيه ان شاء الله تعالى

الباب الخامس في آداب التعليم والتعلم

اما المتعلم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن ينظم
تفاريقها عشر جمل الوظيفة الاولى تقديم طهارة النفس عن رذائل الاخلاق ومذموم الاوصاف
اذ العلم عبادة القلب وصلوة السر وقربة الباطن الى الله تعالى وكما لا تصح الصلوة التي هي وظيفة الجوارح الا
بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا
بعد طهارته عن خبائث الاخلاق وانجاس الاوصاف قال النبي صلى الله عليه وآله بني الدين على النظافة
وهو كذلك باطنا وظاهرا وقال الله تعالى انما المشركون نجس تنبيها للعقول على ان الطهارة
والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب
مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر اي باطنه ملطخ بالخبائث
والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن اهم بالاجتناب فانها

فانها مع خستها في الحال مهلكات في المآل ولذلك قال صلى الله عليه وآله لا تدخل الملائكة بيتا
فيه كلب والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط اثرهم ومحل استقرارهم والصفات الرديه
مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب واخواتها كلاب نابحة فانى تدخله الملائكة و
هو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله في القلب الا بواسطة الملائكة وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم الى
القلوب انما يتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرأون عن المذمومات
فلا يلاحظون الا طيبا ولا يعمرون بما عندهم من خزاين رحمة الله الا طاهرا ولست اقول
المراد بلفظ البيت هو القلب والكلب هو الغضب والصفات المذمومة ولكني اقول هو
تنبيه عليه وفرق بين تغيير الظواهر الى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع
تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فان هذا طريق الاعتبار وهو مسلك
العلماء والابرار اذ معنى الاعتبار ان تعبر مما ذكر الى غيره فلا تقتصر عليه كما يرى العاقل
مصيبة بغيره فيكون له فيها عبرة بان يعبر منها الى التنبيه لكونه ايضا عرضة للمصايب
وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره من غيره الى نفسه ومن نفسه الى اصل الدنيا عبرة
محمودة فاعبر انت ايضا من البيت الذي هو بناء الخلق الى القلب الذي هو بيت من
بناء الله سبحانه ومن الكلب الذي هو ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة
الى روح الكلبية وهو السبعية واعلم ان القلب المشحون بالغضب والشره الى الدنيا
والتكالب عليها والحرص على التمزيق لاعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة ونور
البصيرة يلاحظ المعاني دون الصور والصور في هذا العالم غالبة على المعاني والمعاني باطنة
فيها وفي الاخرة تتبع الصور المعاني وتغلب المعاني فلذلك يحشر كل شخص على صورته
المعنوية فيحشر الممزق لاعراض الناس كلبا ضاريا والشره الى اموالهم ذئبا عاديا

والكبر

عليهم الصورة في ... او طالب ... بذكر الاخبار ... عند ذوي البصائر والابصار وشهود الاعتبار

فان قلت كم من طالب رديء الاخلاق حصل العلوم فهيهات ما ابعده عن العلم الحقيقي النافع في الآخرة الجالب للسعادة فان من اوائل ذلك العلم ان يظهر له ان المعاصي سموم قاتلة مهلكة وهل رايت من يتناول سما مع علمه بكونه سما قاتلا انما الذي تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه بالسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم اخرى وليس ذلك من العلم في شيء قال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذف في القلب وقال بعضهم انما العلم الخشية لقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكانه اشار الى اخص ثمرات العلم ولذلك قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله ان العلم ابى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا حديثه والفاظه **فان قلت** اني ارى جماعة من العلماء الفقهاء المحققين برزوا في الفروع والاصول وعدوا من جملة الفحول واخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها فيقال اذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك ان ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علما وانما غناؤه من حيث كونه عملا لله اذا قصد به التقرب الى الله

الوظيفة الثانية ان يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الاهل والوطن فان العلائق شاغلة وصارفة وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانت من اعطائه اياك بعضه على خطر والفكرة المتوزعة على امور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الارض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزدرع

الوظيفة الثالثة ان لا يتكبر على العلم

ولا

ولا يتامر على المعلم بل يلقي اليه زمام امره بالكلية في كل تفصيل ويذعن لنصحه اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغي ان يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس من اخلاق المؤمن التملق الا في طلب العلم فلا ينبغي للطالب ان يتكبر على المعلم ومن تكبره على المعلم ان يستنكف من الاستفادة الا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن طلب مهربا من سبع ضار يفترسه لا يفرق بين ان يرشده الى الهرب مشهور او خامل وضراوة سباع النار بالجهال بالله اشد من ضراوة كل سبع فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها اليه كائنا من كان ولذلك قيل العلم حرب للمتعالي كالسيل حرب للمكان العالي فلا ينال العلم الا بالتواضع والقاء السمع قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ومعنى كونه ذا قلب ان يكون قابلا للعلم فهما ثم لا يغنيه القدرة على الفهم حتى يلقي السمع وهو شهيد حاضر القلب يستقبل كل ما يلقى اليه بحسن الاصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة فليكن المتعلم لمعلمه كارض دمثة نالت مطرا غزيرا فتشربت بجميع اجزائها واذعنت بالكلية لقبوله ومهما اشار عليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده وليدع رايه فان خطا مرشده انفع له من صوابه في نفسه اذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع انه يعظم نفعها فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب في بعض اوقاته بالحرارة ليزيد في قوته الى حد يحتمل صدمة العلاج فيتعجب منه من لا خبرة له وقد نبه الله سبحانه بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا ثم لم يصبر ولم يزل في مراودته الى ان كان ذلك سبب الفراق بينهما وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رايا واختيارا وراء اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران **فان قلت** فقد قال الله تعالى فاسئلوا اهل الذكر فالسؤال مامور به **فاعلم** انه كذلك ولكن فيما ياذن المعلم في السؤال عنه فان السؤال عما لم تبلغ رتبتك

الرميث الكلام النفس ... والحجج ...

الى وجهه
مندوح ... ان السوال ... فالمعلم ... وان
منع الحضر ... السوال قبل ... ان الكشف ... لا يدخل بالسوال والابتداء
اى دع السوال ... ان الدرجات ... عليه ... ولا تنتقل ... ان لا تقدم
اعلم بان ... وقد قال ... العالم ... اذا ... ومعلم ان ذلك ...
اوان الكشف وقد قال ... عليه اذا ... بل ... علوم الدنيا او علوم الاخرة ...
السوال ولا تبلغ عليه ولا تطلبن ... وان كانت الاختلافات ... بل ... واحد ... بعد
الى الجواب عنده ... ولا تجلس ... عن الاصغاء الى الاختلافات ... الادراك والاطلاع ... باختيار رأي واحد ... هذا حاله ...

الوظيفة الرابعة

تعتا ... عنده ... ولا ... عن الاصغاء ... مستقلا باختيار ... واحد ...
لله ما دام يحفظ ... العلم في مبدأ الامر ... ويؤيسه عن الادراك ... ارشاده ...
ان يحترز اى الخائض في العلم ... دهشة وتفتر رأيه ... وان لم ... اسناده ... العيان وارشاده ... الكفار ...
ذلك يدهش عقله ويحير ... الى المذاهب ... بالاسلام ... الكفار ...
ثم بعد ذلك ... اضلاله اكثر من ارشاده ... العبد بالاسلام ... عن ... الصلحاء ...
فليحترز منه فان ... منع ... العاجز ... البداية ... القرآن ...
ومنع المبتدى عن ... الكفار ولذلك ... بالاقوياء ... الاولى ... رابطة ...
حتى النجوى على ... الضعفاء ان الاقتداء ... في بعضهم ... الجوامع ... افضل الاعمال ...
الدقيقة على بعض الضعفاء ولذلك ... الاعمال ... والذكر ...
الاقوياء تخالف طائف الضعفاء ... الى الباطن ... اعمال ... الضعيف ...
زيد تقا اذ النهاية ... ان الاعمال ... ومن ...
ان ظنا انه بطالة و ...
الشهود و الحضور و ملازمة للذكر ...
على الدوام ...
فيا ... في ...
نفيا ... اعتذار
من

من يلقى نجاسة يسيرة في كوز ماء بان تضاعف هذه النجاسة قد يلقى في البحر والبحر اعظم من الكوز فما جاز
للبحر فهو للكوز اجوز ولا يدرى المسكين ان البحر لقوته يحيل النجاسة ماء فينقلب النجاسة باستيلائه الى
صفته والقليل تغلب الكوز ويحيله الى صفته ويمثل هذا جوز للنبي صلى الله عليه وسلم ما لم يجوز لغيره حتى ابيح له تسع
نسوة اذ كان له من القوة ما يتعدى منه صفة العدل الى نسائه وان كثرن واما غيره فلا يقدر على
العدل بل تتعدى ما بينهن من الضرار اليه حتى يجر الى معصية الله في طلب رضاهن فما افلح من قاس
الملائكة بالحدادين **الوظيفة الخامسة** ان لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا
من انواعها الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه والا اشتغل
بالاهم منه فاستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط بالبعض ويستفيد منه
في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس اعداء ما جهلوا قال الله تعالى واذ
لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم وقال الشاعر ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به الماء الزلالا فالعلوم على درجاتها اما سالكة بالعبد الى الله تعالى او معينة على
السلوك نوعا من الاعانة ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود والقوام بها حفظة
كحفظة الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته اجر في الآخرة اذا قصد به وجه الله تعالى
الوظيفة السادسة ان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم ان يأخذ من
كل شيء احسنه ويكتفي منه بشمة ويصرف جمام قوته في الميسور من علمه الى استكمال العلم الذي هو اشرف
العلوم وهو علم الآخرة اعني قسمي المعاملة والمكاشفة فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى
ولست اعني به الاعتقاد الذي يلقنه العامي وراثة او تلقفا ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة
في تحصين ذلك عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله
في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهي الى رتبة ايمان لو وزن بايمان العالمين لرجح

وعلى
اجلته ما عرف
العلم وغايتها منتهى ثمرته واقطع
وهو لا يبين بشرف الانبياء ثم الاولياء ثم الذين يلونهم
البشر في رتبة الانبياء

الوظيفة السابعة ان يعرف السبب الذي به يدرك شرف العلوم وان ذلك يراد به شيئان احدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل
وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان ثمرة احدهما الحياة الابدية وثمرة الآخر الحياة الفانية
فيكون علم الدين اشرف ومثل علم الحساب وعلم النجوم فان علم الحساب اشرف لوثاقة ادلته وقوتها وان نسب الحساب الى الطب كان الطب اشرف
باعتبار ثمرته والحساب اشرف باعتبار ادلته وملاحظة الثمرة اولى ولذلك كان الطب اشرف وان كان اكثره بالتخمين وبهذا تبين ان اشرف العلوم العلم بالله عز وجل
وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم فاياك ان ترغب الا فيه وان تحرص الا عليه

الوظيفة الثامنة ان يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المآل القرب من الله سبحانه والترقي الى جوار الملأ الاعلى من الملائكة والمقربين
ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الاقران واذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الاقرب
الى مقصوده وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغي له ان ينظر بعين الحقارة الى سائر العلوم اعني علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين
بالكتاب والسنة وغير ذلك مما اوردناه في المقدمات والمتممات من ضروب العلوم التي هي فرض كفاية ولا تفهمن من غلونا في الثناء
على علم الآخرة تهجين هذه العلوم فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدين في سبيل الله
ومنهم المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذي يسقيهم الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك واحد منهم عن اجر اذا
كان قصده اعلاء كلمة الله دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم
والذين اوتوا العلم درجات وقال تعالى هم درجات عند الله والفضيلة نسبية واستحقارنا الصيارف
عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم اذا قيسوا بالكناسين فلا تظنن ان ما نزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا للانبياء ثم
الاولياء ثم العلماء الراسخين في العلم ثم الصالحين على تفاوت درجاتهم وبالجملة فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره
ومن

ومن قصد الله بالعلم اي علم كان نفعه ورفعه لا محالة الوظيفة التاسعة ان يعلم نسبة العلوم
الى المقصد كي لا يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك الا شأنك
في الدنيا والآخرة واذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر
ما يجري مجرى العيان فالاهم ما يبقى ابد الآباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والاعمال سعيا
الى المقصد ولا مقصد الا لقاء الله ففيه النعيم كله وان كان لا يعرف في هذا العالم قدره الا
الاقلون وفيما بالاضافة الى السعادة لقاء الله والنظر الى وجهه الكريم اعني النظر الذي طلبه الانبياء
وفهموه دون ما يسبق الى فهم العوام والمتكلمين على ثلث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو ان
العبد الذي علق عتقه وتمكينه من الملك على الحج وقيل له ان حججت وتممت وصلت الى العتق
والملك جميعا وان ابتدأت طريق الحج والاستعداد وعاقك في الطريق مانع ضروري فلك
العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك فله ثلثة اصناف من الشغل
الاول تهيئة الاسباب بشراء الناقة وخرز الراوية واعداد الزاد والراحلة والآخر
السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه الى الكعبة منزلا بعد منزل والثالث الاشتغال باعمال
الحج ركنا بعد ركن ثم بعد النزوع عن هيئة الاحرام وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة
وله في كل مقام منازل من اول اعداد الاسباب الى آخرها ومن اول سلوك البوادي الى آخره ومن
اول اركان الحج الى آخره وليس قرب من ابتدأ باركان الحج من السعادة كقرب من هو
بعد في اعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك بل اقرب منه فالعلوم ايضا
ثلثة اقسام قسم يجري مجرى اعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه
وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا وقسم يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات
وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة التي عجز عنها
الاولون والآخرون الا الموفقون فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات

الطرق
وهنا زلة وكلا لا ينبغي
علل المنازل وطرق البوادي
دون سلوكها لا ينبغي علم تهذيب الاخلاق
دون مباشرة التهذيب لا ينبغي تحصيل المباشرة ودون العلم
غير ممكن **وقسم ثالث** [illegible] وجميع ما ذكرناه للطريق [illegible] علم الكاشفة
العلم بالله وصفاته وملائكته وافعاله وحاصله لكل سالك للطريق [illegible]
وههنا نجاة وفوز بالسعادة والنجاة حاصلة [illegible] العارفون [illegible] المتزودون [illegible]
ودوات السلامة واما الفوز بالسعادة فلا ينالها الا العارفون [illegible] النجاة [illegible] اصحاب اليمين [illegible]
بالمدح والاذى [illegible] وجنة النعيم واما المبعدون دون درجة الكمال [illegible] فسلام لك من اصحاب اليمين [illegible]
كان من الغرض فرفع [illegible] وجنة نعيم واما ان كان [illegible] بل لغرض عاجل [illegible] الايمان
لم ينهض له وانهض الى الجنة لا على قصد [illegible] والعبودية [illegible] التصديق [illegible] قطع
واعلم ان هذا هو من النفس عند العلماء الراسخين [illegible] ادركوا [illegible] سلك طريق [illegible] ذلك
وترقوا فيه عن حد التقليد بمجرد الاستماع وحالهم [illegible] علم الكاشفة وعلم طريق العاملة [illegible]
ولم يخطوا بالشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم [illegible] علم الصفات والنظر والسياسة [illegible]
عبادات القضاة وسلوك طريق [illegible] الصفات المذمومة وراء [illegible] بالاشباع [illegible] علم البدن [illegible]
فان قلت [illegible] علم سلامة البدن [illegible] مساعدة اسباب الصحة وسلامة البدن [illegible]
والملبس والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط الناس على منهج [illegible]
فاعلم ان الناس [illegible] الى الله [illegible] بل [illegible] تارة بغير [illegible]
اما اسباب الصحة فمن ناحية الطبيب [illegible] بالطب [illegible] المطيه [illegible]
[illegible]

لانه المطية الاولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية واله لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن
ذلك السر من علم المكاشفة وهو مضنون به بل لا رخصة في ذكره وغاية الماذون ان يقال هو جوهر
نفيس ودر عزيز اشرف من هذه الاجرام المرئية وانما هو امر الهي كما قال تعالى ويسئلونك عن الروح
قل الروح من امر ربي وكل المخلوقات منسوبة الى الله ولكن نسبته اشرف من نسبة ساير اعضاء البدن
فلله الخلق والامر جميعا والامر اعلى من الخلق وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لامانة الله تعالى المتقدمة
بهذه الرتبة على السموات والارضين اذ ابين ان يحملنها واشفقن منها من عالم الامر ولا يفهم من هذا
تعريضا بقدمه فالقايل بقدم الارواح مغرور جاهل لا يدري ما يقول ولنتشبث عنان البيان عن
هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده والمقصود ان هذه اللطيفة هي الساعية الى قرب الرب
لانها من امر الرب فمنه مصدرها واليه مرجعها واما البدن فمطيتها التي تركبها وتسعى بواسطتها
فالبدن لها في طريق الله كالناقة للبدن في طريق الحج وكالراوية الحاوية للماء الذي يفتقر اليه
البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية ولا يخفى ان الطب كذلك فانه
يحتاج اليه في حفظ الصحة على البدن ولو كان الانسان وحده لاحتاج اليه والفقيه يفارقه
في انه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغني عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه ان يعيش وحده
اذ لا يستقل بالسعي في تحصيل طعامه بالحراثة والزرع والطبخ وفي تحصيل الملبس والمسكن وفي
اعداد الالات ذلك كله فاضطر الى المخالطة والاستعانة ومهما اختلط الناس وثارت شهواتهم
تجاذبوا اسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج
كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الاخلاط من داخل وبالطب يحفظ الاعتدال في الاخلاط المتنافرة
من داخل وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال في التنافس من خارج وعلم طريق اعتدال
في الاخلاط طب وعلم طريق اعتدال الاحوال من الناس في المعاملات والافعال فقه و
كل ذلك لحفظ البدن الذي هو مطية فالمتجرد لعلم الفقه او الطب اذا لم يجاهد نفسه ولم يصلح

كالمتعهد [illegible] الراوية [illegible]
وعلفها [illegible] والمستحب [illegible]
اذا لم يسلك البادية [illegible] الحج [illegible]
لكن [illegible] الاسباب التي [illegible] بها الحج [illegible]
كالمستوفي [illegible] الحج [illegible] علم المكاشفة [illegible]

بيان وظائف المرشد المعلم

اعلم ان للانسان في علمه اربعة احوال كحاله في اقتناء الاموال اذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال وحال انفاق على نفسه فيكون منتفعا وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو اشرف احواله فكذلك العلم يقتنى كما يقتنى المال فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغني عن السؤال وحال استبصار وهو التفكر في المحصل والتمتع به وحال تبصير وهو اشرف الاحوال فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السماوات فانه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب والذي يعلم ولا يعمل كالدفتر الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسن الذي يشحذ غيره ولا يقطع والابرة التي تكسو غيرها وهي عارية وذبالة المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق كما قيل ما هو الا ذبالة وقدت تضيء للناس وهي تحترق ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد امرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه **الوظيفة الاولى** الشفقة على المتعلمين وان يجريهم مجرى بنيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده بان يقصد انقاذهم من نار الآخرة وهو اهم من انقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم اعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية والمعلم سبب الحياة الباقية ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الاب الى الهلاك الدائم وانما المعلم هو المفيد للحياة الاخروية الدائمة اعني معلم علوم الآخرة او علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فاما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله منه وكما ان حق ابناء الرجل الواحد ان يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك

فحق

فحق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوادد ولا يكون الا كذلك ان كان مقصودهم الآخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض ان كان مقصدهم الدنيا فان العلماء وابناء الآخرة مسافرون الى الله تعالى وسالكون اليه الطريق والدنيا وسنوها وشهورها منازل الطريق والترافق في الطريق بين المسافرين الى الامصار سبب التواد والتحاب فكيف السفر الى الفردوس الاعلى والترافق في طريقه ولا ضيق في سعادات الآخرة فلذلك لا يكون بين ابناء الآخرة تنازع ولا سعة في سعادات الدنيا فلذلك لا تنفك عن ضيق التزاحم والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى انما المؤمنون اخوة داخلون في مقتضى قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين **الوظيفة الثانية** ان يقتدي بصاحب الشرع صلوات الله عليه فلا يطلب على افاضة العلم اجرا ولا يقصد به جزاء ولا شكرا بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب اليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وان كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم اذ هذبوا قلوبهم لان تتقرب الى الله بزراعة العلوم فيها كالذي يعيرك الارض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الارض اذ تقلده بمنة منه وثوابك في التعليم اكثر من ثواب المتعلم عند الله ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الاجر الا من الله تعالى كما قال الله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا فان المال وما في الدنيا خادم للبدن والبدن مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم اذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح اسفل مداسه بمحاسنه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك هو الانتكاس على ام الراس ومثله هو الذي يقوم في العرض الاكبر مع المجرمين ناكسي رؤوسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم فانظر كيف انتهى امر الدين الى قوم يزعمون ان مقصودهم التقرب الى الله بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفي غيرهما فانهم يبذلون المال

وجاه ويحملون اصناف الذل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف اليهم ثم يتوقع المعلم من المتعلم ان يقوم له في كل نائبة وينصر وليه ويعادي عدوه وينتهض حمارا له في حاجاته ومسخرا بين يديه في اوطاره فان قصر في حقه ثار عليه وصار من اعدى اعدائه فاخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحيي من ان يقول غرضي من التدريس نشر العلم تقربا الى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر الى الامارات حتى ترى ضروب الاغترارات

الوظيفة الثالثة ان لا يدع من نصح المتعلم شيئا وذلك بان يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ثم ينبهه على ان الغرض بطلب العلوم القرب الى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك في نفسه باقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر باكثر مما يفسده فان علم من باطنه انه لا يطلب العلم الا للدنيا نظر الى العلم الذي يطلبه فان كان هو علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والفتاوى في الخصومات والاحكام فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست من علوم الاخرة ولا من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله وانما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الاولون يشتغلون به من علم الاخرة ومعرفة اخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذا تعلمه الطالب وقصد به الدنيا فلا باس ان يتركه فانه يثمر له طمعا في الوعظ والاستتباع ولكن يتنبه في اثناء الامر اذ فيه العلوم المخوفة من الله تعالى المحقرة للدنيا المعظمة للاخرة وذلك يوشك ان يفضي به اخر الامر الى الصواب حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجري حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ينثر حوالي الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده اذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل وخلق ايضا حب الجاه ليكون سببا لاحياء العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم فاما الخلافيات المحضة ومجادلات الكلام ومعرفة التفريعات الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها الا قسوة في القلب وغفلة عن الله تعالى وتماديا في الضلال وطلب الجاه الا من تداركه

الله

[illegible]

الله بوجهه او مزج به غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر
واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد والله المستعان وقد قيل لسفيان الثوري رحمه الله تعالى
وقد رئي حزينا ما لك حزينا فقال صرنا متجرا لابناء الدنيا يلزمنا احدهم حتى اذا تعلم جعل
عاملا او قاضيا او قهرمانا **الوظيفة الرابعة** وهي من دقائق صناعة التعليم ان يزجر
المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح
يهتك حجاب الهيبة ويورث الجراة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار قال النبي صلى الله عليه وسلم
وهو مرشد كل معلم لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شيء وينبهك
على هذا قصة آدم وحوا عليهما السلام وما نهيا عنه فما ذكرت القصة معك لتكون سمرا بل لتتنبه
بها على سبيل العبرة ولان التعريض ايضا يميل النفوس الفاضلة والاذهان الذكية الى استنباط
معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العلم به ليعلم ان ذلك مما لا يعزب عن فطنته
الوظيفة الخامسة ان المتكفل ببعض العلوم لا ينبغي ان يقبح في نفس المتعلم العلوم التي
وراءه كمعلم اللغة اذ عادته تقبيح الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وان
ذلك نقل محض وسماع وهو شان العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك
فرع وهو كلام في حيض النسوان فاين ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه اخلاق مذمومة
للمعلمين ينبغي ان تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي ان يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره وان
كان متكفلا بعلوم فينبغي ان يراعي التدريج في ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة **الوظيفة السادسة**
ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي اليه ما لا يبلغه عقله فينفره او يخبط عليه عقله اقتداء
في ذلك بسيد البشر صلوات الله عليه حيث قال نحن معاشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس
منازلهم ونكلم الناس على قدر عقولهم فليبث اليه الحقيقة اذا علم انه يستقل بفهمها

ما احد يحدث
قوما بحديث لا تبلغه
عقولهم الا كان فتنة على بعضهم و اشار علي رضي الله عنه الى صدره فقال
ان ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة فليس كل ما يعلمه العالم يجوز ان يبديه لكل احد
لو وجدت لها حملة وصدق عيسى عم حيث قال لا تعلقوا الجواهر في اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجواهر
ينبغي ان يفشي العالم كل ما يعلمه الى كل احد وقد قال بعضهم كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان فهمه حتى
لا انتفاع به فكيف لمن لا يفهمه وقال بعضهم ذلك وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل اما سمعت
حتى تسلم منه وينتفع بك والا وقع الانكار لتفاوت المعيار رسول الله صلعم قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيمة ملجما بلجام من نار
تسلم منه وتنتفع بك فقال اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقه وكتمته فليلجمني
رسول الله صلعم قال من كتم علما نافعا فقد قال الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم
الوظيفة السابعة ان المتعلم القاصر ينبغي ان يلقى اليه الجلي اللائق به ولا يذكر له ان وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه
تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم فان ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش عليه قلبه ويوهم اليه البخل به عنه اذ يظن كل احد انه اهل لكل علم دقيق
فما من احد الا وهو راض عن الله سبحانه في كمال عقله واشدهم حماقة واضعفهم عقلا هو افرحهم بكمال عقله
ومن هذا يعلم ان من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل وحسن مع ذلك سريرته ولم يحتمل عقله اكثر من ذلك فلا ينبغي
ان يشوش عليه اعتقاده **الوظيفة الثامنة** ان يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله
لان العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالابصار وارباب الابصار اكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد
وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه
ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود اعوج ولذلك قيل
لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم
وقال تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ولذلك كان وزر العالم في معاصيه اكثر من وزر الجاهل اذ يزل بزلته عالم كثير ويقتدون به
ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها ولذلك قال علي رضي الله عنه قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس
بتنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه

الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة وعلماء السوء

قد ذكرنا ما ورد في فضائل العلم والعلماء وقد ورد في العلماء السوء
تشديدات عظيمة دلت على انهم اشد الخلق عذابا يوم القيمة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامة الفارقة بين علماء
الدنيا وعلماء الآخرة ونعني بعلماء الدنيا العلماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى
الجاه والمنزلة عند اهلها قال النبي صلعم اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه وقال ايضا يكون
في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال ايضا من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا
فهذا وغيره من الاخبار يدل على عظم خطر العلم وان العالم اما متعرض لهلاك الابد او لسعادة الابد وانه
بالخوض في العلم قد حرم السلامة ان لم يدرك السعادة وقال النبي صلعم ان العالم يعذب عذابا يطيف به
اهل النار استعظاما لشدة عذابه اراد به الفاجر وقال تعالى في قصة بلعم بن باعورا واتل عليهم نبا
الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها حتى قال فمثله كمثل الكلب وكذلك العالم الفاجر فان بلعم اوتي كتاب
الله فاخلد الى الشهوات فشبه بالكلب اي سواء اوتي الحكمة او لم يوت فهو يلهث الى الشهوات و
قال عيسى عم مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص
الى الزرع ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ومثل القبور ظاهرها
عامر وباطنها عظام الموتى وذكر رحمه الله كثيرا من الآثار لذم العلماء السوء ثم قال فهذه
الاخبار والآثار تبين ان العالم الذي هو من ابناء الدنيا اخس حالا واشد عذابا من الجاهل
وان الفائزين المقربين هم علماء الآخرة ولهم علامات **فمنها** ان لا يطلب الدنيا
بعلمه فان اقل درجات العالم ان يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة
ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم انهما متضادتان وانهما كالضرتين مهما ارضيت
احداهما اسخطت الاخرى وانهما ككفتي الميزان فمهما رجحت احداهما خفت الاخرى وانهما كالمشرق

وقال عم [illegible] ان اخوف ما اخاف على امتي [illegible] فقيل وما ذلك فقال ائمة مضلون

[illegible]

موسى فجعل يسئل عنه فلا يحس له اثرا حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه حبل
اسود فقال له موسى اتعرف فلانا قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى يا رب اسئلك ان ترده الى حاله
حتى اسأله فيما اصابه هذا فاوحى الله اليه لو دعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما اجبتك فيه
ولكن اخبرك لم صنعت هذا به لانه كان يطلب الدنيا بالدين ومنها ان لا يخالف فعله قوله
بل لا يأمر بالشيء ما لم يكن هو اول عامل به قال الله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم
وقال تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقال في قصة شعيب وما اريد ان اخالفكم
الى ما انهاكم عنه وقال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله واتقوا الله واعلموا اتقوا الله واسمعوا وقال
تعالى لعيسى عم يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال رسول الله صلعم
مررت ليلة اسري بي باقوام كانت تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا كنا نامر
بالخير ولا نفعله وقال ابرهيم بن ادهم مررت بحجر مكتوب عليه اقلبني تعتبر فقلبته فاذا عليه انت
بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لا تعلم ومنها ان يكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الاخرة
المرغب في الطاعة متجنبا للعلوم التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال فمثال من
يعرض عن علم الاعمال ويشتغل بالجدال مثل رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيبا
حاذقا في وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والادوية
وغرائب الطب وترك مهمه الذي هو مواخذ به وذلك محض السفه وقد روي ان رجلا جاء
الى رسول الله صلعم وقال علمني من غرائب العلم فقال ما صنعت في راس العلم قال وما راس العلم
قال هل عرفت الرب قال نعم قال وما صنعت في حقه قال ما شاء الله قال هل عرفت
الموت قال نعم قال فما اعددت له قال ما شاء الله قال اذهب فاحكم ما هنالك ثم تعال
نعلمك غرائب العلم بل ينبغي ان يكون التعلم من جنس ما روي عن حاتم الاصم تلميذ شقيق
البلخي انه قال شقيق منذ كم صحبتني فقال حاتم منذ ثلث وثلثين سنة قال فما تعلمت

[illegible]

مني

فى هذه المدة قال ثمان مسائل قال شقيق انا لله وانا اليه راجعون ذهب عمرى معك ولم تتعلم الا ثمان مسائل قال يا استاذ لم اتعلم غيرها وانى لا احب ان اكذب فقال هات هذه الثمان مسائل حتى اسمعها قال حاتم نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يحب محبوبا فهو مع محبوبه الى القبر فاذا وصل الى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبى فاذا دخلت القبر دخل محبوبى معى فقال احسنت يا حاتم فما الثانية فقال نظرت فى قول الله عز وجل واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى الماوى فعلمت ان قوله سبحانه هو الحق فاجهدت نفسى فى دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى **الثالثة** انى نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل من معه شىء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت الى قول الله عز وجل ما عندكم ينفد وما عند الله باق فكلما وقع معى شىء له قيمة ومقدار وجهته الى الله ليبقى عنده محفوظا **والرابعة** انى نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع الى المال والحسب والشرف والنسب فنظرت فيها فاذا هى لا شىء ثم نظرت الى قول الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فعملت فى التقوى حتى اكون عند الله كريما **والخامسة** نظرت الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم فى بعض ويلعن بعضهم بعضا واصل هذا كله الحسد ثم نظرت الى قول الله عز وجل نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت ان القسمة من عند الله تعالى فتركت عداوة الخلق عنى **السادسة** نظرت الى هذا الخلق يبغى بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت الى قول الله عز وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فعاديته وحده واجتهدت فى اخذ حذرى منه لان الله تعالى شهد عليه انه عدو لى فتركت عداوة الخلق غيره **السابعة** نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت الى قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها فعلمت انى واحد من هذه الدواب التى على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى على وتركت ما لى عنده **الثامنة** نظرت الى هذا الخلق فرأيت كلهم متوكلين على مخلوق هذا على ضيعته وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله فرجعت الى قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه فتوكلت على الله عز وجل فهو حسبى قال شقيق يا حاتم وفقك الله تعالى فانى نظرت فى علوم التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم فوجدت جميع انواع الخير والديانة وهى تدور على هذه الثمان

فمن استعملها فقد استعمل الكتب الاربعة فهذا الفن من العلم يهتم بادراكه والتفطن له علماء الآخرة
واما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون امثال هذه العلوم التى بها
بعث الله الانبياء كلهم وقال الضحاك بن مزاحم ادركتهم وما يتعلمون بعضهم من بعض الا
الورع وهم اليوم يتعلمون الكلام **ومنها** ان يكون غير مائل الى الترفه فى المطعم والتنعم فى الملبس
والتجمل فى الاثاث والمسكن بل يوثر الاقتصاد فى جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف ويميل
الى الاكتفاء بالاقل فى جميع ذلك وكلما زاد الى طرف القلة ميله ازداد من الله تعالى قربه وارتفع فى علماء
الآخرة درجته ويشهد لذلك ما حكى عن ابى عبد الله الخواص وكان من اصحاب حاتم الاصم قال ...
ثم قال رحمه الله هذه حكاية حاتم وسياتى من سيرة السلف فى البذاذة وترك التجمل ما يشهد
لذلك فى مواضعه والتحقيق فيه ان التزين بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الانس
به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا يمكن الا بمباشرة اسباب فى الغالب يلزم من مراعاتها
ارتكاب المعاصى من المداهنة ومراعاة الخلق ومراآتهم وامور اخرهى محظورة والحزم اجتناب
ذلك لان من خاض فى الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض لكان
صلى الله عليه وآله لا يبالغ فى ترك الدنيا حتى نزع القميص المعلم ونزع خاتم الذهب فى اثناء
الخطبة الى غير ذلك مما سياتى بيانه **ومنها** ان يكون مستقصيا عن السلاطين لا يدخل عليهم البتة
ما دام يجد الى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغى ان يحترس من مخالطتهم وان جاؤا اليه فان الدنيا حلوة خضرة
وزمامها بايدى السلاطين والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف فى طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع انهم
ظلمة ويجب على كل متدين الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل
عليهم اما ان يلتفت الى تجملهم فيزدرى نعمة الله عليه او يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا او يتكلف
فى كلامه لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح او يطمع فى ان ينال من دنياهم وذلك هو
السحت وسياتى فى كتاب الحلال والحرام ما يجوز ان يوخذ من اموال السلاطين وما لا يجوز ه

ومنها ان لا يكون متسرعا الى الفتوى
بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص
كتاب او نص حديث او اجماع او قياس جلي افتى وان سئل عما يشك فيه قال لا ادري وان
سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه واحال على غيره ان كان في غيره غنية لان تقلد خطر
الاجتهاد عظيم وفي الخبر العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا ادري ... نصف العلم
ومن سكت حيث لا يدري لله فليس باقل اجرا ممن نطق لان الاعتراف بالجهل اشد على النفس
الصحابة والسلف وقال ابن مسعود ان الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون ومنها ان يكون اكثر اهتمامه
بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طرق الاخرة وسلوكه وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة
والمراقبة فان المجاهدة تفضي الى المشاهدة ودقائق علوم القلب تتفجر بها ينابيع الحكمة من القلب واما الكتب والتعليم فلا تفي بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد انما تتفتح بالمجاهدة
والمراقبة ومباشرة الاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكرة والانقطاع الى الله تعالى عما سواه فذلك
مفتاح الالهام ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم في التعلم ومتوفر على العمل
ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوي الالباب ولذلك قال رسول الله من عمل بما علم ورثه
الله علم ما لم يعلم وفي بعض الكتب السالفة يا بني اسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الارض من يصعد به
ولا من وراء البحار من يعبر فياتي به العلم مجعول في قلوبكم تادبوا بين يدي باداب الروحانيين وتخلقوا لي باخلاق
الصديقين اظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم ...
ولذلك

وكذلك في علوم المكاشفة واسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب فان كل علم من هذه العلوم
بحر لا يدرك عمقه وانما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق وبحسب ما وفق له من حسن العمل وفي وصف
هؤلاء العلماء قال علي رضي الله عنه في حديث طويل القلوب اوعية وخيرها اوعاها والناس ثلاثة عالم رباني الخ

ومنها ان يكون شديد العناية بتقوية اليقين فان اليقين هو راس مال الدين قال صلى الله عليه وآله اليقين
الايمان كله ولا بد من تعلم علم اليقين اعني اوائله ثم ينفتح للقلب طريقه ولذلك قال صلى الله عليه تعلموا اليقين و
معناه جالسوا الموقنين واسمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليتقوى يقينكم كما قوي يقينهم و
قليل من اليقين خير من كثير من العمل وقال صلى الله عليه لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد
في العبادة قليل اليقين فقال ما من آدمي الا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين
لم تضره الذنوب لانه كلما اذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة ولذلك
قال صلى الله عليه من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام
النهار وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر
عامل حتى ينقص يقينه وقال يحيى بن معاذ ان للتوحيد نورا وللشرك نارا وان نور التوحيد احرق
لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين واراد به اليقين وقد اشار القرآن الى ذكر الموقنين
في مواضع دل به على ان اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات **فان قلت فما معنى**
اليقين وما معنى قوته وضعفه فاعلم ان اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين اما
النظار والمتكلمون فيعنون به عدم الشك اي المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا
يشك فيه ولا يتصور الشك فيه فاذا امتنع وجود الشك وامكانه سمي يقينا عندهم الاصطلاح
الثاني للفقهاء والمتصوفة واكثر العلماء وهو ان لا يلتفت فيه الى اعتبار التجويز والشك بل الى
استيلائه وغلبته على القلب حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع انه لا يشك فيه ويقال
فلان قوي اليقين في اتيان الرزق مع انه قد يجوز ان لا ياتيه فمهما مالت النفس الى التصديق بشيء وغلب

ذلك

على القلب و [illegible]

استولى [illegible] النفس [illegible]

التحكم [illegible] والانكار [illegible]

والنبع [illegible] الاستعداد له وكانه [illegible] اليقين

[illegible] الاطلاع [illegible] اليقين

[illegible] من العناية الى [illegible] اليقين [illegible]

فان قلت بما تتعلقات اليقين

[illegible] فان اليقين [illegible] التوحيد [illegible]

به [illegible] فيه [illegible]

بالضعف والقوة [illegible]

اليقين فاعلم ان جميع مجاري [illegible] الشرائع [illegible]

المعلومات التي وردت بها الشرائع [illegible] الوسائط [illegible]

ستبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسائط [illegible] الغضب [illegible]

انك [illegible] المنعم بالترتيب [illegible] الشمس والقمر والنجوم [illegible]

فليه بمنزلة القلم واليد [illegible] اليقين الاول [illegible] القدرة الازلية [illegible]

بالمعنى الثاني [illegible] ومن ذلك [illegible] التوكل و

الرضا والتسليم [illegible] الغضب [illegible] والاخلاق الحميدة [illegible] ومن ذلك

للرزق في قوله تعالى [illegible] الطاعات والاخلاق الحميدة [illegible]

[illegible] اليقين [illegible] العقاب [illegible] الطاعات

ان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال [illegible]

كنسبة

كنسبة الخبز الى الشبع ونسبة المعاصي الى العقاب كنسبة السموم والافاعي الى الهلاك

فكما يحرص على تحصيل الخبز طالب الشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعة قليلها و

كثيرها وكما يجتنب قليل السم وكثيره فيجتنب قليل المعاصي وكثيرها وصغيرها وكبيرها واليقين

بالمعنى الاول قد يوجد لعموم المؤمنين اما بالمعنى الثاني فيختص به المقربون وثمرة هذا اليقين

صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة في التقوى والاحتراز عن

السيئات وكلما كان اليقين اغلب كان الاحتراز اشد والتشمر ابلغ ومن ذلك اليقين بان

الله مطلع عليك في كل حال وشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك وهذا

متيقن عند كل من بالمعنى الاول وهو عدم الشك واما بالمعنى الثاني وهو المقصود فهو

عزيز يختص به الصديقون وثمرته ان يكون الانسان في خلوته متادبا في جميع احواله كالجالس

بمشهد ملك معظم ينظر اليه فانه لا يزال مطرقا متادبا متماسكا محترزا عن كل حركة تخالف

هيئة الادب ويكون في فكرته الباطنة كهو في اعماله الظاهرة اذ يتحقق ان الله تعالى مطلع

على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره فيكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه لعين

الله الكالئة اشد من مبالغته في تزيين ظواهره لساير الناس وهذا المقام في اليقين يورث

الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الاخلاق المحمودة وهذه

الاخلاق تورث انواعا من الطاعات رفيعة فاليقين في كل باب من هذه الابواب

مثل الشجرة وهذه الاخلاق في القلب كالاغصان المتفرعة منها وهذه الاعمال والطاعات

الصادرة من الاخلاق كالثمار والانوار المتفرعة من الاغصان فاليقين هو الاساس و

الاصل وله مجار وابواب اكثر مما عددناه وسياتي ذلك في ربع المنجيات ان شاء الله القدر

كاف في تفهيم معنى اللفظ الآن و منها ان يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر اثر

الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته لا ينظر اليه ناظر

الا وكان نظره مذكرا لله وكان صورته دليلا على عمله فالجواد عينه مراته فعلامة

يتصرف من قال الطرق شتى وطرق الحق مفردة والسالكون طريق الحق افراد لا يعرفون ولا يدرون مقصدهم فهم على مهل يمشون قصدا والناس في غفلة عما يراد بهم فجلهم عن سبيل الحق رقاد

فابن التحقيق ويرون التحقيق في دقايق المجادلات وعلى الجملة لا يميل اكثر الخلق الا الى الاسهل والاوفق لطباعهم فان الحق مر والوقوف عليه صعب وادراكه شديد وطريقه مستوعر لا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الاخلاق المذمومة فان ذلك نزع الروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة شارب الدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه فهو يقاسي الشدايد ليكون فطره عند الموت و

منها ان يكون اعتماده في علومه على بصيرة وادراكه بصفا قلبه لا على الصحف والكتب و لا على تقليد ما يسمعه من غيره وانما المقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه فيما امر به وقاله وانما يقلد الصحابة من حيث ان فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلعم ثم اذا قلد صاحب الشرع صلوات الله عليه في تلقي اقواله وافعاله بالقبول فينبغي ان يكون حريصا على فهم اسراره فان المقلد انما يفعل الفعل لان رسول الله صلعم فعله فان رسول الله لم فعله لابد وان يكون لسر فيه فينبغي ان يكون شديد البحث عن اسرار الاعمال والاقوال فانه ان اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولم يكن عالما ولذلك كان يقال فلان من اوعية العلم وكان لا يسمى عالما اذا كان شانه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والاسرار ومن انكشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعا مقلدا فلا ينبغي ان يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس رض ما من احد الا يوخذ من علمه ويترك الا رسول الله صلعم

ومنها ان يكون شديد التوقي من محدثات الامور وان اتفق عليها الجمهور فلا يغره اطباق الخلق على ما احدث بعد الصحابة ولكن حريصا على التفتيش عن احوال الصحابة وسيرتهم واعمالهم وما كان فيه اكثر همهم اكان في التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وتولي الاوقاف والوصايا ومال الايتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة او في الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الباطن والظاهر واجتناب دقيق الاثم وجليه والحرص على ادراك خفايا شهوات النفس ومكايد الشيطان الى غير ذلك من علوم الباطن

[illegible]

وحكي عن ابليس انه بث جنوده في وقت الصحابة فرجعوا اليه محسورين فقال ما شانكم فقالوا ما راينا مثل هولاء ما نصيب منهم شيئا وقد اتعبونا فقال انكم لا تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سياتي بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا اليه منكسين فقالوا ما راينا اعجب من هولاء نصيب منهم الشي بعد الشي من الذنوب فاذا كان آخر النهار اخذوا في الاستغفار فيبدل الله سيئاتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هولاء شيئا لصحة توحيدهم واتباعهم سنة نبيهم ولكن سياتي بعد هولاء قوم تقر اعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بازمة اهوائهم كيف شئتم ان استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل سيئاتهم حسنات قال فجاء قوم بعد القرن الاول فبث فيهم الاهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون الله منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الاعداء وقادوهم اين شاؤوا فان قلت من اين عرف قائل هذا ما قاله ولم يشاهد ابليس فاعلم ان ارباب القلوب يكاشفون باسرار الملكوت تارة على سبيل الالهام بان يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الامثلة كما يكون في المنام وهذا اعلى الدرجات وهي من درجات النبوة العالية كما ان الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فاياك ان يكون حظك من هذا العلم انكار ما جاوز حد قصورك ففيه هلك المتحذلقون من العلماء الزاعمين انهم احاطوا بعلوم العقول فالجهل خير من عقل يدعو الى انكار مثل هذه الامور لاولياء الله ومن انكر ذلك للاولياء لزمه انكاره للانبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية وقال بعض العارفين انما انقطع الابدال في اطراف الارض واستتروا عن اعين الجمهور لانهم لا يطيقون النظر الى علماء الوقت لانهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند انفسهم وعند الجاهلين علماء قال سهل التستري ان من اعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام اهل الغفلة وكل عالم خاض

في الدنيا

في الدنيا فلا ينبغي ان يصغى الى قوله بل ينبغي ان يتهم في كل ما يقوله لان كل انسان يخوض فيما يحبه
ويدفع ما لا يوافق محبوبه ولذلك قال الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع
هواه وكان امره فرطا والعوام العصاة اسعد حالا من الجهال بطريق الدين المعتقدين
انهم من العلماء لان العاصي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان انه
عالم وان ما هو مشتغل به من العلوم التي هي وسيلة الى الدنيا هو سلوك طريق الدين فلا يتوب
ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا عليه الى الموت واذ غلب هذا على اكثر الناس الا من
عصمه الله من قطع الطمع من اصلاحهم فالاسلم لذي الدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم كما سياتي
في كتاب العزلة بيانه فان مخالطة الناس لا ينفك عن غيبة او سماع غيبة او عن سكوت
على منكر واحسن احواله ان يفيد علما ولو تامل علم ان المستفيد انما يريد ان يجعل
ذلك آلة في طلب الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون هو معينا له وردءا وظهيرا ومهيئا لاسبابه
كالذي يبيع السيف من قاطع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف
للغزو وذلك لا يرخص في البيع ممن يعلم بقرائن احواله انه يريد به الاستعانة على قطع
الطريق • فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة يجمع كل واحدة منها جملا
من اخلاق علماء السلف فكن احد رجلين اما متصفا بهذه الصفات او معترفا
بالتقصير مع الاقرار به واياك ان تكون الثالث فتلبس على نفسك بان تبدل آلة
الدنيا بالدين وتشبه سيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين وتلتحق بجهلك وانكارك
بزمرة الهالكين الآيسين نعوذ بالله من خدع الشيطان فيها هلك الجمهور فنسال
الله ان يجعلنا ممن لا تغره الحياة الدنيا ولا يغره بالله الغرور

الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته واقسامه

... ومن اصناف الجبروت ان الناس على قدر عقله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاحمق يصيب بجهله اعظم من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا ...

بيان شرف العقل

اعلم ان هذا مما لا يحتاج الى تكلف في اظهاره لا سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه واساسه والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة او كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتى ان اعظم البهائم بدنا واشدها ضراوة واقواها سطوة اذا رأى صورة الانسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه لما خص به من ادراك الحيل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الشيخ في قومه كالنبي في امته وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله ولذلك ترى الاتراك والاكراد واجلاف العرب وسائر الخلق مع قرب منزلتهم من رتبة البهائم يوقرون المشايخ بالطبع ولذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقعت اعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وتراءى لهم ما كان يتلألأ على ديباجة وجهه من نور النبوة وان كان ذلك باطنا في نفسه بطون العقل وشرف العقل مدرك بالضرورة وانما القصد ان نورد ما وردت به الاخبار والآيات في ذكر شرفه وقد سماه الله نورا في قوله تعالى الله نور السموات والارض وسمى العلم المستفاد منه روحا ووحيا وحياة فقال تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقال تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وحيث ذكر النور والظلمة اراد به العلم والجهل كقوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور وقال صلى الله عليه وسلم ... وقال اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ... والاخبار والآثار ...

بيان حقيقة العقل واقسامه

اعلم ان الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته وذهل الاكثرون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطاء فيه ان العقل اسم يطلق بالاشتراك على اربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة وما يجري هذا المجرى فلا ينبغي ان يطلب لجميع اقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه **فالاول** الوصف الذي يفارق الانسان به سائر البهائم وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي

[illegible]

اراده الحارث المحاسبي رحمه الله حيث قال في حد العقل انه غريزة يتهيأ بها ادراك العلوم النظرية
وكانه نور يقذف في القلب به يستعد لادراك الاشياء ولم ينصف من انكر هذا ورد العقل
الى مجرد العلوم الضرورية فان الغافل عن العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه
الغريزة فيهما مع فقد العلوم وكما ان الحيوة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والادراكات
الحسية فكذلك العقل غريزة بها يتهيأ بعض الحيوانات للعلوم النظرية ولو جاز ان يسوى بين
الانسان والحمار في الغريزة ويقال لا فرق الا ان الله بحكم اجراء العادة يخلق في الانسان
علوما وليس يخلقها في الحمار والبهايم لجاز ان يسوى بين الجماد والحمار في الحياة ويقال لا فرق
الا ان الله يخلق في الحمار حركات مخصوصة بحكم اجراء العادة فانه لو قدر الحمار جمادا ميتا
لوجب القول بان كل حركة تشاهد منه فالله قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد وكما
وجب ان يقال لم تكن مفارقته للجماد في الحركة الا بغريزة اختصت به عبر عنها بالحياة فكذا
مفارقة الانسان البهيمة في ادراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو كالمرآة التي تفارق
غيرها من الاجسام في حكاية الصور والالوان بصفة اختصت بها وهي الصقالة وكذلك العين
تفارق الجبهة في هيئات وصفات بها استعدت للرؤية فنسبة هذه الغريزة الى العلوم كنسبة
العين الى الرؤية ونسبة القران والشرع الى هذه الغريزة في سياقها الى انكشاف العلوم لها كنسبة
نور الشمس الى البصر فهكذا ينبغي ان يفهم هذه الغريزة **الثاني** هي العلوم التي تخرج الى الوجود في
ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بان الاثنين اكثر من الواحد وان الشخص
الواحد لا يكون في مكانين وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل انه بعض العلوم
الضرورية بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وهو ايضا صحيح في نفسه لان هذه العلوم موجودة
وتسميتها عقلا ظاهر وانما الفاسد ان تنكر تلك الغريزة ويقال لا موجود الا هذه العلوم **الثالث**
علوم تستفاد من التجارب بمجاري الاحوال فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال انه عاقل
في العادة ومن لا يتصف به يقال انه غبي غمر جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا **والرابع**

الرابع ان تنتهي قوة تلك الغريزة الى ان يعرف عواقب الامور ويقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة ويقهرها فاذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه ايضا من خواص الانسان التي بها يتميز عن سائر الحيوانات فالاول هو الاس والسنخ والمنبع والثاني هو الفرع الاقرب اليه والثالث فرع الاول والثاني اذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هو الثمرة الاخيرة وهي الغاية القصوى فالاولان بالطبع والاخيران بالاكتساب ولذلك قال علي كرم الله وجهه رايت العقل عقلين فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل والاخير هو المراد بقوله اذا تقرب الناس بابواب البر فتقرب انت بعقلك ثم قال ... الاول في القسم الاول ... الغريزة ... الوجود ... كان هذه العلوم ... فطرة الله التي فطر الناس عليها ... الايمان ... الا ... مثاله ... فيها حيث الورد ... اقرار نفوسهم لا اقرار الالسنة ... استعداد ... فتذكر ... الست بربكم قالوا بلى فالمراد به اقرار ... واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به ... ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر ... وليس ببعيد ... صورة كانت حاضرة ... ان يكون

ان يكون عن صورة كانت متضمنة فيه بالفطرة وهذه حقايق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من مستروحه السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخبط في مثل هذه الايات ويتعسف في تاويل التذكر واقرار النفوس انواعا من التعسفات ويتخايل اليه في الاخبار والايات ضروب من المناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر اليها بعين الاستحقار ويعتقد فيها التهافت ومثاله مثال الاعمى الذي يدخل دارا فيعثر فيها بالاواني المصفوفة في الدار فيقول ما لهذه الاواني لا ترفع من الطريق وترد الى مواضعها فيقال له انها في مواضعها وانما الخلل في بصرك فكذلك خلل البصيرة تجري مجراه واطم منه واعظم اذ النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر من عمى الفرس ولمشابهة بصيرة الباطن لبصر الظاهر قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى وقال وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وسمى ضده عمى فقال فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا وهذه الامور التي كشفت للانبياء بعضها كان بالبصر وبعضها بالبصيرة وسمي الكل روية وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم يعلق به من الدين الا قشوره وامثلته دون لبابه وحقايقه فهذه اقسام ما ينطلق اسم العقل عليه

بيان تفاوت الناس في العقل

قد اختلف الناس في تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الحق الصريح فيه ان التفاوت يتطرق الى الاقسام الاربعة سوى القسم الثاني وهو العلم الضروري بجواز الجايزات واستحالة المستحيلات فان من عرف ان الاثنين اكثر من الواحد عرف ايضا استحالة كون الجسم في مكانين وكون الشي الواحد قديما وحادثا وكذا ساير النظاير وكل ما يدركه ادراكا محققا من غير شك فاما الاقسام الثلثة فالتفاوت يتطرق اليها اما القسم الرابع وهو استيلا القوة على قمع الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت احوال الشخص الواحد فيه وهذا التفاوت يكون تارة لتفاوت الشهوة اذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه

ووجود المعلم شي آخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا ولا كل من عرف الورع والتقوى ودقايقه كان تقيا وانقسام الناس الى من يتنبه من نفسه ويفهم والى من لا يفهم الا بتنبيه وتعليم والى من لا ينفعه التعليم ايضا ولا التنبيه كانقسام الارض الى ما يجتمع فيه الماء ويقوى فيتفجر بنفسه عيونا والى ما يحتاج الى الحفر ليخرج الى القنوات والى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الارض في صفاتها فكذلك هذا الاختلاف النفوس في غريزة العقل ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روي ان ابن سلام قال رسول الله صلعم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وان الملائكة قالت يا رب هل خلقت شيئا اعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال فاني خلقت العقل اصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من اعطي حبة ومنهم من اعطي حبتين ومنهم الثلث والاربع ومنهم من اعطي فرقا ومنهم من يعتاد منهم اكثر من ذلك **فان قلت** فما بال اقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول فاعلم ان السبب فيه ان الناس نقلوا اسم العقل والمعقول الى ... وهو المسمى به عندهم واما نور البصيرة الباطنة التي بها يعرف الله عز وجل ويعرف صدق رسله فكيف يتصور ذمه وقد اثنى الله تعالى عليه وان ذم فما الذي يحمد فان كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع فان علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع ايضا مذموما ولا يلتفت الى من يقول انه يدرك بعين اليقين ونور الايمان لا بالعقل فانا نريد بالعقل ما يريده بعين اليقين ونور الايمان وهي الصفة الباطنة التي يتميز الآدمي عن البهائم حتى ادرك بها حقايق الامور واكثر هذه التخبيطات انما ثارت من جهل اقوام طلبوا الحقائق من الالفاظ فتخبطوا لتخبط اصطلاحات الناس في الالفاظ وهذا القدر كاف في بيان العقل والله اعلم

آخر كتاب العلم ... والحمد لله رب العالمين

[illegible]

فان قلت فما المختار عندك فيه فاعلم

ان الحق فيه ان اطلاق القول بذمه في كل حال او بحمده في كل حال خطأ بل لا بد فيه من تفصيل واعلم اولا ان الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة واعني بقولي لذاته ان علة تحريمه وصف في ذاته وهو الاسكار والموت وهذا اذا سئلنا عنه اطلقنا القول بانه حرام ولا يلتفت الى اباحة الميتة عند الاضطرار واباحة تجرع الخمر اذا غص الانسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها سوى الخمر والى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع اخيك المسلم في وقت الخيار والبيع وقت النداء وكاكل الطين فانه يحرم لما فيه من الاضرار وهذا ينقسم الى ما يضر قليله وكثيره فيطلق القول عليه بانه حرام كالسم الذي يقتل قليله وكثيره والى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالاباحة كالعسل فان كثيره يضر بالمحرور وكاكل الطين وكان اطلاق التحريم على الطين والخمر والتحليل على العسل التفاتا الى اغلب الاحوال فان تصدى شيء تقابلت فيه الاحوال فالاولى والابعد عن الالتباس ان يفصل فنعود الى علم الكلام ونقول ان فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع حلال او مندوب اليه او واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار ومحله حرام فاما مضرته فاثارة الشبهات وتحريك العقائد وازالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل في الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الاشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحق وله ضرر في تاكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة وتثبيته في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الاصرار عليه ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل ولذلك ترى المبتدع العامي يمكن ان يزول اعتقاده باللطف في اسرع زمان الا اذا كان نشؤه في بلد يظهر فيها الجدل والتعصب فانه لو اجتمع عليه الاولون والاخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولي على قلبه ويمنعه من ادراك الحق حتى لو قيل له هل تريد ان يكشف الله تعالى لك الغطاء ويعرفك بالعيان ان الحق مع خصمك لكره ذلك خيفة من ان يفرح به خصمه وهذا هو الداء العضال الذي استطار في البلاد والعباد وهو نوع فساد اثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره واما منفعته فقد يظن ان فائدته كشف الحقائق

ومعرفتها

ومعرفتها على ما هي عليه وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل التخبيط والتضليل فيه اكثر من الكشف والتعريف وهذا اذا سمعته من محدث او حشوي ربما خطر ببالك ان الناس اعداء ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه الى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك الى التعمق في علوم اخر تناسب نوع الكلام وتحقق ان الطريق الى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وايضاح لبعض الامور ولكن على الندور وفي امور جلية تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام بل منفعته شيء واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة بانواع الجدل فان العامي ضعيف يستفزه جدل المبتدع وان كان فاسدا الى آخر ما ذكره رحمه الله ثم قال واذا وقعت الاحاطة بضرره ومنفعته فينبغي ان يكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء الخطر اذ لا يضعه الا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة وتفصيله ان العوام المشتغلين بالحرف والصناعات يجب ان يتركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه فان تعليمهم الكلام ضرر محض

[illegible] وما نقل عن [illegible] مناظرة الخوارج وما نقل عن علي [illegible] الكلام [illegible] البحر الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله

مسئلة

[illegible]

فاعلم

[illegible]

الشرع قال صلى الله عليه وآله ان للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا وقال علي [illegible] الا ان يؤتي الله عبدا فهما في القرآن [illegible] اشار الى [illegible] صدره [illegible] وقال صلى الله عليه وآله امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم [illegible] وما حدث احد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم الا كان فتنة عليهم وقال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال صلى الله عليه وآله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله [illegible] وقال ابن عباس في قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لو ذكرت تفسيره [illegible] وقال النبي [illegible] لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا [illegible] فليم لم تذكره لهم [illegible]

مسألة [illegible] فان قلت [illegible] ان الباطن [illegible] الظاهر [illegible] والاخبار [illegible] الشريعة [illegible] الحقيقة خلاف الشريعة [illegible] لا يكون للشرع [illegible] به الانقسام [illegible] المكاشفة [illegible] والتصديق [illegible] بتلقيها بالقبول [illegible] الخلق ولولاه [illegible] الكتاب واما الكشف [illegible]

فاعلم ان [illegible] فان العابد [illegible] الكتاب [illegible] [illegible] فلا بد من كلام وجيز في حله [illegible] بل الاسرار التي يختص المقربون بدركها ولا يشاركهم الاكثرون في علمها [illegible]

الاول ان يكون الشيء في نفسه دقيقا تكل الافهام عن دركه [illegible] اقسام [illegible]

ولا تظنن ان ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله صلى الله عليه وآله فان من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه ولا يبعد ان يكون ذلك مكشوفا لبعض الاولياء والعلماء وان لم يكونوا انبياء ولكنهم يتأدبون بادب الشرع فيسكتون عما سكت عنه بل في صفات الله سبحانه من الخفايا ما يقصر افهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وآله الا الظواهر للافهام من العلم والقدرة وغيرهما حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها الى علمهم وقدرتهم اذ كان لهم من الاوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شيئا لم يفهموه بل لذة الجماع اذا ذكرت للصبي او العنين لم يفهمها الا بمناسبة الى لذة المطعوم الذي يدركه ولا يكون ذلك فهما على التحقيق والمخالفة بين علم الله وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم اكثر من المخالفة بين لذة الجماع والاكل وبالجملة فلا يدرك الانسان الا نفسه وصفات نفسه مما هو حاضر له في الحال او مما كان له من قبل ثم بالمقايسة اليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بان بينهما تفاوتا في الشرف والكمال فليس في قوة البشر الا ان يثبت لله ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بان ذلك اكمل واشرف فيكون معظم تحويمه على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به من الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وآله لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وليس المعنى به اني اعجز عن التعبير عما ادركته بل هو اعتراف بالقصور عن ادراك كنه جلاله ولذلك قال بعضهم ما عرف الله بالحقيقة سوى الله ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع الى الغرض وهو ان احد الاقسام ما تكل الافهام عن دركه ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات الله ولعل الاشارة الى مثله في قوله صلى الله عليه وآله ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره

القسم الثاني من الخفيات التي يمتنع الانبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم في نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين ولا يضر بالانبياء والصديقين وسر القدر الذي منع اهل العلم به عن افشائه من هذا القسم ولا يبعد ان يكون ذكر بعض الحقائق

[illegible]

القسم الثالث

[illegible]

فهو محال اذا المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل وان كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين
ولكن لما كانت هذه الكناية اوقع في النفوس في تفهيم غاية الاقتدار عدل اليها واما المدرك
بالشرع فهو ان يكون اجراؤه على الظاهر ممكنا ولكن يروى انه اريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله
انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الآية وان معنى الماء هو القرآن ومعنى الاودية هو القلوب
وان بعضها احتمل شيئا كثيرا وبعضها شيئا قليلا وبعضها لم يحتمل والزبد مثل للكفر فانه وان
ظهر وطفا على راس الماء فانه لا يثبت والهداية التي تنفع الناس تمكث وفي هذا القسم تعمق
جماعة فاولوا ما ورد في الآخرة من الميزان والصراط وغيرهما وهو بدعة اذ لم ينقل ذلك بطريق
الرواية واجراؤه على الظاهر غير محال فيجب اجراؤه على الظاهر القسم الرابع ان يدرك
الانسان الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بان يصير حالا ملابسا له فيتفاوت العلمان
ويكون الاول كالقشر والثاني كاللب والاول كالظاهر والآخر كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان
في عينه شخص في الظلمة او على البعد فيحصل له نوع علم فاذا رآه بالقرب وبعد زوال الظلام
ادرك تفرقة بينهما ولا يكون الاخير ضد الاول بل هو استكمال له فكذلك في العلم والايمان و
التصديق اذ قد يصدق الانسان بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه والاخير بعد
تحققه ولكن تحققه عند الوقوع اكمل من تحققه بعد الوقوع فكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا
فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالاضافة الى ما قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح
بها ففي هذه الاقسام الاربعة يتفاوت الخلق وليس في شيء منه باطن يناقض الظاهر بل يتمم و
يكمله كما يتمم اللب القشر والسلام القسم الخامس ان يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر
الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقا والبصير بالحقائق يدرك السر فيه وهذا كقول القائل قال
الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني فلم يتركني ورأيي الحجر الذي ورائي فهذا تعبير عن
لسان الحال بلسان المقال ومن هذا قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا

[illegible]

والظن باحمد بن حنبل انه علم ان الاستواء ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه منع
التاويل حسما للباب ورعاية لصلاح الخلق فانه اذا فتح الباب اتسع الخرق على الراقع وخرج
الامر عن الضبط وجاوز الاقتصاد اذ حد الاقتصاد لا ينضبط فلا باس بهذا الزجر ويشهد له
سيرة السلف فانهم كانوا يقولون امروها كما جاءت حتى قال مالك لما سئل عن الاستواء
الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وذهبت طائفة
الى الاقتصاد ففتحوا باب التاويل في كل ما يتعلق بصفات الله وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهره
ومنعوا التاويل فيه وهم الاشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى اولوا من صفاته تعالى تعلق
الرؤية به واولوا كونه سميعا بصيرا واولوا المعراج وزعموا انه لم يكن بالجسد واولوا عذاب
القبر والميزان والصراط وجملة من احكام الآخرة ولكن اقروا بحشر الاجساد وبالجنة واشتمالها
على المأكولات والمشروبات والمنكوحات والملاذ المحسوسة وبالنار واشتمالها على جسم
محسوس يحرق يمزق الجلود ويذيب الشحوم ومن ترقيهم الى هذا الحد زاد الفلاسفة فاولوا كل
ما ورد في الآخرة وردوه الى آلام عقلية روحانية ولذات عقلية وانكروا حشر الاجساد وقالوا
ببقاء النفوس وانها تكون اما معذبة واما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس وهؤلاء هم المسرفون
وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه الا الموفقون الذين
يدركون الامور بنور الهي لا بالسماع ثم اذا انكشفت لهم اسرار الامور على ما هي عليه نظروا الى السمع و
الالفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالف اولوه فاما من ياخذ معرفة
هذه الامور من السمع المجرد فلا يستقر له فيه قدم ولا يتعين له موقف والاليق بالمقتصر على السمع المجرد
مقام احمد بن حنبل والآن فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد في هذه الامور داخل في علم المكاشفة
والقول فيه يطول فلا نخوض فيه والغرض بيان موافقة الباطن للظاهر وانه غير مخالف له فقد انكشف
بهذه الاقسام الخمسة ه وذكر رحمه الله في كتاب الفيصل ان الشيخ في كتاب قواعد العقائد و
جعله رسالة مفردة سماها الرسالة القدسية مشتملة على اربعة اركان مدار كل ركن على عشرة اصول
حرارا والاطلاع على شروح الاصول

الفصل الرابع

... قواعد العقائد ... [illegible]

في الايمان والاسلام ... [illegible]

في الاتصال والانفصال ... [illegible] ... ان الاسلام ... [illegible]

الزيادة والنقصان ... **مسألة** ... [illegible]

وقيل ... [illegible] ... **البحث الاول** ... [illegible]

الايمان او ... [illegible] ... **البحث الثاني** ... [illegible]

فقيل انهما شيء واحد وقد ورد ... [illegible]

اصدها بالآخر ... [illegible] ... قال ... التصديق ... [illegible]

بالجوارح غير ... [illegible] ... عن التصديق ... [illegible]

ان الايمان عبارة عن التردد ... والعناد ... فكان الايمان عبارة ... [illegible]

والاعتقاد ... فان كل التصديق بالقلب ... [illegible] ... على سبيل الترادف ... [illegible]

والجوارح ... الاسلام اعم والايمان ... [illegible]

لموجب اللغة ... الشرع قد ورد ... قال تعالى ... [illegible]

اطلاق الشرع ... **اما الترادف** ... **واما الاختلاف** ... [illegible]

سبيل التجوز ... واحد وقال تعالى ... [illegible] ... والجوارح ... [illegible]

ولم يكن ... [illegible]

على ... [illegible]

... [illegible]

والعمل والادب

وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له اي الاعمال افضل فقال الاسلام فقال اي الاسلام افضل فقال الايمان وهذا دليل على الاختلاف والتداخل وهو اوفق الاستعمالات للغة لان الاسلام عمل من الاعمال وهو افضلها والاسلام هو تسليم اما بالقلب واما باللسان و اما بالجوارح وافضلها الذي بالقلب وهو التصديق الذي يسمى ايمانا والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز في اللغة اما الاختلاف فهو ان يجعل الايمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق للغة والاسلام عبارة عن التسليم ظاهرا وهو ايضا موافق للغة فان التسليم ببعض محال التسليم ينطلق عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن ان يوجد المعنى فيه فان من لمس غيره ببعض بدنه يسمى لامسا وان لم يستغرق جميع بدنه فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان و على هذا الوجه جرى قوله تعالى قالت الاعراب آمنا و اما التداخل فموافق ايضا للغة وهو ان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا والايمان عبارة عن بعض ما دخل في الاسلام وهو القلب وهو الذي عنيناه بالتداخل وهذا موافق للغة في خصوص الايمان وعموم الاسلام للكل وعلى هذا خرج قوله الايمان في جواب قول السايل اي الاسلام افضل لانه جعل الايمان خصوصا من الاسلام فادخله فيه واما استعماله على سبيل الترادف بان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فان كل ذلك تسليم وكذلك الايمان ويكون التصرف في الايمان على الخصوص بتعميمه وادخال الظاهر في معناه وهو جائز لان تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمره على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الاسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه ولا ينقص وعليه خرج قوله ... فهذا ... هو بين المسلمين

البحث الثالث عن الحكم الشرعي وللايمان والاسلام حكمان اخروي ودنيوي اما الاخروي فهو الاخراج من النار ومنع التخليد فان رسول الله صلى الله عليه وآله يخرج من النار

من كان في قلبه مثقال ذرة [illegible]

ان هذا الحكم مع ما [illegible] بقوله انه [illegible]

عنه بان الايمان [illegible] بالقلب والشهادة باللسان [illegible]

ومن قائل يقول انه يعقد بالقلب [illegible] الدرجة الثانية

[illegible] العمل بالاركان [illegible] الجنة وبعض الاعمال [illegible]

هذه الثلث فلا خلاف [illegible] التصديق بالقلب والشهادة [illegible]

ان يوجد [illegible] الدرجة الثالثة [illegible] الايمان [illegible]

بعض الكبائر [illegible]

ومن [illegible] النار [illegible] المعتزلة [illegible]

دون الاعمال بالجوارح [illegible] الاجماع [illegible] الايمان [illegible]

بادلة [illegible] النار [illegible]

فيكون العمل في حكم [illegible] الكباير [illegible]

قولهم بالتخليد في النار [illegible] الجنة فلا بد وان يقال نعم [illegible] الاعمال الشرعية [illegible] يبطل الايمان [illegible]

ومات في الحال فهل [illegible] الدرجة الرابعة [illegible]

عليه وقت صلوة واحدة [illegible] ليس ركنا من نفس الايمان ولا شرطا [illegible]

قال لا فهو تصريح بان العمل [illegible] الايمان [illegible] باللسان [illegible]

اردت به ان يعيش مدة طويلة [illegible] بالقلب [illegible] مات [illegible]

ما عدد الطاعات [illegible] بالاعمال مات [illegible]

لا يمكن الحكم [illegible] التصديق [illegible]

ومن

ومن شرط القول لتمام الايمان يقول هذا مات قبل الايمان وهو فاسد اذ قال صلى الله عليه وآله
يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا قلبه طافح بالايمان فكيف يخلد ولم يشترط في
حديث جبرئيل عم للايمان الا التصديق بالله وملائكته واليوم الآخر كما سبق الدرجة الخامسة
ان يصدق بالقلب ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمتي الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل
ان يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلوة ونقول هو مؤمن غير مخلد في النار والايمان هو التصديق
المحض واللسان ترجمان الايمان فلا بد وان يكون الايمان موجودا بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه
اللسان وهذا هو الاظهر اذ لا مستند الا اتباع موجب الالفاظ ووضع اللسان ان الايمان عبارة
عن التصديق بالقلب وقد قال يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة ولا ينعدم الايمان من القلب
بالسكوت عن النطق الواجب كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب وقال قايلون القول
ركن اذ ليس كلمة الشهادة اخبارا عن القلب بل هو انشاء عقد وابتداء شهادة والتزام والاول اظهر
وقد غلى في هذا طايفة المرجية فقالوا هذا لا يدخل النار اصلا وقالوا ان المؤمن وان عصى فلا يدخل
النار وسيبطل ذلك عليهم الدرجة السادسة ان يقول بلسانه لا اله الا الله محمد رسول الله
ولكن لم يصدق بقلبه فلا نشك في ان هذا في حكم الآخرة من الكفار وانه مخلد في النار ولا نشك
في انه في حكم الدنيا الذي يتعلق بالائمة والولاة من المسلمين لان قلبه لا يطلع عليه وعلينا ان نظن
به انه ما قال بلسانه الا وهو منطو عليه بقلبه وانما نشك في امر ثالث وهو الحكم الدنياوي فيما
بينه وبين الله وذلك بان يموت له في هذه الحالة قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستفتي
ويقول كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث الان في يدي فهل يحل لي بيني وبين
الله تعالى او نكح مسلمة ثم صدق هل يلزمه اعادة النكاح هذا في محل النظر فيحتمل ان يقال احكام
الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا ويحتمل ان يقال يناط بالظاهر في حق غيره لان باطنه
عن ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له في نفسه بينه وبين الله والاظهر والعلم عند الله انه لا يحل له

ذلك

والمواريث ويأمره بإعادة النكاح **فإن قلت** فما شبهة المعتزلة والمرجئة وما حجة بطلان قولهم **فأقول** شبهتهم عمومات القرآن أما المرجئة فقالوا لا يدخل المؤمن النار وإن أتى بكل المعاصي لقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا ولقوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون الآية ولقوله تعالى كلما ألقي فيها فوج إلى قوله فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء هم الصديقون قلنا هذه الآيات أريد بها الإيمان مع العمل إذ بينا أن الإيمان قد يطلق ويراد به الإسلام وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التأويل أخبار كثيرة في معاقبة العاصين ومقادير العقاب وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان فكيف يخرج إذا لم يدخل ومن القرآن قوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فالاستثناء بالمشيئة يدل على الانقسام وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها وتخصيصه بالكفر تحكم فهذه العمومات في معارضة عموماتهم ولا بد من تسليط التخصيص والتأويل على الجانبين **فأما المعتزلة** فشبهتهم قوله تعالى وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله تعالى والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقوله تعالى وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم وكل آية ذكر العمل الصالح فيها مقرونا بالإيمان وقوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم وهذه العمومات أيضا مخصوصة بدليل قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فينبغي أن تبقى له مشيئة في مغفرة ما سوى الشرك وكذلك قوله عليه السلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان **فإن قلت** فقد مال الاختيار إلى أن الإيمان حاصل دون العمل وقد اشتهر عن السلف قولهم الإيمان عقد وقول وعمل فما معناه **قلنا** لا يبعد أن يعد العمل من الإيمان لأنه مكمل له ومتمم كما يقال الرأس واليدان من الإنسان ومعلوم أنه يخرج عن كونه إنسانا بعدم الرأس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك يقال التسبيحات والتكبيرات من الصلاة وإن كانت لا تبطل بفقدها فالتصديق بالقلب من الإيمان كالرأس من وجود الإنسان إذ ينعدم بعدمه وبقية الطاعات كالأطراف بعضها أعلى من بعض وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن والصحابة ما اعتقدوا

مذهب

مذهب المعتزلة في الخروج عن الإيمان بالزنا ولكن معناه غير مؤمن حقا إيمانا تاما كاملا كما يقال للعاجز
المقطوع الأطراف هذا ليس بإنسان أي ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الإنسانية
فإن قلت فقد اتفق السلف على أن الإيمان يزيد وينقص بالطاعة والمعصية فإذا كان التصديق
هو الإيمان فلا يتصور فيه زيادة ونقصان **فأقول** السلف هم الشهود العدول وما لأحد عن
قولهم عدول فما ذكروه حق وإنما الشأن في فهمه وفيه دليل على أن العمل ليس من أجزاء الإيمان
وأركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزائد موجود والناقص موجود والشيء لا يزيد بذاته فلا يجوز
أن يقال الإنسان يزيد برأسه بل يقال يزيد بلحيته وسمنه ولا يجوز أن يقال الصلاة تزيد بالركوع و
السجود بل تزيد بالآداب والسنن فهذا تصريح بأن الإيمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله
بالزيادة والنقصان **فإن قلت** فالإشكال قائم في أن التصديق كيف يزيد وينقص وهو
خصلة واحدة **فأقول** إذا تركنا المداهنة ولم نكترث بتشغيب من تشغب وكشفنا الغطاء
ارتفع الإشكال فنقول الإيمان اسم مشترك يطلق من ثلاثة أوجه **الأول** أنه يطلق للتصديق
بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر وهو إيمان العوام بل إيمان الخلق كلهم إلا الخواص
وهذا الاعتقاد عقدة على القلب تارة تشتد وتقوى وتارة تضعف وتسترخي كالعقدة
على الخيط مثلا ولا تستبعد هذا واعتبر باليهودي في صلابته في عقيدته التي لا يمكن نزوعه عنها
بتخويف وتحذير ولا بتخييل ووعظ ولا تحقيق وبرهان وكذلك النصارى والمبتدعة ومنهم من يمكن تشكيكه
بأدنى كلام ويمكن استنزاله عن اعتقاده بأدنى استمالة أو تخويف مع أنه غير شاك في عقده كالأول
ولكنهما متفاوتان في شدة التصميم وهذا موجود في الاعتقاد الحق أيضا والعمل يؤثر في نماء هذا
التصميم وزيادته كما يؤثر سقي الماء في نماء الأشجار ولذلك قال تعالى فزادتهم إيمانا وقال تعالى
زادتهم إيمانا وقال تعالى ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم وقد قال عليه السلام فيما يروى في بعض الأخبار الإيمان
يزيد وينقص وذلك بتأثير الطاعات في القلب وهذا لا يدركه إلا من راقب أحوال نفسه في أوقات
المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور وإدراك التفاوت في
السكون

الى عناية الايمان في هذه الاحوال حتى يزيد عقيدة استعظام على من يزيد صلى بالتشكيك بل من يعتقد في اليتيم معنى الرحمة اذا عمل بموجب اعتقاده
فمسح راسه وتلطف به ادرك من باطنه تاكد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل وكذلك معتقد التواضع اذا عمل بموجبه مقبلا او ساجدا لغيره احس
من قلبه بالتواضع عند اقدامه على الخدمة وهكذا جميع صفات القلب يصدر منها اعمال الجوارح ثم يعود اثر الاعمال عليها فيؤكدها ويزيدها و
سياتي هذا في ربع المهلكات والمنجيات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والاعمال بالعقايد والقلوب فان ذلك من جنس تعلق الملك
بالملكوت واعني بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس واعني بالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت والاعضاء و
اعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى الى حد ظن بعض الناس اتحاد احدهما بالآخر وظن آخرون انه لا عالم
الا عالم الشهادة وهو هذه الاجسام المحسوسة ومن ادرك الامرين وادرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه وقال رق الزجاج ورقت الخمر
فتشابها وتشاكل الامر • فكانما خمر ولا قدح • وكانما قدح ولا خمر • ولنرجع الى المقصود فان هذا الغرض خارج عن علم المعاملة ولكن بين
العالمين ايضا اتصال وارتباط فلذلك ترى علوم المكاشفة تتسلق كل ساعة على علوم المعاملة الى ان تنكف عنها بالتكلف فهذا وجه زيادة
الايمان بالطاعة بموجب هذا الاطلاق ولهذا قال علي عليه السلم ان الايمان ليبدو لمعة بيضا فاذا عمل العبد الصالحات نمت وزادت حتى يبيض القلب
كله وان النفاق ليبدو نكتة سودا فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى تسود القلب كله فيطبع على قلبه فذلك الختم وتلا كلا بل
ران على قلوبهم الاية **الاطلاق الثاني** ان يراد به التصديق والعمل جميعا كما قال الايمان بضع وسبعون بابا وكما قال لا يزني الزاني
حين يزني وهو مومن واذا دخل العمل في مقتضى لفظ الايمان لم يخف زيادته ونقصانه وهل يوثر ذلك في زيادة الايمان الذي هو مجرد التصديق هذا
فيه نظر وقد اشرنا الى انه موثر فيه **الاطلاق الثالث** ان يراد به التصديق اليقيني على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة
وهذا ابعد الاقسام عن قبول الزيادة ولكني اقول الامر اليقيني الذي لا شك فيه تختلف طمانينة النفس اليه فليس طمانينة النفس الى ان الاثنين

الاثنين اكثر من الواحد كطمانينتها الى ان العالم مصنوع حادث وان كان لا شك في واحد منهما بل
اليقينيات تختلف في درجات الايضاح ودرجات طمانينة النفس اليها وقد تعرضنا لهذا في فصل
اليقين من كتاب العلم في باب علامات علماء الآخرة فلا حاجة الى الاعادة وقد ظهر في جميع الاطلاقات
ان ما قالوه من زيادة الايمان ونقصانه حق وكيف لا وفي الاخبار انه يخرج من النار من في قلبه مثقال
ذرة من الايمان وفي بعض المواضع في خبر آخر مثقال دينار فاي معنى لاختلاف مقاديره ان
كان ما في القلب لا يتفاوت **مسألة** وجه قول السلف انا مومن ان شاء الله والاستثناء
شك والشك في الايمان كفر وقول سفيان الثوري رح من قال انا مومن عند الله فهو من الكذابين ومن قال انا مومن
حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وانما سال ذلك بوجوه اربعة **١** من كونهم يحترزون من الجزم خيفة ما فيه من تزكية
النفس **٢** وكونهم متادبين بذكر الله في كل حال واحالة الامور كلها الى مشية الله فقال سبحانه فلا تزكوا
انفسكم وقال تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم ثم قال انظر كيف يفترون على الله الكذب وقد ادب الله
سبحانه نبيه فقال ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ثم لم يقتصر على ذلك فيما لا يشك
فيه بل قال الله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين وكان الله عالما بانهم يدخلون لا محالة وانه
شاءه ولكن المقصود تعليمه ذلك فتادب رسول الله صلعم في كل ما كان يخبر عنه معلوما كان او مشكوكا
٣ او الشك يرجع الى كمال الايمان لا الى اصله وكل انسان شاك في كمال ايمانه وذلك ليس بكفر فان النفاق
يزيل كمال الايمان وهو خفي لا تتحقق البراءة منه والايمان يكمل باعمال الطاعات ولا يدري وجودها
على الكمال **٤** او ذلك من خوف الخاتمة فانه لا يدري ايسلم الايمان عند الموت ام لا فان ختم له بالكفر
حبط الايمان السابق لانه موقوف على سلامة الآخر وكما ان النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات
تمام الصحة للايمان ولهذا لو سئل الصائم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال انا صائم قطعا فلو افطر بعد
ذلك تبين كذبه ووصفه بالصحة قبل آخره بنا على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة مخوفة
ولاجلها كان اكثر بكاء الخائفين لاجل انها ثمرة القضية السابقة والمشية الازلية التي لا تظهر
الا بظهور المقضي به ولا مطلع عليه لاحد من البشر فخوف الخاتمة كخوف السابقة وربما يظهر في الحال ما
سبقت الكلمة بنقيضه فمن الذي يدري انه من الذين سبقت لهم منا الحسنى ٥

كتاب اسرار الطهارة

قال النبي صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة

[illegible]

وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظنن ان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا
نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الاخيرة
التي هي كالقشر الاخير بالاضافة الى اللب المطلوب فصار يمعن فيها ويستقصي في مجاريها و
يستوعب جميع اوقاته في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة
ظنا منه بحكم الوسوسة وخيال العقل ان الطهارة المطلوبة المشرفة هي هذه فقط وجهلا بسيرة
الاولين واستغراقهم جميع الهم والوكد في تطهير القلوب وتساهلهم في امر الظاهر حتى انهم ما كانوا
يغسلون اليد عن الدسومات والاطعمة بل كانوا يمسحون اصابعهم باخمص اقدامهم وعدوا الاشنان
من البدع المحدثة ولقد كانوا يصلون على الارض في المساجد ويمشون حفاة في الطرقات ومن
كان لا يجعل بينه وبين التراب حاجزا في مضجعه كان من اكابرهم وكانوا يقتصرون على الحجارة في
الاستنجاء ويقال اول ما ظهر من البدع بعد رسول الله صلعم اربعة المناخل والاشنان والموايد و
الشبع فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس
تحقيقه وعلمه **فان قلت** افتقول ان هذه العادات التي احدثها الصوفية في هياتهم و
نظافتهم من المحظورات او المنكرات فاقول حاشى عنه ان اطلق القول فيه من غير تفصيل و
لكني اقول هذا التكلف والتنظف باعداد الاواني والآلات واستعمال غلاف القدم والازار
المتقنع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الاسباب ان وقع النظر لذاتها على سبيل التجرد فهي من
المباحات وقد يقترن بها احوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات فاما كونه
مباحا في نفسه فلا يخفى اذ صاحبه متصرف به في ماله وبدنه وثيابه فليفعل به ما يريد اذا لم يكن فيه اضاعة
واسراف واما مصيره منكرا فبان يجعل ذلك اصل الدين ويفسر قوله صلعم بني الدين على النظافة حتى ينكر به
على من يتساهل فيه تساهل الاولين وان يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرهم
فان ذلك هو الرياء المحظور فيصير منكرا بهذين الاعتبارين واما كونه معروفا فبان يكون القصد

حجر ودون والاكثر

التزيين فيه كذلك ولا [illegible] ضرب يسير

على من اوائل الاوقات [illegible] فاذا التنظيف [illegible]

الصلوة من اول الاوقات [illegible]

[illegible]

لطالبين الذين لولم [illegible] **واما** [illegible]

لا ينبغي فيصير شغلهم به [illegible]

باس به اذا لم يخرج الى [illegible]

الحاجة والزيادة عليه [illegible]

ذلك فان حسنات الابرار سيئات المقربين [illegible]

بهم في ان لا يتفرغ لذلك [illegible]

غسل الثياب [illegible] في الطهارة والنجاسة [illegible]

كم من الفرق بين [illegible]

الدقيقة بل كانوا [illegible]

ينظر اليه فان الناس لو لم ينظروا اليه [illegible]

يعدون حمام الذهن [illegible]

بغل مباح في نفسه [illegible]

عما [illegible] الطهارة

من الاعمال وترتيب فضايلها ووجه تقدم البعض منها على البعض فتدقيق الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها الى الافضل اهم من التدقيق في اموال الدنيا بحذافيرها **ثم ذكر رحمه الله** في بيان طهارة الظاهر من الخبث بعد بيان ان الماء يخرج عن الطهارة بالتغير وان لم يتغير لعدم او صافه وكان قريبا من مائتين وخمسين منا وهو خمسمائة رطل برطل العراق لم ينجس لقوله صلى الله عليه وآله اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا وان كان دونه صار نجسا ان هذا مذهب الشافعي رحمه الله وكنت اود ان يكون مذهبه كمذهب مالك في ان الماء وان قل فلا ينجس الا بالتغير اذ الحاجة ماسة اليه ومثار الوسواس من اشتراط القلتين ولاجله شق على الناس ذلك وهو لعمري سبب المشقة ويعرفه من يجربه ويتامله **ومما لا اشك** فيه ان ذلك لو كان مشروطا لكان اولى المواضع بتعسر الطهارة مكة والمدينة اذ لا يكثر بهما المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة ومن اول عصر رسول الله صلى الله عليه وآله الى آخر عصر الصحابة لم ينقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسة وكانت اواني مياههم يتعاطاها الصبيان والاماء والذين لا يحترزون عن النجاسات **وان الشافعي** نص على ان غسالة النجاسة طاهرة اذا لم تتغير ونجسة ان تغيرت واي فرق بين ان يلاقي الماء النجاسة بالورود عليها او بورودها عليه واي معنى لقول القائل ان قوة الورود تدفع النجاسة مع ان الورود لم يمنع مخالطة النجاسة **وايضا** اذا وقع رطل من البول في قلتين ثم فرقتا فكل كوز يغترف منه طاهر ومعلوم ان البول منتشر فيه وهو قليل فليت شعري تعليل طهارته بعدم التغير اولى او بقوة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوالها مع تحقق بقاء اجزاء النجاسة فيها **وذكر امورا اخر** ثم قال فهذه الامور مع الحاجة الشديدة تقوي في النفس انهم كانوا ينظرون الى عدم التغير معولين على قوله صلى الله عليه وآله خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء الا ما غير طعمه او ريحه وهذا فيه تحقيق وهو ان طبع كل مائع ان يقلب الى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوبا من جهته فكما ترى الكلب يقع في المملحة فيستحيل ملحا فيحكم بالطهارة

لضرورته [illegible] الحل
على ورود الليل كذلك الحال و[illegible] فليلب
الكلبية عنه وكذلك اللبن نبع منه ويطبخ بطبعه الا
نبع في الماء ويتصور بصحة الماء ويطبخ [illegible] او لوبه ادركه فهذا [illegible]
فبطل صنعته وتوقف غلبته بغلبة طبعه على ازالته التي [illegible] فيطهره كالصاد
اذا كثر وغلب [illegible] الشرع اليه في الماء القوي [illegible] وامّا قوله عليه [illegible] الماء لا يتغير
العبارة وقد اشار [illegible] الى [illegible] الماء اذا لم يتغير [illegible] في العالب لا يتغير [illegible]
بان يقول عليه [illegible] القلتين و[illegible] النجاسة فان قيل [illegible] المفهوم [illegible] التي قد يستحون في المياه [illegible]
كذلك فما بعد [illegible] اذا لم يبلغ قلتين [illegible] اي لا يتغلب وذلك لان الناس [illegible] قلتين لا يتغير [illegible]
فهو [illegible] يتمسك بالمفهوم [illegible] لا يحمل [illegible] تغيرت تغيرا [illegible] الادنين وهو [illegible] ولا [illegible] ان [illegible]
القعادة ثم هو [illegible] كما قال [illegible] تغيرت [illegible] من [illegible] بيعلى معه و[illegible]
اي قلبه الى [illegible] النجسة فهما [illegible] نجاسته عليه ولا [illegible] الغائط الا [illegible] ان يطهر في
يغسلون الاداء النجسة فيها [illegible] النجاسات الا [illegible] الاستنجاء [illegible] قطرة [illegible] عند [illegible] سبيل
وعلى الجملة فيملي في امور النجاسات [illegible] **ذكر [illegible] اسرار [illegible]** فقط [illegible] ان يتوى [illegible] من [illegible] صلوة
ان تعلم تبيا ان الاستنجاء [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] بالسواك [illegible] افضل [illegible] عند كل صلوة
بالاستنباطات الى تقدير النجاسات [illegible] بالوضوء فلم [illegible] بالسواك [illegible] لامرتهم بالسواك [illegible]
فقال اذا فرغ من [illegible] ان افواهكم طرق للقرآن فطيبوها بالسواك [illegible] على امتي [illegible] وقال [illegible]
فقد قال رسول الله [illegible] وذكر [illegible] الصلوة وقال لولا ان اشق على امتي [illegible] في [illegible]
لقراءة الفاتحة وذكر [illegible] وقال [illegible] ادراكم [illegible] تدخلون علي [illegible]
صلوة بغير سواك وقال [illegible] وكان [illegible]

او غيره من قضبان الاشجار [illegible]

[illegible]

ذكر [illegible] رحمه الله تعالى
وظائف [illegible] اهل الجمعة [illegible] والاداب
[illegible] من [illegible] ان الغير [illegible] من العورة
لكل واحد [illegible] اذا [illegible] عن الغير [illegible] ومس [illegible]
عن نظر الغير وصونها [illegible] الواجبات [illegible] قبل الدخول [illegible]
عن عورة الغير والنهي [illegible] للصلوة واعطاء [illegible] اعوذ بالله من [illegible] نبيه
النية وقصد التنظيف [illegible] الرحمن الرحيم [illegible] ان [illegible] والطعام [illegible]
ودخول [illegible] عند الدخول [illegible] الخلوة [illegible] يكون [illegible]
الخبيث المخبث الشيطان الرجيم والدخول [illegible] فانه [illegible]
نفسه [illegible] في البيت [illegible] الاخرة [illegible] وما [illegible]
بل العاقل لا يغفل عن ذكر [illegible] الى النار [illegible]
المنظر [illegible] الى [illegible] لابد [illegible] الجنة [illegible]
فيتهيأ [illegible] الى [illegible] واذا [illegible] الى [illegible]
استعاذ منها [illegible] فان [illegible] يذكر [illegible] الصور وان [illegible] بعضها على
فيه طريق [illegible] وان [illegible] بعد [illegible] المقام [illegible] في الجنة [illegible]
نكيرا والزبانية [illegible] الذي [illegible] من [illegible] الشيخ [illegible]
في سوق [illegible] **ذكر [illegible]** والتصديق [illegible]
قلب العاقل [illegible] بصيرته [illegible] الشهادة و[illegible] الحق [illegible]
لم يكن [illegible] توصل الى [illegible] تعظيم [illegible] وقال ابن عباس
استحيا الا اظهار [illegible] العلم [illegible] الشيخ [illegible] بالعلم [illegible]
الشباب واظهار [illegible] وقد كان [illegible] الاكابر [illegible] قوله تعالى [illegible] قالوا
الاجهل فالعلم [illegible] ما في [illegible] الشباب [illegible]
[illegible]

وقولنا انهم وفتنة
آمنوا بهم وقوله [illegible] انه فان
الحكم صبيت وروى عن مالك انه [illegible] عن حسن
قال قرأت في بعض الكتب لا تغترن بكثرات طول اللحية فان [illegible]
التيس له لحية وقال ابو عمرو بن العلاء [illegible] يحيى بن [illegible] وقال يحيى [illegible]
صغير الهامة [illegible] اللحية فاقض عليه بالحمق وقال [illegible] يا عبد الله [illegible]
اليه العلم فتلك [illegible] وقدراه [illegible] خلف نعله [illegible] ان فتى [illegible] لكنت [illegible] نعل [illegible]
لاحد بن حنبل [illegible] نعلة هذا الفتى وتبع منه فقال احد او [illegible] ونزول وان [illegible]
بعلمه وغشي خلف نعلة [illegible] ان فاني [illegible] ولا [illegible]
الآخران علم [illegible] لم ادركه [illegible]
نعت [illegible] انسب وقال [illegible]
دو في [illegible]
وعلمه [illegible]
وان [illegible]
نور من الله والرغبة عنه رغبة عن النور ٥

فبلغ قوله [illegible] لصاحبه [illegible] الى ان [illegible] ٥
فلذا من [illegible]
نظر الخلق فينبغي [illegible]
ينبغي ان [illegible]
اذا فرغ من الوضوء واقبل على الصلاة [illegible]
اصم [illegible] فاتتم الجماعة ٥
يعزون بعضهم [illegible] ثلثة ايام اذا فات [illegible]
روى ان السلف كانوا [illegible]

قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى قيل سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا و
هب ان المراد بظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا اذ بين فيه العلة فقال حتى تعلموا ما
تقولون وكم من مصل لم يشرب الخمر وهو لا يعلم ما يقول في صلوته ٥

كتاب اسرار الصلاة

قال رحمه الله بعد الخطبة اما بعد فان الصلوة عماد الدين وعصام اليقين وراس القربات وغرة الطاعات ورتبه رحمه الله على سبعة ابواب الباب الاول في فضايل الصلوة والسجود والجماعة والاذان وغيرها فاورد لتفصيل كل منها اخبارا واثارا كثيرة ثم ذكر فضيلة الخشوع ثم فضيلة المسجد ومواضع الصلوة كذلك واورد الباب الثاني في كيفية الاعمال الظاهرة والباب الثالث في الشروط الباطنة من اعمال القلب قال رحمه الله ولنذكر في هذا الباب ارتباط الصلوة بالخشوع وحضور القلب ثم لنذكر المعاني الباطنة وحدودها واسبابها وعلاجها ثم لنذكر تفصيل ما ينبغي ان يحضر في كل ركن من الصلوة ليكون صالحة لزاد الاخرة بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب اعلم ان ادلة ذلك كثيرة الخ

بيان المعاني الباطنة التي بها تتم حيوة الصلوة

اعلم ان هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ست جمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحيا فلنذكر تفصيلها ثم اسبابها ثم العلاج في اكتسابها **اما التفاصيل** فالاول حضور القلب ونعني به ان يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جاريا في غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شئ فقد حصل حضور القلب ولكن التفهم لمعنى الكلام امر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي اردناه بالتفهم وهذا مقام يتفاوت الناس فيه اذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقران والتسبيحات وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في اثناء صلوته ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ومن هذا الوجه كانت الصلوة ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم امورا تلك الامور تمنع من الفحشاء لا محالة واما التعظيم فهو امر وراء حضور القلب والفهم اذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زايد عليها واما الهيبة فزايدة على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشاه التعظيم لان من لا يخاف لا يسمى هايبا والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من الاسباب الخسيسة لا يسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم يسمى

[illegible]

تقصيره وتوهم ذنب أما اسباب [illegible]

وارتكاب ذنب الا [illegible] فلا يخطر [illegible]

قلبك تابع لهمتك فلا يحضر الا فيما اهمك [illegible] بل كان حاضرا [illegible]

[illegible] في الصلوة لم [illegible] متعطلا [illegible] العلم بحقارة الدنيا [illegible]

الصلوة والهمة لا ينصرف اليها ما لم يتبين ان الغرض المطلوب [illegible]

وسيلة الى ذلك فاذا اضيف هذا الى العلم [illegible] على مضرتك [illegible] ضعف الايمان [illegible]

بحضرة الملك والملكوت والنفع والضر [illegible] فاذا كان [illegible]

الذي بيده الملك [illegible] القلب [illegible]

طريقه يستعين في غير هذا الموضع وأما التفهيم [illegible]

وعلاجه ما هو علاج احضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر [illegible]

موادها اعني النزوع عن تلك الاسباب التي تجذب الخواطر اليها [illegible]

أحب شيئا أكثر ذكره [illegible] القلب [illegible]

[illegible] الخواطر وأما التعظيم فهو حالة للقلب تتولد من معرفتين احديهما معرفة جلال الله وعظمته [illegible]

فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه الثانية معرفة حقارة النفس وخستها [illegible]

وربما [illegible] تتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع [illegible]

[illegible] معرفة حقارة النفس [illegible] والخشوع [illegible]

والتعظيم

والتعظيم حالة لان التربية الاخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم يقترن اليه وأما

الهيبة والخوف فهي حالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيته فيه مع قلة

المبالاة به وانه لو اهلك الاولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجري على

الانبياء والاولياء من المصايب وانواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد

من ملوك الارض وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة وسياتي اسباب ذلك في

كتاب الخوف من ربع المنجيات وأما الرجاء فسببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم انعامه ولطائف

صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلوة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث

من مجموعهما الرجاء لا محالة وأما الحياء فباستشعاره التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام

بعظيم حق الله ويقوي ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة اخلاصها وخبث خلقها

وميلها الى الحظ العاجل في جميع افعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله والعلم بانه مطلع على

السريرة وخطرات القلب وان دقت وخفيت وهذه المعارف اذا حصلت يقينا انبعث

منها بالضرورة حالة تسمى الحياء فهذه اسباب هذه الصفات وكلما طلب تحصيله فعلاجه

احضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج ورابطة جميع هذه الاسباب الايمان و

اليقين واعني به هذه المعارف التي ذكرناها ومعنى كونها يقينا انتفاء الشك واستيلاؤها

على القلب كما سبق في بيان اليقين من كتاب العلم وبقدر اليقين يخشع القلب ولذلك

قالت عائشة كان عليه السلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه

وقد روي ان الله عز وجل اوحى الى موسى عليه السلم يا موسى اذا ذكرتني فاذكرني وانت منتفض

اعضاؤك وكن عند ذكري خاشعا مطمئنا واذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك و

اذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل وناجني بقلب وجل ولسان صادق وروي ان الله

اوحى الله اليه قل لعصاة امتك لا يذكروني فاني آليت على نفسي ان من ذكرني ذكرته فاذا

ذكروني ذكرتهم باللعنة هذا في عاص غير غافل فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان و

فحظ كل واحد من صلوته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فان موضع نظر الله القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم في الصلوة من الطمانينة والهدو ومن وجود النعيم بها واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه ويراعى في ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور في الدار الاخرة ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم

بيان الدوا النافع في حضور القلب **اعلم** ان المومن لا بد ان يكون معظما لله وخائفا منه وراجيا له ومستحييا من تقصيره فلا ينفك عن هذه الاحوال بعد ايمانه وان كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها في الصلوة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلوة ولا يلهي عن الصلوة الا الخواطر الواردة الشاغلة فالدوا في احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشي الا بدفع سببه فليعلم سببه وسبب موارد الخواطر اما ان يكون امرا خارجا او امرا في ذاته باطنا اما الخارج فما يقرع السمع او يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكرة الى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافتكار ثم يصير بعض تلك الافكار سببا للبعض ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ما جرى على حواسه ولكن الضعيف لا بد وان يتفرق به فكره وعلاجه قطع هذه الاسباب بان يغض بصره او يصلي في بيت مظلم او لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب من

حايط

حايط عند صلوته حتى لا يتسع مسافة بصره ويحترز من الصلوة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة
المصنوعة وعلى الفرش المصنوعة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته
بقدر السجود ليكون ذلك اجمع للهم والاقويا كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزون
به موضع السجود ويرون كمال الصلوة في ان لا يعرف احدهم من على يمينه وشماله وكان ابن عمر
لا يدع في موضع الصلوة مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا كتابا الا محاه اما الاسباب الباطنة
فهي اشد فان من تشعبت به الهموم في اودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير
من جانب الى جانب وغض البصر لا يغنيه فان ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا
طريقه ان يرد النفس قهرا الى فهم ما يقراه في الصلوة ويشغلها به عن غيره ويعينه على
ذلك ان يستعد له قبل التحريم بان يجدد على نفسه ذكر الاخرة وموقف المناجاة وخطر
المقام بين يدي الله وهول المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلوة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا
يلتفت اليه خاطره قال النبي صلى الله عليه وسلم لعثمن بن شيبة اني نسيت ان اقول لك خمر القدر الذي
في البيت فانه لا ينبغي ان يكون في البيت شي يشغل الناس عن صلوتهم فهذا طريق تسكين
الافكار فان كان لا يسكن هايج افكاره بهذا الدوا المسكن فلا ينجيه الا المسهل
الذي يقمع مادة الدا من اعماق العروق وهو ان ينظر في الامور الشاغلة الصارفة
له عن احضار القلب ولا شك انها تعود الى مهماته وانها انما صارت مهماته لشهواته
فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلايق فكل ما يشغله عن صلوته فهو
ضد دينه وجند ابليس عدوه فامساكه اضر عليه من اخراجه فيتخلص منه باخراجه كما
روي عنه صلى الله عليه وسلم انه لما لبس الخميصة التي اتاه بها ابو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد
صلوته وقال اذهبوا بها الى ابي جهم فانها الهتني انفا عن صلوتي وايتوني بانبجانية ابي جهم
وامر صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه في الصلوة اذ كان جديدا وامر ان ينزع منها و
يرد الشراك الخلق وكان عليه السلم قد احتذى نعلا فاعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت

لربي كي لا يمقتني ثم خرج بها فدفعها الى اول سايل لقيه ثم امر عليا ان يشتري له نعلين سبتيتين جرداوين فلبسهما وكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلوة وهذا هو الدوا القامع لمادة العلة ولا يغني غيره فان ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد الى فهم الذكر ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل الا حواشي القلب فاما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع معها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضي جميع صلوتك في شغل المجاذبة **ومثاله** رجل تحت شجرة اراد ان يصفو له فكره وكانت اصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة في يده ويعود الى فكره فتعود العصافير فيعود الى التنفير بالخشبة فقيل له ان هذا سير السواني ولا ينقطع فان اردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوات اذا استعلت وتفرعت اغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار وانجذاب الذباب الى الاقذار والشغل يطول في دفعها فان الذباب كلما ذب اب ولاجله سمي ذبابا فكذلك الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو العبد عنها ويجمعها اصل واحد وهو حب الدنيا وذلك راس كل خطيئة واساس كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال الى شي منها لا ليتزود منها ولا ليستعين بها على الاخرة فلا يطمعن في ان تصفو له لذة المناجاة في الصلوة فان من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله وبمناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه فان كانت قرة عينه في الدنيا انصرف لا محالة اليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغي ان يترك المجاهدة ورد القلب الى الصلوة وتقليل الاسباب الشاغلة فهذا هو الدوا المر ولمرارته استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الدا عضالا حتى ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين لا يحدثون انفسهم فيها بامور الدنيا فعجزوا عن ذلك فاذا لا مطمع فيه لامثالنا وليته سلم لنا من الصلوة شطرها او ثلثها من الوسواس لنكون ممن خلط عملا صالحا واخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الاخرة في القلب مثل الما الذي يصب في قدح مملو بالخل فبقدر ما يدخل فيه من الما يخرج منه من الخل لا محالة ولا يجتمعان

بيان

بيان تفصيل ما ينبغي ان يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من اعمال الصلوة فنقول حقك
ان كنت من المريدين للاخرة ان لا تغفل اولا عن التنبيهات التي في شروط الصلوة واركانها
اما الشروط والسوابق فهي الاذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب
قايما والنية فاذا سمعت نداء المؤذن فاحضر في قلبك هول النداء يوم القيمة وتشمر بظاهرك
وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف
يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوا بالفرح والاستبشار مشحونا
بالرغبة الى الابتدار فاعلم انه ياتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال صلى
الله عليه واله ارحنا يا بلال اي ارحنا بها وبالندا اليها اذ قرة عينه فيها واما الطهارة
فاذا اتيت بها في مكانك وهو ظرفك الابعد ثم في ثيابك وهو غلافك الاقرب ثم في
بشرتك وهي قشرتك الادنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا
بالتوبة والندم على ما فرط وتصميم العزم على ترك العود في المستقبل فطهر بها باطنك فانه
موقع نظر معبودك واما ستر العورة فاعلم ان معناه تغطية مقابح بدنك عن ابصار الخلق
فان ظاهر بدنك موقع نظر الخلق فما رايك في عورات باطنك وفضايح سرك التي لا
يطلع عليها الا ربك فاخطر تلك الفضايح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق انه لا يستر
عن عين الله ساتر وانما يكفرها الندم والحيا والخوف فتستفيد باحضارها في قلبك انبعاث
جنود الخوف والحيا من مكامنها فتذل به نفسك ويستكين تحت الخجلة قلبك وتقوم بين
يدي الله عز وجل قيام العبد المجرم المسيء الابق الذي ندم فرجع الى مولاه ناكسا راسه من
الحيا والخوف واما الاستقبال فهو صرف لظاهر وجهك عن ساير الجهات الى جهة بيت الله
افترى ان صرف القلب من ساير الامور الى امر الله ليس مطلوبا منك هيهات فلا مطلوب
سواه وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات
في جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب فانها اذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتها

جوانحها

استشعرت القلب [illegible]

وانقلبت [illegible]

وجل فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك واعلم انه كما لا ينصرف الوجه الى جهة البيت الا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب الى الله عز وجل الا بالتفرغ عما سواه فقد قال عليه السلام اذا قام العبد الى صلوته وكان هواه ووجهه وقلبه الى الله تعالى انصرف كيوم ولدته امه واما الاعتدال قائما فانما هو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله عز وجل فليكن راسك الذي هو ارفع اعضائك مطرقا متطأطئا وليكن وضع الراس عن ارتفاعه تنبيها على الزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترؤس والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدي الله عز وجل في هول المطلع عند العرض للسؤال واعلم انك قائم بين يدي الله عز وجل وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان ان كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر في دوام قيامك في صلوتك انك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من اهلك او ممن ترغب ان يعرفك بالصلاح فانه تهدأ عند ذلك اطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع اجزائك خيفة ان ينسبك ذلك العاجز المسكين الى قلة الخشوع واذا احسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها انك تدعين معرفة الله وحبه افلا تستحيين من استجرائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده او تخشين الناس ولا تخشينه وهو احق ان يخشى ولذلك لما قال ابو هريرة كيف الحياء من الله فقال تستحيي منه كما تستحيي من الرجل الصالح من قومك واما النية فاعزم على اجابة الله في امتثال امره بالصلوة واتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله رجاء ثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه متقلدا للمنة منه باذنه اياك في المناجاة مع سوء ادبك وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي وينبغي ان يعرق جبينك من الخجل وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف واما التكبير فاذا نطق به لسانك فينبغي ان لا يكذبه قلبك فان كان في قلبك شيء هو اكبر من الله تعالى فالله يشهد انك لكاذب وان كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين في قولهم انه لرسول الله وان كان هواك اغلب عليك من امر الله فانت

وانت اطوع له منك لله فقد اتخذته الهك وكبرته فيوشك ان يكون قولك الله اكبر كلاما
باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما اعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار
وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه واما دعاء الاستفتاح فاول كلماته قولك وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض وليس المراد بالوجه وجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة والله
سبحانه يتقدس عن ان يحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه وانما وجه القلب هو الذي
يتوجه به الى الله فاطر السموات فانظر اليه امتوجه هو الى اماينه وهمه في البيت والسوق متبع
للشهوات واياك ان يكون اول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق ولن ينصرف الوجه
الى الله الا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه اليه وان عجزت عنه على الدوام ليكون
قولك في الحال صادقا واذا قلت حنيفا مسلما فينبغي ان يخطر ببالك ان المسلم هو الذي سلم المسلمون
من لسانه ويده فان لم يكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد ان تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما
سبق من الاحوال واذا قلت وما انا من المشركين فاخطر ببالك الشرك الخفي فان قوله تعالى
فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزل فيمن يقصد بعبادته
وجه الله وحمد الناس وكن حذرا من هذا الشرك واستشعر الخجلة في قلبك ان وصفت نفسك
بانك لست من المشركين من غير براءة من هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير
منه واذا قلت محياي ومماتي لله فاعلم ان هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده
وانه ان صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحيوة ورهبته من الموت لامور
الدنيا لم يكن ملائما للحال واذا قلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم انه عدوك و
مترصد لصرف قلبك عن الله حسدا لك على مناجاتك مع الله وسجودك له مع انه لعن بسبب
سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها وان استعاذتك بالله منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله
تعالى لا بمجرد قولك وان من قصده سبع او عدو ليفترسه او يقتله فقال اعوذ منك بذلك الحصن

الحصين وهو ثابت على مكانه

فان ذلك لا ينفعه بل لا يعيذه الا تبديل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عز وجل عن شر الشيطان وحصنه لا اله الا الله اذ قال الله تعالى فيما اخبر عنه نبينا عليه السلام لا اله الا الله حصني فمن دخل حصني امن من عذابي والمتحصن به من لا معبود له سوى الله فاما من اتخذ الهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله واعلم ان من مكايده ان يشغلك في صلوتك بذكر الاخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرأ فاعلم ان كل ما شغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها فاما القراءة فالناس فيها ثلثة رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كانه يسمعه من غيره وهي درجة اصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه الى المعاني اولا ثم يخدم اللسان القلب فيترجمه ففرق بين ان يكون اللسان ترجمان القلب او يكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب وتفصيل ترجمة المعاني انك اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله وافهم ان معناه ان الامور كلها بالله وان المراد بالاسم ههنا هو المسمى واذا كانت الامور بالله فلا جرم كان الحمد لله ومعناه ان الشكر لله اذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة او يقصد غير الله بشكر لا من حيث انه مسخر من الله ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته الى غير الله فاذا قلت الرحمن الرحيم فاحضر في قلبك جميع انواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث به رجاؤك ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين اما العظمة فلانه لا ملك الا له واما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك اياك نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة بقولك واياك نستعين وتحقق انه ما تيسرت طاعتك الا باعانته وان له المنة اذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك اهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين ثم اذا

فرغت

فرغت عن التعويذ بقولك بسم الله وعن التحميد وعن اظهار الحاجة الى الاعانة مطلقا فعين سؤالك ولا
تطلب الا اهم حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا الى جوارك ويفضي بنا
الى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتاكيدا واستشهادا بالذين افاض عليهم نعمة الهداية
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود
والنصارى والصابئين ثم التمس الاجابة وقل آمين فاذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه ان
تكون ممن قال الله تعالى فيهم فيما اخبر عنه النبي عليه السلام قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين
فنصفها لي ونصفها لعبدي يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله حمدني عبدي واثنى
علي وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث الى آخره فلو لم يكن لك من صلوتك حظ سوى ذكر الله
لك في جلاله وعظمته فناهيك به غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي ان تفهم
ما تقراه من السورة كما سيأتي في كتاب تلاوة القران فلا تغفل عن امره ونهيه ووعده
ووعيده ومواعظه واخبار انبيائه وذكر منته واحسانه فلكل واحد حق فالرجاء حق
الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر والنهي والاتعاظ حق الموعظة والشكر حق
ذكر المنة والاعتبار حق اخبار الانبياء روي ان زرارة بن اوفى انتهى الى قوله تعالى فاذا نقر
في الناقور فخر ميتا وكان ابراهيم اذا سمع قوله اذا السماء انشقت اضطرب حتى تضطرب اوصاله
ويكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات
ذلك لا تنحصر والصلوة مفتاح القلوب فيها ينكشف اسرار الكلمات فهذا حق القراءة و
هو حق الاذكار والتسبيحات ايضا ثم يراعي الهيئة في القراءة فيرتل ولا يسرد فان ذلك ايسر
للتامل ويفرق بين نغماته في آية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتحميد والتعظيم ويروى
انه يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا واما دوام القيام فهو
تنبيه على اقامة القلب مع الله على نعت واحد من الحضور قال عليه السلام ان الله مقبل على المصلي ما لم
يلتفت وكما تجب حراسة الراس والعين عن الالتفات الى الجهات فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات

الى الصلوة [illegible]
غير الصلوة الى غير [illegible]
فان التفت الى غيره فقبح التهاون [illegible] والذم [illegible]
باطلاع الله عليك [illegible] باطنا [illegible] قال صلى الله عليه وآله [illegible]
بالمناجاة عنده [illegible] الالتفات [illegible]
الخشوع القلب [illegible] الباطن [illegible] جوارحه [illegible]
ثمرة الخشوع [illegible]
[illegible]
الراعي ولهذا ورد في الدعاء [illegible]
في صلوته كانه [illegible] الطمع [illegible]
[illegible]
ومن [illegible] بين يدي [illegible] قوله تعالى الذي يراك [illegible]
[illegible] قال عكرمة في قوله [illegible]
الركوع والسجود ينبغي ان يجدد عنده [illegible]
[illegible] ثم تستانف له ذلا وتواضعا بركوعك [illegible]
عز مولاك [illegible] وعلو ربك [illegible] سمع الله لمن حمده [illegible] السموات والارض [illegible]
بالعظمة وانه اعظم من كل عظيم [illegible] ربنا لك الحمد [illegible] الوجه [illegible]
[illegible]
ذلك بان [illegible]
السجود وهو اعلى درجات الاستكانة [illegible] على الارض [illegible]
وان امكنك ان لا تجعل [illegible] موضع الذل [illegible] عظمة الله [illegible] سبحان
واذا وضعت نفسك [illegible]
[illegible] ربي الاعلى [illegible]

فان

فان الكرة الواحدة ضعيفة الاثر فاذا رق قلبك وظهر ذلك فليصدق رجاؤك في رحمة ربك فان رحمته
تتسارع الى الضعف والذل لا الى التكبر والبطر فارفع راسك مكبرا او سائلا حاجتك وقائلا رب اغفر
وارحم وتجاوز عما تعلم او ما اردت من الدعاء ثم اكد التواضع بالتكرار فعد الى السجود ثانيا كذلك واما التشهد
فاذا جلست له فاجلس متادبا وصرح بان جميع ما تدلي به من الصلوات والطيبات اي الاخلاق
الطاهرة لله وكذا الملك لله وهو معنى التحيات واحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وآله وشخصه الكريم وقل سلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته وليصدق املك في انه يبلغه ويرد عليك ما هو اوفى منه ثم سلم على
نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين وتامل ان يرد الله عليك سلاما وافيا بعدد عباده الصالحين
ثم تشهد لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وآله بالرسالة مجددا عهد الله باعادة كلمتي الشهادة ومستانفا
للتحصن بها ثم ادع في آخر صلوتك بالدعاء الماثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق
الرجاء بالاجابة واشرك في دعائك ابويك وساير المؤمنين واقصد عند التسليم الصلوة على الملائكة و
الحاضرين وانو ختم الصلوة به واستشعر شكر الله على توفيقه لاتمام هذه الطاعة وتوهم انك مودع
لصلوتك هذه وانك ربما لا تعيش لمثلها قال عليه السلام صل صلوة مودع ثم اشعر قلبك الوجل والحياء
من التقصير في الصلوة وخف ان لا تقبل صلوتك وان يكون ممقوتا بذنب ظاهر او باطن فترد صلوتك في
وجهك وترجو مع ذلك ان يقبلها بفضله وكرمه كان يحيى بن وثاب اذا صلى مكث ما شاء الله تعرف
عليه كآبة الصلوة وكان ابرهيم يمكث بعد الصلوة ساعة كانه مريض فهذا تفصيل صلوة الخاشعين
الذين هم على صلوتهم يحافظون والذين هم على صلوتهم دائمون والذين هم يناجون الله تعالى على
قدر استطاعتهم في العبودية فليعرض الان نفسه على هذه الصلوة فبالقدر الذي يتيسر له
منها ينبغي ان يفرح وعلى ما يفوته ينبغي ان يتحسر وفي مداواة ذلك ينبغي ان يجتهد واما صلوة
الغافلين فانها مخطرة الا ان يتغمده الله برحمته والرحمة واسعة والكرم فايض فنسأل الله تعالى
ان يغمرنا برحمته ويتغمدنا بمغفرته اذ لا وسيلة لنا الا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته واعلم
ان تخليص الصلوة عن الآفات واخلاصها لوجه الله واداءها بالشروط الباطنة التي ذكرناها من
الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول انوار في القلب تكون تلك الانوار مفاتيح علوم المكاشفة فاولياء

قال عليه السلام اذا صليت صلوة فصل صلوة
مودع اي مودع لنفسه مودع لهواه
مودع لعمره سائر الى مولاه

فاولياء الله
المكاشفون بملكوت السموات والارض واسرار الربوبية [illegible] في الصلوة [illegible] في السجود
اذ يتقرب العبد بالسجود ولذلك قال تعالى [illegible] واقترب [illegible]
[illegible] ويكون ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة والجلاء والخفاء [illegible]
الدنيا ويختلف ذلك [illegible]
لبعضهم الشيء بعينه [illegible] لبعضهم [illegible]
الشيطان في صورة كلب جاثم [illegible]
الله وجلاله وبعضهم في افعاله [illegible]
[illegible]
لا ترى الا في المرآة [illegible]
الهداية [illegible]
في متبع الهوى [illegible]
يكاد ينكر ما بعده [illegible]
هذا من المجادلة والمباحثة [illegible]
يؤمن بالغيب ويصدق به [illegible]
[illegible] الملائكة من لدن [illegible]
[illegible]
ملائكته [illegible]
المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون [illegible]
ثم قال في ثمرة [illegible]
الفردوس [illegible]

مع غفلة القلب ينتهي رجته الى هذا الحد ولذلك قال تعالى في اضدادهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك
من المصلين فالمصلون هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله والمتمتعون بقربه ودنوه من
قلوبهم نسأل الله تعالى ان يجعلنا منهم وان يعيذنا من عقوبة من تزينت اقواله وقبحت افعاله
انه الكريم المنان القديم الاحسان **حكايات** واخبار في صلوة الخاشعين **اعلم** ان الخشوع
ثمرة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله سبحانه ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا في الصلوة
وغير الصلوة بل في خلوته وفي بيت الماء عند قضاء حاجته فان موجب الخشوع معرفة اطلاع الله
على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد فمن هذه المعارف يتولد الخشوع وليست مختصة بالصلوة
ولذلك روي عن بعضهم انه لم يرفع راسه الى السماء اربعين سنة حياء من الله وخشوعا له وكان الربيع بن
خثيم من شدة غضه للبصر واطراقه يظن بعض الناس انه اعمى وكان يختلف الى منزل ابن مسعود
عشرين سنة فاذا رأته جاريته قالت لابن مسعود صديقك ذلك الاعمى قد جاء فكان يضحك ابن مسعود
من قولها وكان اذا دق الباب تخرج الجارية اليه فتراه مطرقا غاضا بصره وكان ابن مسعود اذا
نظر اليه يقول وبشر المخبتين اما والله لو راك محمد لفرح بك وفي لفظ آخر لاحبك ومشى ذات يوم مع
ابن مسعود في الحدادين فلما نظر الى الاكوار تنفخ والى النيران تلتهب صعق وسقط مغشيا عليه وقعد
ابن مسعود عند راسه الى وقت الصلوة فلم يفق فحمله على ظهره الى منزله فلم يزل مغشيا عليه الى الساعة
التي صعق فيها ففاته خمس صلوات وابن مسعود عند راسه يقول هذا والله الخوف وكان عامر بن عبد الله
من خاشعي الصلوة قيل له ذات يوم هل تحدث نفسك في الصلوة بشيء قال نعم بوقوفي بين يدي الله تعالى
ومنصرفي الى احدى الدارين قيل فهل تجد شيئا مما نجد من امور الدنيا فقال لان تختلف الاسنة فيّ
احب الي من ان اجد في الصلوة ما تجدون وكان يقول لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا و
بعضهم تاكل طرف من اطرافه فاحتيج فيه الى القطع فلم يمكن منه فقيل انه في الصلوة لا يحس بما يجري
عليه فقطع وهو في الصلوة وقال بعضهم الصلوة من الآخرة فاذا دخلت في الصلوة خرجت من الدنيا
وقيل لآخر هل تحدث نفسك في الصلوة بشيء من الدنيا فقال لا في الصلوة ولا في غيرها وسئل

بعضهم ... فاذكره

في الصلوة ... واعلم ان الصلوة ... وان كان آخر ... الخبر قال

فيها ... ان ... الفرائض ... بالنوافل تقرب الى عبدي ... فريضة ...

يقول ان الصلوة ... ودلت عليه الاخبار ... الفرائض ... الاسلام ...

عليه وآله قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي الا باداء ما افترضت عليه ...

والحكايات ... على ان الاصل في ... وذكر ... وقد ذكرنا ذلك في الباب الرابع في الامامة والقدوة ... الصلوة

الباب ... في الجمعة وادابها وسننها وشروطها

... فضيلتها ... ان هذا يوم عظيم عظم الله به الاسلام ... فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع فحرم الاشتغال بامور الدنيا ... الاخبار والآثار ...

الاولى ان يستعد لها يوم الخميس ... ويشتغل بالتسبيح والاستغفار عشية الخميس ... لانها ساعة توازي في الفضل ساعة يوم الجمعة ... غسل ثيابه ... ويغتسل ... ليلة الجمعة ... ويستحب ... رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل ...

الثانية اذا اصبح ابتدأ بالغسل

بعد طلوع الفجر وان كان لا يبكر فاقربه الى الرواح احب ليكون اقرب عهدا بالنظافة فالغسل مستحب استحبابا مؤكدا وذهب بعض العلماء الى وجوبه قال صلى الله عليه وسلم غسل الجمعة واجب على كل محتلم وكان اهل المدينة يتسابون بينهم فيقول احدهم لصاحبه لانت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة ومن اغتسل للجنابة فليفض الماء على بدنه مرة اخرى على نية غسل الجمعة فان اكتفى بغسل واحد اجزاه وحصل له الفضل اذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة في غسل الجنابة ومن اغتسل ثم احدث توضأ ولم يبطل غسله والاحب ان يحترز عن ذلك **الثالثة** الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم وهي في ثلثة الكسوة والنظافة وتطييب الرائحة اما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وسائر ما سبق في كتاب الطهارة قال ابن مسعود من قلم اظفاره يوم الجمعة اخرج الله منه داء وادخل فيه شفاء وليتطيب في هذا اليوم باطيب طيب عنده ليغلب بها الروائح الكريهة ويوصل بها الروح والراحة الى مشام الحاضرين في جواره قيل من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله واما الكسوة فاحبها البيض من الثياب اذ احب الثياب الى الله تعالى البياض ولا يلبس ما فيه شهرة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل بل كره جماعة النظر اليه لانه بدعة محدثة بعد رسول الله صلعم والعمامة مستحبة في هذا اليوم [margin: ... ذكره ... لذلك]

الرابعة البكور الى الجامع ويستحب ان يقصد الجامع من فرسخين وثلثة وليبكر ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وفضل البكور عظيم وينبغي ان يكون في سعيه الى الجمعة خاشعا متواضعا ناويا للاعتكاف في المسجد الى وقت الصلوة قاصدا للمبادرة الى جواب نداء الله اياه الى الجمعة والمسارعة الى مغفرته ورضوانه وقال صلعم من راح الى الجمعة في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا الى قوله اهدى دجاجة [في الرابعة ... في الخامسة] اهدى بيضة فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فانما جاء لحق الصلوة ليس له من الفضل شيء وكان في القرن الاول ترى الطرق في السحر وبعد الفجر مملوة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون فيها الى الجامع كايام العيد حتى اندرس ذلك فقيل اول بدعة احدثت في الاسلام ترك البكور الى الجامع

وكيف لا يستحيي المؤمن من اليهود والنصارى وهم يبكرون الى البيع والكنائس يوم السبت والاحد وطلاب الدنيا كيف يبكرون الى رحاب الاسواق للبيع والشراء والربح فلم لا يسابقهم طلاب الآخرة ...

الخامسة ... ان لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين ايديهم ... وقد ورد وعيد شديد في تخطي الرقاب وهو انه يجعل جسرا يوم القيامة يتخطاه الناس ...

السادسة ان لا يمر بين يدي الناس ويجلس ... الى قرب اسطوانة او حائط حتى لا يمروا بين يديه ...

السابعة ان يطلب الصف الاول فان فضله كثير ... فان كان في الصف الاول منكر ... فله ان يتأخر ...

الثامنة ان يقطع الصلوة عند خروج الامام ويقطع الكلام ايضا بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة ...

التاسعة ان يراعي في قدوة الجمعة ما ذكرناه في غيرها ... فاذا سمع قراءة الامام لم يقرأ ... ويستحب ان يقول بعد صلوة الجمعة ... اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود اغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك ...

العاشرة ان يلازم المسجد حتى يصلي العصر فان اقام الى المغرب فهو الافضل ... فان لم ... في الجامع ... الى ... الآية ... ولسانه

حتى لا تفوته الساعة الشريفة ولا ينبغي ان يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا قال صلعم يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم امر دنياهم ليس لله حاجة فيهم فلا تجالسوهم

بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذي يعم جميع النهار

وهي سبعة امور **الاول** ان يحضر مجلس العلم بكرة او بعد الصلوة او بعد العصر ولا يحضر مجالس القصاص فلا خير في كلامهم ولا ينبغي ان يخلو المريد في جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات حتى يوافيه الساعة الشريفة وهو في خير ولا ينبغي ان يحضر الحلق قبل الصلوة وروى عبد الله بن عمر ان النبي صلعم نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلوة الا ان يكون عالم بالله يذكر بايام الله ويفقه في دين الله يتكلم في الجامع بالغداة فيجلس اليه فيكون جامعا بين البكور وبين الاستماع واستماع العلم النافع في الآخرة افضل من اشتغاله بالنوافل فقد روى ابو ذر ان حضور مجلس علم افضل من صلوة الف ركعة قال انس بن مالك في قوله تعالى فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله اما انه ليس بطلب الدنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة اخ في الله وقد سمى الله تعالى العلم فضلا في مواضع قال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال ولقد آتينا داود منا فضلا يعني العلم فتعليم العلم وتعلمه في هذا اليوم من افضل القربات والصلوة افضل من مجالس القصاص **الثاني** ان يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة ففي الخبر المشهور ان في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئا الا اعطاه واختلف فيها فقيل انها عند طلوع الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الاذان وقيل اذا صعد الخطيب المنبر واخذ في الخطبة وقيل اذا قام الناس الى الصلوة وقيل آخر وقت العصر اعني وقت الاختيار وقيل قبل غروب الشمس وكانت فاطمة ترعى ذلك الوقت وتامر خادمها ان تنظر الى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتاخذ في الدعاء والاستغفار الى ان تغرب وتخبر بان تلك الساعة هي المنتظرة وتأثره عن ابيها وقال بعض العلماء هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواعي على مراقبتها وقد قيل انها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو الاشبه وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره ولكن ينبغي ان يصدق بما قال صلى الله عليه وسلم

ان الشكر ... [illegible]

زنابم ... ويوم الجمعة ... نهاره تنوخضا ... الدنيا

تتعرضوا ... ان يكون ... في جميع الذكر والدعاء ... يستحب ان يكثر

الايام فيفعل ... وملازمة الذكر ... **الثالث** ... صلى على في يوم

لما احضار القلب ... من تلك النيات ... قال صلى الله عليه وآله ... الصلوة عليك واحدة ... الذي

فعساه يحظى بتلك ... فقد قال صلى الله عليه ... وتقعد الوسيلة والمقام المحمود

الصلوة على رسول الله ... وصل على جميع اخوانه ...

الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ... سنة ... الاخرة

قال تقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلوة تكون لك رضا ... فاضلة ... الجمعة

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد افضل ما ... سبع مرات فقد قيل ... الكهف خاصة ... الرحمن

وعلى آله واجزه عنا ما هو اهله واجزهم ... سبعا ... وليقرأ سورة ... الى يكره ... ذوات ركعات

والصالحين بارحم الراحمين تقول هذا ... قراءة القرآن فليكثر منه ... والتهليل ...

وحبت له شفاعته ... **الرابع** ... الجمعة ويوم الجمعة اعطي نورا ... من الدواء ... حتى يرى بعده

من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة ... الف ملك ... حتى يصبح ... **السادس**

ومن قرأ ... علیه سبعون الف ... تستحب ... اذا دخل ... ان رسول الله صلى الله عليه ... ان يتكلم في

وفضل ... **الخامس** الصلوات ... رسول الله ... يخطب وكان الدنيا

والجذام وفتنة الدجال ... كل ركعة ... ولكن ... والامام يخطب ...

يقرأ فيهن ... بعد ... ركعتي التحية وان كان الامام يخطب ... للاخرة ... في ليلة الجمعة

من الجمعة ولا يدع ركعتي ... فانها ... ان يجعل يوم الجمعة ... الا اذا كانت

القدقة مستحبة في هذا اليوم خاصة ... **السابع** ... طلوع الفجر ... جزائه

كلام الامام فهذا مكروه ولا يتبدى فيه ... بعد طلوع ... وان كانت

ويجبر فيه الاوراد ... عليه ... تفوت في اوراده ... اولى

اذا احب عبداً استعمله في الاوقات الفاضلة بفواضل الاعمال واذا مقته استعمله في الاوقات الفاضلة بسيّئ الاعمال ليكون اوجع في عقابه واشد لمقته لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت ويستحب في الجمعة دعوات وسياتي ذكرها في كتاب الدعوات ان شاء الله تعالى

وذكر رحمه الله في الباب السادس مسائل متفرقة تعم البلوى بها ويحتاج المريد الى معرفتها

فمن جملتها مسئلة الوسوسة قال رحمه الله الوسوسة في نية الصلوة سببها خبل في العقل او جهل بالشرع لان امتثال امر الله مثل امتثال امر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره في حق القصد ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال نويت ان انتصب قائما تعظيما لدخول زيد الفاضل لاجل فضله متصلا بدخوله مقبلا عليه بوجهي سفه في عقله بل كما يراه ويعلم فضله تنبعث داعية التعظيم فيقيمه ويكون معظما الا اذا قام لشغل آخر او في غفلة واشتراط كون الصلوة ظهرا اداء فرضا في كونه امتثالا كاشتراط كون القيام مقرونا بالدخول مع الاقبال بالوجه على الداخل وانتفاء باعث آخر سواه وقصد التعظيم به ليكون تعظيما فانه لو قام مدبرا عنه او صبر فقام بعد ذلك بمدة لم يكن معظما ثم هذه الصفات لا بد ان تكون معلومة وان تكون مقصودة ثم لا يطول حضورها في النفس في لحظة واحدة وانما يطول نظم الالفاظ الدالة عليها اما تلفظا باللسان واما تفكرا بالقلب فمن لم يفهم نية الصلوة على هذا الوجه فكانه لم يفهم النية فليس فيه الا انك دعيت الى ان تصلي في وقت فاجبت وقمت فالوسوسة محض الجهل فان هذه القصود وهذه العلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة ولا تكون مفصلة الآحاد في الذهن بحيث تطالعها النفس وتتاملها وفرق بين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله بالفكر والحضور مضاد للعزوب والغفلة وان لم يكن مفصلا فان من علم الحادث مثلا فيعلمه بعلم واحد في حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوما هي حاضرة وان لم تكن مفصلة فان من علم الحادث فقد علم الموجود والمعدوم والتقدم والتأخر والزمان وان التقدم للعدم والتأخر للوجود فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث بدليل ان العالم بالحادث اذا لم يعرف غيره لو قيل له هل علمت التقدم فقط او التأخر او العدم

ايعلم

او ... العدم ... ان ... فقال

تقدم الوجود او ان ... التأخر فقال ... ابنا فضا

تأخر الوجود والمتقدم ... وكان قوله ... بدون الرجوع ... الرضية

المنقسم الى المتقدم ... كان ... تدبيه ... والدانية ... والغرض ذلك

ما عرفته قط كان كاذبا ... الجهل بهذه ... القلبية ... ولو كلف نفسه ذلك ... الوسوسة ... ان الامتثال

لقوله ان اعلم الحادث ... يحضر في قلبه ... الطرق ... وكل ... يعلم ... لم يفهم ... التكبير او آخره

فان الموسوس ... بتفصيل بالفاظها ... بهذه المعرفة ... الوسواس ... الاخصر ... ذلك في اثناء ... فان ذلك دليل على

في حالة واحدة فيتصل ... عليه ... دليل ... والحصة ... واحدة ... بعدها

في القيام لاجل العالم ... ثم ابدع عليه ... الامتثال رفقة واحدة ... وقوع ذلك في

امر الله في النية كامتثال امر غيره ... الاجتماع ... الا انه ... نعم ... وتعارفه العلم

الا ما حضار هذه الامور مفصلة ولم يتمثل في نفسه ... التعجب ... الى الوجه ... تفصيل

بحيث لم يفرغ من التكبير الا وقد حصلت النية ... الموسوس ينبغي ان ... عليه ...

شطط ولو كان مامورا به لوقع للاولين سؤال عنه ... وقد ذكرنا في الشاذ ... يقرب منها ويقع ... **الصلوة**

ان الامر على التساهل فكيف ما تيسرت النية ... ويزيد فيه ... **الباب السابع في النوافل من**

ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فان التحقيق ... الا ما العامل ... فرق ... سنن ومستحبات وتطوعات

والقصود المتعلقة بالنية تنتقل العقل الى معرفتها ... **ثم ذكر رحمه الله بعد ذكر المسائل ...** ... الضحى والوتر

فلذلك لم نذكرها ... من الصلوات ... الاربعة ... اوراد الجمعة ... عند الخروج

قال رحمه الله اعلم ان ما عدا الفرائض ... كالرواتب ... عقيب الصلوات ... والصلوة عند

ونعني بالسنن ما نقل عن رسول الله ... المواظبة عليه ... ونعني بالمستحبات ... كالصلوة ... واحب

التهجد وغيره لان السنة عبارة عن الطريقة المسلوكة ... والتطوعات ما ورد ... الصلوة

المواظبة عليه كالصلوة في ... الايام والليالي ... ذلك ونعني ... يتطوع به العبد

من المنزل او الدخول فيه وامثال ذلك ... خبر ... كله تطوع ... انه من نقلها

لم يرد ... ... عنه ... من ... لا ... التي وردت ... الشرع

مطلقا

و

...ل الفضل هو الزيادة وجملتها

...لاصطلاح عليه لتعريف هذه

...ه فهم المقاصد وكل قسم من هذه

...المعرفة لفضله وبسبب طول

... ذكره رحمه الله رواتب الصلوات الخمس

كتاب اسرار الزكوة و

...علته في الزكوة اعلم **قال رحمه الله**

...زكوة ومعناها ووجه

...بيت من عبادات الابدان

...ه وشهادة بافراد المعبود

...حبة لا يقبل الشركة والتوحيد

...لاموال محبوبة عند الخلق

...مع ان فيه لقاء المحبوب

...رموتهم ومعشوقهم ولذلك

...بحبه وذلك بالجهاد وهو مسامحة

...في بذل الاموال انقسم الناس

...جميع اموالهم فلم يدخروا دينارا و

...من الزكوة في مائتي درهم فقال

...ثيع **القسم الثاني** درجتهم

...مواسم الخيرات فيكون قصدهم

...بين الحاجة الى وجوه البر مهما ظهر

والتطوع عبارة عن التبرع وتسمى الاقسام الثلثة نوافل من حيث ان النفل هو الزيادة وجملها زايدة على الفرايض فلفظ النافلة والسنة والمستحب والتطوع اردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة في الالفاظ بعد فهم المقاصد وكل قسم من هذه الاقسام يتفاوت درجاته في الفضل بحسب ما ورد فيه من الاخبار والاثار المعرفة لفضله وبحسب طول مواظبة رسول الله صلعم وبحسب صحة الاخبار الواردة فيه واشتهاره ثم ذكر رحمه الله رواتب الصلوات الخمس ومن الكما من صلوة الاستسقاء والتسبيح والحاجة على التفصيل **ثم ذكر رحمه الله كتاب اسرار الزكوة** و بعد ذكر اقسامها واحكامها وشروطها ذكر بيان دقايق الاداب الباطنة في الزكوة اعلم **قال رحمه الله** ان على من يريد طريق الاخرة بزكوته وظايف **الاولى** فهم وجوب الزكوة ومعناها ووجه الامتحان فيها وانها لم جعلت من مباني الاسلام مع انها تصرف مالي وليست من عبادات الابدان وفي ذلك ثلثة معان **الاول** ان التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بافراد المعبود وشرط تمام الوفا بذلك ان لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لا يقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وانما يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات والاموال محبوبة عند الخلق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يانسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع ان فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الذي هو مرموقهم ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقا الى لقاء الله والمسامحة بالمال اهون ولما فهم هذا المعنى في بذل الاموال انقسم الناس ثلثة اقسام فقسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهده ونزلوا عن جميع اموالهم فلم يدخروا دينارا ولا درهما وابوا ان يتعرضوا لوجوب الزكوة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكوة في مائتي درهم فقال اما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم واما نحن فيجب علينا بذل الجميع **القسم الثاني** درجتهم دون هذا وهم الممسكون اموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه البر مهما ظهر

ذكر رحمه الله من جملة الشروط الظاهرة الواجبة على مؤدي الزكوة النية والبدار عقيب الحول **قال رحمه الله** الثالث ان لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج المنصوص عليه فلا يجزي ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق وان زاد عليه في القيمة ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعي يتساهل في ذلك ويلاحظ المقصود من سد الخلة وما ابعده عن التحصيل فان سد الخلة مقصود وليس هو كل المقصود بل واجبات الشرع ثلثة اقسام **قسم** هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ والاغراض فيه وذلك كرمي الجمرات مثلا اذ لا حظ للجمرة في وصول الحصا اليها فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى لان ما يعقل معناه فقد يساعده الطبع عليه ويدعوه اليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية اذ العبودية تظهر بان تكون الحركة لحق امر المعبود فقط لا لمعنى آخر واكثر اعمال الحج كذلك ولذلك قال صلعم في احرامه لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا تنبيها على ان ذلك لاظهار العبودية بالانقياد لمجرد الامر وامتثاله كما امر من غير استيناس العقل منه بما يميل اليه ويحث عليه **والقسم الثاني من واجبات الشرع** ما المقصود منه حظ معقول وليس يقصد منه التعبد كقضاء دين الادميين ورد المغصوب فلا جرم لا يعتبر فيه فعله ونيته ومهما وصل الحق الى مستحقه باخذ المستحق او ببدل عنه عند رضاه تادى الوجوب وسقط خطاب الشرع فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك في دركهما جميع الناس **والقسم الثالث** هو المركب الذي يقصد منه الامران جميعا وهو حظ العباد وامتحان المكلف بالاستعباد فيجتمع فيه تعبد رمي الجمار وحظ رد الحقوق فهذا قسم في نفسه معقول فان ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ولا ينبغي ان ينسى ادق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب اجلاهما ولعل الادق هو الاهم والزكوة من هذا القبيل ولم يتنبه له غير الشافعي فحظ الفقير مقصود في سد الخلة وهو جلي سابق الى الافهام وحق التعبد في اتباع التفاصيل مقصود للشرع وباعتباره صارت الزكوة قرينة الصلوة والحج في كونها من مباني الاسلام ولا شك في ان على المكلف تعبا في تمييز اجناس امواله واخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم توزيعه على الاصناف الثمانية كما سيأتي والتساهل فيه غير قادح في حظ الفقير ولكنه قادح في التعبد

[right margin, partly cut off at the edge of the scan:] ... الله ... الوجود وان كان ... الى المستحق والمشاع ... فقط كان كاذبا وكان ... ان اعلم الكاذب ... الموسوس يكلف نفسه ... حالة واحدة فينفصل ... القيام لا جل العالم ... الله في النية كاشتك ... حضار هذه الامور ... لم يفرغ من التكبير ... ولو كان مامورا به ... الامر على الناس ... الطالب نفسه بتحقيق ... المقصود المتعلقة بالنية ... **ثم ذكر** ذلك ترك ذكرها ... **قال رحمه الله** اعلم ان ما عدا ... ما نقل عن رسول ... التهجد وغيره لان السنة ... المواظبة عليه كما ...

وجوهه ... وهو اداء الزكوة ... على مقدار ... جاعة ... لا ... ان في المال حقوقا ... سوى الزكوة ... و ... بعض ... ينفقون ... وقبوله ... الله ... فانهم ... حبذوري الفرت ... ... فرض المسلم على المسلم ... ومعناه ... ... فضلا عن مال الزكوة ... ... اذ لا يجوز تضييع مسلم ... **الثالث** ... **الثاني** ... اسقط الزكوة عن نفسه ... الذين ينفقون ... الاخرة قال تعالى ... وسلمهم اليه وضعف ... بان له الجنة ... عن صفة البخل فانه من المهلكات ... من يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ... البخل بان يتعود بذل المال ... بهذا المعنى طهرة اي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك ... **المعنى الثالث** شكر النعمة فان لله تعالى على عبده نعمة في نفسه وفي ماله فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال ... **الوظيفة الثانية** ... في الوقت ... الله تعالى ... لا تسمح نفسه بان يؤدي ربع العشر او العشر ... الوجوب ... اظهار الرغبة في الامتثال ... وايصال السرور الى

قلوب

قلوب الفقراء ومبادرة لعوايق الزمان ان تعوق عن الخيرات وعلما بان في التاخير آفات مع ما يتعرض له العبد من العصيان لو اخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغي ان يغتنم فان ذلك لمة الملك وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فما اسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويامر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك فليغتنم الفرصة فيه وليعين لزكوته ان كان يؤديها جميعا شهرا معلوما وليجتهد ان يكون من افضل الاوقات ليكون ذلك سببا لنماء قربته وتضاعف زكوته وذلك كشهر المحرم فانه اول السنة وهو من الاشهر الحرم او رمضان فقد كان صلى الله عليه وآله اجود الخلق وكان في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا ولرمضان فضيلة ليلة القدر وانه انزل فيه القرآن وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فانه اسم من اسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان وذو الحجة ايضا من الشهور الكثير الفضل فانه شهر حرام وفيه الحج الاكبر وفيه الايام المعلومات وهي العشر الاول والايام المعدودات وهي ايام التشريق وافضل ايام شهر رمضان العشر الاواخر وافضل ايام ذي الحجة العشر الاول **الوظيفة الثالثة** الاسرار بها فان ذلك ابعد عن الريا والسمعة قال صلى الله عليه وآله افضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر وقال بعض العلماء ثلث من كنوز البر منها اخفاء الصدقة وقد روي ايضا مسندا وقال صلى الله عليه وآله ان العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله تعالى له سرا فان اظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب ريا وفي الحديث المشهور سبعة يظلهم الله تحت عرشه يوم لا ظل الا ظله احدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما اعطته يمينه وفي الخبر صدقة السر تطفئ غضب الرب وقال تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وفايدة الاخفاء الخلاص من آفة الريا والسمعة فقد قال صلى الله عليه وآله لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته يطلب السمعة والمعطي في ملأ من الناس يبغي الريا ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لان الزكاة ازالة البخل وتضعيف لحب المال وحب الجاه اشد استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد منهما مهلك في الآخرة ولكن صفة البخل تنقلب في القبر في حكم المثال عقربا لداغا وصفة الريا تنقلب في حكم المثال افعى

في القبر

[illegible]

الوظيفة الرابعة

[illegible]

الوظيفة الخامسة

[illegible]

فان قلت

[illegible]

فان قلت

[illegible]

الوظيفة السادسة

[illegible]

قال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ويقال ان الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله تعالى والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله تعالى وقيل لا يتم المعروف الا بثلث تصغيره وتعجيله وستره وليس الاستعظام هو المن والاذى فانه لو صرف ماله الى عمارة مسجد او رباط امكن فيه الاستعظام ولا يمكن المن والاذى بل العجب والاستعظام يجري في جميع العبادات ودواؤه علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم ان العشر وربع العشر قليل من كثير وانه قد قنع لنفسه باخس درجات البذل كما ذكرنا في فهم الوجوب فهو جدير بان يستحيي منه فكيف يستعظمه وان ارتقى الى الدرجة العليا فبذل كل ماله او اكثره فليتأمل انه من اين له المال والى ماذا يصرفه فالمال لله وله المنة عليه اذ اعطاه ثم وفقه لبذله فلم يستعظم في حق الله ما هو عين حق الله وان كان مقامه يقتضي ان ينظر الى الآخرة وانه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه اضعافه واما العمل فهو ان يعطيه عطاء الخجل من بخله بامساكه بقية ماله عن الله تعالى فيكون هيئته الانكسار والحياء كهيئة من يطالب برد وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض لان المال كله لله وبذل جميعه هو الاحب عند الله وانما لم يأمر به عبده لانه يشق عليه بسبب بخله كما قال تعالى فيحفكم تبخلوا **الوظيفة السابعة** ان ينتقي من ماله اجوده واحبه اليه واجله واطيبه فان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا واذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقع وفي حديث ابان طوبى لعبد انفق من مال اكتسبه من غير معصية واذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الادب اذ يمسك الجيد لنفسه او لعبده او اهله فيكون قد آثر على الله غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم اليه اردى طعام في بيته لاوغر به صدره هذا ان كان نظره الى الله وان كان نظره الى نفسه وثوابه في الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله الا ما تصدق به فابقى او اكل فافنى والذي يأكله قضاء وطر في الحال فليس من العقل قصور النظر على العاجلة وترك الادخار وقد قال تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه اي لا تاخذونه الا مع كراهية وحياء وهو معنى الاغماض فلا تؤثروا به ربكم وفي الخبر سبق درهم مائة الف درهم وذلك بان يخرجه الانسان وهو من احل ماله واجوده فيصدر ذلك عن

[illegible]
والفرح بالبذل [illegible]
[illegible] ابليس [illegible]
ولذلك ذم الله تعالى قوما [illegible] يجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار
وقف بعض القراء على [illegible] فقال [illegible]
اي كسب لهم فعلهم [illegible] **الوظيفة الثامنة** ان يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ولا يكتفي بان يكون من عموم الاصناف الثمانية فان في عمومهم خصوص صفات [illegible] وهي ست صفات **الصفة الاولى** ان يطلب الاتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة قال صلى الله عليه وآله لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي [illegible] وقال صلى الله عليه وآله اطعموا طعامكم الاتقياء واولوا معروفكم المؤمنين [illegible] وكان بعض العلماء يؤثر بالعطاء فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقراء لكان افضل فقال لا هؤلاء قوم همهم لله تعالى فاذا طرقتهم فاقة تشتت هم احدهم فلان ارد همة واحد الى الله احب الي من ان اعطي الفا ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولي من اولياء الله تعالى وقال ما سمعت منذ زمان كلاما احسن من هذا ثم حكي ان هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا ياخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه **الصفة الثانية** ان يكون من اهل العلم [illegible] وكان ابن المبارك رحمه الله يخصص بمعروفه اهل العلم فقيل له لو عممت فقال اني لا اعرف بعد مقام النبوة افضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب احدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم [illegible] **الصفة الثالثة** ان يكون صادقا في تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده انه اذا اخذ العطاء [illegible] ولم ينظر الى واسطة [illegible] لقمان لابنه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله تعالى فكانه لم يعرف المنعم ولم يتيقن ان الواسطة مقهور [illegible] الله تعالى عليه دواعي الفعل ويسر له الاسباب [illegible] ولو اراد تركه لم يقدر عليه [illegible] الله تعالى في قلبه ان صلاح دينه ودنياه في

فعله

صفة بقال

فعله فمهما قوي الباعث اوجب ذلك جزم الارادة وانتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة
الباعث القوي الذي لا تردد فيه والله خالق البواعث ومهيجها ومزيل الضعف والتردد عنها
ومسخر القدرة للانتهاض بمقتضى البواعث فمن تيقن هذا لم يكن له نظر الا الى مسبب الاسباب
ويقين مثل هذا العبد انفع للمعطي من ثناء غيره وشكره فذلك حركة لسان يقل في الاكثر
جدواه واعانة مثل هذا الموحد لا تضيع فاما الذي يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم
بالمنع ويدعو بالشر عند الايذاء واحواله متفاوتة وقد روي انه صلى الله عليه وآله بعث معروفا
الى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما اخذ قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا
يضيع من شكره ثم قال اللهم انك لم تنس فلانا يعني نفسه فاجعل فلانا لا ينساك فاخبر رسول
الله صلى الله عليه وآله بذلك فسر وقال علمت انه يقول ذلك فانظر كيف قصر التفاته
على الله وحده ورؤية الاشياء من غير الله وصف الكافرين قال الله تعالى واذا ذكر
الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون
ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسايط الا من حيث انهم وسايط فكانه لم ينفك عن
الشرك الخفي سره فليتق الله في تصفية توحيده عن كدورة الشرك وشوائبه **الصفة
الرابعة** ان يكون مستترا مخفيا حاجته لا يكثر البث والشكوى او يكون من اهل المروة
ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش في جلباب التجمل قال الله تعالى يحسبهم
الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا اي لا يلحون في السؤال
لانهم اغنياء بيقينهم اعزة بصبرهم وهذا ينبغي ان يطلب بالتفحص عن اهل الدين في كل محلة ويستكشف
عن بواطن احوال اهل الخير والتجمل فثواب صرف المعروف اليهم اضعاف ما يصرف الى المجاهرين
بالسؤال **الصفة الخامسة** ان يكون معيلا او محبوسا بمرض او بسبب من الاسباب فيوجد فيه معنى
قوله تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله اي حبسوا في طريق الآخرة بعيلة او ضيق معيشة
او اصلاح قلب لا يستطيعون ضربا في الارض لانهم مقصوصوا الجناح مقيدوا الاطراف

[illegible]

بهذه الاسباب [illegible]
كان [illegible] على مقدار العيلة [illegible] عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال **الصفة السادسة** ان يكون من الاقارب وذوي الارحام فتكون صدقة وصلة رحم وفي صلة الرحم من الثواب ما لا يحصى قال [illegible] لان اصل اخا من اخواني بدرهم احب الي من ان اتصدق بعشرين درهما ولان اصله بعشرين درهما احب الي من ان اتصدق بمائة درهم ولان اصله بمائة درهم احب الي من ان اعتق رقبة والاصدقاء واخوان الخير ايضا يقدمون على المعارف كما يتقدم الاقارب على الاجانب فليراع هذه الدقائق فهذه هي الصفات المطلوبة وفي كل صفة درجات فينبغي ان يطلب اعلاها فان وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ومهما اجتهد في ذلك واصاب فله اجران وان اخطا فله اجر واحد فان احد اجريه في الحال تطهيره نفسه عن صفة البخل وتاكيد حب الله تعالى في قلبه واجتهاده في طاعته وهذه الصفات هي التي تقوى في قلبه فتشوقه الى لقاء الله تعالى والاجر الثاني ما يعود اليه من فائدة دعوة الآخذ وهمته فان قلوب الابرار لها آثار في الحال والمآل فان اصاب حصل الاجران وان اخطا حصل الاول دون الثاني فبهذا يضاعف اجر المصيب في الاجتهاد ههنا وفي سائر المواضع والله اعلم [illegible] **بيان اسباب الاستحقاق ووظائف [illegible]** [illegible]
الاولى ان يفهم ان الله تعالى اوجب صرف [illegible] ويجعل همومه هما واحدا [illegible] ان يكون همهم واحدا وهو الله تعالى واليوم الآخر [illegible] وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولكن لما اقتضت الحكمة ان يسلط على العبد الشهوات والحاجات وهي تفرق همه اقتضى الكرم افاضة نعمة تكفي الحاجات فاكثر الاموال وصبها في ايدي عباده لتكون آلة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة [illegible] فمنهم من اكثر ماله فتنة وبلية فاقحمه في الخطر ومنهم من [illegible] كما يحمي المشفق [illegible] فزوى عنه فضولها وساق اليه قدر حاجته على يد الاغنياء ليكون سهل [illegible] والتعب

[illegible]

في الجمع والحفظ عليهم وفائدته صرف الى الفقراء المتجردين لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت
فلا يصرفهم عن ذلك فضول الدنيا ولا يشغلهم عن التأهب الفاقة وهذا منتهى النعمة فحق الفقير
ان يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق ان فضل الله عليه فيما زواه عنه اكثر من فضله فيما اعطاه كما سياتي في
تحقيقه ان شاء الله فليأخذ ما يأخذه من الله رزقا له وعونا له على الطاعة ولكن نيته فيه ان يتقوى
به على طاعته فان لم يقدر عليه فليصرفه الى ما اباحه الله تعالى فان استعان به على معصية الله كان
كافرا لانعم الله مستحقا للبعد والمقت من الله **الثانية** ان يشكر المعطي ويدعو له ويثني عليه ويكون
شكره ودعاؤه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله اليه وللطريق حق من
حيث جعله الله طريقا وواسطة وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله فقد قال صلى الله عليه وآله من
لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد اثنى الله على عباده في مواضع على اعمالهم وهو خالقها وخالق
القدرة عليها نحو قوله نعم العبد انه اواب الى غير ذلك وليقل القابض في دعائه طهر الله تعالى قلبك
في قلوب الابرار وزكى عملك في عمل الاخيار وصلى على روحك في ارواح الشهداء ومن تمام الشكر ان يستر
عيوب العطاء ان كان فيه عيب ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع اذا منع ويفخم عند نفسه وعند الناس
صنيعه ومن لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل وانما المنكر ان يرى الواسطة اصلا **الثالثة**
ان ينظر فيما يأخذه فان لم يكن من حله تورع عنه فمن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
ولن يعدم المتورع عن الحرام فتوحا من الحلال فلا يأخذن من اموال الاتراك والجنود وعمال السلاطين
ومن اكثر كسبه من الحرام الا اذا ضاق عليه الامر وكان ما يسلم اليه لا يعرف له مالكا معينا فله ان يأخذ
بقدر الحاجة **الرابعة** ان يتوقى مواقع الريبة والاشتباه في مقدار ما يأخذه فلا يأخذ
الا القدر المباح ولا يأخذ الا اذا تحقق انه موصوف بصفة الاستحقاق والورع ترك ما يريبه الى ما لا يريبه
ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه وللمحتاج في تقدير الحاجة مقامات في التضييق والتوسيع ولا
تنحصر مراتبه وميل الورع الى التضييق وميل المتساهل الى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجا الى فنون من
التوسيع وهو ممقوت في الشرع ثم اذا تحققت حاجته فلا يأخذن مالا كثيرا بل ما يتمم كفايته من وقت اخذه

الى فهذا [illegible]
سنة [illegible] رخص فيه [illegible]
[illegible] ان رسول الله صلعم [illegible]
ان السنة [illegible] قوت سنة [illegible]
[illegible] الزكوة والصدقة [illegible]
عليه وآله [illegible] فقال [illegible] غداه وعشاه [illegible] وقال آخرون [illegible] لنفسه ولكل واحد من عياله
الفقير والمسكين [illegible] العلماء في قدر الغنى [illegible] الزكوة الا على الاغنياء [illegible] قال من سأل وله [illegible]
للشوى [illegible] مع السؤال [illegible] درهما لما روى ابن مسعود ان النبي صلعم قال من سأل [illegible]
صلى الله عليه وآله نهى عن السؤال مع الغنى [illegible] فسئل وما غناه فقال خمسون درهما او قيمتها من الذهب [illegible]
عنه الغنى [illegible] وقال [illegible]
[illegible] فليتق الله فيه [illegible] الشبهات [illegible]
[illegible]

الفصل الرابع في صدقة التطوع

[illegible] فان لم تجدوا فبكلمة طيبة [illegible]
ولو بشق تمرة [illegible]
بن معاذ ما اعرف حبة تزن جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة [illegible]

بيان اخفاء الصدقة واظهارها قد اختلف طرق طلاب الاخلاص في ذلك فمال قوم الى ان الاخفاء افضل ومال قوم الى الاظهار ونحن نشير الى ما في كل واحد من المعاني والآفات ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه اما الاخفاء ففيه خمسة معان الاول انه ابقى للستر على الآخذ فان اخذه ظاهرا هتك ستر المروة وكشف عن الحاجة وخروج عن هيئة التعفف الثاني انه اسلم لقلوب الناس و السنتهم فانهم ربما يحسدون او ينكرون عليه اخذه ويظنون انه اخذ مع الاستغناء او ينسبونه الى اخذ زيادة والحسد وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبار وصيانتهم عن هذه الجرائم اولى وقال ايوب السختياني اني لاترك لبس الثوب الجديد خشية ان يحدث في جيراني حسد وقال بعض الزهاد ربما تركت استعمال الشيء لاجل اخواني يقولون من اين له هذا الثالث اعانة المعطي على اسرار العمل فان فضل السر على الجهر في الاعطاء اكثر والاعانة على اتمام المعروف معروف والكتمان لا يتم الا باثنين اعطى رجل بعض الصوفية شيئا في الملأ فرده فقال لم ترد على الله ما اعطاك فقال انك اشركت غير الله فيما لله ولم تقنع بعين الله عز وجل فرددت عليك شركك الرابع ان في اظهار الاخذ ذلا وامتهانا وليس للمؤمن ان يذل نفسه كان بعض العلماء ياخذ في السر ولا ياخذ في العلانية ويقول ان في اظهاره اذلالا للعلم وامتهانا لاهله فما كنت بالذي ارفع شيئا من الدنيا بوضع العلم و اذلال اهله الخامس الاحتراز عن شبهة الشركة قال صلعم من اهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها واما الاظهار والتحدث به ففيه معان اربعة الاول الاخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والمراياة والثاني اسقاط الجاه والمنزلة واظهار العبودية والمسكنة والتبري عن الكبرياء ودعوى الاستغناء واسقاط النفس عن اعين الخلق قال بعض العارفين لتلميذه اظهر الاخذ على كل حال ان كنت آخذا فانك لا تخلو عن احد رجلين رجل تسقط من قلبه اذا فعلت ذلك فذلك هو المراد لانه اسلم لدينك واقل لآفات نفسك او رجل تزداد في قلبه باظهارك الصدق فذلك هو الذي يريده اخوك لانه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه اياك فتوجر انت اذ كنت سبب مزيد ثوابه الثالث هو ان العارف لا نظر له الا الى الله والسر والعلانية في حقه واحد فاختلاف الحال شرك في التوحيد قال بعضهم كنا لا نعبأ بدعاء من ياخذ في السر ويرد في العلانية والالتفات

الى [illegible] حضروا [illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible] كان كثير الميل [illegible] فاراد ان
[illegible] الشيخ على الآخرين ذلك [illegible] قال له اريد
[illegible] فاعطى كل واحد منهم طائرا وقال له اذبحه بحيث لا يراك احد [illegible]
الى واحد [illegible] فذبح كل واحد [illegible] فقال [illegible]
[illegible]

الرابع [illegible]

[illegible] فادعوا له حتى تعلموا انكم قد كافأتموه [illegible] اذا عرفت هذه المعاني فاعلم ان [illegible]
[illegible] الاظهار افضل [illegible]
[illegible] اخذه للصدقة [illegible]

اليه اشغل على عن انكشاف امر غيره فتقديره الحذر من هذه المعاني اغاليط واباطيل من مكر الشيطان وخدعه فان اذلال العلم محذور من حيث انه علم لا من حيث انه علم زيد او علم عمرو والغيبة محذورة من حيث انها تعرض لعرض مصون لا من حيث انها تعرض لعرض زيد على الخصوص ومن احسن ملاحظة مثل هذا ربما يعجز الشيطان عنه والا فلا يزال كثير العمل قليل الحظ واما جانب الاظهار فميل الطبع اليه من حيث انه تطييب لقلب المعطي واستحثاث له على مثله واظهار عند غيره انه من المبالغين في الشكر حتى يرغبوا في اكرامه وتفقده وهذا داء دفين في الباطن والشيطان لا يقدر على المتدين الا بان يروج عليه هذا الخبث في معرض السنة ويقول له الشكر من السنة والاخفاء من الرياء ويورد عليه المعاني التي ذكرناها ليحمله على الاظهار وقصده الباطن ما ذكرناه ومعيار ذلك ومحكه ان ينظر الى ميل نفسه الى الشكر حيث لا ينتهي الخبر الى المعطي ولا الى من يرغب في عطائه وبين يدي جماعة يكرهون اظهار العطية ويرغبون في اخفائها وعادتهم ان لا يعطون الا من يخفي ولا يشكر فان استوت هذه الاحوال عنده فليعلم ان باعثه هو اقامة السنة في الشكر و التحدث بالنعمة والا فهو مغرور ثم اذا علم ان باعثه السنة فلا ينبغي ان يغفل عن قضاء حق المعطي فينظر فان كان هو ممن يحب الشكر والنشر فينبغي ان يخفي ولا يشكر لان قضاء حقه ان لا ينصره على الظلم وطلبه الشكر ظلم واذا علم انه لا يحب الشكر ولا يقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته ولذلك قال صلعم للرجل الذي مدح بين يديه ضربت عنقه لو سمعها ما افلح مع انه عليه السلم كان يثني على قوم في وجوههم لثقته بيقينهم وعلمه بان ذلك لا يضرهم بل يزيد في رغبتهم في الخير فقال لواحد انه سيد اهل الوبر وقال في آخر اذا جاءكم كريم قوم فاكرموه وسمع كلام رجل فاعجبه فقال ان من البيان لسحرا وقال اذا علم احدكم من اخيه خيرا فليخبره فانه يزداد رغبة في الخير وقال عليه السلم اذا مدح المؤمن ربا الايمان في قلبه وقال الثوري من عرف نفسه لم يضره مدح الناس فدقائق هذه المعاني ينبغي ان يلحظها من يراعي قلبه فان اعمال الجوارح مع اهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان وشماتة له لكثرة التعب وقلة النفع ومثل هذا العلم هو الذي يقال فيه ان تعلم مسئلة

واصفه من افضل من [illegible] عبادة [illegible] العمر [illegible] الا ان يكمل المعرفة بحيث يستوي السر والعلانية **بيان** الافضل اخذ الصدقة او الزكوة كان ابراهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون ان الاخذ من الصدقة افضل فان في اخذ الزكوة مزاحمة للمساكين وتضييقا عليهم ولانه ربما لا يكمل في اخذه صفة الاستحقاق كما وصف في الكتاب واما الصدقة فالامر فيها اوسع وقال قائلون ياخذ من الزكوة دون الصدقة لانها اعانة على واجب ولان الزكوة لا منة فيها وانما هي حق واجب لله تعالى رزقا لعباده المحتاجين ولانه اخذ بالحاجة والانسان يعلم حاجة نفسه قطعا واخذ الصدقة اخذ بالدين فان الغالب ان المتصدق يعطي من يعتقد فيه خيرا والقول الحق في هذا ان هذا يختلف باختلاف الاحوال فان كان في شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغي ان ياخذ الزكوة فاذا علم انه مستحق قطعا كما اذا حصل عليه دين صرفه الى خير وليس له وجه في قضائه فهو مستحق قطعا فاذا خير هذا بين الزكوة والصدقة فان كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال لولا اخذه فلياخذ الصدقة فان الزكوة الواجبة يصرفها صاحبها الى مستحقها ففي ذلك تكثير للخير وتوسيع على المساكين وان كان المال معرضا للصدقة ولم يكن في اخذ الزكوة تضييق على المساكين فهو مخير والامر فيهما متقارب واخذ الزكوة اشد في كسر النفس واذلالها في اغلب الاحوال

كتاب اسرار الصيام ومهماته

بعد الحمد والصلوة على محمد وآله

ان الصوم ربع الايمان بمقتضى قوله صلى الله عليه وآله الصوم نصف الصبر وبمقتضى قوله الصبر نصف الايمان ثم هو متميز بخاصية النسبة الى الله تعالى من بين سائر الاركان اذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه كل حسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف

الا

الا الصوم فانه لي وانا اجزي به وقد قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب وناهيك في معرفة فضله قوله صلى الله عليه وآله والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك وقال صلى الله عليه وآله للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه وقيل في قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون قيل عملهم الصيام لانه قال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فيفرغ للصابر جزاؤه افراغا ويجازف جزافا فلا يدخل تحت وهم وتقدير وجدير بان يكون كذلك لان الصوم انما كان له ومشرفا بالنسبة اليه وان كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة اليه والارض كلها له لمعنيين احدهما ان الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يراه الا الله تعالى فانه عمل في الباطن بالصبر المجرد والثاني انه قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان الشهوات وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب ولذلك قال صلى الله عليه وآله ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وسياتي فضائل الجوع في كتاب كسر الشهوتين من ربع المهلكات انشاء الله فلما كان الصوم قمعا للشيطان وسدا لمسالكه وتضييقا لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة الى الله تعالى ففي قمع عدو الله نصرة الله ونصرة الله موقوفة على النصرة له قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم فالبداية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله ولذلك قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وانما التغيير بكسر الشهوات فهي مرتع الشياطين ومرعاهم فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم وما داموا يترددون فلا ينكشف للعبد جلال الله وكان محجوبا عن لقائه قال رسول الله صلى الله عليه وآله لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة واذ عظمت فضيلته الى هذا الحد فلا بد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر اركانه وسننه وشروطه الباطنة ونبين ذلك بثلثة فصول الفصل الاول في الواجبات والسنن الظاهرة و

الفصل الثاني في اسرار الصوم وشروطه الباطنة **اعلم** ان للصوم ثلث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص اما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله واما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وساير الجوارح عن الآثام واما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية وكفه عما سوى الله بالكلية و

ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله واليوم الآخر وبالفكر في الدنيا الا دنيا تراد للدين فان ذلك من زاد الآخرة وليس من الدنيا حتى قال ارباب القلوب من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله وقلة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الانبياء والصديقين والمقربين ولا نطول النظر في تفصيله قولا ولكن في تحقيقه عملا فانه اقبال بكنه الهمة على الله وانصراف عن غير الله وتلبس بمعنى قوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون واما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الآثام وتمامه بستة امور **الاول** غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر الى كل ما يذم ويكره والى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله قال صلى الله عليه وآله النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله آتاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وروي عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة **الثاني** حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء والزامه السكوت وشغله بذكر الله وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان وقد قال سفيان الغيبة تفسد الصوم رواه بشر بن الحارث عنه وروى ليث عن مجاهد خصلتان يفسدان الصيام الغيبة والكذب وقال صلى الله عليه وآله انما الصوم جنة فاذا كان احدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل **الثالث** كف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه لان كل ما حرم قوله حرم الاصغاء اليه ولذلك سوى الله تعالى بين المستمع وآكل السحت فقال تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت **الرابع** كف بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرجل عن المكاره وكف البطن عن الشبهات وقت الافطار فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فمثال هذا الصائم مثال من يبني قصرا ويهدم مصرا فان الطعام الحلال انما يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره اذا عدل الى تناول السم كان سفيها والحرام سم مهلك للدين والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم تقليله وقد قال صلى الله عليه وآله كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش فقيل هو الذي يفطر على الحرام

حرام وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام **الخامس** ان لا يستكثر من الحلال وقت الافطار بحيث يمتلي فما من وعاء ابغض الى الله من بطن ملي من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة اذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه في الوان الطعام حتى استمرت العادات بان يدخر جميع الاطعمة لرمضان فيؤكل من الاطعمة فيه ما لا يؤكل في عدة اشهر ومعلوم ان مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى واذا دفعت المعدة ضحوة النهار الى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم اطعمت من اللذات واشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود الى الشرور ولن يحصل ذلك الا بالتقليل وهو ان ياكل الاكلة التي كان ياكلها كل ليلة لو لم يصم فاما اذا جمع ما كان ياكل ضحوة الى ما كان ياكل ليلا فلم ينتفع بصومه بل من الآداب ان لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم في كل ليلة قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجده واوراده فعسى الشيطان لا يحوم على قلبه فينظر الى ملكوت السماء وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت وهو المراد بقوله انا انزلناه في ليلة القدر ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب ومن اخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله وذلك هو الامر كله ومبدا جميع ذلك تقليل الطعام وسياتي له مزيد بيان في كتاب الاطعمة انشاء الله **السادس** ان يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء اذ ليس يدري ايقبل صومه فهو من المقربين او يرد عليه فهو من الممقوتين وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها فقد روي عن الحسن بن ابي الحسن انه مر بقوم يوم العيد وهم يضحكون فقال ان الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق اقوام ففازوا وتخلف اقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون اما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن باحسانه والمسيء باساءته اي كان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك وعن الاحنف بن قيس انه قيل له انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك فقال اني اعده لشر طويل والصبر على طاعة الله

بيان ليلة القدر

فان قلت ... [illegible]

ولولا انه من امانات القصد لما قال فليقل اني صائم اني اني اودعت لسان لا احفظ فكيف اطلقه بجوابك فاذن قد ظهر ان لكل عبادة ظاهرا وباطنا وقشرا ولبا وللقشور درجات ولكل درجات طبقات فاليك الخيرة الآن في ان تقنع بالقشر عن اللباب او تتحيز الى غمار ارباب الالباب

الفصل الثالث في التطوع بالصيام وترتيب الاوراد فيه

اعلم ان استحباب الصوم يتأكد في الايام الفاضلة وفواضل الايام بعضها يوجد في كل سنة وبعضها في كل شهر وبعضها في كل اسبوع اما في السنة فبعد ايام شهر رمضان فيوم عرفة ويوم عاشورا والعشر الاول من ذي الحجة والعشر الاول من المحرم وجميع الاشهر الحرم مظان الصوم وهي اوقات فاضلة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يكثر صوم شعبان حتى كان يظن انه من رمضان و في الخبر افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله تعالى المحرم ولانه ابتداء السنة فبناؤه على الخير احب وارجى لدوام بركته وفي الخبر اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان ولهذا يستحب ان يفطر قبل رمضان اياما والاشهر الفاضلة ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان والاشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ثلثة سرد وواحد فرد وافضلها ذو الحجة لان فيه الحج والايام المعلومات والمعدودات وذو القعدة من الاشهر الحرم وهو من اشهر الحج وشوال من اشهر الحج وليس من الحرم والمحرم ورجب ليسا من اشهر الحج وفي الخبر ما من ايام العمل فيهن افضل واحب الى الله من ايام عشر ذي الحجة ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد الا من عقر جواده واهريق دمه واما ما يتكرر في الشهر فاول الشهر واوسطه وآخره ووسطه الايام البيض واما في الاسبوع فالاثنين والخميس والجمعة فهذه هي الايام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات ليتضاعف اجرها ببركة هذه الاوقات **واما صوم** الدهر فانه شامل للكل وزيادة وللسالكين فيه طرق فمنهم من كره ذلك اذ وردت اخبار تدل على كراهته والصحيح انه انما كره لشيئين احدهما ان لا يفطر في العيدين وايام التشريق فهو الدهر كله والآخر ان يرغب عن السنة في الافطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه مع ان الله تعالى يحب ان تؤتى رخصه فاذا لم يكن شيء من ذلك ورأى صلاح نفسه في صوم الدهر فليفعل ذلك فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين لهم باحسان وقال صلى الله عليه وآله فيما رواه ابو موسى الاشعري من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم

[illegible]

كتاب اسرار الحج [illegible]

ذكر رحمه الله في بيان فضيلة البيت ومكة اخبارا كثيرة منها

قال رحمه الله وفي الخبر ان الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة وانه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وكان صلى الله عليه وآله يقبله كثيرا وروي انه عليه السلام سجد عليه وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن وقبله عمر ثم قال اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبلك لما قبلتك ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت الى وراءه فرأى عليا عليه السلام فقال يا ابا الحسن ههنا تسكب العبرات فقال علي عليه السلام يا امير المؤمنين بل هو يضر وينفع قال وكيف قال ان الله تعالى لما اخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم القمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك ثم قال رحمه الله وقال لا تغرب الشمس من يوم الا يطوف بهذا البيت رجل من الابدال ولا يطلع الفجر من ليلة الا طاف به واحد من الاوتاد واذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الارض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى لها اثر وهذا اذا اتى عليها سبع سنين لم يحجها احد ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فاذا الورق ابيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس الى الاشعار والاغاني واخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب يتوقع ولادها وفي الخبر استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل ان يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة وروي عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال قال الله تعالى اذا اردت ان اخرب الدنيا بدأت ببيتي فخربته ثم اخرب الدنيا على اثره

[illegible]

مران يكون فيه وانت متبرم بالمقام وقلبك في بلد آخر وقال ان لله تعالى عبادا يطوف بهم الكعبة تقربا الى الله عز وجل **الثالث** الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فان ذلك محظور بالحرى ان يورث مقت الله لشرف الموضع روى عن وهيب بن الورد المكي قال كنت ذات ليلة في الحجر اصلي فسمعت كلاما بين الكعبة والاستار يقول الى الله تعالى اشكوا ثم اليك يا جبرئيل ما القى من الطائفين حولي من تفكههم في الحديث ولغوهم ولهوهم لئن لم ينتهوا عن ذلك لانتفضن انتفاضة يرجع كل حجر مني الى الجبل الذي قطع منه وقال ابن مسعود ما من بلد يؤاخذ العبد فيه بالهم قبل العمل الا مكة وتلا قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم اي انه على مجرد الارادة وقال السيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات ثم ذكر رحمه الله شرائط وجوب الحج واركانه واحكامه على التفصيل ثم اورد الباب الثالث في بيان ترتيب الاعمال الظاهرة من اول السفر الى الرجوع ثم ذكر الباب الثالث في بيان الآداب الدقيقة والاعمال الباطنة قال رحمه الله **وهي عشرة الاول** ان يكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية عن تجارة تشغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا لله والقلب مطمئنا منصرفا الى ذكر الله وتعظيم شعايره وقد روي في خبر من طريق اهل البيت اذا كان آخر الزمان خرج الناس للحج اربعة اصناف سلاطينهم للنزهة واغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسئلة وقراؤهم للسمعة وفي الخبر اشارة الى جملة اغراض الدنيا التي يتصور ان يتصل بالحج وكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص لاسيما اذا كان متجردا بنفس الحج بان يحج لغيره باجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة وقد كره الورعون وارباب القلوب ذلك الا ان يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا باس ان ياخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين الى الدنيا بل بالدنيا الى الدين وعند ذلك ينبغي ان يكون قصده زيارة بيت الله ومعاونة اخيه المسلم باسقاط الفرض عنه وفي مثله ينزل قوله صلى الله عليه وآله يدخل الله تعالى بالحجة الواحدة ثلثة الجنة الموصي بها والمنفذ لها ومن حج بها عن اخيه ولست اقول لا يحل الاجرة او يحرم ذلك بعد ان اسقط فرض الاسلام عن نفسه ولكن الاولى ان لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره فان الله يعطي الدنيا بالدين ولا يعطي الدين بالدنيا وفي الخبر مثل الذي يغزو في سبيل الله تعالى وياخذ اجرا مثل ام موسى ترضع ولدها وتاخذ اجرها فمن كان مثاله في اخذ الاجرة على الحج مثال ام موسى فلا باس باخذه فانه ياخذ ليتمكن من الحج والزيارة وليس يحج لياخذ الاجرة كما كانت ام موسى تاخذ ليتيسر لها الارضاع بتلبيس حالها عليهم

قال رحمه الله في فضيلة المدينة وساير البلاد ما بعد مكة بقعة افضل من مدينة الرسول صلى الله عليه وآله فالاعمال فيها ايضا تتضاعف قال صلى الله عليه وآله صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام وكذلك كل عمل بالمدينة بالف وبعد المدينة الارض المقدسة فان الصلوة فيها بخمسمائة وكذا ساير الاعمال وذكر اخبارا

ثم قال وما بعد هذه البقاع الثلث فالمواضع فيها متساوية الا الثغور فان المقام بها للمرابطة فيه فضل ولذلك قال صلى الله عليه وآله لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد ذهب بعض العلماء الى الاستدلال بهذا الحديث في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء وما تبين لي ان الامر ليس كذلك بل الزيارة ماموربها قال صلى الله عليه وآله كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها والحديث انما ورد في المساجد وليس في معناها المشاهد لان المساجد بعد المساجد الثلثة متماثلة ولا بلدة الا وفيها مسجد فلا معنى للرحلة الى مسجد آخر واما المشاهد فلا تتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله

ثم قال رحمه الله هذا في الرحلة اما المقام فالاولى بالمريد ان يلازم مكانه اذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم حاله في وطنه فان لم يسلم فليطلب من المواضع ما هو اقرب الى الخمول واسلم للدين وافرغ للقلب وايسر للعبادة فهو افضل المواضع له قال صلى الله عليه وآله البلاد بلاد الله والعباد عباده فاي موضع رايت فيه رفقا فاقم واحمد الله تعالى وفي الخبر من رزق من شيء فليلزمه ومن جعلت معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه وقال ابو نعيم رايت سفيان الثوري وفي حكاية اخرى بلغني قرية فيها رخص اقيم بها قال فقلت وتفعل هذا يا ابا عبد الله قال نعم اذا سمعت ان بلدا رخص فاقصده فانه اسلم لدينك واقل لهمك وقال يقول هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان التنقل ينتقل الانسان من قرية الى قرية يفر بدينه من الفتن وقال ابو حازم عزمت على المجاورة بمكة فاوصني فقال اوصيك بثلث لا تصلين في الصف الاول ولا تصحبن قرشيا ولا تظهرن صدقة وانما كره الصف الاول لانه يشتهر فيفتقد اذا غاب فيختلط بعمله التزين والتصنع

[illegible]

والمتكبر من حج رسول الله صلى الله عليه وآله على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها اربعة دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس الى هديه وشمائله وقال خذوا عني مناسككم وقيل ان هذه المحامل احدثها الحجاج وكان العلماء في وقته ينكرونها **السابع** ان يكون رث الهيئة اشعث اغبر غير مستكثر من الزينة ولا مايل الى اسباب التفاخر والتكاثر فيكتب من المتكبرين والمترفهين ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين فقد امر صلى الله عليه وآله بالشعث والاحتفاء ونهى عن التنعم والرفاهية في حديث فضالة بن عبيد وقال تعالى ثم ليقضوا تفثهم والتفث الشعث والاغبرار وقضاؤه بالحلق وقص الاظفار **الثامن** ان يرفق بالدابة ولا يحملها ما لا يطيق والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها كان اهل الورع لا ينامون على الدواب الا غفوة عن قعود وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال صلى الله عليه وآله لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب ان ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وفيه آثار عن السلف قال ابو الدرداء لبعير له عند الموت يا ايها البعير لا تخاصمني الى ربك فاني لم اكن احملك فوق طاقتك وعلى الجملة ففي كل كبد حرى اجر فليراع حق الدابة وحق المكاري جميعا **التاسع** ان يتقرب باراقة دم وان لم يكن واجبا عليه ويجتهد ان يكون من سمين النعم ونفيسه **العاشر** ان يكون طيب النفس بما انفقه من نفقة وهدي وبما اصابه من خسران ومصيبة في مال وبدن ان اصابه ذلك فان ذلك من دلايل قبول حجه فان المصيبة في طريق الحج تعدل النفقة في سبيل الله الدرهم بسبعمائة وهو بمثابة الشدايد في طريق الجهاد فله بكل اذى احتمله وخسران اصابه ثواب ولا يضيع شيء منه عند الله تعالى وقال ان من علامة قبول الحج ترك ما كان عليه من المعاصي وان يستبدل باخوانه البطالين اخوانا صالحين وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر والتيقظ **بيان الاعمال الباطنة** ووجه الاخلاص في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لاسرارها ومعانيها من اول الحج الى آخره **اعلم** ان اول الحج الفهم اعني فهم موقع الحج من الدين ثم الشوق اليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة منه ثم شراء ثوب الاحرام ثم شراء الزاد ثم اكتراء الراحلة ثم الخروج ثم السير في البادية ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الافعال كما سبق وفي كل واحد من هذه الامور تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد

مع النية

[illegible]

الصادق [illegible] ونعوذ بالله من [illegible] اسبابها [illegible] قلبه وطهارته [illegible] سبحانه [illegible] لكل حاج من اسرارها ما [illegible] **امّا الفهم** اعلم ان لا وصول الى الله سبحانه الا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات ولاجل هذا انفرد الرهبانيون [illegible] عن الخلق وانحازوا الى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الانس بالله تعالى فتركوا اللذات الحاضرة والزموا انفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الآخرة واثنى الله تعالى عليهم في كتابه فقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك واقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله وفتروا عنه بعث الله سبحانه وتعالى محمدا صلى الله عليه وآله لاحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها فسأله اهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال صلى الله عليه وآله وسلم ابدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعني الحج وسئل عن السائحين فقال هم الصائمون فانعم الله سبحانه على هذه الامة بان جعل الحج رهبانية لهم فشرف البيت بالاضافة الى نفسه ونصبه مقصدا لعباده وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما لامره وجعل عرفات كالميدان على فناء حوضه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل اوب سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه عن ان يحويه بيت او يكتنفه بلد ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم واتم في اذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها اعمالا لا تأنس بها النفوس ولا تهتدي الى معانيها العقول كرمي الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية فان الزكاة ارفاق ووجهه مفهوم وللعقل اليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي آلة عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله سبحانه بافعال هي هيئة التواضع وللنفوس انس بتعظيم الله تعالى فاما ترددات السعي ورمي الجمار وامثال هذه الاعمال فلا حظ للنفوس ولا انس للطبع فيها ولا اهتداء للعقل الى معانيها

فلا يكون في الاقدام عليها باعث الا الامر المجرد وقصد الامتثال للامر من حيث انه امر واجب الاتباع فقط وفيه عزل العقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل انسه فان كل ما ادرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للامر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال صلى الله عليه وآله في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ولم يقل ذلك في صلوة وغيرها واذا اقتضت حكمة الله تعالى ربط نجاة الخلق بان يكون اعمالهم على خلاف هوى طباعهم وان يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في اعمالهم على سنن الانقياد على مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى الى معانيه ابلغ انواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والاخلاق الى مقتضى الاسترقاق واذا تفطنت لهذا فهمت ان تعجب النفوس من هذه الافعال العجيبة مصدره الذهول عن اسرار التعبدات وهذا القدر كاف في تفهيم اصل الحج **امّا الشوق** فانما ينبعث بعد الفهم والتحقق بان البيت بيت الله وانه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد الى الله وزائر له وان من قصد البيت في الدنيا جدير بان لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في ميعاده المضروب له وهو النظر الى وجه الله الكريم في دار القرار من حيث ان العين القاصرة الفانية في دار الدنيا لا تتهيأ لقبول نور النظر الى وجه الله ولا تطيق احتماله ولا تستعد للاكتحال به لقصورها وانها ان امدت في الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن اسباب التغير والفناء استعدت للنظر والابصار ولكنها بقصد البيت والنظر اليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم والشوق الى لقاء الله يشوقه الى اسباب اللقاء لا محالة هذا مع ان المحب مشتاق الى كل ماله الى محبوبه اضافة والبيت مضاف الى الله تعالى فبالحرى ان يشتاق اليه لمجرد هذه الاضافة فضلا عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل **وامّا العزم** فليعلم انه بعزمه قاصد الى مفارقة الاهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجها الى زيارة بيت الله فليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم انه عزم على امر رفيع شانه خطير امره وان من طلب عظيما خاطر بعظيم وليجعل عزمه خالصا لوجه الله تعالى بعيدا عن شوائب الرياء والسمعة وليتحقق انه لا يقبل من قصده وعمله الا الخالص وان من افحش الفواحش ان يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره وليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه باخلاصه واخلاصه باجتناب كل ما فيه رياء وسمعة وليحذر ان يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير **وامّا**

وامّا قطع العلايق فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله عن جملة المعاصي فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلبيبه ينادي عليه ويقول له الى اين تتوجه اتقصد بيت ملك الملوك وانت مضيع امره في منزلك هذا ومستهين به ومهمل له او لا تستحيي من ان تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك فان كنت راغبا في قبول زيارتك فنفذ اوامره ورد المظالم وتب اليه اولا من جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات الى ما وراءك لتكون متوجها اليه بوجه قلبك كما انك متوجه الى بيته بوجه ظاهرك فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك اولا الا النصب والشقاء واخرا الا الطرد والرد وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر ان لا يعود اليه وليكتب وصيته لاهله واولاده فان المسافر وماله لعلى قلت الا ما وقى الله وليتذكر عند قطعه العلايق لسفر الحج قطع العلايق لسفر الآخرة فان ذلك بين يديه على القرب وما يقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقر واليه المصير فلا ينبغي ان يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا السفر **وامّا الزاد** فليطلبه من موضع حلال واذا احس من نفسه الحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكر ان سفر الآخرة اطول من هذا السفر وان زاده التقوى وان ما عداه مما يظن انه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه كالطعام الرطب الذي يفسد في اول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيرا محتاجا لا حيلة له فليحذر ان يكون اعماله التي هي زاده الى الآخرة لا تصحبه بعد الموت بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير **وامّا الراحلة** اذا احضرها فليشكر الله سبحانه بقلبه على تسخير الله له الدواب لتحمل عنه الاذى وتخفف عنه المشقة وليتذكر عنده المركب الذي يركبه الى الدار الآخرة وهي الجنازة التي يحمل عليها فان امر الحج من وجه يوازي امر السفر الى الآخرة ولينظر ايصلح سفره على هذا المركب لان يكون زادا له لذلك السفر على ذلك المركب فما اقرب ذلك منه وما يدريه لعل الموت قريب ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمل وركوب الجنازة مقطوع به وتيسير اسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاط في اسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر في زاده وراحلته ويهمل امر السفر المستيقن **وامّا شراء ثوب الاحرام** فليتذكر عنده

الكفن

الكفن ولفه فيه فانه سيرتدي ويتزر بثوبي الاحرام عند القرب من بيت الله وربما لا يتم سفره اليه وانه سيلقى الله تعالى ملفوفا بثياب الكفن لا محالة فكما لا يلقى بيت الله الا مخالفا عادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله بعد الموت الا في زي يخالف زي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب اذ ليس فيهما مخيط ولا مخيط كما في الكفن **وامّا الخروج من البلد** فليعلم عنده انه فارق الاهل والوطن متوجها الى الله في سفر لا يضاهي اسفار الدنيا فليحضر في قلبه انه ماذا يريد واين يتوجه وزيارة من يقصد وانه متوجه الى ملك الملوك في زمرة الزائرين له الذين نودوا فاجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا فقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق واقبلوا على بيت الله الذي فخم امره وعظم شانه ورفع قدره تسلية بلقاء البيت عن لقاء رب البيت الى ان يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر الى مولاهم وليحضر في قلبه رجاء الوصول والقبول لا ادلالا باعماله في الارتحال ومفارقة الاهل والمال ولكن ثقة بفضل الله ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج انه ان لم يصل وادركته المنية في الطريق لقي الله تعالى وافدا اليه اذ قال جل اسمه ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله **وامّا دخوله البادية** الى حين وصوله الى الميقات ومشاهدة تلك العقبات فليتذكر به ما بين الخروج من الدنيا بالموت الى ميقات القيمة وما بينهما من الاهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الافاعي والحيات ومن انفراده عن اهله واقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في اعماله واقواله متزودا لمخاوف القبر **وامّا الاحرام والتلبية من الميقات** فليعلم ان معناه اجابة نداء الله تعالى فارج ان يكون مقبولا واخش ان يقال لك لا لبيك ولا سعديك فكن بين الرجاء والخوف مترددا وعن حولك وقوتك متبرئا وعلى فضل الله وكرمه متكلا فان وقت التلبية هو بداية الامر وهو محل الخطر قال سفين بن عيينة حج علي بن الحسين فلما احرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع ان يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال اخشى ان يقول لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى

فلما لبى غشي عليه ووقع عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه وقال احمد بن ابي الحواري كنت مع ابي سليمان الداراني حين اراد الاحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا واخذته الغشية ثم افاق وقال يا احمد ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلم مر ظلمة بني اسرائيل ان يقلوا من ذكري فاني اذكر من ذكرني منهم باللعنة ويحك يا احمد بلغني ان من حج من غير حله ثم لبى قال الله تعالى لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما في يديك فما نامن ان يقال لنا ذلك وليتذكر الملبي عند رفع الصوت بالتلبية في الميقات اجابته لنداء الله تعالى اذ قال واذن في الناس بالحج ونداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات القيمة مجيبين لنداء الله تعالى ومنقسمين الى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين في اول الامر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الميقات حيث لا يدرون ايتيسر لهم اتمام الحج وقبوله ام لا **واما دخول مكة** فليتذكر عنده انه قد انتهى الى حرم الله تعالى آمنا وليرج عنده ان يامن بدخوله من عقاب الله وليخش ان لا يكون اهلا للقرب فيكون بدخوله الحرم خائبا مستحقا للمقت وليكن رجاؤه في جميع الاوقات غالبا فالكرم عميم والرب رحيم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام المستجير اللائذ غير مضيع **واما وقوع البصر** على البيت فينبغي ان يحضر عند ذلك عظمة البيت في القلب ويقدر كانه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه وارج ان يرزقك الله تعالى النظر الى وجهه الكريم كما رزقك النظر الى بيته العظيم واشكر الله تعالى على تبليغه اياك هذه الرتبة والحاقه اياك بزمرة الوافدين اليه واذكر عند ذلك انصباب الناس في القيمة الى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ثم انقسامهم الى ماذونين في الدخول ومصروفين انقسام الحاج الى مقبولين ومردودين ولا تغفل عن تذكر امور الآخرة في شي مما تراه فان كل احوال الحاج دليل على احوال الآخرة **واما الطواف بالبيت** فاعلم انه صلوة فاحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه في كتاب الصلوة واعلم انك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظنن ان المقصود طوافك بجسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا تبتدي الذكر الا منه

ولا

ولا تختم الا به كما تبتدي الطواف من البيت وتختم بالبيت واعلم ان الطواف الشريف
هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي
لا تشاهد بالبصر وهي في عالم الملكوت كما ان البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد
بالبصر وهو في عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة مدرجة الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح
له الباب والى هذه الموازنة وقعت الاشارة بان البيت المعمور في السموات بازاء الكعبة وان
طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف
امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بان من تشبه بقوم فهو منهم والذي يقدر على مثل ذلك
الطواف هو الذي يقال ان الكعبة تزوره وتطوف به على ما راه بعض المكاشفين لبعض
اوليا الله تعالى **واما الاستلام** فاعتقد عنده انك مبايع لله على طاعته فصمم عزيمتك
على الوفا ببيعتك فمن غدر في المبايعة استحق المقت وقد روى ابن عباس عنه صلعم انه قال الحجر يمين الله
في الارض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل اخاه **واما التعلق باستار الكعبة** والالتصاق
بالملتزم فلتكن نيتك في الالتزام طلب القرب حبا وشوقا الى البيت والى رب البيت وتبركا بالمماسة
ورجا للتحصن من النار في كل جز لا في البيت ولتكن نيتك في التعلق بالستر الالحاح في طلب
المغفرة وسوال الامان كالمذنب المتعلق بثياب من اذنب اليه المتضرع اليه في عفوه عنه المظهر له
انه لا ملجا له منه الا اليه ولا مفزع له الا عفوه وكرمه وانه لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل الامن
في المستقبل **واما السعي بين الصفا والمروة** في فنا البيت يضاهي تردد العبد بفنا دار
الملك جائيا وذاهبا مرة بعد اخرى اظهارا للخلوص في الخدمة ورجا للملاحظة بعين الرحمة كالذي
دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه من قبول ورد فلا يزال يتردد على فنا
الدار مرة بعد اخرى رجا ان يرحم في الثانية ان لم يرحم في الاولى وليتذكر عند تردده بين الصفا
والمروة تردده بين كفتي الميزان في عرصات القيمة وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات
وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرا الى الرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران **واما**

الوقوف بعرفة فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الاصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم في الترددات على المشاعر اقتفاء لهم وسيرا بسيرهم عرصات القيمة واجتماع الامم مع الانبيا والائمة واقتفاء كل امة نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول واذا تذكرت ذلك فالزم قلبك الضراعة والابتهال الى الله تعالى فتحشر في زمرة الفائزين المرحومين وحقق رجاك بالاجابة فالموقف شريف والرحمة انما تصل من حضرة الجلال الى كافة الخلائق بواسطة القلوب العزيزة من اوتاد الارض ولا ينفك الموقف عن طبقة من الابدال والاوتاد وطبقات من الصالحين وارباب القلوب فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت الى الله ايديهم وامتدت اليه اعناقهم وشخصت نحو السما ابصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظنن انه يخيب املهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم ولذلك قيل ان من اعظم الذنوب ان يحضر عرفات ويظن ان الله تعالى لم يغفر له وكان اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الابدال والاوتاد المجتمعين من اقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده فلا طريق الى استدرار رحمة الله مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد **واما رمي الجمار** فاقصد به الانقياد للامر اظهارا للرق والعبودية وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس ثم اقصد به التشبه بابرهيم صلوات الله عليه حيث عرض له ابليس في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة او يفتنه بمعصية فامره الله تعالى ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لامله فان خطر لك ان الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه واما انا فليس يعرض لي الشيطان فاعلم ان هذا الخاطر من الشيطان وانه الذي القاه الى قلبك ليفتر عزمك في الرمي ويخيل اليك انه فعل لا فائدة فيه وانه يضاهي اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير في الرمي فيه برغم انف الشيطان واعلم انك في الظاهر ترمي الحصى الى العقبة وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان وتقصم به ظهره اذ لا يحصل ارغام انفه الا بامتثالك امر الله تعالى تعظيما لمجرد الامر من غير حظ للنفس والعقل فيه **واما ذبح الهدي** فاعلم انه تقرب الى الله تعالى بحكم الامتثال فاكمل الهدي وارج ان يعتق الله بكل جز منه جزا منك من النار فهكذا ورد الوعد فكلما كان

الهدي

الهدي اكبر واجزاوه اوفر كان فداؤك به من النار اعم **واما زيارة المدينة** فاذا وقع بصرك على
حيطانها فتذكر انها البلدة التي اختارها الله عز وجل لنبيه عليه السلم وجعل اليها هجرته وانها داره
التي فيها شرع فرايض الله وسننه وجاهد عدوه واظهر بها دينه الى ان توفاه الله عز وجل ثم جعل
تربته فيها ثم مثل في نفسك مواقع اقدام رسول الله صلعم عند تردداته فيها وانه ما من موضع قدم
تطاه الا وهو موضع قدمه العزيزة فلا تضع قدمك عليه الا على سكينة ووجل وتذكر مشيه وتخطيه
في سككها وتصور خشوعه وسكينته في المشي وما استودع الله قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره
مع ذكره حتى قرنه بذكر نفسه واحباطه عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته ثم تذكر ما
من الله به على الذين ادركوا صحبته وصحبة اصحابه رضي الله تعالى عنهم ثم اذكر انه قد فاتتك رؤيته في الدنيا
وانك من رؤيته في الآخرة على خطر وانك ربما لا تراه الا بحسرة وقد حيل بينك وبين قبوله اياك بسوء
عملك كما قال صلى الله عليه واله وسلم يرفع الي اقوام فيقولون يا محمد يا محمد فاقول يا رب اصحابي فيقول انك
لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول بعدا وسحقا فان تركت حرمة شريعته ولو في دقيقة من الدقايق فلا
تامن ان يحال بينك وبينه لعدولك عن محجته وليعظم مع ذلك رجاؤك ان الله لا يحول بينك وبينه
بعد ان رزقك الايمان واشخصك من وطنك لاجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في دنيا بل
لمحض حبك له وشوقك الى ان تنظر الى اثاره والى حايط قبره اذ سمحت نفسك بالسفر لمجرد ذلك
لما فاتتك رؤيته فما اجدرك ان ينظر الله اليك بعين الرحمة فاذا بلغت المسجد فاذكر انها العرصة
التي اختارها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه واله وسلم ولاول المسلمين وافضلهم عصابة وان فرايض
الله عز وجل اول ما اقيمت في تلك العرصة وانها جمعت افضل خلق الله حيا وميتا فليعظم املك في الله عز وجل
ان يرحمك بدخولك اياه فادخله خاشعا معظما وما اجدر هذا المكان بان يستدعي الخشوع من قلب
كل مؤمن **واما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم** فينبغي ان تقف بين يديه كما وصفناه
وتزوره ميتا كما تزوره حيا ولا تقرب من قبره الا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وكما كنت
ترى الحرمة في ان لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ماثلا بين يديه فكذلك فافعل فان المس و
التقبيل للمشاهد عادة اليهود والنصارى واعلم انه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وانه يبلغه سلامك

[illegible]

في ذكر تلاوة الغافلين قال انس بن مالك رب تال القرآن والقرآن يلعنه وقال ابو سليمان
الداراني الزبانية اسرع الى حملة القرآن الذين يعصون الله منهم الى عبدة الاوثان حين عصوا الله
بعد القرآن وقال ابن مسعود ينبغي لحامل القرآن ان يعرف بليله اذا الناس نائمون وبنهاره اذا
الناس يفطرون وبحزنه اذا الناس يفرحون وببكائه اذا الناس يضحكون وبصمته اذا الناس يخوضون
وبخشوعه اذا الناس يختالون وينبغي لحامل القرآن ان يكون مستكينا لينا ولا ينبغي له ان يكون جافيا
ولا مماريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا وقد قال صلى الله عليه وسلم اكثر منافقي هذه الامة قراؤها وقد
ورد في التورية يا عبدي اما تستحيي مني يأتيك كتاب من بعض اخوانك وانت في الطريق تمشي
فتعدل عن الطريق وتقعد لاجله وتقرأه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك شيء منه وهذا كتابي
انزلته اليك انظر كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه
ثم انت معرض عنه افكنت اهون عليك من بعض اخوانك يا عبدي يقعد اليك بعض اخوانك
فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم او شغلك شاغل عن حديثه
اومأت اليه ان كف وها انا ذا مقبل عليك ومحدث لك وانت معرض بقلبك عني افجعلتني
اهون عندك من بعض اخوانك وذكر رحمه الله في الباب الثاني آداب التلاوة الظاهرة
وهي عشرة امور الاول في حال القارئ وهو ان يكون على الوضوء واقفا على هيئة الادب والسكون
اما قائما واما جالسا مستقبل القبلة مطرقا رأسه غير متربع ولا متكئ ولا جالس على هيئة التكبر
ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدي استاذه وافضل الاحوال ان يقرأ في الصلوة قائما وان يكون
في المسجد فذلك من افضل الاعمال وان قرأ على غير وضوء وكان مضطجعا في الفراش فله ايضا فضل ولكنه
دون ذلك قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فاثنى على الكل ولكن قدم
القيام في الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا قال علي عليه السلم من قرأ القرآن وهو قائم في الصلوة
كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ وهو جالس في الصلوة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن

[illegible]

ما فيه من التهديد والوثايق والعهود ثم يتأمل تقصيره في اوامره وزواجره فيحزن له لا محالة ويبكي
فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر ارباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء فان حزن
ذلك من اعظم المصائب الخامس ان يراعي حق الآيات فاذا مر بآية سجود سجد وكذلك
اذا سمع من غيره سجدة اذا سجد التالي ولا يسجد الا اذا كان على طهارة وفي القرآن اربع عشرة
سجدة وفي الحج سجدتان وليس في ص سجدة واقله ان يسجد بوضع جبهته على الارض واكمله ان
يكبر فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالآية التي قرأها مثل ان يقرأ قوله تعالى خروا سجدا وسبحوا
بحمد ربهم وهم لا يستكبرون فيقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك
واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك وعلى اوليائك واذا قرأ قوله ويخرون
للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا فيقول اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين
لك وكذا في كل سجدة ويشترط في هذه السجدة شروط الصلوة من ستر العورة واستقبال
القبلة وطهارة الثوب والبدن من الحدث والخبث ومن لم يكن على طهارة عند السماع فاذا تطهر
سجد وقد قيل في كمالها انه يكبر رافعا يديه للتحريم ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم وزاد زايدون التشهد
لا اصل لهذا الا القياس على سجود الصلوة وهو بعيد فانه ورد الامر بالسجود فليتبع فيه الامر و
تكبيرة الهوى اقرب للبداية وما عدا ذلك ففيه بعد السادس ان يقول في مبتدأ قراءته
اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اعوذ بك من همزات الشياطين
واعوذ بك رب ان يحضرون وليقرأ قل اعوذ برب الناس وسورة الحمد وليقل عند فراغه من
كل سورة صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه
الحمد لله رب العالمين واستغفر الله الحي القيوم وفي اثناء القراءة اذا مر بآية تسبيح سبح وكبر
وكبر وان مر بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر وان مر بمرجو سأل وان مر بمخوف استعاذ
يفعل ذلك بلسانه او بقلبه فيقول سبحان الله تعالى الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا

السابع الجهر بالقراءة ولا شك في انه لا بد ان يجهر الى حد يسمع نفسه اذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف فلا بد من صوت واقله ما يسمع نفسه فان لم يسمع نفسه لم تصح صلوته فاما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر ويدل على استحباب الاسرار ما روي انه صلى الله عليه وآله قال فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية وفي الخبر العام يفضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا وكذلك قوله خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة في مسجد النبي صلى الله عليه وآله عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلوته وكان حسن الصوت فقال لغلامه اذهب الى هذا المصلي فمره ان يخفض من صوته فقال الغلام ان المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته وقال يا ايها المصلي ان كنت تريد الله بصلوتك فاخفض صوتك وان كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئا فسكت عمر وخفف ركعته فلما سلم اخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ امير المدينة ويدل على استحباب الجهر ما روي ان النبي صلى الله عليه وآله سمع جماعة من اصحابه يجهرون في صلوة الليل فصوب ذلك وقد قال صلى الله عليه وآله اذا قام احدكم من الليل يصلي فليجهر بقراءته فان الملائكة وعمار الدار يستمعون الى قراءته ويصلون بصلوته ومر صلى الله عليه وآله على ثلثة من اصحابه مختلفي الاحوال ... فقال ان الذي اناجيه هو يسمعني ... فقال اوقظ الوسنان وازجر الشيطان ... يقرأ آيا من هذه السورة وآيا من هذه السورة فساله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال صلى الله عليه وآله كلكم قد احسن واصاب والوجه في الجمع بين هذه الاحاديث ان الاسرار ابعد عن الريا والتصنع فهو افضل في حق من يخاف ذلك على نفسه فان لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر افضل لان العمل فيه اكثر ولان فائدته ايضا تتعلق بغيره ولانه يوقظ قلب القاري ويجمع همه الى الفكر فيه ويصرف اليه سمعه ولانه يطرد النوم برفع الصوت ولانه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ولانه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب احيائه ولانه قد يراه بطال غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق الى الخدمة فمهما حضره شيء من هذه النيات فالجهر افضل وان اجتمعت هذه النيات تضاعف الاجر وبكثرة النيات تزكو

عمل

عمل الابرار وتتضاعف اجورهم فان كان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر اجور ولهذا نقول
قراءة القرآن في المصحف افضل اذ يزيد عمل البصر وتامل المصحف وحمله فيزيد الاجر بسببه
الثامن تحسين القراءة وتزيينها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم فذلك
سنة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زينوا القرآن باصواتكم وقال صلى ما اذن الله
لشيء اذنه لحسن الصوت بالقرآن وقال عليه السلام ليس منا من لم يتغن بالقرآن فقيل اراد
به الاستغناء وقيل اراد به الترنم وترديد الالحان به وهو اقرب عند اهل اللغة وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان ينتظر عايشة فابطأت عليه فقال ما حبسك فقالت
يا رسول الله كنت استمع قراءة رجل ما سمعت احسن صوتا منه فقام صلى حتى استمع اليه طويلا
ثم رجع فقال هذا سالم مولى ابي حذيفة الحمد لله الذي جعل في امتي مثله وقال رسول الله صلى
لابن مسعود اقرأ فقال يا رسول الله اقرأ وعليك انزل فقال اني احب ان اسمعه من غيري
فكان يقرأ ورسول الله صلى عيناه تفيضان واستمع صلى الله عليه وآله وسلم الى قراءة ابي موسى فقال
لقد اوتي هذا من مزامير آل داود فبلغ ذلك ابا موسى فقال يا رسول الله لو علمت انك كنت
تسمع لحبرته لك تحبيرا وقد كان عمر يقول لابي موسى ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت
الصلوة ان يتوسط فقال الصلوة الصلوة فيقول اولسنا في صلوة اشارة الى قوله
ولذكر الله اكبر وقال صلى من استمع الى آية من كتاب الله عز وجل كانت له نورا يوم القيمة
وفي الخبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم اجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان
شريكا في الاجر الا ان يكون قصده الريا والتصنع الباب الثالث في اعمال
الباطن في التلاوة وهي عشرة فهم اصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم
التدبر ثم التفهم ثم التخلي عن موانع الفهم ثم التخصيص ثم التأثر ثم الترقي ثم التبري
الاول فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله
الى درجة افهام خلقه فلينظر كيف لطف بخلقه في ايصال معاني كلامه الذي هو صفة

قديمة قائمة بذاته الى افهام خلقه فلينظر كيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف واصوات هي صفات البشر اذ يعجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله الا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنه جلال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله موسى عليه السلام لما اطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار دكا ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام الا بامثلة على حد فهم الخلق ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال ان كل حرف من كلام الله في اللوح اعظم من جبل قاف وان الملائكة لو اجتمعت على الحرف الواحد ان يقلوه ما اطاقوه حتى ياتي اسرافيل وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله باذن الله ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله طوقه ذلك واستعمله به ولقد تانق بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف الخ الثاني التعظيم للمتكلم فالقاري عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي ان يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم ان ما يقراه ليس من كلام البشر وان في تلاوة كلام الله غاية الخطر فانه تعالى قال لا يمسه الا المطهرون وكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس الا اذا كان متطهرا فباطن معناه ايضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب الا اذا كان متطهرا عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن ابي جهل اذا نشر المصحف غشي عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي فتعظيم الكلام تعظيم المتكلم ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وافعاله فاذا خطر بباله العرش والكرسي والسموات والارض وما بينهما من الجن والانس والدواب والاشجار وعلم ان الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد وان الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته ان انعم فبفضله وان عاقب فبعدله وانه الذي يقول هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي وهذا غاية العظمة والتعالي فبالتفكر في امثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام

الثالث حضور القلب وترك حديث النفس قيل في تفسير يا يحيى خذ الكتاب بقوة اي بجد
واجتهاد واخذه بالجد ان يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهم اليه عن غيره وقيل لبعضهم
اذا قرأت تحدث نفسك بشيء فقال او شيء احب الي من القرآن احدث به نفسي وكان بعض
السلف اذا قرأ سورة ولم يكن قلبه فيها اعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم
فان المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستانس ولا يغفل عنه ففي القرآن ما يستانس به القلب
ان كان التالي اهلا له فكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج والذي يتفرج في
المتنزهات لا يتفكر في غيرها الرابع التدبر وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في غير القرآن
ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من القراءة التدبر ولذلك سن فيه الترتيل
لان الترتيل في الظاهر يمكن من التدبر بالباطن قال علي عليه السلام لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة
لا تدبر فيها واذا لم يتمكن من التدبر الا بترديد فليردد الا ان يكون خلف امام فانه لو بقي في ترديد آية
وقد اشتغل الامام باية اخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه
عن فهم بقية كلامه وكذلك اذا كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في آية قرأها فهذا وسواس فقد
روي عن عامر بن عبد قيس انه قال الوسواس يعتريني في الصلوة فقيل في امر الدنيا فقال لان تختلف
في الاسنة احب الي من ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربي واني كيف انصرف
فعد ذلك وسواسا وهو كذلك فانه يشغله عن فهم ما هو فيه والشيطان لا يقدر على مثله الا بان
يشغله بمهم ديني ولكن يمنعه به عن الافضل ولما ذكر ذلك للحسن قال ان كنتم صادقين عنه
فما اصطنع الله عز وجل ذلك عندنا وروي انه صلى قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة وانما رددها لتدبره في معانيها وحكي عن ابي سليمان الداراني انه قال اني لاتلو الآية فاقيم فيها اربع ليال
او خمس ليال ولولا اني اقطع الفكر فيها ما جاوزتها الى غيرها وعن بعض السلف انه بقي في سورة هود ستة اشهر
يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها وقال بعض العارفين لي في كل جمعة ختمة وفي كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة
ولي ختمة منذ ثلثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه الخامس التفهم الخ

... [illegible] ... الذي
... [illegible] ... ولهذا ينقل الى ... [illegible]
... قوله افرايتم ما تحرثون افرايتم ما تمنون فلا يقصر نظره ... [illegible]
قرا التالي قوله افرايتم النار التي تورون والتي بل ... المني وهي نطفة متشابهة الاجزاء ... [illegible]
تشربون افرايتم ... والحرث ... اللحم والعظم والعروق والعصب ... الشهوة والكبر ... الاعاجيب ... [illegible]
على الماء والنار ... والكبد والقلب وغيرها ثم الى ما ظهر فيها ... العجائب ليترقى منها ... لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب
ثم ينظر في كيفية انقسامها الى اللحم ... الصفات المذمومة من الغضب ... ثم قال بعض ... القرآن ...
المختلفة من الراس واليد والرجل ... فاذا هو خصيم مبين فيتامل ... احوال الانبياء ... [illegible]
والعقل وغيره ثم الى ما ظهر ... الصانع واما ... الوعيد ... فلا مطمع فيه ... القرآن ...
اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة ... الاستقصاء ... ما يحتاج اليه ... بل ... [illegible]
هذه الاعاجيب فلا يزال ينظر الى الصنعة فيرى الصانع ... فاما ... رسول الله ... الكتاب ...
عبد منه بقدر رزقه ... فتح بابه ... ما انزل عليكم من الكتاب ... [illegible]
فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهم لينفتح بابه ... وما انزل ... الله تعالى ... [illegible]
وذكر التخصيص ... المقصود ... والقرآن ... [illegible]
واحبته ولذلك قال ... نضرة الله ... الكتاب ... [illegible]
ومثابتهم في الدين ... الترقي واعني به ان يترقى الى ان يسمع الكلام من الله تعالى ... **التاسع**
للعالمين ولذلك ... **الثانية** ... يشهد بقلبه ... **الثالثة**
وبعد ذكر الآثار قال ... ثلاث ادناها ان يقدر العبد كانه يقرؤه على الله تعالى واقفا بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه
القراءة ... السؤال والتملق والتضرع والابتهال ... والتعظيم والاصغاء ... الصفات فلا ينظر الى نفسه
عند هذا التقدير ... يناجيه بانعامه واحسانه ... الكلام المتكلم وفي الكلمات ... ولا الى قراءته ولا الى تعلق الانعام به ... بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كانه مستغرق

ما نقل عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلم وما لحقه في الصلوة حين قراءة القران

بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين وما قبله درجات اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين وعن الدرجة العليا اخبر جعفر بن محمد الصادق عليه السلم فقال والله لقد تجلى الله لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون وقال ايضا وقد سالوه عن حالة لحقته في الصلوة حتى خر مغشيا عليه فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته وفي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة ولذلك قال بعض الحكماء كنت اقرا القرآن فلا اجد له حلاوة حتى تلوته كاني اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كاني اسمعه من جبرئيل يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم جاء الله بمنزلة اخرى فانا الآن اسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه قال حذيفة لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القران وانما قال ذلك لانها بالطهارة تترقى الى مشاهدة المتكلم في الكلام ولذلك قال ثابت البناني كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد ممتثلا لقوله تعالى ففروا الى الله ولقوله ولا تجعلوا مع الله الها آخر فمن لم يره في كل شيء فقد راى غيره وكل ما التفت اليه العبد تضمن التفاته شيئا من الشرك الخفي بل التوحيد الخالص ان لا يرى في كل شيء الا الله **العاشر التبري** واعني به انه يتبرأ من حوله وقوته الى الفوز رحمه الله فيجب تلاوات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار ينكشف له صورة الجنة ويشاهد كانه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلام الله تعالى يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب صفاته اذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بامر يناسب تلك الحالة ويقاربها اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلف اذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل

الباب الرابع في فهم القران وتفسيره بالراي من غير نقل

لعلك تقول الى قوله قال ص اقراوا القران والتمسوا غرائبه وقال ع لحديث علي ع والذي بعثني بالحق لتفترق امتي عن اصل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون الى النار

فاذا ... ذلك فعليكم
كتاب الله ... فان فيه نبأ ما كان قبلكم ... ما يأتي بعدكم
ما كان بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره اضله الله ... [illegible]
وحكم ما بينكم ... حبل الله المتين ... [illegible]
من اتبعه ... ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقضي عجائبه ... [illegible]
المبين ... النافع ... [illegible]
فقيام ... قال ... حذيفة لما اخبره رسول الله صلى الله عليه وآله بالاختلاف والفرقة بعده ... **احدها**
ذلك قال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه ... **والثاني**
الله واعمل بما فيه ... وقال ابن عباس ... القرآن ... الصحابة ...
ثم ... قال الله ... ان يكون المراد ... رسول الله ... [illegible]
الله صلى الله عليه وآله وسلم ... بالراي ... [illegible]
لا ... تفسير ... فقالوا فيها اقاويل ... [illegible]
في تفسير بعض الآيات ... الذين يستنبطونه منهم ... [illegible]
ابيات ... قال ... اللهم فقهه ... **والثالث** ... **والرابع**
الذي هو حروف ... تخصيصه ... [illegible]
الكلام مسموعا ... الاتباع وجملة ما نقلنا من الآثار ... القرآن ... [illegible]
كالتنزيل ... على ... ان يكون له في الشيء راي واليه ميل من طبعه
استنباطا ... التاويل ... فيتاول القرآن على وفق رايه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه
ينتهي ... هواه ... ولو لم يكن له ذلك الراي والهوى
لكان لا يلوح له من القرآن ذلك
المعنى ... مع العلم

كالذي

كالذي يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم ان ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن اذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه ويترجح ذلك الجانب برايه وهواه فيكون قد فسر برايه اي رايه هو الذي حمله على ذلك التفسير ولولا رايه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به كمن يدعو الى الاستغفار بالاسحار فيستدل بقوله عليه السلم تسحروا فان في السحور بركة ويزعم ان المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم ان المراد الاكل وكالذي يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيقول قال الله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى قلبه ويومي الى انه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع وقد يستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم الى مذهبهم الباطل فينزلون القران على وفق رايهم ومذهبهم على امور يعلمون قطعا انها غير مراده به فهذه الفنون احد وجهي المنع من التفسير بالراي الوجه الثاني ان يتسارع الى تفسير القران بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القران ثم قال رحمه الله والغرائب التي لا يفهم الا بالسماع كثيرة ونحن نرمز الى جمل منها ليستدل بها على امثالها ويعلم انه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر اولا ولا مطمع في الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر ومن ادعى فهم اسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر كمن يدعي البلوغ الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب او يدعي فهم مقاصد الاتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك فان ظاهر التفسير يجري مجرى تعليم اللغة التي لا بد منها للفهم وما لا بد فيه من السماع فنون كثيرة منها الايجاز بالحذف والاضمار كقوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناه آية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن ان المراد به ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء وقوله واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم اي حب العجل فحذف الحب واورد ايضا امثلة اخرى ومنها المنقول المنقلب كقوله تعالى وطور سينين اي طور سيناء سلام على الياسين اي على الياس ومنها المكرر القاطع لوصل الكلام في الظاهر كقوله تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن معناه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء الا الظن وغير ذلك ومنها المقدم والمؤخر

[illegible]

كانك حفي عنها [illegible]

ومنها الابهام [illegible]

واما التعريض [illegible]

فالمراد [illegible]

جمع المشركين فاغاروا بجمعهم [illegible]

وبان بقوله تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة فهذا وامثاله لا ينبغي فيه [illegible]

النظام الاصلاف بين هذه الآيات فكان مشتملا على اصناف كلامهم [illegible]

خال عن هذا الجنس لانه انزل بلغة العرب [illegible]

وتقديم وتاخير ليكون ذلك [illegible]

ولم يستظهر بالسماع والنقل في هذه الامور فهو داخل فيمن فسر القرآن برايه [illegible]

منه فيميل طبعه ورايه اليه فاذا سمعه في موضع آخر [illegible]

كتاب الاذكار والدعوات وهو الكتاب التاسع من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الشامل

رافته

رافته العامة رحمته الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال تعالى فاذكروني اذكركم ورغبهم في السؤال والدعاء بامره فقال تعالى ادعوني استجب لكم واطمع المطيع والعاصي و الداني والقاصي في الانبساط الى حضرة جلاله برفع الحاجات والاماني بقوله تعالى فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعاني والصلوة على محمد سيد انبيائه وعلى آله واصحابه خيرة اصفيائه وسلم كثيرا **اما بعد** فليس بعد تلاوة كتاب الله عبادة تؤدى باللسان افضل من ذكر الله ورفع الحاجات بالادعية الخالصة الى الله فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل في اعيان الاذكار وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وادابه ونقل الماثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدنيا والدين والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة او الاستعاذة او غيرها ونحرر المقصود من ذلك بذكر ابواب خمسة **الباب الاول في فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلا**

[illegible]

وورد [illegible] فضيلة التهليل والتسبيح والتحميد [illegible]

[illegible]

بالموت فتحه الى ان يمنى في نفسه عند بلوغ الكتاب اجله فهذا الانس يتلذذ به العبد بعد موته الى ان ينزل في جوار الله ويترقى من الذكر الى اللقاء وذلك بعد ان يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا ينكر بقاء ذكر الله معه بعد الموت فتقول انه اعدم فكيف يبقى ذكر الله فانه لم يعدم عدما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت والى ما ذكرناه الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من رياض الجنة وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم ارواح الشهداء في حواصل طير خضر وبقوله لقتلى بدر من المشركين يا فلان يا فلان وقد سماهم النبي عليهم السلام اني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فسمع عمر قوله فقال يا رسول الله كيف يسمعون واني يجيبون وقد جيفوا فقال والذي نفسي بيده ما انتم باسمع منهم لكلامي ولكنهم لا يقدرون ان يجيبوا والحديث في الصحيح هذا قوله في المشركين واما المؤمنون والشهداء فقد قال ارواحهم في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش وهذه الحالة وما اشير بهذه الالفاظ اليه لا ينافي ذكر الله وقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية ولاجل شرف ذكر الله تعالى عظمت رتبة الشهادة لان المطلوب الخاتمة ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله منقطع العلائق عن غيره وان قدر عبد على ان يجعل همه مستغرقا بالله فلا يقدر على ان يموت على تلك الحالة الا في صف القتال فانه قطع الطمع عن مهجته واهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فانه يريدها لحياته وقد هون على قلبه حياته في حب الله وطلب مرضاته فلا تجرد لله اعظم من ذلك في الشرع ولذلك عظم امر الشهادة وورد فيه من الفضائل ما لا يحصى فمن ذلك انه لما استشهد عبد الله الانصاري يوم احد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر الا ابشرك يا جابر قال بلى بشرك الله بالخير قال ان الله تعالى احيا اباك فاقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمن علي يا عبدي ما شئت اعطيكه فقال يا رب تردني الى الدنيا حتى اقتل فيك وفي نبيك مرة اخرى فقال تعالى سبق القضاء مني بانهم اليها لا يرجعون ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فانه لو لم يقتل وبقي مدة ربما عادت شهوات الدنيا وغلبت ما استولى على قلبه من ذكر الله ولهذا عظم خوف اهل المعرفة من الخاتمة فان القلب وان الزم ذكر الله فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات الى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه فاذا تمثل في آخر الحال في قلبه امر من الدنيا واستولى عليه و

الا خوف عليهم ولا هم يحزنون

الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله

آداب الدعاء

الدعا بين الاذان والاقامة لا يرد وقال ايضا الصايم لا ترد دعوته والحكمة في ترجيح شرف الاوقات الى
شرف الحالات ايضا اذ وقت السحر وقت صفا القلب واخلاصه وفراغه من المشوشات ويوم
عرفه ويوم الجمعه وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله فهذا احد اسباب شرف
الاوقات سوى ما فيها من اسرار لا يطلع البشر عليها وحالة السجود ايضا اجدر بالاجابة **الثالث**
ان يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض ابطيه قال سلمان قال رسول الله صلعم ان ربكم
حيي كريم يستحيي من عبده اذا رفع يديه اليه ان يردهما صفرا وغير ذلك من الاخبار الوارده **الرابع** خفض
الصوت بين المخافتة والجهر لما روي ان ابا موسى قال قدمنا مع رسول الله صلعم فلما دنونا من المدينة كبر
الناس ورفعوا اصواتهم فقال صلعم يا ايها الناس ان الذي تدعون ليس باصم ولا غايب ان الذي
تدعون بينكم وبين اعناق ركابكم وقد اثنى الله تعالى على نبيه زكريا حيث قال تعالى اذ نادى ربه
نداء خفيا وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفيه **الخامس ان لا يتكلف السجع** في الدعا فان حال
الداعي ينبغي ان يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه قال رسول الله صلعم سيكون قوم يعتدون في الدعا
وقد قال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفيه انه لا يحب المعتدين قيل معناه التكلف للاسجاع والاولى
ان لا يجاوز الدعوات الماثورة فانه قد يعتدي في دعائه فيسال ما لا تقتضيه مصلحته فما كل احد يحسن
الدعا ولذلك ورد في الخبر او الاثر ان العلما يحتاج اليهم في الجنة اذ يقال لاهل الجنة تمنوا فلا
يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلما وقد قال صلعم اياكم والسجع في الدعا بحسب احدكم
ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من
قول وعمل واعلم ان المراد بالسجع هو التكلف في الكلام فان ذلك لا يلايم الضراعة والذلة والا ففي الادعية
الماثورة عن رسول الله صلعم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله صلعم اسالك الامن يوم الوعيد والجنة يوم
الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد وامثال ذلك
فليقتصر على الماثور من الدعوات او ليلتمس بلسان التضرع من غير سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله
السادس التضرع والخشوع والرهبة قال تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وقال
تضرعا وخفيه وقال صلعم اذا احب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه **السابع** ان يجزم الدعا ويوقن بالاجابة

رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال سليمان ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم وقال الاوزاعي
خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا معشر من حضر الستم
مقرين بالاساءة قالوا اللهم نعم فقال اللهم انا سمعناك تقول ما على المحسنين من سبيل
وقد اقررنا بالاساءة فهل يكون مغفرتك الا لمثلنا اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا
فرفع يديه ورفعوا ايديهم فسقوا وقيل لمالك بن دينار ادع لنا ربك فقال انكم تستبطئون
المطر وانا استبطئ الحجارة وقال عطا السلمي منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فاذا
بسعدون المجنون في المقابر فنظر الي فقال يا عطا هذا يوم النشور او بعثر ما في القبور
فقلت لا ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فقال يا عطا بقلوب ارضية او بقلوب سماوية
فقلت بل بقلوب سماوية فقال هيهات يا عطا قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فان الناقد بصير
ثم رمق السما بطرفه وقال الهي وسيدي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك
ولكن بالمكنون من اسمائك وما وارت الحجب من الائك الا ما سقيتنا ماء غدقا تحيي
به العباد وتروي به البلاد يا من هو على كل شيء قدير قال عطا فما استتم الكلام حتى
ارعدت السما وابرقت وجاءت بمطر كافواه القرب فولى وهو يقول نعم الزاهدون والعابدونا
اذ لمولاهم اجاعوا البطونا ۞ اسهروا الاعين العليلة فيه ۞ فانقضى ليلهم وهم ساهرونا ۞
شغلتهم عبادة الله حتى ۞ قيل في الناس ان فيهم جنونا ۞ وقال ابن المبارك قدمت المدينة
في عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون وخرجت معهم اذ اقبل غلام اسود عليه قطعتا خيش
قد اتزر باحديهما والقى الاخرى على عاتقه فجلس الى جنبي فسمعته يقول الهي اخلقت الوجوه
عندك كثرة الذنوب ومساوي الاعمال وقد حبست عنا غيث السما لتؤدب عبادك
بذلك فاسالك يا حليما ذا اناة يا من لا يعرف عباده منه الا الجميل ان تسقيهم الساعة
الساعة فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السما بالغمام واقبل المطر من كل مكان قال
ابن المبارك فجئت الى الفضيل فقال لي اراك كئيبا فقلت سبقنا اليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت
عليه القصة فصاح الفضيل وخر مغشيا عليه

فان قلت فما فايدة الدعا والقضاء لا مرد له فاعلم ان من القضاء رد البلاء بالدعا والدعا سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما ان الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الارض فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله ان لا يحمل السلاح وقد قال الله تعالى خذوا حذركم وان لا يسقى الارض بعد بث البذر فيقال ان سبق القضاء بالنبات نبت بل ربط الاسباب بالمسببات هو القضاء الاول الذي هو كلمح البصر وترتب تفصيل المسببات على تفصيل الاسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدر لدفعه سببا فلا تناقض بين هذه الامور عند من انفتحت بصيرته ثم في الدعا من الفايدة ما ذكرناه في الذكر فانه يستدعي حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء مخ العبادة والغالب على الخلق انه لا ينصرف قلوبهم الى ذكر الله الا عند المام حاجة او ارهاق ملمة فالانسان اذا مسه الشر فذو دعاء عريض فالحاجة يحوج الى الدعا والدعا يرد القلب الى الله بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو اشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكلا بالانبياء ثم بالاولياء ثم الامثل فالامثل لانه يرد القلب بالافتقار والتضرع الى الله ويمنع من نسيانه واما الغنا فسبب للبطر في غالب الامور فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فهذا ما اردنا ان نورده من جملة الاذكار والدعوات والله الموفق للخيرات ه

[illegible]

فضيلة الصلوة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وفضله علينا ... يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وروي انه صلى الله عليه وآله وسلم جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقال انه جاءني جبرئيل عليه السلام فقال اما ترضى يا محمد ان لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد الا سلمت عليه عشرا وقال صلى الله عليه وآله من صلى علي صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل عبد من ذلك او ليكثر وقال صلى الله عليه وآله ان اولى الناس بي اكثرهم علي صلاة ... اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة ... واعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة ... صل على محمد عبدك ورسولك ... من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب

فضيلة الاستغفار

[illegible]

فاف

[illegible]

في اللقمة يرفعها الى فيه والى في امرأته وانما ذلك اذا رفعها بالدين وللدين مراعيا فيه آدابه ووظايفه وها نحن نرشد الى وظايف الدين في الاكل فرايضه وسننه وادابه ومروّاته وهيآته في اربعة ابواب الباب الاول فيما لا بد للآكل من مراعاته وان انفرد بالاكل وهي ثلثة اقسام قسم قبل الاكل وقسم مع الاكل وقسم بعد الفراغ منه القسم الاول في الآداب التي تتقدم على الاكل وهي سبعة الاول ان يكون الطعام بعد كونه حلالا في نفسه طيبا في جهة مكسبه موافقا للسنة والورع لم يكتسب بسبب مكروه في الشرع ولا بحكم هوى ولا مداهنة في الدين على ما سيأتي معنى الطيب المطلق في كتاب الحلال والحرام وقد امر الله تعالى باكل الطيب وهو الحلال وقدم النهي عن الاكل بالباطل على القتل تفخيما لامر الحرام وتعظيما لبركة الحلال فقال سبحانه وتعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الآية فالاصل في الطعام كونه طيبا وهو من الفرائض واصول الدين الثاني غسل اليد قال صلى الله عليه وآله الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم لان اليد لا تخلو عن لوث في تعاطي الاعمال فغسلها اقرب الى النظافة والنزاهة ولان الاكل لقصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بان يقدم عليه ما يجري منه مجرى الطهارة من الصلوة الثالث ان يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الارض فهو اقرب الى فعل رسول الله صلى الله عليه وآله من رفعه على المائدة كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا اتي بطعام وضعه على الارض فهذا اقرب الى التواضع قيل اربع احدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله الموائد والمناخل والاشنان والشبع ثم افاد ... ان النهي عن هذه الاربع غير وارد في الشرع وما يقال من انه ابدع بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فليس كل ما ابدع منهيا عنه بل المنهي بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع امرا من الشرع مع بقاء علته بل الابداع قد يجب في بعض الاحوال اذا تغيرت الاسباب ثم قال واما الشبع فهو اشد هذه الاربع فانه يدعو الى تهيج الشهوات وتحريك الادواء في البدن فليدرك التفرقة بين هذه المبدعات الرابع ان يحسن الجلسة على السفرة في اول جلوسه ويستديمها كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله ربما جثا للاكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى وكان يقول لا آكل متكيا انما انا عبد آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد والشرب متكيا مكروه

[illegible]

لقمة ويكره الاكل

ايضا ويكره الا ما يتشبك ... ان ينوي بالاكل ان يتقوى ... مطيعا بالاكل ... منذ ثمانين

... **الخامس** ان ينوي ... على طاعة الله عز وجل ليكون مطيعا بالاكل ... قال ابراهيم بن شيبان ... ما اكلت

الحبوب ... على طاعة الله عز وجل قال ابراهيم بن شيبان ... سنة ما اكلت شيئا لشهوتي ... الاكل

يتقوى به على ... والتنعم بالاكل ... بالاكل مادون الشبع فان الشبع ... العبادة ولا يقوى ... آدمي وعاء

ولا يقصد التلذذ والتنعم ... شهوته ويعزم مع ذلك على تقليل الاكل فانه ... الاكل ... وعاء شرا من بطنه

سنة ما اكلت شيئا لشهوتي ... الشهوة وايثار القناعة على الاتساع قال النبي ... ان يرضى بالموجود من الرزق ... حسب

لاجل قوة العبادة ... ومن ضرورة هذه النية ... ان لا يمد اليد الى الطعام الا وهو جائع ... فمن فعل ذلك استغنى عن الطبيب **السادس** ان يرضى بالموجود ... الاكل ... العادة

عليها فمن ضرورة هذه النية ... لقيمات يقمن صلبه ... ان يرفع اليد قبل الشبع ... المهلكات ... الادم ... تقديم

حسب ابن آدم لقيمات ... الاكل ... الطعام ... بل من كرامة الخبز ان لا ينتظر به الادم ... الصلوة وان حضر ... الادام ... وقال انس

ما لا بد من تقديمه على الاكل ... الانتظار للادم بل لا ينتظر بالخبز ... الطعام ... بارك ... فيه ...

كفه التدريج في التقليل ... الزيادة وانتظار الادم ... الطعام ... ان يبدا ... ويختم بالملح و

ولا يجتهد في التنعم وطلب ... لا ينبغي ان يستحقر ... الطعام ولو من ... قال صلى الله عليه وسلم ... الاكل ... باليمين ... لا

وبقوى على العبادة ... الى الطعام ... اهله وولده **القسم الثاني** في آداب حالة الاكل ... كان ...

ومجاهدات النفس ... على الطعام ... مع ... فان ذلك ... الاولى ...

السابع ان يجتهد في تكثير الايدي على الطعام ... وحتى ... لا ... الاخرى فان ذلك ... القصعة ولا

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ... بسم الله ... ما لم يبتلعها فلا يمد اليد الى الاخرى ... الخبز ... الخبز

اوله ويحمد في آخره ويجود مضغها ... ان اعجبه اكله والا تركه وان لا يأكل ... اذا قل الخبز فيكسر ...

يختم به ويصغر اللقمة ... لا يعيب مأكولا ... ولا ... الا ... فقد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم

يذم مأكولا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ... من استدارة الرغيف ... اللحم ... ولا ... على الخبز

يدور على الفاكهة ... وسط الطعام بل يأكل ... وقال ... السكين ... ولا يقطع ... ولا غيره الا ... قال صلى الله عليه وسلم ... فان

ينهشه نهشا ... ولا يضع على الخبز ...

الله

الله تعالى انزله من بركات السماء ولا يمسح يده بالخبز وقال عليه السلام اذا وقعت لقمة احدكم فليأخذها

وليمط ما كان بها من اذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه فانه

لا يدري في اي طعامه البركة ولا ينفخ في الطعام الحار فهو منهي عنه بل يصبر الى ان يسهل اكله ويأكل

من التمر وترا سبعا او احد عشر او احدا وعشرين او ما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمعه في

كفه بل يضعه من فيه على ظهر كفه ثم يلقيها وكذا كل ما له ثفل وان لا يترك ما استرذله من الطعام

ويطرحه في القصعة بل يتركه مع الثفل حتى لا يلتبس على غيره فيأكله وان لا يكثر الشرب في اثناء

الطعام الا اذا غص بلقمة او صدق عطشه فقد قيل ان ذلك مستحب في الطب وانه

دباغ المعدة **واما الشرب** فادبه ان يأخذ الكوز بيمينه ويقول بسم الله ويشربه مصا

لا عبا قال صلى الله عليه وسلم مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا فان الكباد من العب ولا يشرب قائما ولا مضطجعا

وقد نهي عنه وروي انه صلى الله عليه وسلم شرب قائما ولعله كان لعذر ويراعي اسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر في

الكوز قبل الشرب ولا يتجشأ في الكوز بل ينحيه عن فمه بالحمد ويرده بالتسمية وقد قال صلى الله عليه وسلم بعد

الشرب الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا ويشرب في ثلثة

انفاس يحمد الله في اواخرها ويسمي الله في اوائلها فهذا اقرب من ثلاثين ادبا في الاكل والشرب دل

عليه الاخبار والاثار **القسم الثالث** ما يستحب بعد الطعام وهو ان يمسك قبل الشبع و

يلعق اصابعه ثم يمسحها بالمنديل ثم يغسلها ويلتقط فتات الخبز والطعام قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم من اكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده ويتخلل ولا يبتلع ما يخرج من

اسنانه بالخلال الا ما يجتمع من اصول اسنانه بلسانه اما المخرج بالخلال فيرميه ويتمضمض بعد

الخلال وفيه اثر عن اهل البيت عليهم السلام وان يلعق القصعة فقال من لعق القصعة وشرب

ماءها كان له عتق رقبة وان التقاط الفتات مهور الحور العين وان يشكر الله تعالى

بقلبه على ما اطعمه ويرى الطعام نعمة منه قال الله سبحانه كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا

لله ومهما اكل حلالا قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم اطعمنا طيبا

واستعملنا صالحا وان اكل شبهة فليقل الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك و

يقرأ بعد الطعام قل هو الله احد ولايلاف قريش ولا يقوم عن المائدة حتى ترفع اولا

وان لا يغير ...

اكل طعامه وليقل اللهم ... له ان يفعل

فليدع له ... رزقته ... من

بارك له فيما اعطيته ... على ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ... يحب

ستر ... الاستغفار ... التي تعرض لها ... يأكل ... **الباب** ... الطعام ...

... **الاول** ... الطعام ... ان لا يبتدئ ... **الثالث** ...

... الاكل ... وتحت ... الاكل ... عليهم ...

الطعام ... **الثاني** ... ان يكون ... الاجتماع ... ان يكون هو المتبوع والمقتدى به ...

من يستحق التقديم بكبر سن او زيادة فضل ... الاكل ... ذلك ...

ان لا يسكتوا على الطعام ... ان يأكل ... الكلام ... الوحدة ... عن ... الاكل ...

برفيقه في القصعة ولا يقصد ان ... زيادة على ما ... الا ان ... ان يأكل ... الاكل ...

والايثار **الرابع** ان لا يحوج رفيقه ... الكلام ... **الخامس** ... ان يجتمع ... الطعام ...

فان ذلك ... بل ... قال ... والاخوان ... ان يكون ...

عند الانقباض ... الاكل ... بل يجري على المعتاد ... الاعاجم ...

نشاط ... في الاكل ... ان ... الاكرام ... على ... الى ...

تعا ... في الاكل ... الطعام ... ولا ... الى ... قليلا ... قليلا

وان يقدم ... المتبوع ... يده ... ولا ... ما ... ان ...

كما قال ابن مسعود ... **السادس** ان لا يفعل ما يستقذره غيره ... الاكل ... ما ...

وان ... منه ... الطعام ... وضع ... بين ... الى ...

الماء على ... **السابع** ... عند وضع ... الطعام ... ولا ... غيره ...

لا يسكت ... الاخوان ...

ذكر رحمه الله في الباب الثالث اداب تقديم الطعام الى الاخوان الزائرين ه

الباب

الباب الرابع في آداب الضيافة ومظان الاداب فيها ستة الدعوة ثم الاجابة

ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم الاكل ثم الانصراف **فضيلة الضيافة** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا تكلفوا للضيف فتبغضوه فانه من ابغض الضيف فقد ابغض الله ومن ابغض الله ابغضه الله

وقال عليه السلام لا خير فيمن لا يضيف ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له ابل وبقر كثيرة فلم يضفه و

مر بامرأة لها شويهات فذبحت له فقال عليه السلام انظروا اليهما انما هذه الاخلاق بيد الله فمن

شاء ان يمنحه خلقا حسنا فعل وقال ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نزل به ضيف فقال

قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فاسلفني شيئا من الدقيق الى رجب فقال اليهودي والله

لا اسلفه الا برهن فاخبرته فقال والله اني لامين في السماء امين في الارض ولو اسلفني لاديته

فاذهب بدرعي وارهنها عنده وكان ابراهيم الخليل صلوات الله عليه اذا اراد ان يأكل خرج

ميلا او ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى ابا الضيفان ولصدق نيته دامت ضيافته في مشهده

الى يومنا هذا فلا ينقضي ليلة الا ويأكل عنده جماعة من بين ثلثة الى عشرة الى مائة والاخبار الواردة

في فضل الضيافة والاطعام لا تحصى ثم ذكر رحمه الله الاداب المذكورة على التفصيل على ما ينبغي قال

رحمه الله ينبغي ان لا يقصد بدعوته المباهات والتفاخر بل استمالة قلوب الاخوان والتسنن بسنة رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم في اطعام الطعام وادخال السرور على قلوب المؤمنين وينوي ان لا يدعو من يعلم

انه يشق عليه الاجابة ثم قال رحمه الله فهذه ست نيات تلحق اجابته بالقربات آحادها فكيف

مجموعها وكان بعض السلف يقول انا احب ان يكون لي في كل عمل نية حتى في الطعام والشراب وفي

هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته

الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه والنية

انما تؤثر في المباحات والطاعات لا في المنهيات بل لو قصد بالغزو الذي هو طاعة الله المباهاة

وطلب المال انصرف عن جهة الطاعة وكذا المباح المتردد بين وجوه الخيرات وغيرها يلتحق بوجوه

الخيرات بالنيات ه ثم اورد رحمه الله ما حكي عن ابراهيم النخعي انه قال الاكل في السوق دناءة

واسنده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسناده غريب وقد نقل عنه ضده وعن ابن عمر انه قال كنا نأكل على

[illegible]

الباب الاول في الترغيب فيه

اعلم ان العلماء قد اختلفوا في فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم انه افضل من التخلي لعبادة الله عز وجل
واعترف آخرون بفضله ولكن قدموا عليه التخلي لعبادة الله تعالى مهما لم تتق النفس الى النكاح توقانا
يشوش الحال ويدعو الى الوقاع وقال آخرون الافضل تركه في زماننا هذا وقد كان له فضيلة من قبل اذ
لم تكن الاكتساب محظورة واخلاق النساء مذمومة ولا ينكشف الحق فيه الا بان يقدم اولا ما ورد
من الاخبار والآثار في الترغيب فيه والترغيب عنه ثم نشرح فوائد النكاح وغوائله حتى يتضح منها فضيلة
النكاح وتركه في حق من سلم من غوائله او لم يسلم ثم ذكر رحمه الله من الآيات والاخبار والآثار كثيرا
في الترغيب في النكاح ثم بعد ذلك اورد ما جاء في الترغيب عن النكاح ثم قال رحمه الله فوائد النكاح خمس الولد و
كسر الشهوة وتدبير المنزل وكثرة العشيرة ومجاهدة النفس بالقيام بهن ثم بعد ذلك ذكر آفات النكاح
ثم اورد الباب الثاني فيما يراعى حالة العقد من احوال المرأة وشروط العقد مثل اذن الولي
ورضاها وحضور شاهدين والايجاب والقبول وذكر آداب العقد منها انه ينوي بالنكاح اقامة السنة وغض
البصر وطلب الولد وساير الفوائد التي ذكر رحمه الله ولا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع فيصير عمله من اعمال الدنيا
ولا يمنع ذلك هذه النيات فرب حق يوافق الهوى ثم ذكر رحمه الله الخصال المطيبة للعيش التي لا بد
من مراعاتها في المرأة ليدوم العقد ولتوفر مقاصده فهي ثمانية الدين والخلق والحسن وخفة المهر
والولادة والبكارة والنسب وان لا تكون قرابة قريبة وبعد ذكر الاول قال رحمه الله اما حسن الخلق
فاصل مهم في طلب الفراغة والاستعانة على الدين فانها اذا كانت سليطة بذية اللسان سيئة الخلق
كافرة للنعم كان الضرر منها اكثر من النفع والصبر على لسان النساء مما يمتحن به الاولياء قال بعض العرب
لا تنكحوا من النساء ستة لا انانة ولا منانة ولا حنانة ولا حداقة ولا براقة ولا شداقة اما الانانة
فهي التي تكثر الانين والتشكي وتعصب راسها كل ساعة فنكاح الممراضة والمتمارضة لا خير فيه والمنانة
التي تمن على زوجها فتقول فعلت لاجلك كذا وكذا والحنانة التي تحن الى زوجها او ولدها من زوج آخر وهذا
ايضا مما يجب اجتنابه والحداقة التي ترمي الى كل شيء بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج شراءه والبراقة
تحتمل معنيين احدهما ان تكون طول النهار في تصقيل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق يحصل بالتصنع والثاني
ان تغضب على الطعام فلا تأكل الا وحدها وتستقل نصيبها من كل شيء وهذه لغة يمانية يقولون برقت المرأة

[illegible]

الطبقة الثالث [illegible]

ادرجت عذارها فتواجدتك ذراعا وان كسحتها وشددت يدك عليها في محل الشدة ملكتها
وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والارض فكل ما جاوز حده انعكس على ضده فينبغي
ان يسلك سبيل الاقتصاد في المخالفة والموافقة ويتبع الحق في جميع ذلك ليسلم من شرهن فان
كيدهن عظيم وشرهن فاش والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل ولا يعتدل ذلك منهن
الا بنوع لطف ممزوج بسياسة الخامس الاعتدال في الغيرة وهو ان لا يتغافل عن مبادي الامور التي
تخشى غوائلها ولا يبالغ في اساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن فقد نهى رسول الله صم ان تتبع
عورات النساء السادس الاعتدال في النفقة فلا ينبغي ان يقتر عليهن في الانفاق ولا ينبغي ان يسرف بل
يقتصد قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل
البسط السابع ان يتعلم المتزوج من علم الحيض واحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب ويعلم زوجته احكام
الصلوة وما يقضى منها في الحيض وما لا يقضى فانه امر بان يقيها النار بقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم
نارا فعليه ان يلقنها احكام الواجبات وشرايطها ولوازمها الثامن اذا كان له نسوة فينبغي ان
يعدل بينهن ولا يميل الى بعضهن قال رسول الله صم من كان له امرأتان فمال الى احديهما دون الاخرى
وفي لفظ آخر ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل واما العدل في العطاء والمبيت اما في الحب و
الوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار التاسع في النشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم امرهما فان
كان من جانبيهما جميعا او من الرجل فلا بد من حكمين من اهله ومن اهلها ليصلحا بينهما واما اذا كان من المرأة خاصة
فالرجال قوامون على النساء فله ان يؤدبها بالتدريج بان يقدم اولا الوعظ والتحذير والتخويف فان
لم ينجع ولاها ظهره في المضجع او انفرد عنها بالفراش وهجرها فان لم ينجع ضربها [illegible] العاشر في آداب
الجماع ويستحب ان يبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم العلي العظيم ويقرأ قل هو الله احد اولا ويكبر ويهلل ويقول
بسم الله تعالى اللهم اجعلها ذرية طيبة ان كنت قدرت ان تخرج من صلبي ذلك وقال صم لو ان
احدكم اذا اتى اهله قال اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فان كان بينهما
ولد لم يضره الشيطان فاذا قرب من الانزال فقل في نفسك ولا تحرك شفتيك الحمد لله الذي خلق من

[illegible]

عن جابر ايضا انه قال ان رجلا اتى النبي صلعم فقال ان لي جارية وهي خادمنا وسانيتنا في النخل
وانا اطوف عليها واكره ان تحمل فقال صلعم اعزل عنها ان شئت فانه سياتيها ما قدر لها فلبث
الرجل ثم اتاه فقال ان الجارية قد حملت فقال صلعم قد اخبرتكم انه سياتيها ما قدر لها ذكره في الصحيحين
من جملة اداب الولادة عدم الفرح على الذكور والحزن على الاناث قال وعن انس قال رسول
الله صلعم من حمل طرفة من السوق الى عياله فكانما حمل اليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليبدأ بالاناث
قبل الذكور فان من فرح انثى فكانما بكى من خشية الله ومن بكى من خشية الله تعالى حرم الله جسده على النار

[illegible]

[illegible]

فان الفتاوى لا تحيط بتفاصيل الصور ودقائق الاحوال فقد كان في السلف من له ثلثمائة وستون صديقا
ينزل على كل واحد في ليلة ومن له ثلثون فكانوا يشتغلون بالعبادة لعلمهم بان المتكفلين بهم يتقلدون
منة في قبولهم لخيراتهم فكان قبولهم لخيراتهم خيرا محضا لهم الى عباداتهم فينبغي ان يدقق النظر في هذه الامور
فان اجر الاخذ كاجر المعطي مهما كان الاخذ يستعين به على الدين والمعطي يعطيه عن طيب قلب ومن
اطلع على هذه المعاني امكنه ان يتعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ما هو الافضل له بالاضافة
الى حاله ووقته فهذه فضيلة الكسب ولكن العقد الذي به الاكتساب جامع لاربعة امور الصحة
والعدل والاحسان والشفقة على الدين ونحن نعقد في كل احد بابا ونبتدئ بذكر اسباب الصحة
في الباب الثاني **الباب الثاني** في علم الكسب بطريق البيع والربا والسلم والاجارة
والقراض والشركة وبيان شروط الشرع في صحة هذه التصرفات التي هي مدار المكاسب في الشرع اعلم
ان تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مكتسب لان طلب العلم فريضة على كل مسلم وانما هو
طلب العلم المحتاج اليه والمكتسب لا بد له من هذا العلم يتميز له المباح عن المحظور وموضع الاشكال
عن موضع الوضوح ثم نشرح العقود على الترتيب واركانها واحكامها وشرائطها على التفصيل
الباب الثالث في بيان العدل واجتناب الظلم في المعاملة اعلم ان المعاملة
قد تجري على وجه يحكم المفتي بصحتها وانعقادها ولكنها تشتمل على ظلم يتعرض به المعامل لسخط الله
تعالى اذ ليس كل نهي يقتضي فساد العقد وهذا الظلم يعني به ما يستضر به الغير وهو ينقسم
الى ما يعم ضرره والى ما يخص المعامل الاول الاحتكار قال رسول الله صلعم من احتكر الطعام
اربعين يوما ثم تصدق به لم يكن صدقته كفارة لاحتكاره وقيل فكانما قتل نفسا والثاني فكل ما
يستضر به المعامل فهو ظلم وانما العدل ان لا يضر باخيه المسلم والضابط الكلي فيه ان لا يحب له الا
ما يحب لنفسه فكل ما لو عومل به لشق عليه وثقل على قلبه فينبغي ان لا يعامل غيره به بل ينبغي ان يستوي
عنده درهمه ودرهم غيره قال بعضهم من باع اخاه شيئا بدرهم وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه الا بخمسة دوانيق
فانه ترك النصح المامور به في المعاملة ولم يحب لاخيه ما يحب لنفسه

كتاب الحلال والحرام وهو الرابع من ربع العادات قال رحمه الله بعد الخطبة فنوضح ذلك في سبعة ابواب الباب الاول في فضيلة طلب الحلال ومذمة الحرام ودرجات الحلال والحرام واورد في فضل الحلال ومذمة الحرام ايات كثيرة ومن الاخبار قوله من اكل الحلال اربعين يوما نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وفي رواية اخرى زهده الله في الدنيا وفي حديث المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا سقمت صدرت بالسقم ومثل الطعمة من الدين مثل الاساس من البنيان فاذا ثبت الاساس وقوي استقام البناء وارتفع فاذا ضعف الاساس واعوج وقع البنيان وقد قال تعالى افمن اسس بنيانه على تقوى من الله الاية ومن الاثار ذكر رحمه الله كثيرا ثم ذكر اصناف الحلال ثم درجات الحلال والحرام على التفصيل الائق ثم اورد رحمه الله الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي حول الحمى يوشك ان يقع فيه ثم بعد التفصيل البالغ والبسط الكامل اورد الباب الثالث في البحث والسؤال قال رحمه الله اعلم ان كل من قدم اليك طعاما او هدية او اردت ان تشتري منه او تتهب فليس لك ان تفتش عنه وتسال وتقول هذا مما لا اتحقق حله فلا آخذه بل افتش عنه وليس لك ايضا ان تترك البحث فتاخذ من كل احد او تاخذ كل ما لم تتيقن تحريمه بل السؤال واجب مرة وحرام مرة ومندوب اليه مرة ومكروه مرة ولا بد من تفصيله وفصله رحمه الله تفصيلا بليغا ثم اورد الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية ثم الباب الخامس في ادرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم قال رحمه الله اعلم ان من اخذ مالا من سلطان فلا بد له من النظر في ثلثة امور في مدخل ذلك الى يد السلطان من اين هو وفي صفته التي يستحق بها الاخذ وفي المقدار الذي ياخذه هل يستحقه اذا اضيف الى حاله وحال شركائه في الاستحقاق ثم اورد الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة وما يحرم اعلم ان لك مع الامراء والعمال الظلمة ثلثة احوال الحالة الاولى وهي شرها ان تدخل عليهم الى ان ذكر له الثالث ان تعتزل السلاطين ولا يراهم ولا يرونه ولا تامر الا به وهو الواجب اذ لا سلامة الا فيه فعليك وان تعتقد ذلك بغضهم على الظلم ولا تحب بقاءهم ولا تثني عليهم ولا تستخبر عن احوالهم ولا تتقرب الى المتصلين بهم ولا تتاسف على ما يفوت بسبب مفارقتهم
ثم اورد الباب السابع في مسائل متفرقة

غرض فيها اذ لا يطعم ولا يلبس ولكنها وسيلة الى المحبوبات فمن الناس من يحب كما يحب الذهب والفضة من حيث انه وسيلة الى المقصود اذ يتوصل به الى نيل جاه او مال او علم كما يحب الرجل سلطانا لانتفاعه بماله او بجاهه ويحب خواصه لتحسينهم حاله عنده وتمهيدهم امره في قلبه فالمتوسل اليه ان كان مقصور الفائدة على الدنيا ولكن ليس يقصد به الا الدنيا كحب التلميذ استاذه فهو ايضا خارج عن الحب لله فانه انما يحبه ليحصل العلم لنفسه فمحبوبه العلم فاذا كان لا يقصد العلم التقرب الى الله تعالى بل لينال به الجاه والمال والقبول عند الخلق فمحبوبه ذلك والعلم وسيلة اليه والاستاذ وسيلة الى العلم فليس في شيء من ذلك حب لله اذ يتصور كل ذلك ممن لا يؤمن بالله تعالى اصلا ثم ينقسم هذا الى مذموم ان كان يقصد به التوصل الى مقاصد مذمومة ومباح ان كان يقصد به التوصل الى مباح وانما يكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصد المتوسل اليه فانها تابعة له غير قائمة بنفسها القسم الثالث ان يحبه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعا الى حظوظه في الدنيا بل يرجع الى حظوظه في الآخرة فهذا ايضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب استاذه وشيخه لانه يتوصل به الى تحصيل العلم وتحسين العمل بالعلم ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الآخرة فهذا من جملة المحبين في الله وكذلك من يحب تلميذه لانه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرقى به الى درجة التعظيم في ملكوت السماء اذ قال عيسى عم من علم وعمل فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء ولا يتم التعليم الا بمتعلم فهو اذا آلة في تحصيل هذا الكمال فان احبه لانه آلة له اذ جعل صدره مزرعة لحرثه الذي هو سبب ترقيه الى رتبة العظمة في ملكوت السموات فهو محب في الله تعالى بل الذي يتصدق باموال الله سبحانه ويجمع الضيفان ويهيئ لهم الاطعمة اللذيذة الغريبة تقربا الى الله تعالى فاحب طباخا لحسن صنعته في الطبخ فهو من جملة المحبين في الله تعالى بل من يعزم على هذا فنقول اذا احب من يخدمه بنفسه في غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه ويفرغه بذلك للعلم والعمل ومقصوده من استخدامه في هذه الاعمال الفراغ في العبادة بل اذا احب من ينفق عليه ماله ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه وجميع اغراضه التي يقصدها في دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل المقرب الى الله تعالى فهو محب في الله تعالى بل من يحب زوجته لتحصنه بها عن وساوس الشيطان ويصون بها دينه او ليولد له ولد صالح يدعو له واحب زوجته لانها آلته في هذه المقاصد الدينية فهو محب في الله تعالى

كتاب آداب الصحبة والاخوة والمعاشرة مع اصناف الخلق وهو الكتاب الخامس

[illegible]

لتنقص حبة بسببه فالقدر الذي ينقص بسبب فقده هو لله تعالى وله على ذلك القدر ثواب الكسب الى
ثم اورد رحمه الله بعد بيان القسم الرابع وهو ان يحب بعد تعالى وفي الله تعالى لا لينال منه علما او عملا الخ ثم بيان النقص
في الله تعالى على التفصيل ثم بيان الصفات المشروطة فيمن يحب ويصحبه قال اعلم انه لا يصلح للصحبة كل انسان الخ
كتاب الثاني في حقوق الاخوة والصحبة على التفصيل ثم قال رحمه الله ومن ذلك التعليم والنصح
فليس حاجة اخيك الى العلم باقل من حاجته الى المال فان كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك
وارشاده الى كل ما ينفعه في الدين والدنيا فان علمته وارشدته فلم يعمل بمقتضى العلم فعليك نصحه وذلك
بان تذكر آفات ذلك الفعل وفوايد تركه وتخوفه بما يكرهه في الدنيا والاخرة لينزجر عنه وتنبهه على عيبه
وتقبح القبيح في عينه وتحسن الحسن ولكن ينبغي ان يكون ذلك في سر لا يطلع عليه احد فما كان على
الملأ فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة اذ قال صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن
مرآة المؤمن اي يرى منه ما لا يرى من نفسه ويستفيد المرء باخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد
لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة قال الشافعي من وعظ اخاه
سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه وقد صدق فان النصح على الملأ افضاح و
الله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيمة تحت كنفه وفي ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سرا وقد يدفع كتاب
عمله مختوما الى الملائكة الذين يحفون به الى الجنة فاذا قاربوا باب الجنة اعطوه الكتاب مختوما
ليقرأه واما اهل المقت فينادون على رؤوس الاشهاد وتستنطق جوارحهم بفضائحهم فيزدادون
بذلك خزيا وافتضاحا نعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر فالفرق بين التوبيخ والنصيحة بالاسرار
والاعلان كما ان الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الاغضاء فان اغضيت لسلامة
دينك ولما ترى فيه من اصلاح اخيك بالاغضاء فانت مدار وان اغضيت لحظ نفسك واجتلاب
شهواتك وسلامة جاهك فانت مداهن قال ذو النون لا تصحب مع الله تعالى الا بالموافقة و
لا مع الخلق الا بالمناصحة ولا مع النفس الا بالمخالفة ولا مع الشيطان الا بالعداوة
فان قلت اذا كان في النصح ذكر العيوب ففيه ايحاش القلوب فكيف يكون ذلك من حق الاخوة
فاعلم ان الايحاش انما يحصل بذكر عيب يعلمه اخوك من نفسه فاما تنبيهه على ما لا يعلمه فهو عين الشفقة

[illegible]

كتاب آداب السفر افاد رحمه الله بعد الحمد والصلوة اما بعد فان السفر وسيلة الى الخلاص
عن مهروب عنه والوصول الى مطلوب والسفر سفران سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن الى الصحاري
والفلوات وسفر بسير القلب عن اسفل سافلين الى ملكوت السموات واشرف السفرين السفر الباطن
فان الواقف على الحالة التي نشأ عليها عقيب الولادة الجامد على ما تلقفه بالآباء بالتقليد من الآباء والاجداد
لازم درجة القصور وقانع برتبة النقص ومستبدل بمتسع فضاء عرصة السموات والارض ظلمة السجن
وضيق الحبس ولم ار في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام الا ان هذا السفر
لما كان مقتحمه في خطب خطير جليل لم يستغن فيه عن خفير ودليل فاقتضى غموض السبيل وفقد
الخفير والدليل وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل اندراس مسالكه فانقطع
فيها الرفاق وخلى عن الطائفين منتزهات الانفس والملكوت والآفاق واليه دعا الله سبحانه بقوله
عز من قائل سنريهم آياتنا في الآفاق وبقوله تعالى وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا
تبصرون وعلى القعود عن هذا السفر وقع الانكار بقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا
تعقلون وبقوله تعالى فكاين من آية في السموات يمرون عليها وهم عنها معرضون فمن يتيسر له
هذا السفر لم يزل في سيره متنزها في جنة عرضها السموات والارض وهو ساكن بالبدن مستقر في الوطن
وهو السفر الذي لا يضيق فيها المناهل والموارد ولا يضر فيها الزحام والتوارد بل يزيد بكثرة المسافرين
غنايمه وتتضاعف ثمراته وفوائده فغنايمه دائمة غير ممنوعة وثمراته متزايدة غير مقطوعة الا اذا بدا
للمسافر فترة في سفره ووقفة في حركته فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا زاغوا ازاغ
الله قلوبهم وما الله بظلام للعبيد ولكنهم يظلمون انفسهم ومن لم يؤهل للجولان في هذا الميدان والتطواف
في متنزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر بدنه في مدة مديدة فراسخ معدودة مغتنما بها تجارة
الدنيا او ذخيرة الآخرة فان كان مطلبه العلم والدين او الكفاية للاستعانة على الدين كان
من سالكي سبيل الآخرة وكان له في سفره شروط وآداب ان اهملها كان من عمال الدنيا واتباع
الشياطين وان واظب عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بعمال الآخرة ونحن نذكر آدابه وشروطه
في بابين

[illegible]

القسم الاول

[illegible]

عليه السلام مختصا بفهم منطق الطير ولما كان موسى عليه السلام مختصا بسماع كلام الله الذي يجب تقديسه عن
مشابهة الحروف والاصوات ومن لم يستقل بسماع هذه الشهادات من الاسطر المكتوبة بالخطوط الالهية
على صفحات الجمادات لم يطل سفره بالبدن بل يستقر في موضع ويفرغ قلبه لسماع نغمات التسبيحات من آحاد
الذرات فما له والتردد في الفلوات وله غنية في ملكوت السموات فالشمس والقمر والنجوم مسخرات وهي الى ابصار
ذوي البصائر مسافرات في الشهر والسنة مرات بل هي دائبة في الحركة على توالي الاوقات فمن الغرائب
ان يدأب في الطواف باحاد المساجد من امرت الكعبة ان تطوف به ومن الغرائب ان يطوف في اكناف
الارض من تطوف به اقطار السماء ثم ما دام المسافر مفتقرا الى ان يبصر عالم الملك والشهادة بالبصر
الظاهر فهو بعد في المنزل الاول من منازل السائرين الى الله تعالى والمسافرين الى حضرته وكأنه معتكف
على باب الوطن لم يفض به السير الى متسع الفضاء ولا سبب لطول المقام في هذا المنزل الا الجبن والقصور
ولذلك قال بعض ارباب القلوب ان الناس ليقولون افتحوا اعينكم حتى تبصروا وانا اقول غمضوا اعينكم
حتى تبصروا وكل واحد من القولين حق الا ان الاول خبر عن المنزل الاول القريب من الوطن والثاني خبر
عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التي لا يطؤها الا مخاطر بنفسه والمجاوز اليها ربما يتيه فيها سنين و
ربما يأخذ التوفيق بيده ويرشده الى سواء الطريق والهالكون في التيه هم الاكثرون من ركاب هذا
الطريق ولكن السائحين بنور التوفيق فازوا بالنعيم والملك المقيم وهم الذين سبقت لهم منا الحسنى
واعتبر هذا الملك بملك الدنيا فانه يقل بالاضافة الى كثرة الخلق طلابه ومهما عظم المطلب
قل المساعد ثم الذي يهلك اكثر من الذي يملك ولا يتصدى لطلب الملك العاجز الجبان لعظم الخطر وطول
التعب وقيل شعر واذا كانت النفوس كبارا ❊ تعبت في مرادها الاجسام ❊ وما اودع الله العز
والملك في الدين والدنيا الا في متن الخطر وقد يسمي الجبان الجبن والقصور باسم الحزم والحذر
يرى الجبان ان الجبن حزم ❊ وتلك خديعة النفس اللئيم فهذا حكم السفر الظاهر اذا اريد به السفر الباطن
لمطالعة آيات الارض فلنرجع الى الغرض الذي كنا نقصده ولنبين القسم الثاني وهو ان يسافر
لاجل العبادة اما لجهاد او حج وقد ذكرنا فضل ذلك وآدابه واعماله الظاهرة والباطنة في كتاب اسرار الحج
ويدخل في جملته زيارة قبور الانبياء وزيارة قبور الصحابة والتابعين وساير العلماء والاولياء وكل من
يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ولا يمنع

[illegible]

القسم الثالث

[illegible]

رتبته بمجاورة الجهال والتدرج قليلا قليلا الى ما لم يقدر عليه ولكن الممارسة والجهد يزيد في قوته
زيادة وان كان ذلك لا يبلغ درجته فلا ينبغي ان يترك الجهد عند اليأس عن الرتبة العليا فان
ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال وقد كانت عادة السلف مفارقة الوطن خيفة من الفتن قال
سفيان الثوري هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخامل فكيف على المشهورين هذا زمان رجل ينتقل من
بلد الى بلد كلما عرف في موضع تحول الى غيره وقال ابو نعيم رأيت سفيان الثوري وقد علق قلته بيده
ووضع جرابه على ظهره فقلت الى اين يا ابا عبد الله قال قد عرفت قرية فيها رخص اريد ان اقيم
بها فقيل له وتفعل هذا قال نعم اذا بلغك ان قرية فيها رخص فاقم بها فانه اسلم لدينك واقل لهمك
وهذا هرب من غلاء السعر وكان سري السقطي يقول للصوفية اذا خرج الشتاء فقد خرج آذار و
اورقت الاشجار وطاب الانتشار فانتشروا وقد كان الخواص لا يقيم في بلد اكثر من اربعين يوما و
قد كان من المتوكلين ويرى الاقامة اعتمادا على الاسباب قادحا في التوكل وسيأتي اسرار الاعتماد
على الاسباب في كتاب التوكل ان شاء الله تعالى القسم الرابع السفر هربا مما يقدح في البدن
كالطاعون او في المال كغلاء السعر وما يجري مجراه ولا حرج في ذلك بل ربما يجب الفرار في بعض المواضع
وربما يستحب في بعض الاوقات بحسب وجوب ما يترتب عليه من الفوائد واستحبابه في ذلك ولكن
يستثنى منه الطاعون فلا ينبغي ان يفر منه لورود النهي فيه قال اسامة بن زيد رضي الله عنه قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الوجع او السقم رجز عذب به بعض الامم قبلكم ثم بقي بعد في الارض فيذهب المرة
ويأتي الاخرى فمن سمع به في ارض فلا يقدمن عليه ومن وقع بارض وهو بها فلا يخرجه الفرار منه
وذكر رحمه الله احاديث كثيرة لذلك فقال فهذه الاحاديث تدل على ان الفرار من الطاعون منهي عنه وكذا
القدوم عليه وسيأتي بيان سر ذلك في كتاب التوكل فهذه اقسام الاسفار وقد خرج منه ان السفر
ينقسم الى مذموم والى محمود والى مباح والمذموم ينقسم الى حرام كاباق العبد وسفر العاق والى مكروه
كالخروج من بلد الطاعون والمحمود ينقسم الى واجب كالحج وطلب العلم الذي هو فريضة على كل مسلم والى

شروط العلماء [illegible]
سكن بارة وشاهدهم ومن بلده فانتفع [illegible]
زيارة يتبين الشيخ في السفر والاسباب [illegible]
الاسباب تبعات للسبب الباعث واما المباح والعبادات [illegible]
النية الانبعاث الباعثة ولكن نية الآخرة في جميع [illegible]
لاجابة الداعية والندب وكان ما المكروه والمحظور [illegible]
في الواجب [illegible] التعفف عن السؤال ورعاية ستر المروءة [illegible]
قصده بطلب المال [illegible] للمباح بعده [illegible]
بالفضل من المال [illegible] اعمال الآخرة [illegible]
الرياء والسمعة خرج [illegible]
المحظورات كان النية لا تؤثر في اخراجها عن كونها محظورة [illegible]
الى مقاصدهم فيعطي كل واحد من البصيرة والفطنة [illegible]
وكانت همته الآخرة اعطى الافضل والاقامة [illegible]
اما النظر في ان السفر هو الافضل مع زيادة تعب [illegible]
فليعلم هذا منها فان السفر نوع مخالطة مع [illegible]
على الدين ونهاية ثمرة الدين في الدنيا تحصيل معرفة الله تعالى وتحصيل الانس [illegible]
يحصل بدوام الفكر ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما [illegible]
على العلم بالتعلم في الابتداء فاما المسافر المشغول القلب [illegible]
وماله [illegible]
[illegible]
سوى باستحكام اسباب الطمع [illegible]

لما خلت بواطنهم عن لطائف الافكار ودقائق الاعمال ولم يحصل لهم انس بالله تعالى وبذكره في الخلوة
وكانوا بطالين غير محترفين ولا مشغولين فقد الفوا البطالة واستثقلوا العمل واستوعروا طريق الكسب
واستلانوا جانب السؤال والكدية واستطابوا الرباطات المبنية لهم في البلاد واستسخروا الخدم المنتصبين
للقيام بخدمة القوم واستخفوا عقولهم واديانهم من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة الا الرياء والسمعة وانتشار الصيت
واقتناص الاموال بطريق السؤال تعللا بكثرة الاتباع فلم يكن لهم في الخانقاهات حكم نافذ ولا
تاديب للمريدين نافع ولا حجر عليهم قاهر فلبسوا المرقعات واتخذوا من الخانقاهات منتزهات وربما
تلقفوا الفاظا مزخرفة من اهل الطامات فينظرون الى انفسهم وقد تشبهوا بالقوم في خرقتهم وفي سياحتهم
وفي لفظهم وعبارتهم وفي آداب ظاهرة من سيرتهم فيظنون بانفسهم خيرا ويحسبون ان كل سوداء
تمرة ويتوهمون ان المشاركة في الظاهر توجب المساهمة في الحقائق وهيهات فما اغزر حماقة من
لا يميز بين الشحم والورم فهؤلاء بغضاء الله فان الله يبغض الشاب الفارغ ولم يحملهم على السياحة
الا الشباب والفراغ الا من سافر لحج او عمرة في غير رياء ولا سمعة او سافر لمشاهدة شيخ يقتدى
به في علمه وسيرته وقد خلت البلاد عنه الآن والامور الدينية كلها قد فسدت وضعفت الا التصوف
فانه قد انمحق بالكلية وبطل لان العلوم لم تندرس بعد والعالم وان كان عالم سوء فانما فساده في سيرته
لا في علمه فيبقى عالما غير عامل بعلمه والعمل غير العلم واما التصوف فانه عبارة عن تجرد القلب
لله تعالى واستحقار ما سوى الله عز وجل وحاصله يرجع الى عمل القلب والجوارح ومهما فسد
العمل فات الاصل وفي اسفار هؤلاء نظر للفقهاء من حيث انه اتعاب للنفس بلا فائدة وقد يقال
ان ذلك ممنوع ولكن الصواب عندنا ان يحكم بالاباحة فان حظوظهم التفرج عن كرب البطالة بمشاهدة
البلاد المختلفة وهذه الحظوظ وان كانت خسيسة فنفوس المتحركين ايضا لهذه الحظوظ خسيسة
ولا باس باتعاب حيوان خسيس لحظ خسيس يليق به ويعود اليه فهو المتاذي به وهو المتلذذ والفتوى
تقتضي تسليط العوام في المباحات التي لا نفع فيها ولا ضرر فالسياحون من غير مهم في الدين والدنيا
بل لمجرد التفرج بالبلاد كالبهائم المترددة في الصحارى فلا باس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم ولم
يلبسوا على الخلق حالهم وانما عصيانهم في التلبيس والسؤال على اسم التصوف والاكل من الاوقاف
التي وقفت على الصوفية لان الصوفي عبارة عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات اخرى وراء

[illegible] احوال [illegible] العدالة
ومن اظهر من احواله [illegible]
هو الطعام [illegible]
والكل الحرام [illegible]
والصلاح ولو نقص [illegible]
كافر وتقيه يهودي [illegible]
فالصدق عبارة عن عدل [illegible]
وكذلك من نظر الى ظواهرهم ولم يعرف [illegible]
حرم عليهم الاخذ [illegible]
واخذ المال باظهار التعرف [illegible]
ومن زعم انه علوي وهو كاذب فاعطاه [illegible]
عليه حرام وكذلك الصفة [illegible]
لو علم المعطي من باطنه ما يعلمه [illegible]
يكون [illegible]
لا يحل له ان لا ياكل الا الحلال [illegible]
عن مواساته فان اضطر طالب الحلال [illegible]
الدين فلك مستحقا لذلك [illegible]
منع ذلك فليأخذ فانه [illegible]
اهنا مكيدة للنفس [illegible]
استغفارهم لها ويطرحها [illegible]
هو المدح والاطراء [illegible]
في الملا هو عين [illegible]
الفصل الثاني

الفصل الثاني في آداب المسافر من اول نهوضه الى آخر رجوعه وهي احد عشر ادبا **الاول** ان
يبدا برد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لمن تلزمه نفقته وبرد الودائع ان كان عنده ولا ياخذ
لزاده الا الطيب الحلال وليأخذ قدرا يوسع به على رفقائه قال ابن عمر من كرم الرجل طيب زاده في سفره
فلا بد في السفر من طيب الكلام واطعام الطعام ومن اظهار مكارم الاخلاق فان السفر يخرج خبايا الباطن
ومن يصلح لصحبة السفر يصلح لصحبة الحضر وقد يصلح في الحضر ولا يصلح في السفر والسفر سبب من اسباب الضجر
ومن احسن خلقه في الضجر فهو الحسن الخلق والا فعند مساعدة الامور على وفق الغرض قلما يظهر سوء الخلق
وتمام حسن خلق المسافر بالاحسان الى المكاري ومعاونة الرفقة بكل ممكن وبالرفق بكل منقطع بان لا يجاوزه
الا بالاعانة بمركوب او زاد او ماء او توقف لاجله وتمام ذلك مع الرفقاء بمزاح ومطايبة في بعض الاوقات
من غير فحش ومعصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر ومشاقه **الثاني** ان يختار رفيقا ولا يخرج وحده
فالرفيق ثم الطريق وليكن رفيقه ممن يعينه على الدين فيذكره اذا نسي ويعينه ويساعده اذا ذكر فان
المرء على دين خليله ولا يعرف الرجل الا برفيقه وقد نهى رسول الله صلعم ان يسافر الرجل وحده وقال صلعم اذا
كنتم ثلاثة في سفر فامروا احدكم وكانوا يفعلون ذلك ويقولون هذا اميرنا امره رسول الله صلعم وليأمروا احسنهم اخلاقا
وارفقهم بالاصحاب واسرعهم الى الايثار وطلب الموافقة وانما يحتاج الى الامير لان الآراء تختلف في تعيين المنازل
والطرق ومصالح السفر ولا نظام الا في الوحدة ولا فساد الا في الكثرة وانما انتظم امر العالم لان
مدبر الكل واحد لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ومهما كان المدبر واحدا انتظم التدبير قال صلعم خير الاصحاب
اربعة وتخصيص الاربعة من بين سائر الاعداد لا بد وان يكون له فائدة والذي ينقدح فيه ان المسافر لا يخلو
عن رحل يحتاج الى التردد فيه ولو كانوا ثلاثة لكان المتردد في الحاجة واحدا فيتردد في السفر بلا رفيق فلا
يخلو عن خطر وعن ضيق قلب لفقد انس الرفيق ولو تردد في الحاجة اثنان لكان الحافظ للرحل واحدا فلا يخلو
عن الخطر وعن ضيق الصدر فاذن ما دون الاربعة لا يفي بالمقصود وما فوق الاربعة يزيد فلا تجمعهم رابطة واحدة
فلا ينعقد بينهم الترافق لان الخامس زيادة بعد الحاجة ومن يستغنى عنه لا تنصرف الهمة اليه فلا تتم المرافقة معه نعم
في كثرة الرفاق فائدة الامن من المخاوف ولكن الاربعة خير للرفاقة الخاصة لا للرفاقة العامة **الثالث** ان
يودع رفقاء الحضر والاهل والاصدقاء وليدع عند الوداع بدعاء رسول الله صلعم قال بعضهم صحبت عبد الله بن عمر من

[illegible]

اربع ركعات يصليهن في بيته [illegible] الخامس [illegible]

ثم يقول اللهم اني [illegible] اعوذ بك ان اضل او اضل او ازل او ازل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي [illegible]

[illegible] الا بالله [illegible]

وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي [illegible] للخير اينما توجهت [illegible]

فاذا ركب الدابة فليقل بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله [illegible] سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون [illegible]

[illegible]

ثم قال رحمه الله فهذه جملة من الآداب الظاهرة فاما الآداب الباطنة ففي الفصل الاول بيان جملة منها وجملته انه لا يسافر الا اذا كان زيادة دينه في السفر ومهما وجد قلبه متغيرا الى نقصان فليقف او لينصرف ولا ينبغي ان يجاوز همه منزله بل ينزل حيث ينزل قلبه وينوي في دخول كل بلدة ان يرى شيوخها ويجتهد ان يستفيد من كل واحد ادبا او كلمة لينتفع بها لا ليحكي ذلك ويظهر انه لقي المشايخ ولا يقيم ببلدة اكثر من اسبوع او عشرة ايام الا ان يأمره الشيخ المقصود بذلك ولا يجالس في مدة اقامته الا الفقراء الصادقين وان كان قصده زيارة اخ فلا يزيد على ثلاثة ايام فهو حد الضيافة الا اذا شق على اخيه مفارقته واذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده اكثر من يوم وليلة ولا يشتغل بالعشرة فان ذلك يقطع بركة سفره وكلما دخل البلد فلا يشتغل بشيء سوى زيارة منزله ويلازم في الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره واذا كلمه انسان فليترك الذكر وليجبه ما دام يحدثه ثم يرجع فان تبرمت نفسه بالسفر او بالاقامة فليخالفها فالبركة في مخالفة النفس واذا تيسرت له خدمة قوم صالحين فلا ينبغي ان يسافر تبرما بالخدمة فذلك كفران نعمة ومهما وجد نفسه في نقصان عما كان في الحضر فليعلم ان سفره معلول وليرجع اذ لو كان بحق لظهر اثره قال رجل لابي عثمان المغربي خرج فلان مسافرا فقال السفر غربة والغربة ذل وليس للمؤمن ان يذل نفسه واشار به الى من ليس له في السفر زيادة دين والا فعز الدين لا ينال الا بذل الغربة فليكن سفر المريد من وطن هواه ومراده وطبعه حتى يعز في هذه الغربة ولا يذل فان من اتبع هواه في سفره ذل لا محالة عاجلا وآجلا

الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وادلة القبلة والاوقات

اعلم ان المسافر يحتاج في اول سفره الى ان يتزود لدنياه ولآخرته اما زاد الدنيا فالطعام والشراب وما يحتاج اليه من النفقة فان خرج متوكلا من غير زاد فلا بأس به اذا كان سفره في قافلة او بين قرى متواصلة وان ركب البادية وحده او مع قوم لا طعام معهم ولا شراب فان كان ممن يصبر على الجوع اسبوعا او عشرا مثلا ويقدر على ان يكتفي بالحشيش فله ذلك وان لم يكن له قوة الصبر على الجوع ولا القدرة على الاجتزاء بالحشيش فخروجه من غير زاد معصية بانه القى نفسه بيده الى التهلكة ولهذا سر سيأتي في كتاب التوكل وليس معنى التوكل التباعد عن الاسباب بالكلية ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو والحبل ونزوح الماء من البئر ولوجب ان يصبر حتى يسخر الله له ملكا او شخصا آخر حتى يصب الماء في فيه فان كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح

[illegible]

ومن جملة ما ذكره رحمه الله في الباب الاول من نقل اقاويل العلماء والمتصوفة في تحليله وتحريمه ثم بيان الدليل على اباحته بالقياس والنص وذكر درجات ثلث للنظر في الصوت من حيث انه طيب حسن والنظر في الصوت الطيب الموزون من حيث انه موزون ثم قال الا ان الاجتماع عليها لما ان صار من عادة اهل الفسق يمتنع التشبه بهم لان من تشبه بقوم فهو منهم ~~قال [illegible]~~ وبهذه العلة نقول بترك السنة مهما صار شعارا لاهل البدعة خوفا من التشبه بهم وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة وهي طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة المخنثين ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحج والغزو وبهذه العلة نقول لو اجتمع جماعة وزينوا مجلسا واحضروا آلات الشراب واقداحها وصبوا فيها السكنجبين ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم فيأخذون من الساقي ويشربون ويحيون الجمع ويحيي بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك وان كان المشروب مباحا في نفسه لان في ذلك تشبها باهل الفساد وحكم رحمه الله في ~~الدرجتين [illegible]~~ باباحة سماع الاصوات الحسنة او الموزونة بل قال فكيف فسماع هذه الاصوات يستحيل ان يحرم لكونها طيبا او موزونا فلا ذاهب الى تحريم سماع صوت العندليب ثم قال الدرجة الثالثة الموزون المفهوم وهو الشعر وذلك لا يخرج الا من حنجرة الانسان فيقطع باباحة ذلك لانه ما زاد الا كونه كلاما والكلام المفهوم غير حرام والصوت الطيب الموزون غير حرام فاذا لم يحرم الآحاد فمن اين يحرم المجموع نعم ينظر فيما يفهم منه فان كان فيه امر محظور حرم نثره ونظمه وحرم التصويت به سواء كان بالحان او لم يكن والحق فيه ما قاله الشافعي اذ قال الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح ومهما جاز انشاد الشعر بغير صوت حسن والحان جاز مع الالحان فان افراد المباحات اذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحا ومهما انضم مباح الى مباح لم يحرم الا اذا تضمن المجموع محظورا لا يتضمنه الآحاد ولا محظور ههنا وكيف ينكر انشاد الشعر وقد انشد بين يدي رسول الله صلعم فقال عليه السلم ان من الشعر لحكمة وكان النبي صلعم يضع لحسان منبرا في المسجد ويقوم عليه فاما يفاخر عن رسول الله صلعم او ينافح ويقول رسول الله صلعم ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح او فاخر عن رسول الله ولم ينقل عن احد من الصحابة انكاره بل ربما كانوا يلتمسون ذلك للتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ فلا يجوز ان يحرم من حيث انه كلام مفهوم مستلذ مؤدى باصوات طيبة والحان موزونة

الدرجة الرابعة النظر فيه من حيث انه محرك للقلب ومهيج لما هو الغالب عليه فاقول لله تعالى سر

... مناسبة النغم الموزونة في الارواح حتى انها لتؤثر فيها تاثيرا عجيبا فمن الاصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما ينوم ومنها ما يضحك ويطرب ومنها ما يستخرج من الاعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والراس ولا ينبغي ان يظن ان ذلك لفهم معاني الشعر بل هذا جار في الاوتار حتى قيل من لم يحركه الربيع وازهاره والعود واوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج وكيف يكون ذلك لفهم المعنى وتاثيره مشاهد في الصبي في مهده فانه يسكته الصوت الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه عما يبكيه الى الاصغاء اليه والجمل مع بلادة طبعه يتاثر بالحداء تاثرا يستخف معه الاحمال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه في سماعه المسافات الطويلة وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه فتراها اذا طالت عليها البوادي واعتراها الاعياء والكلال تحت المحامل والاحمال اذا سمعت منادي الحداء تمد اعناقها وتصغي الى الحادي ناصبة آذانها وتسرع في سيرها حتى تتزعزع عليها احمالها ومحاملها وربما تتلف انفسها من شدة السير وثقل الحمل وهي لا تشعر به لنشاطها فقد حكى ابو بكر محمد بن داود الدينوري قال كنت في البادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فاضافني رجل منهم وادخلني خباءه فرايت في الخباء عبدا اسود مقيدا ورايت جمالا قد ماتت بين يدي البيت وقد بقي منها جمل وهو ناحل ذابل كانه ينزع روحه فقال لي الغلام انت ضيف ولك حق فتشفع في الى مولاي فانه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك فعساه يحل القيد عني فلما احضروا الطعام امتنعت وقلت لا آكل ما لم اشفع في هذا العبد فقال ان هذا العبد قد افقرني واهلك جميع مالي فقلت ماذا فعل فقال ان له صوتا طيبا واني كنت اعيش من ظهور هذه الجمال فحملها احمالا ثقالا وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة ايام في ليلة واحدة من طيب نغمته فلما حطت احمالها ماتت كلها الا هذا الجمل الواحد ولكن انت ضيفي فلكرامتك قد وهبته لك قال فاحببت ان اسمع صوته فلما اصبحنا امره ان يحدو على جمل يستقي الماء من بئر هناك فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقعت انا على وجهي فما اظن اني سمعت قط صوتا اطيب منه فاذا تاثير السماع في القلب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على جميع البهائم فانها جميعها تتاثر بالنغمات الموزونة ولذلك كانت الطيور تقف على راس داود عليه السلام لاستماع صوته ومهما كان النظر في السماع باعتبار تاثيره في القلب لم يجز ان يحكم فيه مطلقا باباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالاحوال والاشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه

تحكمه حكم ما في القلب قال ابو سليمن السماع لا يحصل في القلب ما ليس فيه ولكن يحرك ما هو فيه فالترنم
بالكلمات المسجعة الموزونة يعتاد في مواضع لاغراض مخصوصة يرتبط بها اثار في القلب وهي سبعة مواضع
الاول غناء الحجيج فانهم يدورون اولا في البلاد بالطبل والشاهين والغناء وذلك مباح لانها اشعار
نظمت في وصف الكعبة والمقام والحطيم وزمزم وساير المشاعر ووصف البادية وغيرها وتاثير ذلك
تهييج الشوق الى حج بيت الله تعالى واشتعال نيرانه ان كان ثم شوق حاصل او استثارة الشوق
واجتلابه ان لم يكن حاصلا واذا كان الحج قربة والشوق اليه محمودا كان التشويق اليه بكل ما يشوق
محمودا وكما يجوز للواعظ ان ينظم كلامه في الوعظ ويزينه بالسجع ويشوق الناس الى الحج بوصف والمشاعر البيت
الثاني ما يعتاده الغزاة لتحريض الناس على الغزو وذلك ايضا مباح كالحاج ولكن ينبغي ان يخالف
اشعارهم وطرق الحانهم اشعار الحاج لان استثارة داعية الغزو بالتشجيع وتحريك الغيظ والغضب على الكفار
وتحسين الشجاعة واستحقار النفس ثم ذكر الثالث والرابع لوجوه شتى يستعملها الشجعان في
وقت اللقاء. واصوات النياحة ونغماتها وتاثيرها في تهييج الحزن والبكاء وملازمة الكآبة والحزن
قال رجاؤه وهو قسمان محمود ومذموم اما المذموم فكالحزن على ما فات قال الله تعالى لكيلا تاسوا
على ما فاتكم والحزن على الاموات من هذا القبيل فانه تسخط لقضاء الله تعالى وتاسف على ما لا تدارك
له فهذا الحزن لما كان مذموما كان تحريكه بالنياحة مذموما فلذلك ورد النهي الصريح في النياحة و
اما الحزن المحمود فهو حزن الانسان على تقصيره في امر دينه وبكاؤه على خطاياه والبكاء والتباكي والحزن
والتحازن على ذلك محمود وعليه بكاء آدم عليه السلام وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود الخامس السماع
في اوقات السرور تاكيدا للسرور وتهييجا له وهو مباح ان كان ذلك السرور مباحا كالغناء في ايام العيد
وفي العرس وفي وقت قدوم الغايب ووقت الوليمة والعقيقة وعند ولادة المولود وعند ختانه او
السادس سماع العشاق تحريكا للشوق وتهييجا للعشق وتسلية للنفس فان كان مع المفارقة
فالغرض تهييج الشوق وان كان الم ففيه نوع لذة اذا انضاف اليه رجاء الوصال فان الرجاء
لذيذ والياس مولم وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشهوة والحب للشيء المرجو ففي هذا السماع
تهييج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء المقدر في الوصال مع الاطناب في
حسن المحبوب وهذا حلال ان كان المشتاق اليه ممن يباح وصاله كمن يعشق زوجته

او سريته فيصغي الى غنائها لتتضاعف لذته في لقائها فيحظى بالمشاهدة البصر وبالسماع الاذن ويفهم لطائف معاني الوصال والفراق القلب فتترادف اسباب اللذة فهذه انواع تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها وما الحياة الدنيا الا لهو ولعب وهذا منه وكذلك ان غضبت منه جاريته او حيل بينه وبينها بسبب من الاسباب فله ان يحرك بالسماع شوقه وان يستثير به لذة رجاء الوصال فان باعها او طلقها حرم عليه ذلك بعده اذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال واللقاء واما من يتمثل في نفسه صورة صبي او امراة لا يحل له النظر اليها وكان ينزل ما يسمع على ما يتمثل في نفسه فهذا حرام لانه محرك للفكر في الافعال المحظورة ومهيج للداعية الى ما لا يباح الوصول اليه واكثر العشاق والسفهاء من الشبان في وقت هيجان الشهوة لا ينفكون عن اضمار شيء من ذلك فلذلك يمنع من السماع لما فيه من الداء الدفين لا لامر يرجع الى نفس السماع ولذلك سئل حكيم عن العشق فقال دخان يصعد الى دماغ الانسان يزيله الجماع ويهيجه السماع السابع سماع من احب الله وعشقه واشتاق الى لقائه فلا ينظر الى شيء الا رآه فيه ولا يقرع سمعه قارع الا سمعه منه او فيه فالسماع في حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه وحبه ومور زناد قلبه ومستخرج منه احوالا من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن ذوقها وتسمى تلك الاحوال بلسان الصوفية وجدا ماخوذا من الوجود والمصادفة اي صادف من نفسه احوالا لم يكن يصادفها قبل السماع ثم تكون تلك الاحوال اسبابا لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتنقيه من الكدورات كما تنقي النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات وهي غاية مطالب المحبين لله تعالى ونهاية ثمرة القربات كلها فالمفضي اليها من جملة القربات لا من جملة المعاصي والمباحات وحصول هذه الاحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى في مناسبة النغمات الموزونة للارواح وتسخير الارواح لها وتاثرها بها شوقا وفرحا وحزنا وانبساطا وانقباضا ومعرفة السبب في تاثر الارواح بالاصوات من دقائق علوم المكاشفات والبليد الجامد القاسي القلب المحروم عن لذة السماع يتعجب من التذاذ المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير لونه تعجب البهيمة من لذة اللوزينج وتعجب العنين من لذة المباشرة وتعجب الصبي من لذة الرياسة واتساع اسباب الجاه وتعجب الجاهل من لذة معرفة الله تعالى ومعرفة جلاله وعظمته وعجائب صنعه ولكل ذلك سبب واحد وهو ان اللذة نوع ادراك والادراك يستدعي مدركا ويستدعي قوة مدركة فمن لم تكمل قوة ادراكه لم يتصور منه التلذذ

حسن

منه التلذذ فكيف يدرك لذة الطعوم من فقد الذوق وكيف يدرك لذة الالحان من فقد السمع او لذة
المعقولات من فقد العقل ولذلك ذوق السماع بالقلب بعد وصول الصوت الى السمع يدركه بحاسة
باطنة في القلب من فقدها عدم لا محالة لذته ولعلك تقول كيف يتصور العشق في حق الله تعالى
حتى يكون السماع محركا له فاعلم ان من عرف الله احبه لا محالة ومن تاكدت معرفته تاكدت محبته بقدر تاكد
معرفته فالمحبة اذا تاكدت سميت عشقا فلا معنى للعشق الا محبة موكدة مفرطة ولذلك قالت العرب
ان محمدا قد عشق ربه لما راوه يتخلى للعبادة في جبل حرا واعلم ان كل جمال محبوب عند مدرك
ذلك الجمال والله تعالى جميل يحب الجمال اذا كان بتناسب الخلقة وصفاء اللون ادرك بحاسة البصر و
ان كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات والاخلاق وارادة الخيرات لكافة الخلق
وافاضتها عليهم على الدوام الى غير ذلك من الصفات الباطنة ادرك بحاسة القلب ولفظ الجمال قد يستعار
ايضا لها فيقال ان فلانا جميل حسن لا يراد صورته وانما يعني به انه جميل الاخلاق محمود الصفات
حسن السيرة حتى قد يحب الرجل لهذه الصفات الباطنة استحسانا لها كما يحب الصورة الظاهرة
وقد تتاكد هذه المحبة فتسمى عشقا وكم من الغلاة في حب ارباب المذاهب كالشافعي ومالك و
ابي حنيفة حتى يبذلون اموالهم وارواحهم في نصرتهم وموالاتهم ويزيدون على كل عاشق في الغلو
والمبالغة ومن العجب ان يعقل عشق شخص قط صورته الجميلة وهو الآن ميت ولكن لجمال
صورته الباطنة وسيرته المرضية والخيرات الحاصلة من علمه لاهل الدين وغير ذلك من الخصال ثم لا يعقل
عشق من لا خير ولا جمال ولا محبوب في العالم الا وهو حسنة من حسناته واثر من آثار كرمه وغرفة
من بحر جوده بل كل حسن وجمال في العالم ادرك بالعقول والابصار والاسماع وساير الحواس من مبدا
العالم الى منقرضه ومن ذروة الثريا الى منتهى الثرى فهي ذرة من خزاين قدرته ولمعة من انوار حضرته
فليت شعري كيف لا يعقل حب من هذا وصفه وكيف لا يتاكد عند العارفين باوصافه حتى يجاوز
حدا يكون اطلاق اسم العشق عليه في حقه ظلما لقصوره عن الانباء عن فرط محبته فسبحان من احتجب
عن الظهور لشدة ظهوره واستتر عن الابصار باشراق نوره ولولا احتجابه بسبعين حجابا من نور
لاحرقت سبحات وجهه ابصار الملاحظين لجمال حضرته ولولا ان ظهوره سبب خفائه لبهتت العقول
ودهشت القلوب وتخاذلت القوى وتناثرت الاعضاء ولو ركبت القلوب من الحجارة والحديد لاصبحت

تحت مبادي انوار تجليه دكا دكا فانى تطيق نور كنه الشمس ابصار الخفافيش وسياتي تحقيق هذه الا
في كتاب المحبة ويتضح ان محبة غير الله قصور وجهل بل المتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله اذ ليس في الوجود
تحقيقا الا الله وافعاله ومن عرف الافعال من حيث انها افعاله فلم يجاوز معرفة الفاعل الى غيره
فمن عرف الشافعي مثلا وعلمه وتصنيفه من حيث انه تصنيفه لا من حيث انه بياض وجلد وحبر وورق و
كلام منظوم ولغة عربية فقد عرفه ولم يجاوز معرفة الشافعي الى غيره ولا جاوزت محبته الى غيره و
كل موجود سوى الله فهو تصنيف وفعله وبديع افعاله فمن عرفها من حيث انها صنع الله فراى من الصنع
صفات الله كما يرى من حسن التصنيف فضل المصنف وجلالة قدره كانت معرفته ومحبته مقصورة
على الله غير مجاوزة الى ما سواه ومن حد العشق انه لا يقبل الشركة وكل ما سوى هذا العشق فهو
قابل للشركة اذ كل محبوب سواه فيتصور له نظير اما في الوجود او في الامكان فاما هذا الجمال فلا يتصور
له ثاني لا في الامكان ولا في الوجود وكان اسم العشق على حب غير الله مجازا محضا لا حقيقة فمن الناقص
القريب نقصانه من البهيمة قد لا يدرك من لفظ العشق الا طلب الوصال الذي هو عبارة عن تماس ظواهر
الاجسام وقضاء شهوة الوقاع فمثل هذا الحمار ينبغي ان لا يستعمل معه لفظ العشق والشوق و
الوصال والانس فان الالفاظ انما يجوز اطلاقها في حق الله اذا لم يكن موهمة معنى يجب تقديس الله
عز وجل عنه والايهام يختلف باختلاف الافهام فليتنبه لهذه الدقيقة في امثال هذه الالفاظ
بل لا يبعد ان ينشا من مجرد سماع صفات الله تعالى وجد غالب ينقطع بسببه نياط القلب فقد
روى ابو هريرة عن رسول الله صلعم انه ذكر غلاما كان في بني اسرائيل على جبل فقال لامه من خلق
السماء فقالت الله عز وجل فقال من خلق الارض قالت الله عز وجل قال من خلق الجبال قالت
الله عز وجل قال فمن خلق هذه الغيم قالت الله عز وجل قال من خلق الله اني لاسمع لله شانا
ثم رمى نفسه من الجبل فتقطع فهذا كانه سمع ما دل على جلال الله عز وجل وتمام قدرته فطرب
له ووجد فرمى نفسه من الوجد وما انزلت الكتب الا ليطربوا بذكر الله تعالى رايت مكتوبا في الانجيل
غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا اي شوقناكم بذكر الله تعالى فلم تشتاقوا فهذا
ما اردنا ان نذكر من اقسام السماع وبواعثه ومقتضياته وقد ظهر على القطع اباحته في بعض
المواضع والندب اليه في بعض المواضع فان قلت فهل له حالة يحرم فيها فاقول
انه يحرم بخمسة عوارض عارض في المسمع وعارض في آلة السماع العارض الاول
ان تكون

ان يكون المسمع امراة لا يحل النظر اليها ويخشى الفتنة من سماعها وفي معناها الصبي الذي يخشى فتنته وهذا
حرام وليس ذلك لاجل الغناء الثاني في الآلة بان يكون من شعار اهل الشرب او المخنثين كالمزامير والاوتار
الثالث في نظم الصوت وهو الشعر فان كان فيه شيء من الخنا والفحش والهجو او كذب على الله تعالى او على
رسوله صلعم او على الصحابة فسماع ذلك حرام بالحان وغير الحان فالمستمع شريك القائل وكذلك ما فيه وصف
امراة بعينها الرابع في المستمع وهو ان يكون الشهوة غالبة عليه وكان في غرة الشباب وكان هذه
الصفة اغلب عليه من غيرها فالسماع حرام عليه سواء غلب على قلبه حب شخص معين او لم يغلب فانه كيف
ما كان فلا يسمع وصف الصدغ والخد والوصال والفراق الا ويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة ينفخ
الشيطان بها في قلبه فيشتعل فيه نار الشهوة ويحتد بواعث الشر وذلك هو النصرة لحزب الشيطان والتخذيل
للعقل المانع منه الذي هو حزب الله والقتال في القلب دائم بين جنود الشيطان وهي الشهوات وبين حزب
الله وهو نور العقل الا في قلب فتحه احد الجندين واستولى بالكلية وغالب القلوب الآن قد فتحها جند
الشيطان وغلب عليها فيحتاج ان يستانف اسباب القتال لازعاجه فكيف يجوز تكثير اسلحتها و
تشحيذ سيفها وسنانها والسماع مشحذ لاسلحة جنود الشيطان في حق مثل هذا الشخص فليخرج مثل هذا
عن مجمع السماع فانه يستضر به الخامس ان يكون الشخص من عوام الخلق ولم يغلب عليه حب الله تعالى
ليكون السماع له محبوبا ولا غلبت عليه الشهوة ليكون في حقه محذورا ولكنه ابيح في حقه كساير انواع اللذات
المباحة الا انه لو اتخذه ديدنه وهجيراه وقصر عليه اكثر اوقاته فهذا هو السفه الذي ترد شهادته فان
المواظبة على اللهو جناية وكما ان الصغيرة بالاصرار تصير كبيرة فبعض المباحات بالمداومة تصير صغيرة
ثم ذكر رحمه الله بيان حجج القائلين بتحريم السماع واجوبتها على التفصيل الباب الثاني
في آثاره وآدابه اعلم ان اول درجة السماع فهم المسموع وتنزيله على معنى يقع للمستمع ثم يثمر
الفهم الوجد ويثمر الوجد الحركة بالجوارح فلينظر في هذه المقامات الثلث المقام الاول في الفهم وهو
يختلف باختلاف احوال المستمع وللمستمع اربعة احوال الحالة الاولى ان يكون سماعه بمجرد الطبع اي
لا حظ له في السماع الا التلذذ بالالحان والنغمات وهذا مباح وهو اخس رتب السماع اذ الابل شريكة
فيه وكذا ساير البهائم الثانية ان يسمع ويفهم ولكن ينزله على صورة مخلوق اما معينا او غير معين و
هو سماع الشبان وارباب الشهوة ويكون تنزيلهم للمسموع على حسب شهواتهم ومقتضى احوالهم وهذه

اخس من ان نتكلم فيها الا ببيان خستها والنهي عنها الحالة الثالثة ان ينزل ما يسمعه على احوال نفسه في معاملته لله تعالى وتقلب احواله في التمكن مرة والتعذر اخرى وهذا سماع المريدين لا سيما المبتدئين فان للمريد لا محالة مرادا هو مقصده ومقصده معرفة الله تعالى ولقاؤه والوصول اليه بطريق المشاهدة بالسر وكشف الغطاء وله في مقصده طريق هو سالكه ومعاملات هو مثابر عليها وحالات تستقبله في معاملاته فاذا سمع ذكر عتاب او خطاب او قبول او رد او وصل او هجر او قرب او بعد او تلهف على فائت او تعطش الى منتظر او شوق الى وارد او طمع او ياس او وحشة او استيناس او وفاء بالوعد او نقض للعهد او خوف فراق او فرح بوصال او ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب او همول العبرات او ترادف الحسرات او طول الفراق او عدة الوصال او غير ذلك مما يشتمل على وصفه الاشعار فلا بد ان يوافق بعضها حال المريد في طلبه فيجري ذلك مجرى القداح التي تورى زناد قلبه فيشتعل به نيرانه [illegible] ويكون له مجال رحب في تنزيل الالفاظ على احواله وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه بل لكل كلام وجوه ولكل ذي فهم في اقتباس المعنى منه حظ ولنضرب لهذه التنزيلات والفهوم امثلة كيلا يظن الجاهل ان المستمع لابيات فيها ذكر الفم والخد والصدغ انما يفهم منها ظواهرها [illegible] فهم المعاني من الابيات نقل حكايات من اهل السماع [illegible] قال الرسول غدا تزور فقلت تعقل ما تقول فاستفزه القول واللحن وتواجد وجعل يكرر ذلك ويجعل مكان التاء نونا ويقول قال الرسول غدا نزور حتى غشي عليه من شدة الفرح [illegible] فلما افاق سئل عن وجده مم كان فقال ذكرت قول الرسول صلعم ان اهل الجنة يزورون ربهم [illegible] والمقصود ان هذا الشخص كان مستغرق الوقت [illegible] فلما قرع سمعه ما يوافق حاله [illegible] ثم قال ومثال الحظ في سماع المريد المبتدي [illegible]

ان يرى تقلب احوال قلبه بل تقلب احوال العالم من الله تعالى وهو حق فانه تارة يبسط قلبه وتارة
يقبضه وتارة ينوره وتارة يقسيه وتارة يثبته على طاعته ويقويه عليه وتارة يسلط الشيطان
عليه ليصرفه عن سنن الحق وهذا كله من الله تعالى ومن يصدر منه افعال مختلفة في اوقات متقاربة
فقد يقال له في العادة انه ذو بدوات وانه يتلون ولعل [illegible] محبوبه الى التلون في
قبوله ورده وتقريبه وابعاده وهذا هو المعنى وسماع هذا كذلك في حق الله تعالى كفر محض بل ينبغي ان
يعلم انه يتلون ولا يتلون ويغير ولا يتغير بخلاف عباده وذلك العلم يحصل للمريد باعتقاد تقليدي
ايماني ويحصل للعارف البصير بيقين كشفي حقيقي وذلك من اعاجيب اوصاف الربوبية وهو التغيير من
غير تغير ولا يتصور ذلك الا في حق الله تعالى بل كل مغير سواه فلا بد ان يتغير ومن ارباب الوجد من
يغلب عليه حال مثل السكر المدهش فيطلق لسانه بالعتاب مع الله تعالى ويستنكر اقتهاره القلوب
وقسمته للاحوال الشريفة على تفاوت فانه المصطفى لقلوب الصديقين والمبعد لقلوب الجاحدين والمغرورين
فلا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولم يقطع التوفيق عن الكفار لجناية متقدمة ولا امد الانبياء بتوفيقه و
نور هدايته لوسيلة سابقة ولكنه قال تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وقال تعالى ولكن
حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها
مبعدون فان خطر ببالك انه لم اختلفت السابقة وهم في ربقة العبودية مشتركون نوديت من سرادقات
الجلال لا تجاوز حد الادب فانه لا يسال عما يفعل وهم يسالون ولعمري فادب اللسان والظاهر مما يقدر
عليه الاكثرون فاما ادب السر عن اضمار الاستبعاد لهذا الاختلاف الظاهر في التقريب والابعاد والا
والاسعاد مع تساوي السعادة والشقاوة ابد الاباد فلا يقوى عليه الا العلماء الراسخون في العلم و
لهذا قال الخضر عليه السلم لما سئل عن السماع في المنام انه الصفا الزلال الذي لا يثبت عليه الا اقدام العلماء لانه
محرك لاسرار القلوب ومكامنها ومشوش لها تشويش السكر المدهش الذي يكاد يحل عقدة القلب
الا من عصمه الله بنور هدايته ولطف عصمته ولذلك قال بعضهم ليتنا نجونا من هذا السماع راسا براس
ففي هذا النمط من السماع خطر زايد على خطر السماع على مخلوق بالشهوة فان غاية ذلك معصية وغاية الخطا
ههنا كفر

خاتمة

سماع ... الاحوال ... ما نوی
والمقامات قريب من نفسه واحوالها ومعاملتها الذي يغنی عن
انه حتی قريب من العابثين على الشهود الذي يعرف ... فيه ... والنفس
وكان كالمذهول ... التي يطلق ... الحاله ... الشهود ... فالتشبه
حاله حال النبوة التي ... الى ... الذي ... العلم ... الى الحادث
يتهش ويستطاب سهو ... الى الشهود والى غيبته التي ... الحاله ... الغنا ...
نفسه وبهانه في نفسه فهو غير ... الى روئيته والى ... الملكيه ... البيت الى الغداه
عن الشهود فان القلب اذا التفت الى ... استغراقه ... لذاته ... البشريه ... الدم
بالمرئي لا التفات له في حالة استغراقه لا خبر له من التذاذه وانما حضرته ... كان يعيد البيت ... والوجد في الله
حس له من سكره واللذة لا خبر له ... الذي لا يثبت ولا يدوم وان دام لم تطقه القوة البشرية وربما اضطرب
فالعلم بالشيء ... عليه العلم بالعلم ... الذي انه حضر مجلسا ... اصولها مثل السيوف ... الاحوال
لكنه في الغالب يكون كالبرق الخاطف ... قد قطعت وبقيت اصولها ... فصار يعدو فيها ... بل
فيه نفسه كما روي عن ابي الحسين النوري رحمه الله ... وبقي بعد ذلك اياما ومات ... الكامل ... القدم
فقام وتواجد وهام على وجهه فوقع في اجمة قصب ... وانما الكمال ان يفنى عن نفسه ... الا
والدم يخرج من رجليه حتى ورمت قدماه وساقاه ... نوع قصور ... من ... الوجود
لان السماع على الاحوال ... ممتزجة بصفات البشرية ... الاخلاص ... الله تعالى ... مكانه
التفات الى صفات التوحيد ... الروح الذي هو من امر الله ... غيره
والاعمال والتخلص من صفات البشرية ... فاذا حضر فيه ... بل لونها ... قرارها
التفاته الى صفاته البشرية ... القلب الظاهر ... وجود وصورة ... الوجود ما يحضر فيه ... لونها ... ويحكي
من لطيف له الى القلب ... المرآة المجلوة اذ ليس لها في نفسها ... فانها تحكي لون قرارها
جهلها ولذلك ... صورتها
لمن حضر فيها وكذلك الزجاجة
بما حضر فيها
ولونها لون الحاضر فيها
لها في نفسها صورة بل

صورتها

صورتها قبول الصور ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الالوان ويعرب عن هذه الحقيقة في تشبيه القلب بالزجاج
الى ما يحضر فيه قول الشاعر * رق الزجاج ورقت الخمر * فتشابها وتشاكل الامر
فكانما خمر ولا قدح * وكانما قدح ولا خمر * وهذه مقام من مقامات علوم المكاشفة منه
نشا خيال من ادعى الحلول والاتحاد وقال انا الحق بدخوله بدين كلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت
بالناسوت او تدرعها او حلولها فيها على ما اختلف فيه عباراتهم وهو غلط محض يضاهي غلط من يحكم على
المرآة بصورة الحمرة اذا ظهر فيها لون الحمرة من مقابلها واذا كان هذا غير لايق بعلم المعاملة فلنرجع الى
الغرض فقد ذكرنا تفاوت الدرجات في فهم المسموعات المقام الثاني بعد الفهم والتنزيل الوجد و
للناس كلام طويل في حقيقة الوجد اعني الصوفية والحكماء الناظرين في وجه مناسبة السماع للارواح فلننقل
من الفاظهم واقوالهم ثم لنكشف عن الحقيقة فيه اما الصوفية فقال ذو النون في السماع انه وارد حق جاء يزعج
القلوب الى الحق فمن اصغى اليه بحق تحقق ومن اصغى اليه بنفس تزندق فكانه عبر عن الوجد بانزعاج القلوب
الى الحق وهو الذي يجده عند ورود وارد السماع اذ سمى السماع وارد حق وبعد ذكر جمع الاقوال قال رحمه الله
والاقاويل المعروفة في السماع والوجد كثيرة ولا معنى للاستكثار منه فلنشتغل بتفهيم المعنى الذي الوجد عبارة
عنه فنقول انه عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه وتلك
الحالة لا تخلو من قسمين فانها اما ان ترجع الى مكاشفات ومشاهدات هي من قبيل العلوم والتنبيهات
واما ان ترجع الى تغيرات واحوال ليست من العلوم بل هي كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور
والاسف والندم والبسط والقبض وهذه الاحوال يهيجها السماع ويقويها فان ضعف بحيث لم يؤثر
في تحريك الظاهر او تسكينه او تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته او يطرق او يسكن عن النظر
والنطق والحركة على خلاف عادته لم يسم وجدا وان ظهر على الظاهر سمي وجدا اما ضعيفا او قويا بحسب
ظهوره وتغييره للظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده وحفظ الظاهر عن التغيير بحسب قوة الواجد وقدرته
على ضبط جوارحه وقد يقوى الوجد في الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد
وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك ثم ذكر رحمه الله بعد كلام متصل ما ترجمته
قال رحمه الله اما الاول وسائر المشاهدات التي ليست مفهومة تؤثر في النفس تاثيرا عجيبا ولا يمكن التعبير عن
عجايب تلك الاثار وقد يعبر عنها بالشوق ولكن شوق لا يعرف صاحبه المشتاق اليه فهو عجيب

ولذلك
اضطرب قلبه
لسماع الاوتار والشاهين والشاهق ...
وما اشبهه ... حالة كانه يتقاضى امرا ليس يدري ما هو ...
ويجد في نفسه ... ذلك للعوام ومن لا يغلب على قلبه ... كل شوق فله ركنان احدهما
ما هو ... ولا حب الله تعالى وهو ... المشتاق اليه ... معرفته ... المشتاق ...
صفة المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق اليه ووجدت الصفة التي بها الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق اليه
معرفة صورة الوصل ... فان لم يوجد العلم بالمشتاق اليه ... والتي وجدت بها ... ولا صورة الذي
اليه كان الامر ظاهرا ... والدنيا ... اللذات التي ... ويكون كالمتحير
اورث ذلك دهشة وحيرة لا محالة ... العالم الاعلى واسم ... يضطرب ... فقد ظهر الواجد
وغلبت عليه الشهوة ... لفظ الوقاع ... والاستغراق ... الى
النساء فكذلك ... الشوق ... ولا ... المنصف ... والى ... الى
الاحوال الا الصفات والاسماء ... قلبه امر ... الى ... وما ... ولا
ليعرف ما لمناسبة فالسماع يحرك فيه الشوق ... الوجد ... الاحوال ... ويحقق
اليه ضيفه واشتياقه بالطبع ... الاحوال التي لا يدرك ... الاخلاص ... عما ... ونعت ... يمكن
طريق الخلاص ... الا يمكن اظهاره واعلم ايضا ان الوجد ... الاحوال الشريفة ... تكلفا ... ان نه
الى ما يمكن الطهارة ... والى ما لا يمكن اظهاره ... بالحيلة فان ... الاحوال ... يحفظ ...
المتكلف فنه مذموم وهو الذي يقصد به الرياء واظهار الاحوال ... القران ... التكلف
استدعاء الاحوال الشريفة ... قراءة القران ان تباكوا ... طبعا ... وبها ... في سورة ...
رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ان لم تبكوا ... التكلف ... المتكلف ... الدين ... الاشرار
وكيف لا يكون ... تمام ... الصلوة ... بجهد ... الكتب
مع تمام ... الى اخره ... عليه ... له طبعا
ازورانا

وهو مستو في القلب بحكم اخر فجميع ما يحتمله النفس والجوارح من الصفات لا سبيل الى اكتسابه الا بالتكلف
والتصنع اولا ثم يصير بالعادة طبعا وهو المراد بقول بعضهم العادة طبيعة خامسة وكذلك الاحوال الشريفة
لا ينبغي ان يقع الياس عنها عند فقدها بل ينبغي ان يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره فلقد شوهد في العادات
من اشتهى ان يعشق شخصا ولم يكن يعشقه فلم يزل يردد ذكره على نفسه ويديم النظر اليه ويقرر على نفسه
بالاوصاف والاخلاق المحمودة فيه حتى عشقه ورسخ ذلك في قلبه رسوخا خرج عن حد اختياره واشتهى
بعد ذلك الخلاص منه فلم يتخلص فكذلك حب الله تعالى والشوق اليه والى لقائه والخوف من سخطه و
غير ذلك من الاحوال الشريفة اذا فقدها الانسان فينبغي ان يتكلف الانسان اجتلابها بمجالسة الموصوفين
بها ومشاهدة احوالهم وتحسين صفاتهم في النفس وبالجلوس معهم في السماع وبالدعاء والتضرع الى
الله تعالى في ان يرزقه تلك الحالة بان يتيسر له اسبابها ومن اسبابها السماع ومجالسة الصالحين و
الخائفين والمحبين والمشتاقين والخاشعين فمن جالس شخصا سرت اليه صفاته من حيث لا يدري
ويدل على امكان تحصيل الحب وغيره من الاحوال بالاسباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب من يقربني الى حبك فقد فزع الى الدعاء
في طلب الحب فهذا بيان انقسام الوجد الى مكاشفات والى احوال وانقسامه الى ما يمكن الافصاح
عنه والى ما لا يمكن وانقسامه الى المتكلف والى المطبوع فان قلت فما بال هؤلاء لا يظهر
وجدهم عند سماع القران وهو كلام الله تعالى ويظهر على الغناء وهو كلام الشعراء فلو كان ذلك حقا
من لطف الله تعالى ولم يكن باطلا من غرور الشيطان لكان القران اولى به من الغناء فاقول الوجد الحق
هو ما ينشا من فرط حب الله تعالى وصدق ارادته والشوق الى لقائه وذلك يهيج بسماع القران
ايضا وانما الذي لا يهيج بالقران حب الخلق والعشق المخلوق ويدل على ذلك قوله تعالى الا بذكر الله
تطمئن القلوب وقوله تعالى مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى
ذكر الله وكل ما يوجد عقيب السماع بسبب السماع في النفس فهو وجد فالطمانينة والاقشعرار والخشية
ولين القلب كل ذلك وجد قال الله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقال تعالى

لو انزلنا هذا
القران على جبل لرايته خاشعا [illegible]
خاشعا متصدعا [illegible] قبل الاحوال [illegible] المكاشفات والتجليات
والخشوع وجد [illegible] القران باصواتهم وقال [illegible] الالباب
[illegible]

التي هي في بيان احكام الميراث والطلاق والحدود وغيرها وانما المحرك لها ذا القلب ما يناسبه والابيات
انما نظمها الشعراء اعرابا بها عن احوال القلب فلا يحتاج في فهم الحال منها الى تكلف نعم من يستولي عليه حالة
غالبة قاهرة لم يبق فيه متسع لغيرها ومعه تيقظ وذكاء ثاقب يتفطن به للمعاني البعيدة من الالفاظ فقد
يحصل وجده على كل مسموع كمن يخطر له عند قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم حالة الموت المحوج الى الوصية و
ان كل انسان لابد وان يخلف ماله وولده وهما محبوباه من الدنيا فيترك احد المحبوبين للثاني و
يهجرهما جميعا ويغلب عليه الخوف والجزع او يسمع ذكر كلمة الله في قوله يوصيكم الله فيدهش بمجرد الاسم
عن ما سواه وقبله وبعده او يخطر له رحمة الله تعالى على عباده وشفقته بان تولى قسمة اموالهم بنفسه نظرا لهم في
حياتهم ومماتهم وذكر رحمه الله امثال ذلك ثم وجها آخر وقال في الوجه السادس فاذا القلوب اذا كانت
محترقة في حب الله تعالى فان البيت الغريب يهيج منها ما لا يهيج تلاوة القران وذلك لوزن الشعر و
مشاكلته للطباع وكونه مشاكلا للطباع اقتدر البشر على نظم الشعر واما القران فنظمه خارج عن اساليب
ومناهجه وهو لذلك معجز لا يدخل في قوة البشر لعدم مشاكلته لطبعه **المقام الثالث** من السماع
نذكر فيه آداب السماع ظاهرا وباطنا وما يحمد من آثار الوجد وما يذم فاما الاداب فهي خمس جمل
الاول مراعاة الزمان والمكان والاخوان ومعناه ان الاشتغال به في وقت حضور طعام او
طعام او صلوة او صارف من الصوارف مع اضطراب القلب لا فائدة فيه فهذا معنى مراعاة الزمان
فيرعى حالة فراغ القلب له واما المكان فقد يكون شارعا مطروقا او موضعا كريه الصورة او فيه سبب
يشغل القلب فيجتنب ذلك واما الاخوان فسببه انه اذا حضر غير الجنس من منكر للسماع متزهد الظاهر
مفلس عن لطائف القلوب كان مستثقلا في المجلس واشتغل القلب به وكذا اذا حضره متكبر من اهل
الدنيا يحتاج الى مراقبته ومراعاته او متكلف متواجد من اهل التصوف يرائي بالوجد والرقص و
تمزيق الثياب فكل ذلك مشوشات فترك السماع عند فقد هذه الشروط اولى ففي هذه الشروط نظر
للمستمع **الادب الثاني** وهو نظر الحاضرين ان الشيخ اذا كان حوله مريدون يضرهم السماع فلا ينبغي ان
يسمع في حضورهم والمريد الذي يستضر بالسماع احد ثلثة اقلهم درجة هو الذي لم يدرك من الطريق الا الاعمال
الظاهرة ولم يكن له ذوق السماع فاشتغاله بالسماع اشتغال بما لا يعنيه الثاني الذي له ذوق السماع ولكن فيه
بقية من الحظوظ والالتفات الى الشهوات والصفات البشرية ولم ينكسر بعد انكسارا يؤمن غوائله فربما يهيج السماع

الشهوة [illegible]
[illegible]
الادب [illegible]
الثالث [illegible]

فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقيل له في ذلك فقال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي
تمر مر السحاب اشارة الى ان القلب مضطرب جائل في الملكوت والجوارح متأدبة في الظاهر ساكنة
ثم ذكر رحمه الله امثال ذلك كثيرا ثم قال قال الجنيد لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم اتم من فضل
الوجد **الادب الرابع** ان لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن ان رقص او تباكى فهو
مباح اذا لم يقصد به المراءاة لان التباكي استجلاب الحزن والرقص سبب تحريك السرور والنشاط فكل سرور
مباح يجوز تحريكه وذلك يكون بنوع او شوق وحكمه حكم مهيجه فان كان مهيجه فرحا محمودا فالرقص يزيده و
يؤكده فهو محمود وان كان مباحا فهو مباح وان كان مذموما فهو مذموم نعم لا يليق ذلك بمناصب الاكابر واهل
القدوة لانه في الاكثر يكون عن لهو ولعب وماله صورة اللعب في اعين الخلق فينبغي ان يجتنبه المقتدى به لئلا يصغر
في اعين الخلق فيترك الاقتداء به واما تخريق الثوب فلا رخصة فيه الا عند خروج الامر عن الاختيار ولا يبعد
ان يغلب الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري لغلبة سكر الوجد عليه او يدري ولكن يكون كالمضطر الذي لا
يقدر على ضبط نفسه وتكون صورته صورة المكره اذ يكون له في الحركة والتمزيق متنفس فيضطر اليه اضطرار
المريض الى الانين ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع انه فعل اختياري فليس كل فعل حصوله بالارادة
يقدر الانسان على تركه فالتنفس فعل يحصل بالارادة ولو كلف الانسان نفسه ان يمسك النفس ساعة
اضطر من باطنه الى ان يختار النفس فكذلك الزعقة وتمزيق الثوب قد يكون كذلك فهذا لا يوصف
بالتحريم ثم حكم رحمه الله بما حاصله تمزيق الثياب الجديدة بعد سكون الوجد وتفريقها على القوم وتسميتها خرقة
الادب الخامس موافقة القوم في القيام اذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف
او قام باختيار من غير اظهار وجد وقام له الجماعة فلا بد من الموافقة فذلك من آداب الصحبة وكذلك ان جرت عادة
ثم بعد كلام مفصل اورد كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وبعد ذكر الخطبة اورد لشرح ذلك اربعة ابواب الباب الاول في وجوب الامر بالمعروف وفضيلته
والنهي عن المنكر ومذمة اهماله قال رحمه الله ويدل عليه بعد الاجماع واشارات العقول السليمة
اليه الآيات والاخبار والآثار اما الآيات فقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير و
يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ففي الآية بيان الايجاب فان قوله ولتكن امر
وظاهر الامر الايجاب وفيها بيان ان الفلاح منوط به اذ حصر وقال واولئك هم المفلحون وفيها

بيان انه فرض كفاية لا فرض عين وانه اذا قام به امة سقط الفرض عن الباقين اذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف
وذكر رحمه الله كثيرا من الآيات والاخبار والآثار واورد في الباب الثاني اركان الامر بالمعروف وشروطه وبيان المنكرات
المالوفة في العادات في الباب الثالث وبيان امر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر في الباب الرابع
قال رحمه الله في هذا الباب قد ذكرنا درجات الامر بالمعروف وان اوله التعريف وثانيه الوعظ وثالثه التخشين
في القول ورابعه المنع بالقهر والحمل على الحق بالضرب والعقوبة والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان
الاوليان وهما التعريف والوعظ اما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان فان ذلك يحرك الفتنة
ويهيج الشر ويكون ما يتولد منه من المحذور اكثر ثم قال رحمه الله وطريق وعظ السلاطين وامرهم بالمعروف و
نهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف وقد اوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين في كتاب الحلال
والحرام ونقتصر الآن على حكايات يعرف بها وجه الوعظ وكيفية الانكار عليهم وذكر رحمه الله تلك الحكايات
ثم قال فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين
لكنهم اتكلوا على فضل الله ان يحرسهم ورضوا بحكم الله ان يرزقهم الشهادة فلما اخلصوا النية اثر كلامهم في
القلوب القاسية فلينها وازال قساوتها واما الآن فقد قيدت الاطماع السن العلماء فسكتوا و
ان تكلموا لم يساعد اقوالهم احوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لافلحوا ففساد الرعايا بفساد الملوك
وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم
يقدر على الحسبة على الاراذل فكيف على الملوك والاكابر والله المستعان وعليه التكلان

كتاب اخلاق النبوة وهو الكتاب العاشر من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق كل شيء فاحسن خلقه وترتيبه وادب نبيه محمدا
صلى الله عليه وآله وسلم فاحسن تاديبه وزكى اوصافه واخلاقه ثم اتخذه صفيه وحبيبه و
وفق للاقتداء به من اراد تهذيبه وحرم عن التخلق باخلاقه من اراد تخييبه وصلى الله على محمد سيد
المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين **اما بعد** فان آداب الظواهر عنوان آداب البواطن
وآداب حركات الجوارح ثمرات الخواطر والاعمال نتيجة الاخلاق والآداب رشح المعارف
وسرائر القلوب هي مغارس الافعال ومنابعها وانوار السرائر هي التي تشرق على الظواهر فتزينها
وتحليها وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساويها ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه ومن لم يكن
صدره مشكاة للانوار الالهية لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية ولقد كنت عزمت

على ان اختم ربع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة لئلا يشق على طالبها استخراجها
من جميع هذه الكتب ثم رأيت كل كتاب من ربع العبادات وربع العادات قد اتى على جملة من الآداب
فاستثقلت تكريرها واعادتها فان طلب الاعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة المعادات فرأيت
ان اقتصر في هذا الكتاب على ذكر آداب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واخلاقه المأثورة عنه بالاسناد
فاسردها عنه فصلا فصلا محذوفة الاسانيد ليجتمع فيه مع جمع الآداب تجديد الايمان وتأكيده بمشاهدة
اخلاقه الكريمة التي يشهد آحادها على القطع بانه اكرم خلق الله تعالى واعلاهم رتبة واجلهم قدرا فكيف
يكون مجموعها ثم اضيف الى ذكر اخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته التي صحت بها الاخبار ليكون ذلك معرفا
مكارم الاخلاق والشيم ومنتزعا عن آذان الجاحدين لنبوته صمام الصمم والله تعالى ولي التوفيق
للاقتداء بسيد المرسلين في الاخلاق والافعال وسائر معالم الدين فانه دليل المتحيرين ومجيب دعوة
المضطرين ولنذكر فيه اولا بيان تأديب الله تعالى اياه بالقرآن ثم بيان جوامع من محاسن اخلاقه
ثم بيان جملة من آدابه واخلاقه ثم بيان كلامه وضحكه ثم بيان اخلاقه وآدابه في الطعام ثم بيان
اخلاقه وآدابه في اللباس ثم بيان عفوه مع القدرة ثم بيان اغضائه عما كان يكرهه ثم بيان سخاوته
وجوده ثم بيان شجاعته وبأسه ثم بيان تواضعه ثم بيان صورته وخلقته ثم بيان جوامع معجزاته و
آياته صلى الله عليه وآله وسلم **بيان** تأديب الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن
كان رسول الله صلى الله عليه وآله كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال من الله تعالى ان يزينه بمحاسن
الآداب ومكارم الاخلاق وكان يقول في دعائه اللهم حسن خلقي وخلقي ويقول اللهم جنبني
منكرات الاخلاق فاستجاب له دعاءه وفاء بقوله ادعوني استجب لكم فانزل الله عليه القرآن وادبه به
فكان خلقه القرآن قال سعيد بن هشام دخلت على عائشة رضي الله عنها عن اخلاق رسول الله ص فقالت
اما تقرأ القرآن قلت بلى قالت كان خلق رسول الله ص القرآن وانما ادبه بالقرآن بمثل قوله تعالى
خذ العفو وامر بالعرف الآية وقوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الآية وبقوله فاصبر
على ما اصابك وقوله واصبر وما صبرك الا بالله وبقوله ولمن صبر وغفر وبقوله فاعف عنهم واصفح
وبقوله وليعفوا وليصفحوا وبقوله ادفع بالتي هي احسن وبقوله والكاظمين الغيظ وبقوله اجتنبوا كثيرا
من الظن ولما كسرت رباعيته يوم احد فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا

[illegible] نبيهم الى ربهم [illegible] فانزل [illegible]
الله تعالى ليس لك من الامر شيء [illegible] وامثال هذه التأديبات في القرآن لا تحصر [illegible]
له على ذلك وامثال هذه التأديب والتهذيب [illegible]
[illegible] المقصود الاول بالتأديب [illegible] ادب القرآن وادب الخلق به
النور على كافة الخلق فانه [illegible]
صلى الله عليه وآله بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ثم رغب الخلق في محاسن الاخلاق بما اوردناه
في كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق فلا نعيده ثم لما اكمل الله تعالى خلقه اثنى عليه فقال
وانك لعلى خلق عظيم فسبحانه ما اعظم شانه واتم امتنانه انظر الى عظيم لطفه وفضله كيف اعطى ثم اثنى
الكريم ثم اضاف اليه ذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم ثم ان رسول الله ص بين للخلق ان الله تعالى يحب مكارم الاخلاق [illegible]
وقال علي عليه السلام يا عجبا لرجل مسلم يجيئه اخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير اهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لقد كان ينبغي له ان يسارع الى
مكارم الاخلاق فانها مما تدل على سبيل النجاة فقال له رجل [illegible] اسمعته من رسول الله ص قال نعم وما هو خير منه
لما اتي بسبايا طي وقعت جارية في السبي فقالت يا محمد ان رأيت ان تخلي عني ولا تشمت بي احياء العرب فاني ابنة سيد قومي وان ابي كان يحمي الذمار
ويفك العاني ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط انا ابنة حاتم طي فقال
رسول الله ص يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان ابوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق
فقام ابو بردة بن نيار فقال يا رسول الله الله يحب مكارم الاخلاق فقال ص والذي نفسي بيده
لا يدخل الجنة احد الا بحسن الخلق وعن معاذ بن جبل عن النبي ص قال ان الله حف
الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ومن ذلك حسن المعاشرة وكرم الصنيعة ولين الجانب وبذل المعروف
واطعام الطعام وافشاء السلام وعيادة المريض المسلم برا كان او فاجرا [illegible]
وحسن الجوار لمن جاورت مسلما كان او كافرا [illegible] والجود والكرم والسماحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس [illegible]
قال معاذ اوصاني رسول الله ص فقال يا معاذ اوصيك باتقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد
واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل
وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وانهاك ان تسب
حكيما او تكذب صادقا او تطيع آثما او تعصي

بنت حاتم طي

١٢

اماما عادلا او تفسد ارضا واوصيك بتقوى الله عند كل حجر ومدر وشجر وان تحدث لكل ذنب توبة
السر بالسر والعلانية بالعلانية فهكذا ادب عباد الله تعالى ودعاهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب صلى الله عليه وآله
بيان جملة من محاسن اخلاقه صلى الله عليه وآله وسلم التي جمعها بعض العلماء والتقطها من الاخبار فقال
كان رسول الله ص احلم الناس واشجع الناس واعدل الناس واعف الناس لم تمس يده قط يد امرأة لا يملك رقها
او عصمة نكاحها او تكون ذات محرم منه وكان اسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وان فضل ولم
يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأو الى منزله حتى يتبرأ منه الى من يحتاج اليه لا يأخذ مما آتاه الله الا قوت
عامه فقط من ايسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله لا يسأل شيئا الا اعطاه ثم يعود على
قوت عامه فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام ان لم يأته شيء وكان يخصف النعل ويرقع
الثوب ويخدم في مهنة اهله ويقطع اللحم معهن اشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه احد ويجيب دعوة
المضطر اذا دعاه الحر والعبد ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن او فخذ ارنب ويكافئ عليها و
يأكلها ولا يأكل الصدقة ولا يستكبر عن اجابة الامة والمسكين يغضب لربه ولا يغضب لنفسه و
ينفذ الحق وان عاد ذلك بالضرر عليه وعلى اصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين و
هو في قلة وحاجة الى انسان واحد يزيده في عدد من معه فابى وقال انا لا نستنصر بمشرك ووجد
من فضلاء اصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وان
باصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون به وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع ومرة يأكل ما حضر ولا
يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم حلال وان وجد تمرا دون خبز اكله وان وجد شواء اكله وان وجد
خبز بر او شعير اكله وان وجد حلوا او عسلا اكله وان وجد لبنا دون خبز اكتفى به وان وجد
بطيخا او رطبا اكله لا يأكل متكئا ولا على خوان منديله باطن قدمه لم يشبع من خبز بر ثلاثة ايام
متوالية حتى لقي الله تعالى ايثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا يجيب الوليمة ويعود المرضى ويشهد الجنائز
ويمشي وحده بين اعدائه بلا حارس اشد الناس تواضعا واسكنهم في غير كبر وابلغهم من غير
تطويل واحسنهم بشرا لا يهوله شيء من امور الدنيا ويلبس ما وجد فمرة شملة ومرة برد حبرة يمانيا
ومرة جبة صوف ما وجد من المباح لبس وخاتمه فضة يلبسه في خنصره الايمن والايسر يردف

[illegible]

بالسلم

بالسلم ومن فاوضه بحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الاخذ وكان اذا لقى احدا من اصحابه بداه بالمصافحة ثم اخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته وكان لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله وكان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلوته و اقبل عليه فقال الك حاجة فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلوته وكان اكثر جلوسه ان ينصب ساقيه جميعا و يمسك بيديه عليهما شبه الحبوة ولم يكن يعرف مجلسه من مجالس اصحابه حتى يفتش بها على احد الا ان يكون واسعا لا ضيق فيه وكان اكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه وكان يوثر الداخل عليه بالوسادة التي يكون تحته فان ابى ان يقبلها عزم عليه حتى يفعله وما استصفاه احد الا ظن انه اكرم الناس عليه حتى يعطي كل من جلس اليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مجلسه وتوجهه للجالس اليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وامانة قال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولقد كان يدعو اصحابه بكناهم اكراما لهم واستمالة لقلوبهم ويكني من لم يكن له كنية فكان يدعى بما كناه به فكان يكني النساء اللاتي لهن الاولاد واللاتي لم يلدن يبتدي لهن الكنى ويكني الصبيان فيستلين به قلوبهم وكان ابعد الناس غضبا واسرعهم رضا وكان ارأف الناس بالناس وخير الناس بالناس وخير الناس للناس وانفع الناس للناس ولم يكن ترفع في مجلسه الاصوات و كان اذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك ثم تقول علمنيهن جبرئيل عليه السلم

بيان كلامه وضحكه كان عليه السلم افصح الناس منطقا و احلاهم كلاما ويقول انا افصح العرب وان اهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد صلى الله عليه وآله وكان نزر الكلام سمح المقالة اذا نطق ليس بمهذار وكان كلامه كخرزات النظم قالت عائشة كان لا يسرد الكلام سردكم هذا كان كلامه نزرا وانتم تنثرون الكلام نثرا قالوا وكان اوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبرئيل عليه السلم كان مع الايجاز يجمع كل ما اراد وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كلام يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه وكان جهير الصوت احسن الناس نغمة وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ولا يقول المنكر ولا يقول في الرضا والغضب الا الحق ويعرض

[illegible]

فمرت

فمرت شاة فاشار اليها بالنوى فجعلت تاكل من كفه اليسرى وهو ياكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة وكان ربما اكل العنب خرطا يرى رواله على لحيته كحدر اللؤلؤ وهو الماء الذي سقط منه وكان اكثر طعامه التمر والماء وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الاطيبين وكان احب الطعام اليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والاخرة ولو سالت ربي ان يطعمنيه كل يوم لفعل وكان ياكل الثريد باللحم والقرع وكان يحب القرع ويقول انها شجرة اخي يونس عليه السلم قالت عائشة كان يقول يا عائشة اذا طبختم قدرا فاكثروا فيها من الدباء فانه يشد قلب الحزين وكان ياكل لحم الطير الذي يصاد وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب ان يصاد له ويوتى به فياكله وكان اذا اكل اللحم لم يطاطئ راسه اليه ويرفعه الى فيه رفعا ثم ينتهسه انتهاسا وكان ياكل الخبز والسمن وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن القدر الدباء ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة ودعا في العجوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسحر وكان يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء التي يقال لها الرجلة وكان يكره الكليتين لمكانهما من البول وكان لا ياكل من الشاة سبعا الذكر والانثيين والمثانة والمرارة والغدد والحياء والدم ويكره ذلك وكان لا ياكل الثوم والبصل ولا الكراث وما ذم طعاما قط ولكن ان اعجبه اكله و ان كرهه تركه وان عافه لم يبغضه الى غيره وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما وكان يلعق الصحفة ويقول اخر الطعام اكثر بركة وكان يلعق اصابعه من الطعام حتى يحمر وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه واحدة واحدة ويقول انه لا يدري في اي الاصابع البركة فاذا فرغ قال اللهم لك الحمد اطعمت واشبعت و سقيت وارويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه وكان اذا اكل اللحم والخبز خاصة غسل يديه غسلا جيدا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه وكان يشرب الماء في ثلث دفعات له فيها ثلث تسميات وفي اواخرها ثلث تحميدات وكان يمص الماء مصا ولا يعبه عبا وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ وكان لا يتنفس في الاناء بل يتنحى عنه وكان يدفع فضل سوره الى من على يمينه فان كان من على يساره اجل رتبة قال للذي على يمينه السنة ان تعطي فان احببت اثرتهم واتى باناء فيه عسل ولبن فابى ان يشربه وقال شربتان في شربة وادامان في اناء واحد ثم قال لا احرمه ولكني اكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا واحب التواضع فان من تواضع لله رفعه الله وكان في بيته اشد حياء من العاتق لا

[illegible]
طعاما ولا ... الا كل ... [illegible]
عليهم ان الطعوه ... وكان ... [illegible]
قبل وما ستره بيان ملبسه ... وكان يعجبه الثياب الخضر وكان ... [illegible]
ما يأكل ... صلى الله عليه واله وسلم يلبس ... وكان يعجبه ... [illegible]
الناس وكان صلى الله عليه ... وغير ذلك وكان يعجبه ... [illegible]
او ردا او قميص او جبة ... البرد ... الازار ... [illegible]
لباسه البياض ويقول ... فليلبسه ... [illegible]
المحشو وكان له قباء سندس فيلبسه ... الى نصف الساق وكان ... [illegible]
ويكون الازار فوق ذلك ... [illegible]
مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحده وكان له ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه ... [illegible]
البس كما يلبس العبيد وكان ... في بيته في الازار الواحد ... على بعض ... [illegible]
الناس على الجنائز ... [illegible]
الازار ويرتدي ببعض الثوب ... [illegible]
بالليل ... [illegible]
يصلي ... [illegible]
... الخاتم ... [illegible]
من ... ثم يصلي اليها ... [illegible]
من ... [illegible]
الحمد لله الذي كساني ... [illegible]
اعطى ... [illegible]

ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره وكان في خلقه تسميه دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته
العقاب واسم سيفه الذي به الحروب ذو الفقار وكان له سيف يقال له المخذم وآخر
يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيب وكانت قبضة سيفه محلاة بالفضة وكان له منطقة
من الادم وفيها ثلاث حلق من فضة وكانت عليه درع يسمى في الارض ... وكان اسم قوسه الكتوم
وجعبته الكافور وكانت اسم ناقته العضباء وهي التي يقال لها العضباء واسم بغلته الدلدل وكان
اسم حماره يعفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينه وكان له مطهرة من فخار يتوضأ ويشرب منها
فيرسل الناس اولادهم الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون على رسول الله ص فلا يدفعون عنه فاذا وجدوا
في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم واجسادهم يبتغون بذلك البركة بيان عفوه مع القدرة
كان صلى الله عليه واله وسلم احلم الناس وارغبهم في العفو مع القدرة حتى اتي بقلائد من ذهب وفضة فقسمها
بين اصحابه فقام رجل من اهل البادية فقال يا محمد والله لئن امرك الله ان تعدل فما اراك تعدل فقال ويحك
من يعدل عليك بعدي فلما ولى قال ردوه علي رويدا وروى جابر انه ص كان يقبض للناس يوم حنين من
فضة في ثوب بلال فقال له رجل يا نبي الله اعدل فقال رسول الله ص ويحك فمن يعدل اذا لم اعدل فقد
خبت اذا وخسرت ان كنت لا اعدل فقام عمر فقال الا اضرب عنقه فانه منافق فقال معاذ الله ان
يتحدث الناس اني اقتل اصحابي وكان صلى الله عليه وآله في حرب فراوا من المسلمين غرة فجاء
رجل حتى قام على رسول الله ص بالسيف فقال من يمنعك مني فقال الله قال فسقط السيف من يده
واخذ رسول الله ص السيف وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ قال قل اشهد ان لا اله الا الله فقال
لا غير اني لا اقاتلك ولا اكون معك ولا اكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فجاء الى قومه فقال
جئتكم من عند خير الناس وروى انس ان يهودية اتت النبي عليه السلم بشاة مسمومة ليأكل منها
فجيء بها الى النبي ص فسألها عن ذلك فقالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك
قالوا افلا تقتلها فقال لا وسحره رجل من اليهود فاخبره جبرئيل بذلك حتى استخرجه وحل عقده
فوجد لذلك خفة وما ذكر ذلك لليهودي ولا اظهره عليه قط وقال علي ع بعثني رسول الله ص انا

والزبير ... قال
والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها
فانطلقنا ... فاذا الظعينة فقلنا اخرجي الكتاب فقالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لنلقين الثياب
فاخرجته من عقاصها فاتينا به النبي ص فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى اناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض امر النبي ص فقال صلى الله عليه واله يا حاطب ما هذا قال لا تعجل علي ...
... وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها ... فاحببت اذ فاتني ذلك ... ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي ولم افعل ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال صلى الله عليه وآله انه قد صدق فقال عمر دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم
بيان ... قسمة فقال رجل من الانصار هذه قسمة ما اريد بها وجه الله ... فاحمر وجهه وقال رحم الله اخي موسى قد اوذي باكثر من هذا فصبر وكان ... لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر
وكان رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه ورضاه ... ودخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهه فلم يقل له شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا ان يدع هذه ... وبال اعرابي في المسجد ... فقال ... ان هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول ... ثم قال ... اعرابي يوما يطلب منه شيئا فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ... ثم قال ... مثلي ومثل هذا الاعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها واعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها هونا هونا حتى جاءت واستناخت وشد ...

عليها وحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار ه
بيان سخاوته وجوده كان صلى الله عليه وآله اجود الناس واسخاهم وكان في
شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئا وكان علي عم اذا وصف النبي ص قال كان اجود
الناس كفا واجرأ الناس صدرا واصدق الناس لهجة واوفاهم ذمة والينهم عريكة واكرمهم
عشيرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه
وآله وما سئل قط شيئا على الاسلام الا اعطاه وان رجلا اتاه فسأله فاعطاه غنما بين جبلين
فرجع الى قومه وقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وما سئل شيئا قط فقال لا
وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعها على حصير ثم قام اليها فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها
وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال عمر يا رسول
الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره ص ذلك فقال الرجل انفق ولا تخش من ذي العرش اقلالا
فتبسم النبي ص وعرف السرور في وجهه ولما قفل من حنين جاءت الاعراب يسألونه حتى اضطروه
الى شجرة فخطفت رداءه فوقف عليه الصلوة والسلم وقال اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه
العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا بيان شجاعته كان عليه السلم
انجد الناس واشجعهم قال علي ع لقد رايتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ص وهو اقربنا الى العدو
وكان اشد الناس يومئذ بأسا وقال ايضا كنا اذا احمر البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول
الله ص فما يكون احد اقرب الى العدو منه وقيل كان عليه السلم قليل الحديث قليل الكلام فاذا
امر الناس ~~فما يكون احد اقرب الى العدو منه وقيل كان عليه السلم قليل~~ بالقتال تشمر وكان من
اشد الناس بأسا وكان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدو وقال عمران بن
حصين ما لقي رسول الله ص كتيبة الا كان اول من يضرب قالوا وكان قوي البطش ولما غشيه
المشركون نزل فجعل يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب فما رأي يومئذ احد كان اشد منه
بيان تواضعه كان صلى الله عليه واله وسلم اشد الناس تواضعا في علو منصبه قال ابن عامر رأيته

[illegible] على ناقة
شهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وكان [illegible] حمار وكان
[illegible] مع ذلك يركب [illegible] ويخصف النعل [illegible]
موكفا عليه قطيفة وكان [illegible] دعوة المملوك وكان اصحابه لا يقومون له [illegible]
بعود المريض ويتبع الجنائز [illegible] حاجتهم وكان [illegible] عليهم وابى على السلام [illegible] القديد [illegible]
يرقع الثوب وكان [illegible] على الصبيان [illegible] ابرار [illegible]
لما عن فراش [illegible] قال [illegible] فيأتي الى العرب [illegible] وقالت [illegible] العبيد [illegible] الناس [illegible]
فار عادش هيبته فقال [illegible] اصحابه فيأتي [illegible] يجلس عليه [illegible] ياكل [illegible] وكان اذا جلس مع [illegible]
عاسر [illegible] اصحابه [illegible] الارض ثم قال [illegible] الا قال [illegible] وكان [illegible] اصحابهم
يعرفه الغريب [illegible] جهة الارض [illegible] ثم [illegible] رفقا [illegible] الا عن [illegible] الى

باب ضحكه

براسه حتى كادان يصيب [illegible] احد من اصحابه [illegible] وكان لا يدعوه احد [illegible] الدنيا [illegible] معهم [illegible] الطويل [illegible] فقد كان
لحق بالله تعالى وكان [illegible] يتحدث معهم وان [illegible] فيتبسم [illegible] اذا ضحكوا [illegible] المتردد [illegible] اكتنفه [illegible]

واما لونه

في طعام وشراب [illegible] الجاهلية ويضحكون [illegible] الطويل البائن ولا القصير [illegible] صلى الله عليه واله وسلم [illegible] ربعة [illegible] صغره ولا حرة [illegible]
ويذكرون [illegible] من امر [illegible] انه لم يكن بالطويل [illegible] الى الطول الا [illegible] عليه [illegible] الرجال [illegible] بعظم [illegible]
مر صفه رسول الله [illegible] من الناس [illegible] الى الربعة [illegible] عليه السلم [illegible] الذي [illegible] عن الحمرة [illegible]
فلم يكن يماشيه احد [illegible] الى الطول [illegible] عليه السلم [illegible] الابيض [illegible] الناصع [illegible] عصيه [illegible] الاظهر [illegible] كان رجل [illegible]
فاذا فارقاه نسبا الى الطول [illegible] بالشديد البياض ولا الازهر [illegible] بال الباهى [illegible] القصا [illegible] عن [illegible]
اللون ولم يكن بالآدم ولا الشديد [illegible] العام وجه [illegible] كالوصر [illegible] فاما شعره فقد كان [illegible]
ونعته عمه ابو طالب فقال وابيض [illegible] للشمس [illegible] الرباح كا [illegible] المسك الاذفر [illegible] بالشط [illegible] انه كان [illegible]
فقال انا كان المشرب [illegible] بالحمرة [illegible] عليه السلم [illegible] وجهه كاللؤلؤ [illegible] الجعد القطط [illegible] منكبيه [illegible] الرواية [illegible]
منه وكان عرقه [illegible] ليس بالجعد ولا السبط [illegible] وكان شعره يضرب [illegible] وربما جعله [illegible] اربع غدائر [illegible]
[illegible] قيل [illegible] شحمة اذنيه [illegible] سهل [illegible] ادن [illegible]

اذنيه

اذنيه فسدوا سوالفه تيلالا وكان شيبه في الراس واللحية سبع عشرة شعرة ما زاد على ذلك وكان
عليه السلم احسن الناس وجها وانورهم لم يصفه واصف الا شبهه بالقمر ليلة البدر وكان يرى رضاه
وغضبه في وجهه لصفاء بشرته وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه ابو بكر حين يقول شعرا من مصطفى بالخير يدعو
كضوء البدر زايله الظلام وكان عليه السلم واسع الجبهة ازج الحاجبين سابغهما وكان ابلج ما بين
الحاجبين كان ما بينها الفضة المخلصة وكانت عيناه نجلاوين ادعجهما وكان في عينيه تمزج من حمرة وكان
اهدب الاشفار حتى يكاد يلتبس من كثرتها وكان اقنى العرنين اي مستوي الانف وكان افلج الاسنان
اي متفرقها وكان اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق اذا تلالا وكان من احسن عباد الله
شفتين والطفهم ختم فم وكان سهل الخدين صلتهما ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم كث اللحية وكان
يعفي لحيته وياخذ شاربه وكان من احسن الناس عنقا لا ينسب الى الطول ولا الى القصر ما ظهر من عنقه
للشمس والرياح فكانه ابريق فضة مشرب ذهبا يتلالا في بياض الفضة وفي حمرة الذهب وكان عليه السلم
عريض الصدر لا يعدو لحم بعض بدنه بعضا كالمرايا في استوائه وكالقمر في بياضه موصول ما بين لبته وسرته
بشعر منقاد كالقضيب لم يكن في بطنه ولا صدره شعر غيره وكانت له عكن ثلث يغطي الازار منها واحدا و
تظهر اثنان وكان عظيم المنكبين اشعرهما ضخم الكراديس اي رؤوس العظام من المنكبين والمرفقين و
الوركين وكان واسع الظهر ما بين كتفيه خاتم النبوة وهو مما يلي منكبه الايمن فيه شامة سوداء تضرب
الى الصفرة حولها شعرات متواليات كانها من عرف فرس وكان عبل العضدين والذراعين
طويل الزندين رحب الراحتين سائل الاطراف كان اصابعه قضبان الفضة كفه الين من الخز كان
كفه كف عطار طيبا مسها بطيب ولم يمسها يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع
على راس صبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على راسه وكان عبل ما تحت الازار من الفخذ و
الساق وكان معتدل الخلق في السمن بدن في آخر زمانه وكان لحمه متماسكا يكاد يكون على
الخلق الاول لم يضره السن **واما مشيه** صلى الله عليه واله وسلم فكان يمشي كانما يتقلع من
صخر وينحدر من صبب يخطو تكفيا ويمشي الهوينا بغير تبختر والهوينا تقارب الخطى وكان عليه
السلم يقول انا اشبه الناس بآدم عليه السلم وكان ابي ابراهيم اشبه الناس بي خلقا وخلقا و

وكان [illegible] عنه
تيول الى [illegible] على ابن [illegible] وانا [illegible] الكفر [illegible] ويكون [illegible]
ذي عشرة اسماء انا محمد وانا احمد [illegible] الذي يمحو الله بي الكفر [illegible] والقثم [illegible] الكامل [illegible] الى
احمد وانا الماحي الذي [illegible] وانا [illegible] رسول الرحمة [illegible] المتوكل [illegible] اوالامر [illegible] الجامع [illegible]
وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي وانا [illegible] قال [illegible] ملحمة [illegible] وانا [illegible] ما [illegible]
الذي يحشر العباد على قدمي وانا [illegible] اعلم [illegible] من [illegible] على [illegible] الاسماء [illegible] وان [illegible]
الملاحم والمتقي [illegible] الناس جميعا [illegible] على صدقه [illegible] دلائل [illegible] وقوة [illegible] كذا [illegible]
معجزاته [illegible] الدالة على صدقه [illegible] العقلاء [illegible] الاستعداد [illegible] منزلا [illegible] العلم [illegible]

الجامع

اخباره المشتملة على حلاوته [illegible] وقوده [illegible] الذي [illegible] البشرية [illegible] حتى ان [illegible] التنخ كان [illegible] [illegible]
ضبطهم [illegible] ان رآته في تفصيل [illegible] النبوة [illegible] فاطمة [illegible] جميع مصادره [illegible] جميع ذلك [illegible] ان فصل [illegible] [illegible]
الخلق [illegible] لم يكن يكتب [illegible] اخلاقه [illegible] انه تعالى [illegible] ضعيفا [illegible] وغيره ذلك [illegible] [illegible]
ولا انكر في ان ذلك [illegible] كانت [illegible] العظيم [illegible] بالاعراب [illegible] تعالى [illegible] كتابه [illegible] [illegible]
كذاب ولا يلتبس [illegible] يكتب [illegible] ومكاتبة [illegible] موقنة بانه تعالى [illegible] الى [illegible] [illegible]
يشهد له بالصدق [illegible] وعلو منصبه [illegible] العلوم [illegible] فصاحة [illegible] الكتب [illegible] [illegible]
الاخلاق ولبثه [illegible] علم [illegible] الامور [illegible] الانبياء [illegible] [illegible]
بطالع الكتب ولم [illegible] الاستقلال [illegible] الاخبار [illegible] بكيفيات [illegible] [illegible]
والاداب [illegible] مصالح الفقه [illegible] استفاضت [illegible] عشر [illegible] [illegible]
لو لا صريح الوحي [illegible] رجليها [illegible] ابن [illegible] ابناء [illegible] [illegible]
بسبب [illegible] التفصيل [illegible] الخندق [illegible] اطعم [illegible] يده [illegible] [illegible]
غير طويل [illegible] بحكاية [illegible] شعير [illegible] ذلك [illegible] [illegible]
الكثيرة [illegible] اكثر [illegible] ابن [illegible] من [illegible] [illegible]
العقود [illegible] العسكر [illegible] [illegible]

الحبش

الحبش وهم الوف حتى رووا وشربوا من شراب الحبش بعد الوف وحمل على ان ولم يكن فيهما قبل ذلك ما آواهم عمر بن
الخطاب ان تردوا اربعمائة راكب من تمر كان في اجتماعه كربضة بعير وهو صنع بره كرقه فزودهم كلهم منه وفي
بخبر ورمى الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القرآن في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى وابطل الله الكهانة بمبعثه فعدمت وكانت ظاهرة موجودة وحن الجذع الذي كان يخطب اليه لما عمل
له المنبر حتى سمع منه جميع اصحابه مثل صوت الابل فضمه اليه فسكن ودعا اليهود الى تمني الموت واخبرهم بانهم
لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه وهذه الآية مذكورة في سورة يقراها في جوامع اهل
الاسلام من شرق الارض الى غربها يوم الجمعة جهرا تعظيما للآية التي فيها واخبر عليه السلم بالغيوب و
انذر بان عثمان تصيبه بلوى بعدها الجنة وبان عمارا تقتله الفئة الباغية وان الحسن يصلح الله به بين فئتين
من المسلمين عظيمتين واخبر صلى الله عليه واله عن رجل قاتل في سبيل الله انه من اهل النار فظهر ذلك بان
قتل ذلك الرجل نفسه وهذه كلها اشياء لا يعرف البتة شيء من وجوه تقدم المعرفة لا بالنجوم ولا بالكهانة ولا
بالخط ولا بالزجر ولكن باعلام الله تعالى له ووحيه اليه واتبعه سراقة بن جعشم فدعا فرسه في الارض واتبعه رجال
حتى استغاثه فدعا له حتى انطلقت له الفرس وانذره بانه سيوضع في ذراعيه سواري كسرى وكان ذلك
واخبر بقتل الاسود العنسي الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن واخبر بمن قتله وخرج على مائة من قريش و
ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه وشكا اليه البعير بحضرة اصحابه وتذلل له وقال النفر من اصحابه
مجتمعين احدكم في النار ضرسه مثل احد فماتوا كلهم على استقامة وارتد واحد منهم فقتل مرتدا
وقال لآخرين منهم آخركم موتا في النار فسقط آخرهم موتا في نار فاحترق فيها فمات ودعا شجرتين
فاتتاه واجتمعتا ثم امرهما فافترقتا ودعا النصارى الى المباهلة فامتنعوا واخبر انهم ان
فعلوا ذلك هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا واتاه عامر بن الطفيل واربد بن قيس وهما فارسا العرب و
فاتكاهم عازمين على قتله فحيل بينهما وبين ذلك ثم دعا عليهما فهلك عامر بغدة وهلك اربد بصاعقة
احرقته واخبر انه يقتل ابي بن خلف الجمحي فخدشه يوم احد خدشا لطيفا فكان منه موته واطعم عليه
السلم الشاة التي اكل منها وعاش بعدها اربع سنين وكلمه الذراع المسموم واخبر يوم بدر
بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلا رجلا فلم يتعد احد منهم ذلك الموضع وانذر عليه
بان طوائف من امته يغزون في البحر وكان كذلك وزويت له الارض فرأى مشارقها ومغاربها واخبر بان

سيبلغ ملك امته ما زوي له منها فكان كذلك فقد بلغ ملكهم من اول المشرق من بلاد الترك الى آخر المغرب من بحر الاندلس وبلاد البربر ولم يتسعوا في الجنوب ولا في الشمال كما اخبر صلى الله عليه وآله وسلم سواء بسواء واخبر فاطمة ابنته عليها السلام بانها اول اهله لحوقا به فكان كذلك واخبر نساءه بان اطولهن يدا اسرعهن لحوقا به فكانت زينب بنت جحش الاسدية اطولهن يدا بالصدقة اولهن لحوقا به ومسح ضرع شاة حائل لا لبن لها فدرت فكان ذلك سبب اسلام ابن مسعود وفعل ذلك مرة اخرى في خيمة ام معبد الخزاعية وندرت عين بعض اصحابه فسقطت فردها بيده صلى الله عليه وآله وسلم فكانت اصح عينيه واحسنهما وتفل في عين علي عليه السلام وهو ارمد يوم خيبر فصح من وقته وبعثه بالراية وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه واصيبت رجل بعض اصحابه فمسحها بيده فبرئت من حينه وقل زاد جيش كان معه صلى الله عليه وآله وسلم فدعا بجميع ما بقي فاجتمع شيء يسير جدا فدعا فيه بالبركة ثم امرهم فاخذوا فلم يبق وعاء في العسكر الا ملئ من ذلك وحكى الحكم بن عاص مشيته مستهزئا فقال صلى الله عليه وآله وسلم كذلك فكن فلم يزل يرتعش حتى مات وخطب امرأة فقال له ابوها ان بها برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال فلتكن كذلك فبرصت الى غير ذلك من آياته ومعجزاته صلى الله عليه وآله وسلم وانما اقتصرنا على المستفيض ومن يستريب في انخراق العادة على يده ويزعم ان آحاد هذه الوقائع لم تنقل تواترا بل المتواتر هو القرآن فقط كمن يستريب في شجاعة علي عليه السلام وسخاوة حاتم ومعلوم ان آحاد وقائعهم غير متواترة ولكن مجموع الوقائع يورث علما ضروريا ثم لا يتمارى في تواتر القرآن وهي المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لنبي معجزة باقية سواه صلى الله عليه وآله وسلم اذ تحدى بها بلغاء الخلق وفصحاء العرب وجزيرة العرب حينئذ مملوءة بآلاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم وكان ينادي بين اظهرهم ان ياتوا بمثله او بعشر سور مثله او بسورة من مثله ان شكوا فيه وقال لهم قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله الآية وقال ذلك تعجيزا لهم فعجزوا عن ذلك وصرفوا عنه حتى عرضوا انفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم للسبي وما استطاعوا ان يعارضوا ولا ان يقدحوا في جزالته وحسنه ثم انتشر ذلك بعده في اقطار العالم شرقا وغربا قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر وقد انقرض اليوم قريب من خمسمائة سنة فلم يقدر احد على معارضته فاعظم بغباوة من ينظر في احواله ثم في اقواله ثم في افعاله ثم في اخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شرعه الى الآن ثم في انتشاره في اقطار العالم ثم في اذعان ملوك الارض له في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه وما اعظم توفيق من آمن به وصدقه واتبعه في كل ما ورد وصدر فنسأل الله تعالى ان يوفقنا للاقتداء به في الافعال والاحوال بمنه وسعة جوده وكرمه

تم آخر ربع العادات بحمد الله وتوفيقه

الربع الثالث في المهلكات من كتاب الاحياء

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي يتحير دون ادراك جلاله القلوب والخواطر وتدهش
في مبادي اشراق انواره الاحداق والنواظر المطلع على خفيات السرائر العالم بمكنونات الضمائر المستغني
في تدبير ملكه عن المشاور والموازر مقلب القلوب وغفار الذنوب وستار العيوب ومفرج الكروب
والصلوة على محمد سيد المرسلين وجامع شمل الدين وقاطع دابر الملحدين وعلى آله الطيبين الطاهرين
اما بعد فشرف الانسان وفضيلته التي بها فاق من جملة اصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله
التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي الآخرة عدته وذخره وانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة
من جوارحه فالقلب هو العالم بالله وهو العامل لله وهو الساعي الى الله وهو المتقرب اليه وهو المكاشف
بما عند الله ولديه وانما الجوارح اتباع وآلات وخدم يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد
واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة فالقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله اذا
صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب والمخاطب وهو المعاتب والمعاقب وهو الذي يسعد بالقرب من
الله فيفلح اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وانما الذي
ينتشر على الجوارح من العبادات انواره وهو العاصي المتمرد على الله وانما الساري الى الاعضاء من الفواحش
آثاره وباظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه اذ كل اناء يترشح بما فيه وهو الذي اذا عرفه
الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه
واذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره اجهل واكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وانفسهم وقد
حيل بينهم وبين انفسهم فان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بان يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة
صفاته وكيفية تقلبه بين اصبعين من اصابع الرحمن وانه كيف يهوي مرة الى اسفل السافلين
وينخفض الى افق الشياطين وكيف يرتفع اخرى الى اعلى عليين ويرتقي الى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف
قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد ما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه
نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب وحقيقة اوصافه اصل الدين واساس طريق
السالكين واذ فرغنا في الشطر الاول من هذا الكتاب عن النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات
والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا ان نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلوب من الصفات
المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلا بد وان نقدم عليه كتابين كتابا في شرح صفات القلب

واخلاقه وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب الاخلاق ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات فلنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الامثال ما يقرب من الافهام فان التصريح بعجائبه واسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عنه اكثر الافهام

بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الاسامي

اعلم ان هذه الاسماء الاربعة تستعمل في هذه الابواب ويقل في فحول العلماء من يحيط بهذه الاسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها واكثر الاغاليط منشؤها الجهل بمعنى هذه الاسامي واشتراكها بين مسميات مختلفة ونحن نشرح في معنى هذه الاسامي ما يتعلق بغرضنا اللفظ الاول لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين احدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود هو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته اذ يتعلق به غرض الاطباء ولا يتعلق به الاغراض الدينية وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت ونحن اذا اطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة اذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهو المدرك العالم العارف من الانسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته فان تعلقه به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل للآلة بالآلة او تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين احدهما انه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا من هذا الكتاب الا علوم المعاملة والثاني ان تحقيقه يستدعي افشاء سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فليس لغيره ان يتكلم فيه والمقصود انا اذا اطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب اردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر اوصافها واحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها واحوالها ولا يفتقر الى ذكر حقيقتها اللفظ الثاني الروح وهو ايضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين احدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني فينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر اجزاء البدن وجريانه في البدن وفيضان انوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منها على اعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا ينتهي الى جزء من البيت الا ويستنير به والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والاطباء اذا اطلقوا لفظ الروح ارادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف انضجته حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا اذ المتعلق به غرض الاطباء الذين يعالجون الابدان فاما غرض اطباء الدين المعالجين للقلب حتى ينساق الى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذا الروح اصلا

المعنى

المعنى الثاني وهو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهو الذي شرحناه في احد معاني القلب وهو الذي
اراده الله تعالى بقوله ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وهو امر عجيب رباني تعجز اكثر العقول والافهام
عن درك كنه حقيقته اللفظ الثالث النفس وهو ايضا مشترك بين معاني ويتعلق بغرضنا منه معنيان
احدهما انه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان على ما سيأتي شرحه وهذا الاستعمال
هو الغالب على الصوفية فانهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لا بد
من مجاهدة النفس وكسرها واليه اشار عليه السلام بقوله اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك المعنى الثاني
هو اللطيفة التي ذكرناها التي هي الانسان بالحقيقة وهي نفس الانسان وذاته ولكنها توصف باوصاف
مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس
المطمئنة كما قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك والنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى الله تعالى
فانها مبعدة عن الله تعالى وهي من حزب الشيطان واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس ومعترضة عليها
سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيرها في عبادة مولاها قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت الاعتراض
واذعنت واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء قال الله تعالى ان النفس لامارة
بالسوء وقد يجوز ان يقال المراد بالامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الاول فاذن النفس بالمعنى الاول مذمومة غاية الذم وبالمعنى
الثاني محمودة لانها نفس الانسان اي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وبسائر المعلومات اللفظ الرابع العقل وهو
ايضا مشترك لمعاني مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان احدهما انه قد يطلق ويراد به
العلم بحقائق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب والثاني انه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون
هو القلب اعني تلك اللطيفة ونحن نعلم ان كل عالم فله في نفسه وجود هو اصل قائم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير
الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الادراك اعني المدرك وهو المراد بقوله عليه السلام
اول ما خلق الله تعالى العقل فان العلم عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل لا بد وان يكون المحل مخلوقا قبله او
معه ولانه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر انه قال له اقبل فاقبل وقال له ادبر فادبر الحديث فاذن قد انكشف لك
ان معاني هذه الاسامي موجودة وهي القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهواني والعلوم وهذه اربعة
معان يطلق عليها الالفاظ الاربعة ومعنى خامس وهو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان والالفاظ الا

را مطمئنه

بجملتها فالمعاني خمسة والالفاظ اربعة وكل لفظ اطلق لمعنيين واكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الالفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر القلب وهذا خاطر النفس وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الاسامي ولاجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الاسامي وحيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الانسان ويعرف حقيقة الاشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر لان بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فانها وان كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب وكانه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها ولذلك شبه سهل التستري القلب بالعرش والصدر بالكرسي فقال القلب هو العرش والصدر هو الكرسي فلا يظن به انه يرى انه عرش الله وكرسيه فان ذلك محال بل اراد به انه مملكته والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسي بالنسبة الى الله تعالى ولا يستقيم هذا التشبيه ايضا الا من بعض الوجوه وشرح ذلك ايضا لا يليق بغرضنا فلنجاوزه

بيان جنود القلب قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فلله سبحانه في القلوب والارواح وغيرها من العوالم جنود مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا هو ونحن الآن نشير الى بعض جنود القلب فهو الذي يتعلق بغرضنا وله جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان فهذا معنى الجند فاما جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والاذن واللسان وسائر الاعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له فهو المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعته لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا امر العين بالانفتاح انفتحت واذا امر الرجل بالحركة تحركت واذا امر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا سائر الاعضاء وتسخير الاعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى فانهم مجبولون على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وانما يفترقان في شيء وهو ان الملائكة عالمة بطاعتها وامتثالها والاجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب وانما افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره الى المركب والزاد لسفره الذي لاجله خلق وهو السفر الى الله تعالى وقطع المنازل الى لقائه فلاجله خلقت القلوب قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وانما مركبه البدن وزاده العلم وانما الاسباب التي توصله الى الزاد وتمكنه من التزود منه هو العمل الصالح وليس يمكن العبد ان يصل الى الله سبحانه ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا

فان المنزل الادنى لا بد من قطعه للوصول الى المنزل الاقصى والدنيا مزرعة الآخرة وهي منزلة من منازل الهدى وانما سميت الدنيا لانها ادنى المنزلين فاضطر الى ان يتزود من هذا العالم والبدن مركبه الذي به يصل الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه وانما يحفظ البدن بان يجلب اليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وبان يدفع عنه ما ينافيه ويهلكه من اسباب الهلاك فافتقر لاجل جلب الغذاء الى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والاعضاء الجالبة للغذاء فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج اليه وخلق الاعضاء التي هي آلات الشهوة فافتقر لاجل دفع المهلكات الى جندين باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الاعداء وظاهر وهو اليد والرجل اللذين بهما يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بامور خارجة من البدن كالاسلحة وغيرها ثم المحتاج الى الغذاء ما لم يعرف الغذاء لا ينفعه شهوة الغذاء والفه فافتقر للمعرفة الى جندين باطن وهو ادراك البصر والذوق والشم والسمع واللمس وظاهر وهو العين والانف والاذن والفم وغيرها وتفصيل وجه الحاجة اليها ووجه الحكمة فيها يطول ولا يحويها مجلدات كثيرة وقد اشرنا الى طرف يسير منه في كتاب الشكر فليقنع بجملة جنود القلب تحصرها ثلثة اصناف صنف باعث ومستحث اما الى جلب الموافق النافع كالشهوة واما الى دفع الضار المنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة والثاني هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد وقد يعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبثوثة في سائر الاعضاء لا سيما العضلات منها والاوتار والثالث هو المدرك المتعرف للاشياء كالجواسيس وهي قوة البصر والشم والذوق والسمع وغيرها وهي مبثوثة في اعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الاعضاء المركبة من اللحم والشحم والدم والعظم والعصب التي اعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش انما تبطش بالاصابع وقوة البصر انما تدرك الشيء بالعين وكذا سائر القوى ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة اعني الاعضاء فانها من عالم الملك والشهادة وانما نتكلم الآن فيما ايد به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم الى ما اسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس اعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس والى ما اسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي ايضا خمسة فان الانسان بعد رؤية الشيء يغمض عينه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى البعض ثم يتذكر ما نسيه ويعود اليه

ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا ان خلق الله قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان الدماغ يخلو عنه كما تخلو اليد والرجل عنه فتلك القوى ايضا جنود باطنة واماكنها ايضا باطنة فهذه هي اقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء بضرب الامثلة يطول ومقصود مثل هذا الكتاب ان ينتفع به الاقوياء والفحول من العلماء ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب الامثلة ليقرب ذلك من افهامهم

بيان امثلة القلب مع جنوده الباطنة اعلم ان جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذي يسلكه وتحسن مرافقتهما في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سياتي شرحه وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله تعالى على الجندين الآخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حالة اكثر الخلق فانهم قد صارت عقولهم مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه ونحن نقرب ذلك الى فهمك بثلثة امثلة

المثال الاول ان نقول مثل نفس الانسان في بدنه اعني بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل ملك في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وجوارحها وقواها بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة الى المدينة والغضب والحمية له كصاحب الشرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهائل والسم القاتل وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح في آرائه وتدبيراته حتى انه لا يخلو عن منازعته ومعارضته ساعة كما ان الوالي في مملكته اذا كان مستغنيا في تدبيراته بوزيره ومستشيرا له ومعرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث مستدلا باشارته في ان الصواب في نقيض رايه ادب صاحب شرطته وساسه لوزيره وجعله مؤتمرا له ومسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث واتباعه وانصاره حتى يكون العبد مسوسا لا سائسا ومامورا مدبرا لا اميرا مدبرا استقام امر بلده وانتظم العدل بسببه فكذا النفس متى استعانت بالعقل وادبت بحمية الغضب وسلطتها على الشهوة واستعانت باحداهما على الاخرى تارة بان تقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة

الميرة بالكسر الطعام

وقهرها

وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواه وحسنت اخلاقه ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وقال تعالى واتبع هواه فمثله كمثل الكلب وقال تعالى فيمن نهى النفس عن الهوى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى وسياتي كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس

المثال الثاني ان البدن كالمدينة والعقل اعني المدرك من الانسان كملك مدبر لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده واعوانه واعضاؤه كرعيته والنفس الامارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في اهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد عدوه وهزمه وقهره على ما يحب حمد اثره اذا عاد الى الحضرة كما قال الله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وان ضيع ثغره واهمل رعيته ذم اثره وانتقم منه عند لقاء الله تعالى فيقال له يوم القيمة يا راعي السوء اكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما ورد في الخبر والى هذه المجاهدة الاشارة بقوله رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر

المثال الثالث مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان جديرا بالنجح ومتى كان هو في نفسه اخرق وكان فرسه جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل باشارته مطيعا فهو خليق بان يعطب فضلا عن ان ينال ما طلب وانما خرق الفارس مثال لجهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثال لغلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثال لغلبة الغضب واستيلائه

بيان خاصية قلب الانسان اعلم ان جملة ما ذكرناه قد انعم الله تعالى به على سائر الحيوانات سوى الآدمي اذ للحيوان الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة ايضا حتى ان الشاة ترى الذئب بعينها فتدرك عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك ادراك باطن فلنذكر ما يختص به قلب الانسان ولاجله عظم شرفه واستاهل القرب من الله تعالى وهو راجع الى علم وارادة اما العلم فهو العلم بالامور الدنيوية والاخروية والحقائق العقلية فان هذه امور وراء المحسوسات فلا يشاركه فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل اذ يحكم الانسان بان الفرس الواحد لا يتصور ان يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل فرس ومعلوم انه لا يدرك بالحس الا بعض الافراس فحكمه على جميع الافراس زائد على ما ادركه الحس واذا ادركت

[illegible]

المتوحشة لنفحات الله تعالى كما قال النبي عليه السلم ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها والتعرض لها
بتطهير القلب وتزكيته عن الخبث والكدورة الحاصلة من الاخلاق المذمومة كما سياتي والى هذا الجود الاشارة
بقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تعالى كل ليلة الى السماء الدنيا فيقول هل من داع فاستجيب له وبقوله عليه السلم حكاية عن الله تعالى
لقد طال شوق الابرار الى لقائي وانا الى لقائهم لاشد شوقا وبقوله تعالى من تقرب الي شبرا تقربت اليه
ذراعا كل ذلك اشارة الى ان انوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوا
كبيرا ولكن لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فان القلوب كالاواني فما دامت ممتلية من الماء لا
يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله تعالى لا يدخلها المعرفة بجلال الله واليه الاشارة بقوله عليه السلم
لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السما ومن هذه الجملة تبين ان خاصية الانسان
العلم والحكمة واشرف انواع العلم العلم بالله تعالى وصفاته وافعاله وفيه كمال الانسان وفي كماله سعادته
وصلاحه بجوار حضرة الجلال والكمال والبدن مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الانسان
وخاصيته التي لاجله خلق وكما ان الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية الكر والفر وحسن
الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية فان تعطلت منه نزل الى حضيض رتبة الحمار فكذلك الانسان
يشارك الحمار والفرس في امور ويفارقهما في امور هي خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملائكة المقربين من رب العالمين
والانسان على رتبة بين البهائم والملائكة فان الانسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث
يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط وانما خاصيته معرفة
حقايق الاشيا فمن استعمل جميع اعضائه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملائكة
فحقيق بان يلتحق بهم وجدير بان يسمى ملكا وربانيا كما قال تعالى ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همته الى
اتباع الشهوات واللذات البدنية ياكل كما تاكل الانعام فقد انحط الى حضيض افق البهائم فيصير اما غمرا كثور
واما شرها كخنزير او ضرعا ككلب وسنورا او حقودا كجمل او متكبرا كنمر او ذا روغان كثعلب او يجمع ذلك كله كشيطان
مريد وما من عضو من الاعضاء ولا حس من الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى الله تعالى كما
سياتي طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة السعادة
في ذلك ان يجعل لقاء الله مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه والاعضاء خدمه
فيستقر هو اعني المدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك ويجري القوة الخيالية المودعة
في مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده اذ يجتمع اخبار المحسوسات عنده ويجري القوة الحافظة التي مسكنها

[illegible]

تنسب الى العالم ويحزن اذا قرن بالجهل والاحاطة بجميع الحقايق والاستيلا بالقهر على جميع الخلائق من
اوصاف الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها
في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز في استنباط الحيل ووجوه الشر
ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان
فيه شوب من هذه الاصول الاربعة يعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في
القلب فكان المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم الخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما
للونه وشكله وصورته بل لجشعه وحرصه وكلبه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري و
الكلب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة والشكل واللون بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان
والعقور وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه وشرهه فالخنزير يدعو بشرهه الى
الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بغضبه الى الظلم والايذاء والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ
السبع ويغري احدهما بالآخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مامور
بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وان يكسر
شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير
عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة
البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم فان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط
الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائما في عبادة كلب او خنزير وهذا حال اكثر
الناس مهما كان اكثر همهم البطن والفرج ومنافسة الاعداء والعجب منه انه ينكر على عبدة الاصنام
عبادتهم للحجارة ولو كشف الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين
اما في النوم او في اليقظة لرأى نفسه ماثلا بين يدي خنزير ساجدا له مرة وراكعا اخرى ومنتظرا لاشارته
وامره فمهما هاج الخنزير لطلب شيء من شهواته انبعث على الفور في خدمته واحضار شهوته وراح ماثلا
بين يدي كلب عقور عابدا له مطيعا لما يبتغيه ويقتضيه وملتمسا مدققا للفكر في حيل الوصول الى طاعته
وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فانه الذي يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من

الوصية ... كل ... وقدوده الا
بعبادته ما يليق به ونظره وقيامه ... الى الضعف ... العلم ... القلب
ومسكناته وسكوته ونطقه ... البصيرة فلا يرى ... الا ... فلا ... ينتشر الى ... اماما
وليتطهر من ... والعيب والنداوة والبذخ واما ...
الملك ... والنهب والاستيلاء ... والتقصير والزنا والتهتك ... الجنابة والغيبة
والمستحق للسيادة والنهر ... صفة الشره والشهوة ... والنظر ... والعدو
فاعته ... صفات تراكم عليه ... والتبذير ... وارادة الشر ...
الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث ... الغضب فينتشر الحرص ... والتلبيس والحكمة والاحاطة
والملق والحسد والشماتة وغيرها ... والخداع والاحتيال ... والتعمق ...
والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء ... العلم والبصيرة ... الاعداء ...
بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والحيلة ... الشهوة ...
والعكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية ... والحياء ...
الاشياء ومعرفة الامور على ما هي عليه ... الشجاعة ... الحمودة التي ...
الاستغناء عن عبادة الشهوة والغضب ... الصبر ... **اما** ... الاثار المحمودة التي ذكرناها
مثل العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع والتقوى ... الى القلب ... فيه ...
ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب والثبات ... واصل الى القلب الحق وينكشف ...
فالصبر والحلم والاحتمال والعفو ... حتى ... خيرا جعل له واعظا ...
اكتنفته هذه الامور المذمومة ... اذا اراد الله بعبد خيرا ... قال الله تعالى ...
فانها تزيد مرآة القلب اشراقا ونورا ... **اما** الاثار ...
من الدين والى مثل هذا القلب الاشارة ... القلوب ... عند ...
... ارادوا الله ... وهذا القلب ... القلب ...
تراكم

يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع والرين قال الله تعالى
كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال تعالى ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون
فربط عدم السماع والطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم ومهما تراكمت
الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين بالاخرة ويستعظم امر
الدنيا ويصير مقصور الهم عليها فاذا قرع سمعه امر الآخرة وما فيها من الاخطار دخل من اذن وخرج من الاخرى ولم يستقر
في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك اولئك الذين يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وهذا معنى اسوداد
القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة وقال ميمون بن مهران اذا اذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء
فان هو نزع وتاب صقل وان عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فهو الرين وقال النبي صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن اجرد وفيه
سراج يزهر وقلب الكافر اسود منكوس فطاعة الله بمخالفة الشهوات مصقلات للقلب ومعصيته مسودات له
فمن اقبل على المعاصي اسود قلبه ومن اتبع السيئة الحسنة ومحى اثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التي
تنفس فيها ثم تمسح فانها لا تخلو عن كدورة وقال النبي صلى الله عليه وسلم القلوب اربعة قلب اجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب
المؤمن وقلب اسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب اغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب
مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة
يمدها القيح والصديد فاي المدتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به وقد قال الله تعالى ان الذين
اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فاخبر ان جلاء القلب والبصارة يحصل بالذكر وانه
لا يتمكن منه الا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الاكبر وهو الفوز بلقاء
الله تعالى **بيان** مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة **اعلم** ان محل العلم هو القلب اعني اللطيفة
المدبرة لجميع الجوارح المطاعة المخدومة من جميع الاعضاء وهي بالاضافة الى حقائق المعلومات كالمرآة بالاضافة
الى صور المتلونات فكما ان للمتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل فيها فكذلك لكل معلوم
حقيقة ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيه وكما ان المرآة غير وصورة الاشخاص غير وحصول
امثالها في المرآة غير وهي ثلاثة امور فكذلك هاهنا ثلاثة امور القلب وحقائق الاشياء وحصول نفس الحقائق
في القلب وحضوره فيه فالمرآة والعالم عبارة عن القلب الذي فيه يحل مثال حقائق الاشياء والمعلوم عبارة
عن حقائق الاشياء والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة وكما ان القبض مثلا يستدعي قابضا كاليد
ومقبوضا كالسيف ووصولا

تنبيه
البدو الشئ في اليد ... مثال العالم ... وجود ... حصول
حصول الشئ ... فكذلك كان ... الحقيقة ... عن ... النفس ... بعينه ... و
وليس قبضا ... العالم عبارة ... الشئ ... اسمي ... فانه ... تمثال ...
في القلب ليس ... العلم ... عبارة عن ... القلب ... اعني ... **اولها** ... **الثاني** ...
القلب موجودا ... اذا حصل عن ... المرآة ... الصورة ... **الخامس** الجهل ...
الصفة الى القلب ... ولان عن الانسان ... وان كان ... بالاضافة ... الامور
الآخذ حاصلا ... الانسان ... **الثاني** ... وصدأه ... فيها ...
في اليد والعلوم ... والمرآة ... الرابع ... ان القلب ... ظهور
وصفها المطابق ... صفاء القلب ... فكذلك ... القلب وجلاءه ...
فكذلك حصول مثال ... الصورة ... **اولها** نقصان ... فيه ... المرآة
نقصان صورته ... كجوهر الحديد ... الصورة ... الشهوات ... تعالى
لكونه معدولا به عن جهة الصورة المطلوبة ... الى ... الحليم ...
فيها الصورة المطلوبة التي تتغذر ... القلب ... الطاعة ... قال النبي
وانما حلت القلوب عن العلوم ... الذي تراكم ... فيها ... الله ...
لكدورة المعاصي والخبث الذي ... تقدم ... عليها ... الحسنة ...
ظلمته وتراكمها والبه الاشارة بقوله ... حلاوة ... المطلوبة ...
غايته ان تبعها ... بالحسنة ... القلب ... العبادة ...
الحسنة ... **الثالث** ان يكون معدولا به عن جهة الحقيقة ...
ثم ... الذي يحلو القلب ... ليس ... الاعمال ...
الشهوات وهو الذي يحلو ... العلم ... الاعمال ...
من عمل بما علم ... فانه ... تفصيل الطاعات ... الحضرة ...
صافيا فانه ... الحق فاطلت ... الى ...
المكاشف جلية الحق ... التي الى ... الشهوات

الدنيا ولذاتها وعلائقها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي **الرابع** الحجاب فان المطيع القاهر لشهواته المتجرد
للفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق اليه في صباه على
على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من ان ينكشف في قلبه خلاف ما
تلقفه من ظاهر التقليد وهذا ايضا حجاب عظيم حجب به اكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل اكثر الصالحين
المتفكرين في ملكوت السموات والارض لانهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في
قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقائق **الخامس** الجهل بالجهة التي يقع منها العثور على المطلوب
فان طالب العلم ليس يمكنه ان يحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها
ورتبها في نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطريق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب
فيتجلى حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التي ليست فطرية لا تقتنص الا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل
علم فلا يحصل الا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على
مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والانثى ثم كما ان من اراد ان يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار وبعير وانسان
بل لا بد من اصل مخصوص من الخيل الذكر والانثى وذلك اذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم فله اصلان
مخصوصان وبينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب فالجهل بتلك الاصول
وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها بل مثاله ان يريد الانسان
مثلا ان يرى قفاه في المرآة فانه اذا رفع المرآة بازاء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها
القفا وان رفعها وراء القفا وحاذاه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا
فيها فيحتاج الى مرآة اخرى ينصبها وراء القفا وهذه في مقابلتها بحيث يبصرها ويراعي مناسبة بين
وضع المرآتين حتى ينطبع صورة القفا في المرآة المحاذية للقفا ثم ينطبع صورة هذه المرآة في المرآة الاخرى
التي في مقابلة العين ثم تدرك العين صورة القفا فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات
اعجب مما ذكرناه في المرآة ويعز على بسيط الارض من يهتدي الى كيفية الحيلة في تلك الازورارات فهذه هي
الاسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الامور والعلوم والا فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة
الحقائق لانه امر رباني شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف واليه الاشارة بقوله
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
اشارة الى ان له خاصية يتميز بها عن السموات والارض والجبال بها صار مطيقا لحمل امانة الله تعالى و

[illegible]

المرتبة الاولى

[illegible]

طس

لحسن ظنهم بآبائهم وامهاتهم ومعلميهم وهذا الايمان سبب النجاة في الآخرة واهله من اوايل رتب اصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيهم كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطاء ممكن فيما يسمع من الآحاد بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقاد وقلوب اليهود والنصارى ايضا مطمئنة بما سمعوه من ابائهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطاء لانهم القي اليهم الخطاء والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن القي اليهم كلمة الحق المرتبة

الثانية ان تسمع كلام زيد وصوته من الدار ولكنه من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون ايمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار اقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك اذا قيل لك انه في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لان الصوت يدل على الشكل والصورة عند من سمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فقلبه يحكم بان هذا صوت ذلك الشخص فهذا ايمان ممزوج بدليل والخطاء ايضا ممكن ان يتطرق اليه اذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكات الا ان ذلك قد لا يخطر بال السامع لانه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر في هذا التلبيس والمحاكات غرضا المرتبة الثالثة ان تدخل الدار فتنظر اليه بعينك وتشاهده فهذه هي المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي ايمانهم على ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون بمزية بينة يستحيل معها امكان الخطاء نعم وهم ايضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف اما الدرجات فمثاله ان يبصر زيدا في الدار عن قرب وفي صحن الدار وفي وقت اشراق النهار فيكمل له ادراكه والآخر يدركه في بيت او من بعد او في وقت عشية فيتمثل له من صورته ما يتيقن معه انه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقايق والخفايا من صورته ومثل هذا متصور في تفاوت مشاهدة الامور الالهية واما مقادير العلوم فهو بان يرى في الدار زيدا وعمروا وبكرا وغير ذلك واخر لا يرى الا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذه حال القلب بالاضافة الى العلوم الدينية والدنيوية بيان حال القلب بالاضافة الى اقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والاخروية اعلم ان القلب بغريزته مستعد لقبول حقايق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم الى عقلية وشرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة تنقسم الى دنيوية واخروية اما العقلية فنعني بها ما تقضي به غريزة العقل ولا يوجد بالتقليد والسماع وهي تنقسم الى ضرورية ومكتسبة ثم قال جرا به وتاخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبي الى اوان التمييز او البلوغ يضاهي تاخر الرؤية عن البصر الى اوان طلوع الشمس وفيضان نورها على المبصرات والقلم الذي به يسطر الله العلوم على صفحات القلوب يجري مجرى قرص الشمس وانما لم يحصل العلم في قلب الصبي قبل التمييز لان

كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلب

وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات من كتاب الاحياء

قال رحمه الله بعد الحمد والصلوة اما بعد فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وافضل اعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وهو ثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين و

[illegible]

بيان علامات حسن الخلق اعلم ان كل انسان فهو جاهل بعيوب نفسه فاذا جاهد نفسه ادنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما ظن بنفسه انه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من ايضاح علامة حسن الخلق فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين في كتابه وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فقد قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون الى قوله هم الوارثون وقال التائبون العابدون الى قوله وبشر المؤمنين وقال تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله اولئك هم المؤمنون حقا وقال وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى اخر السورة فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بصفات كثيرة واشار بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال المؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وذكر ان صفات الايمان هي حسن الخلق فقال اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم اخلاقا وقال اذا رايتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وقال لا يحل للمؤمن ان يشير الى اخيه بنظرة تؤذيه وقال لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وقال انما يتجالس المتجالسان بامانة الله فلا يحل لاحدهما ان يفشي على اخيه ما يكرهه وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال حاتم الاصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والامل والمؤمن آيس من كل احد الا من الله والمنافق راج كل احد الا الله والمؤمن آمن من كل احد الا من الله والمنافق خائف من كل احد الا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الوحدة والخلاء والمنافق يحب الخلطة والملاء والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يامر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يامر وينهى للرياسة فيفسد واول ما يمتحن به حسن الخلق حكي عن ابرهيم بن ادهم انه خرج الى بعض البراري فاستقبله رجل جندي فقال له انت عبد قال نعم قال له اين العمران فاشار الى المقبرة فقال الرجل انما اردت العمران فقال هو المقبرة فغاظه ذلك فضرب راسه بالسوط فشجه ورده الى البلد فاستقبله اصحابه فقالوا ما هذا فاخبرهم الجندي فقالوا هذا ابرهيم بن ادهم فنزل الجندي عن دابته فقبل يديه ورجليه

وحكى انه قيل ... قال ... [illegible]
بعد ذلك انه ... انا عمر ... وقال ... [illegible]
له لو قلت انا عبد ... فقال ... [illegible]
انه اراد ... عبد الله ... فقال له ... [illegible]
ان عبيد ... [illegible]
من ... [illegible]
يقال ... قال علمت انى ... ابو عثمان ... [illegible]
ونصيبه من الشر ... فقال ابو عثمان ... [illegible]
قال له ابليس ... [illegible]
ايها ... انى اخبرك ... ابا عثمان ... [illegible]
زوجها وروى ان ابا عثمان ... [illegible]
... طلب الشهوات ... الكلام ... [illegible]
وحسن الاخلاق ... [illegible]
نفسه دون ... وقيل كان ... ان علي عليه السلم ... فقال انت ... الذي
قيل ... [illegible]
فدخلت الى جارية فقال ... يا غلام ... [illegible]
ان كان ... فقال يا ... العلامات ... [illegible]
وكان ... [illegible]
فقال الاحنف ... [illegible]
اهل البصرة ... [illegible]
فهذه النفوس ... العلامات ... [illegible]
ممن لم يصادف ... ان يشتغل ... فانها درجة ... المقربون والصديقون
اخلاق ... ٥

ذكر رحمه الله في طريق معالجة القلوب انما الغرض الآن التنبيه على ان الطريق الكلي في سلوك
مسلك السعادة كل ما تهواه النفس وتميل اليه وقد جمع الله تعالى جميع ذلك في كلمة واحدة فقال ونهى
النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى والاصل المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة
فقد تيسرت اسباب تلك الشهوة ويكون ذلك من الله ابتلاء واختبارا فينبغي ان يصبر ويستمر فانه ان
عود نفسه كسر العزم الفت ذلك وفسدت فاذا اتفق منه نقض عزم فينبغي ان يلزم نفسه عقوبة عليه
كما ذكرناه في معاتبة النفس من كتاب المحاسبة والمراقبة واذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت
عنده تناول الشهوة ويفسد به الرياضة بالكلية ٥ ثم ذكر في بيان شواهد النقل من ارباب
البصاير وشواهد الشرع على ان الطريق في معالجة امراض القلوب ترك الشهوات وان مادة امراضها
هي اتباع الشهوات قوله تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع عنها محبة الشهوات وقال ص
المؤمن بين خمس شدايد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين
ان النفس عدو منازع يجب مجاهدتها ويروى ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلم يا داود حذر و
انذر اصحابك اكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة وقال عيسى عليه السلم
طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غايب لم يره وقال عمر رض كف اذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في
معصية الله عز وجل اذن يخاصمك يوم القيمة فيلعن بعضك بعضا الا ان يغفر الله تعالى ويستر وقال سفين
الثوري ما عالجت شيا اشد من نفسي مرة لي ومرة علي وقال الحسن ما الدابة الجموح باحوج الى اللجام
الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ جاهد النفس باسياف الرياضة والرياضة على اربعة اوجه القوت
من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت
الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الافات ومن احتمال الاذى البلوغ
الى الغايات وليس على العبد شيء اشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الاذى فاذا تحركت من النفس ارادة
الشهوات والآثام وهاجت فيها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيف قلة الطعام من غمد التهجد و
قلة المنام وضربتها بايدي الخمول وقلة الكلام حتى ينقطع من الظلم والانتقام فتامن بوايقها من ساير الايام

وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوايل آفاتها فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ونورية خفيفة فتجول في
ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره في الميدان وكالملك المتنزه في البستان
وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار اسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها ومنعت قلبه
الفوايد وقال جعفر بن محمد اجتمعت العلماء والحكماء على ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال ابو يحيى
الوراق من ارضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجرة الندامات وقال وهب ما زاد
على الخبز فهو شهوة وقال وهيب بن الورد من احب شهوات الدنيا فليتهيا للذل ويروى ان امرأة
العزيز قالت ليوسف عليه السلم بعد ما ملك خزاين الارض يا يوسف ان الحرص والشهوة صيرا الملوك
عبيدا وان الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف ع قال الله تعالى انه من يتق ويصبر فان
الله لا يضيع اجر المحسنين وقال علي عليه السلم من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات وكان مالك بن
دينار يطوف في السوق فاذا راى الشيء يشتهيه قال للنفس اصبري فوالله ما امنعك الا من كرامتك
علي فاذن قد اتفق العلماء والحكماء على ان الطريق الى سعادة الآخرة نهي النفس عن الهوى ومخالفة
الشهوات فالايمان بهذا واجب واما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فينكشف بما
قدمناه ٥ قال رحمه الله بعد ذكر الحمد والصلوة في كتاب كسر الشهوتين
اما بعد فاعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها اخرج آدم وحوا من دار القرار الى
دار الافتقار اذ نهيا عن اكل الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى اكلا منها فبدت لهما سوآتهما والبطن على
التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الآفات اذ يتبعه شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات
ثم تتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة الى التوسع في المطعومات
والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات
ثم يتولد منها آفة البطر والاشر ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لاذعنت
لطاعة الله ولم يسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك الى الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة على العقبى
ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا واذا عظمت آفة شهوة البطن الى هذا الحد وجب شرح غوايلها

وآفاتها

وآفاتها تحذيرا منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح آفة
شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله في فصول تجمعها بيان فضيلة الجوع وذم
الشبع قال رسول الله ص جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله
وانه ليس من عمل احب الى الله من جوع وعطش وقال ابن عباس رض قال النبي ص لا يدخل ملكوت السماء
من ملأ بطنه وقيل يا رسول الله اي الناس افضل قال من قل طعمه وضحكه ورضي بما يستر به عورته وقال ص
افضلكم منزلة عند الله اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله تعالى كل نؤوم اكول شروب وفي الخبر ان النبي ص كان
يجوع من غير عوز اي مختارا لذلك وقال ص ان الله يباهي الملائكة بمن قل طعمه في الدنيا يقول انظروا
الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركهما اشهدوا يا ملائكتي ما من اكلة يدعها الا ابدلته
بها درجات في الجنة وقال ص لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت
اذا كثر عليه الماء وقال ص ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان
لا محالة فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وفي حديث اسامة بن زيد الطويل ذكر فضل الجوع اذ قال فيه
ان اقرب الناس من الله تعالى يوم القيمة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الاخفياء الاتقياء الذين
ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا يعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس
بالدنيا ونعموا بطاعة الله تعالى افترش الناس الفرش وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس
فعل النبيين واخلاقهم وحفظوها تبكي الارض لفقدهم ويسخط الله تعالى على كل بلدة ليس فيها منهم
لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف اكلوا العلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس
فيظنون ان بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا وذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم
بقلوبهم الى امر اذهب عنهم الدنيا فهم عند اهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حيث ذهبت عقول الناس
لهم الشرف في الآخرة يا اسامة اذا رايتهم في بلدة فاعلم انهم امان لتلك البلدة لا يعذب الله قوما
هم فيهم الارض بهم رحيمة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك اخوانا عسى ان تنجو بهم وان استطعت ان
ياتيك الموت وبطنك جايع وكبدك ظمآن فافعل فانك تدرك بذلك اشرف المنازل وتحل مع النبيين
وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلي عليك الجبار وروى الحسن ان رسول الله ص قال البسوا الصوف

وأشربوا وكلوا في أنصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء وقال عيسى عم أجيعوا أكبادكم واعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل وفي التورية مكتوب ان الله ليبغض الحبر السمين لأن السمن يدل على الغفلة وكثرة الأكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولأجله قال ابن مسعود ان الله يبغض القاري السمين وفي الخبر ان الأكل على الشبع يورث البرص وقال عليه السلام المؤمن يأكل في معاء واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء أي سبعة أضعاف أو يكون شهوته سبعة أمثال شهوته ويكون المعاء كناية عن الشهوة وعن رسول الله صلعم قال أديموا قرع باب الجنة يفتح لكم قيل وكيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظمأ وقال أيضا أقلكم ... فان أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعا في الدنيا وعن أنس قال جاءت فاطمة رضها بكسرة خبز لرسول الله صلعم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة فقال أما انه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلثة أيام وأما الآثار فقال لقمن لابنه يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة وقال أبو سليمان لأن أترك لقمة من عشائي أحب الي من قيام ليلة الى الصبح وقال أيضا الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه الا لمن أحبه وكان سهل التستري يطوي نيفا وعشرين يوما لا يأكل وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يرى في القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام والاقتداء بالنبي عليه السلام في أكله وقال لم ير الأكياس شيئا أنفع من الجوع للدين والدنيا وقال لا أعلم شيئا أضر على طلاب الآخرة من الأكل وقال وضع الحكمة والعلم في الجوع وجعل الجهل والمعصية في الشبع وقال ما عبد الله بشيء أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقال صار الأبدال أبدالا الا بأخماص البطون والصمت والسهر والخلوة وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة الا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والصبر والجهد وقال ما مر على وجه الأرض أحد شرب من هذا الماء حتى روي فسلم من المعصية وان شكر الله فكيف الشبع من الطعام وروي ان عيسى عم مكث يناجي ربه عز وجل ستين صباحا لم يأكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فاذا رغيف موضوع بين يديه فقعد يبكي لفقد المناجاة فاذا شيخ قد أظله فقال له عيسى عليه السلام بارك الله فيك يا ولي الله ادع الله تعالى لي فاني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني فقال الشيخ اللهم ان كان الخبز خطر

ببالي

ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي بل كان اذا حضره شيء أكله من غير فكر ولا خاطر **بيان** فوايد الجوع وآفات الشبع الخ وذكر في الفائدة ... ومن رقة القلب وصفاؤه ان خلو المعدة ... الأظهر في التلذذ بالمناجاة قال أبو سليمان أحلى ما يكون العبادة الي اذا التصق ظهري ببطني وقال الجنيد يجعل أحدهم بينه وبين الله تعالى مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة وقال أبو سليمان القلب اذا جاع وعطش صفا ورق واذا شبع عمي وتاه فاذن تأثر القلب بلذة المناجاة أمر وراء تيسر الفكر واقتناص المعرفة فهي فايدة ثالثة وذكر رحمه الله في الرابعة من ان لا ينسى بلاء الله وعذابه ان العبد الفطن لا يرى بلاء الا ويتذكر بلاء الآخرة فيتذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيمة ومن جوعه جوع أهل النار حين يجوعون فيطعمون الزقوم والضريع ويسقون الغساق والمهل ولا ينبغي ان يغيب عن العبد عذاب الآخرة والامها فانه الذي يهيج الخوف ومن لم يكن في ذلة ولا علة ولا بلاء نسي عذاب الآخرة ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغي ان يكون العبد في بلاء أو مشاهدة بلاء وأولى ما يقاسيه من البلاء بلاء الجوع فان فيه فوايد جمة سوى تذكر عذاب الآخرة وهذا أحد الأسباب الذي اقتضى اختصاص البلاء بالأنبياء والأولياء والأمثل فالأمثل والخامسة ... فضول الكلام لدينه الخ واقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيره فيمنعه الجوع من كل ذلك فاذا شبع افتقر الى فاكهة فيتفكه لا محالة بأعراض الناس ولا يكب الناس على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم و أما شهوة الفرج فلا يخفى غائلتها والجوع يكفي شرها واذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان منعه التقوى فلا يملك عينه فالعين تزني كما ان الفرج يزني فان ملك عينه بغض الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الأفكار الردية وحديث النفس بأسباب الشهوة ما يتشوش به مناجاته وربما عرض ذلك في أثناء الصلوة وانما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالا والا فجميع معاصي الأعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز البحت سنة لا يخلط به شيئا من الشهوات ويأكل بنصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء ثم فضيلة التهجد لا يخفى ومن ... النوم فواته ومهما غلب النوم فان تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم التهجد المتعزب اذا نام على الشبع

احتلم ويمنعه ذلك أيضا من التهجد ويحوجه الى الغسل اما بالماء البارد فيتأذى به أو يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته التهجد وان كان قد أخره للتهجد ثم يحتاج الى مؤنة الحمام وكل ذلك أثر الشبع وقد قال أبو سليمان الاحتلام عقوبة فالنوم منبع الآفات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له وكان السلف رحمهم الله لا يعجبون من يحتلم كثيرا ومن جملة ما يتعذر بكثرة الأكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يحتاج الى الخروج لشرب الماء وارادته ومن جملته الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع الصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف وقت شغله بالأكل وأسبابه الى العبادة أرباح عظيمة الخ قال ابن سالم من أكل خبز الحنطة بحتا بأدب لم يعتل الا علة الموت قيل له وما الأدب قال يأكل بعد الجوع ويرفع قبل الشبع وقال بعض أفاضل الأطباء في ذم الاستكثار ان أنفع ما أدخل الانسان معدته الرمان وأضر ما أدخل معدته المالح ولأن يتقلل من المالح خير من ان يستكثر من الرمان وفي الخبر المشهور صوموا تصحوا ففي الصوم والجوع وتقليل الأكل صحة الأجسام من الأسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما ٥ وكان ابراهيم بن أدهم يسأل أصحابه عن شيء من المأكولات فيقال له انه غال فيقول أرخصوه بالترك ونظر رسول الله صلعم الى رجل سمين البطن فأومى الى بطنه باصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك أي لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك وعن الحسن قال والله لقد أدركت أقواما ان كان الرجل منهم ليمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لأكله فيقول والله لا أجعل هذا في بطني حتى أجعل بعضه لله ٥ ثم ذكر رحمه الله في بيان طريقة الأكل ...

[illegible]

وأدنى الدرجات ان يقتصر في اليوم والليلة على أكلة واحدة وهذا هو الأقل وما جاوز ذلك اسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنة روى أبو سعيد الخدري انه صلى الله عليه وآله اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة واحدة قال عم لعايشة اياك والاسراف فان أكلتين في يوم سرف والأكلة الواحدة في يومين اقتار والأكلة في كل يوم قوام بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله ومن اقتصر في اليوم على أكلة واحدة فيستحب ان يأكلها سحرا قبل طلوع الفجر فيكون أكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس الى المعلوم فلا ينازعه قبل وقته ثم ذكر رحمه الله الوظيفة الثالثة في نوع الطعام وترك الادام قال رحمه

[illegible]

فلا يعصي تحنا وله ولكن يتربى نفسه بالتنعم وتأنس بالدنيا وتألف اللذائذ وتسعى في طلبها فيجرها ذلك الى المعاصي فهم شرار الأمة لأن نخ الحنطة يقودهم الى اقتحام أمور تلك الأمور معاصي وقال النبي صم شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه أجسادهم وانما همتهم ألوان الطعام وأنواع اللباس ويتشدقون في الكلام وأوحى الله تعالى الى موسى عم اذكر انك ساكن القبور فليمنعك ذلك عن كثير من الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذائذ الأطعمة وتمرين النفس عليها ورأوا ان ذلك علامة الشقاوة ورأوا منع الله تعالى اياهم غاية السعادة وان تيسر أسباب الشهوات من علامات الخذلان ه

وبعد ذكر [illegible]

كلام وحكايات [illegible] الشهوات [illegible]

على رياضات [illegible] من كل الشهوات التى [illegible] الآية [illegible]

لسالكى طرق الآخرة [illegible] الخمر [illegible] الشهوات [illegible]

فقد عرفت ان [illegible]

الشبع من اللذات [illegible]

بعض الاوقات [illegible]

والشهوات ليست [illegible]

الخبز شهوة [illegible]

فكيف بالمرء [illegible]

اللحم اربعين يوما ساء خلقه [illegible]

كان جائعا [illegible]

ويستحب ان لا [illegible]

وفى الحديث اذيبوا طعامكم [illegible]

بلا عصر ليكون [illegible]

حال وتقدير [illegible]

ويترك شهوة [illegible]

فاشتهرت [illegible]

أضيف [illegible]

اليوم [illegible]

الشهوات [illegible]

ثم ذكر رحمه الله فى بيان [illegible]

ولكن ينبغي ان يلبس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوش عليه حاله فنهاية الزهد الزهد
في الزهد باظهار ضده وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صدقين كما ان الاول جمع بين كذبين فهذا
حمل على النفس ثقلين وجرعها كأس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة بقذفه فلا جرم اولئك يؤتون
اجرهم مرتين بما صبروا وهذا يضاهي طريق من يأخذ ما يعطى جهرا ويرد سرا ليكسر نفسه بالذل
جهرا وبالفقر سرا فمن فاته هذا فلا ينبغي ان يفوته اظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه ولا ينبغي
ان يغره الشيطان بانك اذا اظهرت اقتدى بك غيرك فاستره اصلاحا لغيرك لانه لو قصد اصلاح
غيره لكان اصلاح نفسه اهم من اصلاح غيره فهو انما يقصد الرياء المجرد ويروجه عليه الشيطان في معرض اصلاح
غيره ولذلك يثقل عليه ظهور ذلك منه وان علم ان من اطلع عليه ليس يقتدي به في الفعل او لا ينزجر باعتقاده
انه تارك للشهوات ثم ذكر رحمه الله فائدة شهوة الفرج ثم قال فهذه فائدتها ولكن من الآفات
ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم تقهر ولم ترد الى حد الاعتدال وقد قيل في تفسير قوله تعالى ربنا ولا
تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه الغلمة وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب هو قيام
الذكر وقد اسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى الله عليه وآله الا انه قال في تفسيره الذكر اذا دخل
وقد قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وقيل ذهب ثلث دينه وكان صلى الله عليه
وآله يقول اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي وقال النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة
لما كان للنساء سلطنة على الرجال وعن سعيد بن المسيب قال ما بعث الله نبيا فيما خلا الا لم ييأس ابليس ان
يهلكه بالنساء ولا شيء اخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت ادخله الا بيتي وبيت ابنتي اغتسل فيه يوم الجمعة ثم
اروح ثم ذكر في بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله ان من لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ دينه
قال عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة وقيل ليحيى بن زكريا ما بدء
الزنا قال النظر والتمني وقال رسول الله صلى الله عليه النظرة سهم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله تعالى اعطاه الله
ايمانا يجد حلاوته في قلبه فاذن آفة النظر الى الاحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن كف بصره فالصواب له ان
يكسر شهوته بالنكاح قال بعضهم غلبت علي شهوتي في بدو ارادتي بما لم اطق فاكثرت الضجيج الى الله تعالى فرأيت
شخصا في المنام فقال ما لك فشكوت اليه فقال تقدم الي فتقدمت اليه فوضع يده على صدري فوجدت بردها

في فؤادي وجميع جسدي فاصبحت وقد زال ما بي وبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فاكثرت الاستغاثة فأتاني
شخص في المنام فقال اتحب ان يذهب ما تجده واضرب عنقك قلت نعم قال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا
من نور وضرب به عنقي فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك واشد منه فرأيت
شخصا يخاطبني فيما بين صدري وجنبي ويقول ويحك كم تسأل الله رفع ما لا يحب رفعه تزوج قال فتزوجت
فانقطع ذلك عني وولد لي ومهما احتاج الى النكاح فلا ينبغي ان يترك شرط الارادة في ابتداء النكاح
ودوامه اما في ابتدائه فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة
كما فصلنا جميع ذلك في آداب النكاح فلا نطول باعادته وامارة صدق ارادته ان ينكح فقيرة متدينة الى
ثم قال رحمه الله كل ما شغل عن الله تعالى فهو نقصان فلينظر المريد الى حاله وقلبه فان وجده في العزوبة فهو الاقرب
وان عجز فالنكاح اولى به فدواء هذه الشهوات ثلثة امور الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولي على
القلب فان لم ينفع هذه الثلثة فالنكاح هو الذي يستأصل مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون
الى النكاح والى تزويج البنات قال سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من احد الا اتاه من قبل النساء
وقال سعيد وهو ابن اربع وثمانين سنة وقد ذهبت احدى عينيه وهو يعشو بالاخرى ما شيء اخوف
عندي من النساء وعن ابي وداعة قال كنت اجالس سعيد بن المسيب ففقدني اياما فلما جئته قال
اين كنت قلت توفيت اهلي فاشتغلت بها فقال الا اخبرتنا فشهدناها قال ثم اردت ان اقوم
فقال اجلس هل استحدثت امرأة قلت رحمك الله ومن يزوجني وما املك الا درهمين او ثلثة
فقال انا فقلت وتفعل هذا قال نعم ثم حمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزوجني على
كان على درهمين او قال ثلثة قال فقمت وقلت وما ادري ما اصنع من الفرح فصرت الى منزلي
وجعلت اتفكر ممن آخذ وممن استدين فصليت المغرب وانصرفت الى منزلي واسرجت وكنت
وحدي وكنت صائما فقدمت عشائي لافطر وكان خبزا وزيتا فاذا انا بالباب يقرع فقلت من هذا قال سعيد
فتفكرت في كل انسان اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب فانه لم ير اربعين سنة الا بين بيته والمسجد فقمت و
خرجت فاذا سعيد بن المسيب فظننت انه قد بدا له فقلت يا ابا محمد الا ارسلت الي فآتيك قال لا

حكاية ابي وداعة

انت

انت احق ان تؤتى قلت فما تأمر قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت ان ابيتك الليلة
وحدك وهذه امرأتك فاذا هي قائمة خلفه في طوله ثم اخذ بيدها فدفعها في الباب ورد الباب
وقال بارك الله فيكما ولكما برحمته فانصرف فسقطت المرأة من الحياء فاستوثقت الباب ثم
تقدمت الى القصعة التي فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل السراج لكي لا تراه ثم صعدت الى
السطح فرميت الجيران فجاؤني فقالوا ما شأنك قلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم
وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا اسعيد زوجك قلت نعم قالوا وهي في الدار قلت نعم فنزلوا
اليها وبلغ ذلك امي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام ان مسستها قبل ان اصلحها الى ثلثة
ايام قال فاقمت ثلثا ثم دخلت بها فاذا هي من اجمل النساء واذا هي احفظ الناس لكتاب الله
واعلمهم بسنة رسوله عليه السلام واعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا ياتيني سعيد ولا آتيه فلما كان
قرب الشهر اتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تفرق الناس
واهل المجلس فقال ما حال ذلك الانسان فقلت خير يا ابا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو
فقال ان رابك شيء فالعصا فانصرفت الى منزلي فوجه الي بعشرين الف درهم قال عبد الله
بن سليمان وكانت بنت سعيد بن المسيب قد خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد بن عبد
الملك حين ولاه العهد فابى سعيد ان يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة
سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء والبسه جبة صوف فاستعجال سعيد في زفافها في
تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين الى تطفئة نارها بالنكاح ٥

ثم ذكر رحمه الله في بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين [illegible]

[illegible]

فانه لجعل فقارات [illegible] وقفت [illegible]

[illegible] فقال [illegible] رقبته حتى اخبروه [illegible]

[illegible] بالبكاء [illegible] سليمان [illegible]

[illegible] آفات اللسان [illegible]

ولا ينجى من شر اللسان الا ان يقيد بلجام الشرع ولا يطلق الا فيما ينفع في الدنيا والآخرة ويكف
عن كل ما يخشى غائلته في عاجله واجله وعلم ما يحمد فيه اطلاق اللسان او يذم غامض عزيز والعمل
بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب في تحريكه ولا مؤنة
في اطلاقه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصايده وحبائله وانه اعظم
آلة الشيطان في استغواء الانسان ونحن بتوفيق الله وحسن تيسيره نفصل مجامع آفات اللسان
ونذكرها واحدة واحدة بحدودها واسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز عنها ونورد ما ورد من
الاخبار والآثار في ذمها

بيان عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت

اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة
من خطره الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه وقد سئل عن رسول الله ص عن اكثر ما يدخل
الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن اكثر ما يدخل النار فقال الاجوفان الفم والفرج فيحتمل ان يكون
المراد بالفم آفة اللسان لانه محله ويحتمل ان يكون المراد البطن لانه منفذه قال معاذ قلت يا رسول الله انؤاخذ
بما نقول فقال ثكلتك امك يا ابن جبل وهل يكب الناس على مناخرهم الا حصائد السنتهم وقال عبد الله
الثقفي قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسانه ثم قال هذا وقال انس بن مالك قال رسول
الله ص لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل
لا يامن جاره بوائقه وقال ص من سره ان يسلم فليلزم الصمت وقال ص اذا اصبح ابن آدم اصبحت الاعضاء كلها
تكفر اللسان اي تقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا الى غير ذلك

[illegible]

ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله فانت مع ذلك كله مضيع زمانك وانى تسلم من الآفات التي
ذكرناها ومن جملتها ان تسال غيرك عما لا يعنيك فانت بالسؤال مضيع وقتك وقد الجأت صاحبك ايضا بالجواب
الى التضييع هذا اذا كان الشيء مما لا يتطرق الى السؤال عنه آفة واكثر الاسولة فيها آفات فانك تسال
غيرك مثلا عن عبادته فتقول هل انت صائم فان قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء وان لم يدخل
سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان كاذبا وان سكت
كان مستحقرا اياك وتاذيت به وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى جهد وتعب فيه وكذلك تسال
عن سائر ما لا حاجة بك اليه والمسئول ربما لا تسمح نفسه بان يقول لا ادري فيجيب عن غير بصيرة ولست
اعني بالتكلم بما لا يعني هذه الاجناس فان هذا يتطرق اليه اثم او ضرر وانما مثال ما لا يعني ما روي
ان لقمن عليه السلم دخل على داود عليه السلم وهو يسرد درعا ولم يكن رآها قبل ذلك فجعل يتعجب مما
رأى فاراد ان يساله عن ذلك فمنعته الحكمة فامسك نفسه فلم يسئله فلما فرغ قام داود ولبسها
ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمن الصمت حكم وقليل فاعله اي حصل العلم به من غير سؤال واستغنى عن السؤال
وقيل كان يتردد اليه سنة وهو يريد ان يعلم ذلك ولم يسال فهذه [illegible]
ثم ذكر جملة في الآفة الثانية اعني فضول الكلام اخبارا قال عطاء بن
ابي رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام
ما عدا كتاب الله وسنة رسوله ص او امرا بمعروف او نهيا عن منكر او نطقا بحاجتك في معيشتك التي لا
بد لك منها وتقولون انكرون ان عليكم لحافظين كراما كاتبين وعن اليمين وعن الشمال قعيد
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحيي احدكم ان لو نشرت صحيفته التي املى صدر نهاره وكان
اكثر ما فيها ليس من امر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة قال ان الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه اشهى الي من الماء البارد
الى الظمآن فاترك جوابه خيفة ان يكون فضلا واعلم ان فضول الكلام لا تنحصر بل المهم محصور في كتاب الله تعالى
قال لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقال رسول الله ص طوبى لمن امسك
الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب الناس الامر في ذلك فامسكوا فضل المال
واطلقوا فضل اللسان وعن مطرف بن عبد الله عن ابيه قال قدمت على رسول الله ص

في

في رهط من بني عامر فقالوا انت والدنا وسيدنا وانت افضلنا علينا فضلا وانت اطولنا علينا
طولا وانت الجفنة الغراء وانت وانت فقال قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان اشارة الى
ان اللسان اذا اطلق في الثناء ولو في الصدق فيخشى ان يستهويه الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها
وقال يزيد بن ابي حبيب من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وان وجد من يكفيه
فان في الاستماع سلامة وفي الكلام تزيينا وزيادة ونقصانا وقال ابرهيم يهلك الناس
في خصلتين فضول المال وفضول الكلام وحسبك ما عثت عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني

الآفة الثالثة الخوض في الباطل وهو الكلام في المعاصي كحكاية احوال النساء ومجالس
الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة واحوالهم المكروهة فان كل
ذلك مما لا يحل الخوض فيه فهذا حرام واكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه
باعراض الناس والخوض في الباطل وفي هذا الجنس تنبع من الكلمات ما يهلك صاحبها وهو يستحقرها
وقد قال بلال بن الحرث قال رسول الله ص ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن
ان يبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها رضوانه الى يوم القيمة وان الرجل ليتكلم بالكلمة من
سخط الله ما يظن ان يبلغ به ما بلغت فيكتب الله تعالى بها سخطه الى يوم القيمة قال وكان علقمة
يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحرث وقال النبي ص ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك
بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا وقال سلمان اكثر الناس ذنوبا يوم القيمة اكثرهم كلاما في
معصية الله تعالى وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول توضؤوا فان بعض ما تقولون
شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سيأتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيره بل
هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها او تدبر في التوصل اليها من غير حاجة دينية الى ذكرها ويدخل
فيها ايضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى من قتال الصحابة على وجه يوهم
الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل

الآفة الرابعة المراء والجدال وذلك منهي عنه [illegible]
صلى الله عليه وآله من ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة

[illegible]

[illegible]

الآفة الخامسة الخصومة وهي لجاج في الكلام ليستوفي به مال او حق مقصود وذلك تارة يكون
ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون الا باعتراض على كلام على ما سبق فقد قالت
عائشة قال رسول الله صلعم ان ابغض الرجال الى الله عز وجل الالد الخصم وقال صلعم من جادل
في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع ثم قال رحمه الله واما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق
الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على الحاجة ومن غير قصد عناد وايذاء ففعله ليس بحرام
ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر فينبغي
ان لا يفتح بابها الا لضرورة وعند الضرورة ينبغي ان يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة
وذلك متعذر جدا ولكن عيسى عم مر به خنزير فقال مر بسلام فقيل يا روح الله تقول هذا للخنزير فقال
اكره ان اعود لساني الشر وقال نبينا عليه السلام الكلمة الطيبة صدقة وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة
فان لم يكن فبكلمة طيبة وقال بعض الحكماء الكلام اللين يغسل الضغاين المستكنة في الجوارح فهذا
كله في فضل الكلام اللين وضده الخصومة والمراء واللجاج والجدال فانه الكلام المستكره الموحش
المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر **الآفة السادسة** التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع
قال صلعم ان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون ويدخل فيه كل سجع متكلف
وكذلك التفاصح الخارج عن العادة بل ينبغي ان يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض

[illegible]

الآفة السابعة [illegible]

[illegible]

الآفة التاسعة [illegible]

تنبيه اللعن

[illegible]

الآفة العاشرة المزاح [illegible]

وقال ابن عباس رضي الله عنه من اذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي والمحمود التبسم الذي ينكشف
فيه السن ولا يسمع الصوت كذلك كان ضحك رسول الله صلعم فان قلت فقد نقل المزاح عن رسول الله صلعم
واصحابه فكيف ينهى عنه فنقول ان قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلعم وهو ان تمزح ولا تقول الا حقا
ولا تؤذي قلبا ولا تفرط فيه وتقتصر عليه احيانا وعلى الندور فلا حرج عليك فيه وقال
ان رجلا سال ابن عباس عن مزاح رسول الله صلعم فقال انه كسا ذات يوم امراة من نسائه ثوبا
واسعا فقال لها البسيه واحمدي الله وجري منه ذيلا كذيل العروس وقالت عايشة
خرجت مع رسول الله صلعم في غزوة بدر فقال رسول الله صلعم تعالي حتى اسابقك فشددت درعي على
بطني ثم خططنا خطا فقمنا عليه فاستبقنا فسبقني فقال هذه مكان ذي المجاز وكان جاء يوما
ونحن بذي المجاز وانا جارية قد بعثني ابي بشيء فقال اعطينيه فابيت وسعيت فسعى على اثري فلم
يدركني وروي ان الضحاك بن سفيان الكلابي كان رجلا دميما قبيحا فبايعه رسول الله صلعم ثم قال له ان عندي
امراتان احسن من هذه الحميراء افلا انزل لك عن احداهما فتزوجها وعايشة جالسة تسمع قبل ان يضرب
الحجاب فقالت امي احسن ام انت فقال بل انا احسن منها واكرم فضحك رسول الله صلعم من سؤال عايشة اياه
لانه كان دميما وقال رسول الله صلعم لصهيب وبه رمد اتاكل التمر وانت رمد فقال انما اكل
بالشق الآخر فتبسم رسول الله صلعم قال بعض الرواة حتى نظرت الى نواجذه وروي ان خوات بن جبير كان
جالسا الى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله صلعم فقال يا ابا عبد الله مالك مع النسوة فقال
يفتلن ضفيرا لجمل لي شرود قال فمضى رسول الله صلعم لحاجته ثم طلع فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل
الشراد بعد قال فسكت واستحييت قال وكنت بعد ذلك اتفرر منه كلما رايته حياء منه حتى قدمت المدينة
وبعدما قدمت المدينة حتى طلع علي يوما وانا اصلي في المسجد فجلس الي فطولت الصلوة فقال لا تطول
فاني انتظرك فلما فرغت قال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فقام
وكنت اتفرر منه حتى لحقني وهو على حمار وقد جعل رجليه في شق واحد فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل
الشراد بعد فقلت والذي بعثك بالحق ما شرد منذ اسلمت فقال الله اكبر الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله
قال فحسن اسلامه وهداه الله وكان نعيمان الانصاري رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى به الى

وعن عبد الله بن جراد انه سال رسول الله صلعم فقال يا نبي الله هل يزني المؤمن قال قد يكون ذلك قال يا نبي الله هل يكذب المؤمن قال لا ثم اتبعها رسول الله صلعم انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون
وقال لقمن يا بني اياك والكذب فانه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه وقال علي عليه السلم
اعظم الخطايا عند الله عز وجل اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيامة وعن ميمون بن
ابي شبيب قال قعدت اكتب كتابا فمررت بحرف ان انا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت
فعزمت على تركه فناداني مناد من جانب البيت يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا
وفي الآخرة ثم قال رحمه الله بعد ما رخص فيه من الكذب والذي يدل على الاستثناء ما روي
عن ام كلثوم قالت سمعت رسول الله صلعم يرخص في شيء من الكذب الا في ثلث الرجل يقول القول يريد
الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امراته والمراة تحدث زوجها وقال صلعم ليس
بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا وروي عن ابي كاهل قال وقع بين رجلين من اصحاب النبي صلعم كلام
حتى تصارما فلقيت احدهما فقلت ما لك ولفلان فقد سمعته يحسن عليك الثناء ولقيت الآخر فقلت
مثل ذلك حتى اصطلحا قلت اهلكت نفسي واصلحت بين الرجلين فاخبرت النبي صلعم فقال يا ابا كاهل اصلح
بين الناس ولو بعض الكذب وقال رسول الله صلعم ما لي اراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش
في النار كل الكذب مكتوب كذبا لا محالة الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكون
بين رجلين شحناء فيصلح بينهما او تحدث امراته يرضيها وقال صلعم من ارتكب شيئا من هذه القاذورات
فليستتر بستر الله تعالى وذلك لان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى والرجل ان يحفظ دمه وماله الذي
يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا واما عرض غيره فبان يسال عن سر اخيه فله ان ينكره

حتى عيسى والحواريون على جيفة كلب فقال الحواريون ما انتن ريح هذا فقال عيسى ما اشد بياض
اسنانه كانه نهاهم عن غيبة الكلب وينبههم على انه لا يذكر شيء من خلق الله الا احسنه وسمع علي
بن الحسين رجلا يغتاب آخر فقال اياك والغيبة فانه ادام كلاب النار ثم قال رحمه الله في
معنى الغيبة وحدها اما الغيبة في البدن فذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة
وجميع ما يتصور ان يوصف به مما يكرهه واما النسب فان يقول ابوه نبطي او هندي او فاسق او خسيس
او اسكاف او بزاز او شيء مما يكره كيف كان واما الخلق فان يقول انه سيء الخلق بخيل متكبر مراء
شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجراه واما في افعاله المتعلقة بالدين
كقولك سارق وكذاب وشارب وخاين وظالم ومتهاون بالصلوة والزكوة ولا يحسن الركوع
والسجود ولا يحترز عن النجاسات وليس بارا بوالديه ولا يضع الزكوة مواضعها ولا يحسن قسمتها و
لا يحرس صومه من الرفث والغيبة والتعرض لاعراض الناس واما فعله المتعلق بالدنيا كقولك انه
قليل الادب متهاون بالناس ولا يرى لاحد حقا على نفسه ويرى لنفسه حقا وانه كثير الكلام كثير
الاكل وانه نؤم وينام الى غير وقته ويجلس في غير موضعه واما في ثوبه فانه واسع الكم طويل الذيل
وسخ الثياب كبير العمامة واما الدين فقد قال قوم لا غيبة في الدين لانه ذم ما ذمه الله تعالى فذكره
بالمعاصي وذمه يجوز بدليل ما روي انه ذكر لرسول الله صلعم امراة وكثرة صومها وصلوتها لكنها تؤذي جارها
فقال هي في النار وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحوال والاحكام
ولم يكن غرضهم التنقص والدليل عليه اجماع الامة ان من ذكر غيره بما يكره فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره
رسول الله صلعم في حد الغيبة فكل هذا وان كنت صادقا فيه فانت به مغتاب عاص لربك واكل
لحم اخيك بدليل ما روي ان رسول الله صلعم قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ان تذكر
اخاك بما يكره قيل ارايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن
فيه فقد بهته ثم قال في بيان ان الغيبة لا تقتصر على اللسان ومن ذلك المحاكاة بان يمشي متعارجا
او كما يمشي فهو غيبة بل هو اشد من الغيبة لانه اعظم من التصوير والتفهيم وكذلك الغيبة في الكتاب فان
القلم احد اللسانين فذكر المصنف في الكتاب شخصا معينا وتهجين كلامه في الكتاب غيبة الا العذر
كما سياتي

بيان الأسباب الباعثة على الغيبة **اعلم** ان البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها احد عشر سبب
ثمانية تطرد في حق العامة وثلثة تختص بها اهل الدين والخاصة اما الثمانية فالاول تشفي الغيظ
وذلك اذا جرى سبب غضب به عليه فانه اذا هاج غضبه تشفى بذكر مساويه وسبق اللسان اليه بالطبع
ان لم يكن له دين وازع وقد يمتنع تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن ويصير حقدا ثابتا
فيكون سببا دائما لذكر المساوي فالحقد والغضب من البواعث العظيمة **الثاني** موافقة الاقران و
مجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض فيرى انه لو انكر وقطع
المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن انه مجاملة في الصحبة
وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى ان يغضب لغضبهم اظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم
في ذكر العيوب والمساوي فيهلك معهم **الثالث** ان يستشعر من انسان انه سيقصده و
يطول لسانه فيه او يقبح حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل ان يقبح هو حاله
ويطعن فيه ليسقط اثر شهادته او يبتدئ بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه
بالصدق الاول ويستشهد به ويقول ما من عادتي الكذب فاني اخبرتكم بكذا وكذا من احواله فكان
كما قلت **الرابع** ان ينسب الى شيء فيريد ان يتبرأ منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه ان يبرئ نفسه

ولا يذكر الذي فعله ولا ينسب غيره اليه او يذكر غيره بانه كان مشاركا له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله
الخامس ارادة التصنع والمباهاة وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه
ضعيف وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم انه افضل منه او يحذر ان يعظم مثل تعظيمه
فيقدح فيه لذلك **السادس** الحسد وهو انه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال
تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن اكرامه
والثناء عليه لانه يثقل عليه ان يسمع ثناء الناس عليه واكرامهم له وهذا هو الحسد وهو غير الغضب
والحقد فان ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب
الموافق **السابع** اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر غيره بما يضحك الناس **الثامن**
السخرية والاستهزاء استحقارا له فان ذلك قد يجري في الحضور فيجري ايضا في الغيبة ومنشأه التكبر واستصغار
المستهزأ به واما **الاسباب الثلثة** التي في الخاصة فهي اغمضها وادقها لانها شرور خبأها الشيطان في معرض
الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر **الاول** ان تنبعث من الدين داعية التعجب من انكار
المنكر والخطأ في الدين فيقول ما اعجب ما رأيت من فلان فانه قد يكون صادقا ويكون تعجبه من المنكر
ولكن حقه ان يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في ذكر تعجبه فصار به مغتابا من حيث
لا يدري واثم ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين
يدي فلان وهو جاهل **الثاني** الرحمة وهو ان يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمني
امره وما ابتلي به فيكون صادقا في اغتمامه ويلهيه الغم عن الحذر عن ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا
الثالث الغضب لله فانه قد يغضب على منكر قارفه الانسان او سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان
الواجب ان يظهر غضبه عليه بالامر بالمعروف ولا يظهر على غيره فهذه الثلث مما يغمض دركها على
العلماء فضلا عن العوام فانهم يظنون ان التعجب والرحمة والغضب اذا كان لله كان عذرا في ذكر
الاسم وهو خطأ بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتي
ثم ذكر في بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة معالجات جملية وتفصيلية ومن الاولى قوله [illegible]
[illegible] من الغيبة في حسنات العبد [illegible] وينفعه ان يتدبر في نفسه فان وجد فيها عيبا فليشتغل
بعيب نفسه وان لم يجد عيبا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوثن نفسه باعظم العيوب فان ثلب

الناس
واكل لحم الميتة
من اعظم العيوب بل لو [illegible] انه [illegible]
الانصاف لعلم ان ظنه بنفسه انه بريء من كل عيب جهل بنفسه وهو من اعظم العيوب [illegible]
من كل عيب [illegible] ان تألم غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له فاذا كان لا يرضى لنفسه ان يغتاب
وينفعه ان يعلم [illegible] فينبغي ان لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه
كان لا يرضى لنفسه [illegible] اما التفصيل [illegible]
فهذه معالجات جملية [illegible]
الى الغير [illegible] بالغيبة [illegible] في الآخرة [illegible]
[illegible] الخلق وانت بالتوحيد [illegible]
نفسك في الدنيا [illegible] الجهل [illegible]
[illegible] الاقتداء به فان [illegible]
ولو وافقته [illegible]
بالعذر وقالت [illegible] الاستهزاء [illegible] الاثم [illegible] الغيبة
نفسك [illegible] الغيبة [illegible] الغضب [illegible] واما التعجب اذا
نفسك لان [illegible] وتسليطه على [illegible] الغيبة
وسرور [illegible]
[illegible] بان تشغل [illegible]
انت [illegible] الغيبة [illegible] الدنيا [illegible] الايمان [illegible]
جنب الشيطان اليك الغيبة [illegible] فاذا [illegible] العلاج [illegible]
وانت مع ذلك [illegible] الاعتذار [illegible] الغيبة

بيان تحريم الغيبة بالقلب ان سوء الظن حرام مثل سوء القول قال ثم ان الله قد حرم من
المسلم دمه وماله وان يظن به ظن السوء فلا يستباح ظن السوء الا بما يستباح به المال وهو بعين مشاهدة
او بينة عادلة فاذا لم يكن ذلك وخطر لك سوء الظن فينبغي ان تدفعه عن نفسك وتقرر عليها ان حاله عندك
مستور كما كان حاله عنده وعند غيره مستور ولا يجب ان يسيء بك الظن فكذا وجب عليك ان تكون
عند الظن بغيرك ولا تسيء به الظن كما كان فان ما رأيته منه يحتمل الخير والشر قال **قلت** فبماذا يعرف
عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث فاقول **امارة** عقد الظن ان يتغير القلب معه عما كان عليه
فينفر عنه نفورا ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاغتمام بسببه فهذه امارات عقد الظن
وتحقيقه وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلث في المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن ان لا يحققه اي لا يحقق في نفسه بعقد
ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح اما في القلب فبتغيره الى النفرة والكراهة وفي الجوارح بالعمل بموجبه والشيطان
قد يقرر على القلب بادنى مخيلة مساءة الناس ويلقي اليه ان هذا من فطنتك وسرعة تنبهك وذكائك وان المؤمن
ينظر بنور الله وهو على التحقيق ناطق بغرور الشيطان وظلمته **ثم قال رحمه الله** ومن ثمرات سوء الظن التجسس
فان القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو ايضا منهي عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا
فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة ومعنى التجسس ان لا تترك عباد الله تحت
ستر الله فتتوصل الى الاطلاع وهتك الستر والتجسس [illegible] حتى ينكشف لك ما لو كان مستورا
عنك كان اسلم لقلبك ولدينك وقد ذكرنا في كتاب الامر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته **ثم ذكر**
بعد ذكر الاعذار المرخصة في الغيبة كفارة الغيبة **سئل** عطاء بن ابي رباح عن التوبة من الغيبة قال
تمشي الى صاحبك وتقول كذبت فيما قلت وظلمت واسأت فان شئت اخذت بحقك وان شئت
عفوت وهذا هو الاصح وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال بخلاف المال كلام ضعيف
اذ وجب في العرض حد القذف وثبت المطالبة به بل في الحديث الصحيح ما روي انه عليه السلم قال من كانت
لاخيه عنده مظلمة في عرض او مال فليستحللها منه من قبل ان يأتي يوم ليس هناك دينار ولا
درهم يؤخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فزيد على سيئاته

قال فالتحلل [illegible] ثم يعتذر [illegible] عليه فكان بعض [illegible] عاقبه
قلت فالتحلل افضل الا ان [illegible] الواجب ان [illegible] الغيبة [illegible] وكان التحلل [illegible] الغيبة
يطلب [illegible] فضل وليس [illegible] ان يبالغ فى الثناء عليه [illegible] فى الغيبة [illegible] فيطلب الحلال من [illegible] كان ان يتجاوز عليه
والفرض [illegible] سبيل المعتذر ان يبالغ فى الثناء عليه والتودد اليه [illegible] ان لم يطب قلبه كان اعتذاره
مستحسن [illegible] ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له [illegible]
والتودد اليه ويلازم [illegible] قول رسول الله صلعم [illegible] الغيبة ان يعود [illegible] ان كان
كان اعتذاره وتردده حسنة محسوبة [illegible] فى قول ابن سيرين انى لم احرمها عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت
السلف لا يحلل قال ابن المسيب لا احلل من ظلمنى وقال ابن سيرين [illegible] الا ان يغتاب الامم [illegible] وقال العفو
وما كنت لاحلل ما حرم الله ابدا فان قلت [illegible] الجرح [illegible] بسمع [illegible] يا جبريل ما هذا [illegible] تعالى ثم
الله غير ممكن فنقول المراد به العفو عن المظلمة [illegible] اذا جثت الامم [illegible] رسول الله صلعم [illegible] فقال انه
ثم قال رحمه الله وعلى الجملة فالعفو افضل قال الحسن [illegible] وقال تعالى خذ العفو [illegible] الله تعالى [illegible] المتهمون [illegible] الغيرات [illegible]
الآفة السادسة عشر
لا تقوم الامن عفى [illegible] الذنب وقال تعالى خذ العفو النميمة وقد قال الله تعالى بين الاحبة [illegible] وما
تصل من قطعك وتعطى من حرمك [illegible] النميمة قال المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الاحبة [illegible] العالم [illegible] وعن الماء [illegible]
وقال عليه السلم الا اخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤون [illegible] اثنار [illegible] الارض [illegible] الكافر [illegible]
اتبع رجل حكيما سبع مائة فرسخ فى سبع كلمات فلما قدم عليه قال انى جئتك للذى اتاك الله من العلم اخبرنى عن السماء وما اثقل
منها وعن الارض وما اوسع منها وعن الحجر وما اقسى منه وعن النار وما احر منها وعن الزمهرير وما ابرد منه
اغنى منه وعن اليتيم وما اذل منه قال البهتان على البرى اثقل من السموات والحق اوسع من الارض [illegible] والقلب [illegible] الكافر [illegible]
اغنى من البحر والحرص والحسد احر من النار والحاجة الى القريب اذا لم ينجح ابرد من الزمهرير [illegible] فانه ان
والنمام اذا بان امره اذل من اليتيم ثم بعد ذكر بيان حد النميمة قال رحمه الله كل من حملت اليه النميمة
قال فيك كذا وكذا وفعل فى حقك كذا او انه [illegible] فعليه ستة امور الاول ان لا يصدقه لان النمام فاسق وهو مردود
حدود الشهادة وقال تعالى ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة والثانى ان ينهاه عن ذلك وينصح له ويقبح عليه فعله قال تعالى وامر بالمعروف وانه عن المنكر والثالث ان يبغضه فى الله فانه بغيض عند الله ويجب بغض من يبغضه
الله والرابع ان لا تظن باخيك الغائب السوء لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن [illegible]
ان بعض الظن اثم

لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتتحقق لقوله ولا تجسسوا والسادس ان لا ترضى لنفسك ما
نهيت النمام عنه فلا تحكى نميمته فتقول فلان قد حكى لى كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا وتكون قد
اتيت بما عنه نهيت وذكر ان حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه واخبره بخبر غيره فقال له الحكيم
قد ابطات عنى الزيارة واتيتنى بثلث جنايات بغضت الى اخى وشغلت قلبى الفارغ واتهمت
نفسك الامينة وروى عن على كرم الله وجهه ان رجلا اتاه يسعى اليه برجل فقال يا هذا نحن نسال عما قلت
فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك
قال اقلنى يا امير المؤمنين وقال رسول الله صلعم الساعى بالناس الى الناس لغير رشده يعنى ليس
ولد الحلال وقال لقمن الحكيم لابنه يا بنى اوصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا
ابسط خلقك للقريب والبعيد وامسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك وصل
اقاربك وآمنهم من قبول قول ساع او سماع باغ يريد فسادك ويريد خداعك وليكن اخوانك
من اذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغى ان يتوقى قال
حماد بن سلمة باع رجل عبدا وقال للمشترى ما فيه عيب الا النميمة قال رضيت فاشتراه فمكث
الغلام اياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك وهو يريد ان يتسرى عليك فخذى الموسى
واحلقى من قفاه عند نومه شعرات حتى اسحره عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امراتك اتخذت
خليلا وتريد ان تقتلك فتناوم لها حتى تعرف فتناوم فجاءت بالموسى فظن انها تقتله فقام
وقتلها فجاء اهل المرأة وقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين وطال الامر الآفة السابعة عشر كلام
ذى اللسانين قال رسول الله صلعم تجدون من شر عباد الله يوم القيمة ذا الوجهين الذى ياتى هؤلاء
بحديث وهؤلاء بحديث وقال ابن مسعود لا يكونن احدكم امعة قالوا وما الامعة قال يجرى مع
كل ريح واتفقوا على ان ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من
جملتها ثم قال رحمه الله وذلك اشد من النميمة اذ يصير نماما بان ينقل من احد الجانبين فقط وان لم
ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهو ذو لسانين وكذلك
اذا وعد كل واحد منهما ان ينصره وكذلك اذا اثنى على كل واحد منهما فى معاداته [illegible]

على الحق من المتعاديين او يثنى فى حضوره او فى غيبته وبين يدى عدوه قيل لابن عمر انا ندخل على امرائنا فنقول
القول فاذا خرجنا قلنا غيره قال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلعم وهذا نفاق مهما
كان مستغنيا عن الدخول على الامير وعن الثناء ولو استغنى عن الدخول ولكن اذا دخل يخاف ان لم يثن فهو
نفاق لانه الذى احوج نفسه اليه وان كان يستغنى عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل
لضرورة الجاه والغنى واثنى فهو منافق وهذا معنى قوله عليه السلم حب المال والجاه ينبتان النفاق
فى القلب كما ينبت الماء البقل لانه يحوج الى الامراء والى مراعاتهم ومراآتهم فاما اذا ابتلى به لضرورة و
خاف ان لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر جائز قال ابو الدرداء انا لنكشر فى وجوه اقوام وان
قلوبنا لتلعنهم الآفة الثامنة عشر المدح وهو منهى عنه فى بعض المواضع اما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد
ذكرنا حكمها والمدح يدخله ستة آفات اربع فى المادح واثنتان فى الممدوح [illegible] وما يهلكان
قال الحسن كان عمر قاعدا ومعه الدرة والناس حوله اذ اقبل الجارود فقال رجل هذا سيد ربيعة
فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال ما لى ولك يا امير المؤمنين قال
ما لى ولك اما لقد سمعتها قال سمعتها فمه قال خشيت ان يخالط قلبك منها
شىء فاحببت ان اطاطئ منك وقال على رضى الله عنه اذا مدحت اللهم وجهه فكانما امرت
على حلقه موسى رميضا قال رحمه الله بعد ذكر الآفات الستة فان سلم المدح من هذه الآفات لم يكن به باس بل ربما
كان المدح مندوبا اليه قال مجاهد ان لبنى آدم جلساء من الملائكة فاذا ذكر اخاه المسلم
بخير قالت الملائكة ولك مثله واذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورته اربع على نفسك
واحمد الله اذ ستر عورتك وعلى الممدوح ان يظهر كراهة المدح باذلال المادح قال عليه الاسلام
بقوله عليه السلم احثوا التراب فى وجوه المداحين قال سفيان بن عيينة لا يضر المدح من عرف
نفسه واثنى على رجل من الصالحين فقال اللهم هؤلاء لا يعرفونى وانت تعرفنى الآفة التاسعة عشر فى
الغفلة من دقائق الخطأ فى فحوى الكلام قال رسول الله صلعم لا يقولن احدكم عبدى ولا امتى كلكم عبيد الله
وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى ولا يقول المملوك ربى ولا ربتى
ولكن سيدى وسيدتى كلكم عبيد والرب الله تعالى وقال رسول الله صلعم من قال انا برىء من الاسلام فان كان
صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام سالما فهذا واشباهه مما يدخل فى الكلام ولا يمكن

حصره

حصره ومن تامل جميع ما اوردناه من آفات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف
سر قوله صلعم من صمت نجا لان هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهى على طريق المتكلم فان
سكت سلم من الكل وان نطق وتكلم خاطر بنفسه الا ان يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة
لازمة ويقلل من الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر الآفة العشرون
سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او حادثة قال صلى الله
عليه وآله ذرونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه
وما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم وفى الحديث نهى رسول الله صلعم عن القيل والقال وكثرة السؤال
واضاعة المال وقال صلعم يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله
فاذا قالوا ذلك فقولوا الله احد حتى تختموا السورة ثم ليتفل احدكم عن يساره ثلثا وليستعذ بالله
من الشيطان الرجيم وقال على عم سلونى تفقها ولا تسلونى تعنتا وقال جابر ما نزلت آية التلاعن
الا لكثرة السؤال وفى قصة موسى والخضر عليهما السلم تنبيه على المنع من السؤال قبل اوان استحقاقه

ثم ذكر رحمه الله فى كتاب آفات الغضب والحقد والحسد كثيرا من الاخبار والآثار
فى بيان ذم الغضب منها قوله صلعم من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمان بن داود عليهما السلم
يا بنى اياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحكيم وقيل للحكيم ما املك
فلان لنفسه قال اذن لا يذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال عبد الله بن مسعود
انظروا الى حلم الرجل عند غضبه والى امانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بامانته اذا
لم يطمع وقال نبى من الانبياء لمن معه من يتكفل لى ان لا يغضب ويكون معى فى درجتى فى الجنة ويكون بعدى
خليفتى فقال شاب من القوم انا ثم اعاد عليه فقال الشاب انا ووفى فلما مات كان فى منزلته بعده
وهو ذو الكفل سمى به لانه تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب بن منبه للكفر اربعة اركان الغضب
والشهوة والخرق والطمع ثم قال رحمه الله بعد بيان حقيقة الغضب ولو راى الغضبان فى حال غضبه
قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره فان

الظاهر الباطن فيتغير

عنوان صورة الباطن الى الظاهر بالثمرة هذا اثره والفحش والغضب

وانما قبحت قبحها الى الظاهر بالثمرة والغيبة وتنوعه والتهجم والتمزق عن الفحش وتعدد وعيد

اولا اثر تغير الباطن فقيل الملمس شتما وايضا منه عليه والتهجم بسبب وعجز عن الارض وتعدد الغضب

الظاهر واثره فى اللسان انطلاقه بالشتم والفحش على الاعضاء فالضرب والتهجم الى الارض مثل الغاضب

فالحسد وانما اثره الذى يستحى منه ذوو العقل واما اثره على الاعضاء فالضرب بيده ورمى على الارض ويبعث العيض

وقباح الكلام والنظر واضطراب الفظ وايضا فان لم يمكنه عليه الغضب ويضرب والنهوض لشدة الغضب عليه وربما

وذلك مع تخبط النظر من غير مبالاة وبلطم وجهه وقد يضرب العدو والنهوض لشدة الغضب عليه والشيئة بالسيئات

والقتل واعجز عند التمكن من غير نفسه ويلطم على الارض ويركز ان الذى يديه اذا غضب المسر والاضرار

رجع الغضب على صاحبه بتمزق ثوبه وربما سقط صريعا على الارض وتعقده الحسد واضمار السر والاضرار

الوالد السكران والمدهوش التحير وربما يضرب القلب مع المغضوب عليه واحده مرة الغضب المرطوب والعزم

وربما الضرب الجمادات والحيوانات فيضرب التصحيح بالقلب مع المغضوب عليه فانه مرة الغضب المرطوب للعزم

فيشتم البهيمة والحمار ويخاطبه بالشتم واما اثره فى القلب مع المغضوب عليه وحسد وانه اغتنمى وانما طلقت

لحزن بالمسرات والغم على افتضاح السر وهتك الستر والاستهزاء والغيرة وانما غيره منه حيا فان صم حيارا اتى اخذ

الغضب الضعيف عدم الغيرة على الحرم وهو ضرورة قال ص ان سعد الغيور وانا اغير منه والله اغير منى

خفظ الانساب ولو تناسخ الناس به كلما اختلطت الانساب ولذلك قيل كل امة وضعت الغيرة فى رجالها وضعت

الضيانة فى نسائها ومن ضعف الغضب الخوف وان سكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال ص اذنتم انا بامة

يبتغى فى الدين وقال تعالى لا تاخذكم بهما رافة فى دين الله بل قد ذكرنا عن رياضة نفسه الغضب فقد

الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل الى الشهوات الخسيسة فقد يغضب المرء لعزته احد ولم يبق

ثم قال رحمه الله بعد كلام قال عليه كان النبي لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد

لغضب شئ حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق وان كان غضب لله تعالى فلا يقوم لغضبه شئ

الى الاوسط على الجليل كل غضب على من اباه ضرورة وقوته

التى لا بد له فيه منها فانه احسن الغيظ مما هو ضرورى لاكثر

نعم قد يتعذر ازالة اصل الغضب لانه ضرورى لا الاستعمال عند

الكسب فهل يكون الغضب لنفسه

للغضب لا لاجل

لغيره

بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهذا كان سلمان لما شتم

فقال ان خفت موازيني فانا شر منه وان ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا الى

الاخرة فلم يتاثر قلبه بالشتم ثم اورد رحمه الله جملة الامور التى لا بد منها فى معالجة الغضب بالعلم كونه

متفكرا فى السبب الذى يدعوه الى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد ان يكون له سبب مثل قول الشيطان

له ان هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا فى اعين الناس فليقل لنفسه

ما اعجبك يا نفس ما اجهلك تانفين من الاحتمال الان ولا تانفين من خزى يوم القيمة والافتضاح اذا اخذ

هذا بيدك وانتقم منك تحذرين من ان تصغري فى اعين الناس ولا تحذرين من ان تصغري عند الله

وعند الملائكة والنبيين بانتقامك من هذا ومنها كظم الغيظ فينبغى ان يكظم لله تعالى وذلك يعظمه

عند الله فماله وللناس وذل من ظلمه يوم القيمة اشد من ذله وايضا لا بد ان يعلم ان غضبه من تعجبه من

جريان الشئ على وفق مراد الله تعالى لا على وفق مراده فكيف يقول مرادي اولى من مراد الله ويوشك

ان يكون غضب الله تعالى عليه اعظم من غضبه ثم ذكر رحمه الله فضيلة كظم الغيظ وفضيلة

الحلم بالاخبار والاثار ثم بيان القدر الذى يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام فقال

اعلم ان كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة

التجسس بالتجسس ولا السب بالسب وكذلك سائر المعاصي وانما القصاص والغرامة على ما ورد الشرع

به وقد فصلناه فى الفقه قال قوم يجوز المقابلة بما لا كذب فيه ونهيه ص عن التعيير بمثله نهي تنزيه

والافضل تركه والذى يرخص فيه ان يقول من انت وهل انت الا من بنى فلان كما قال سعد لابن

مسعود وهل انت الا من بنى هذيل فقال ابن مسعود وهل انت الا من بنى امية ومثل قوله يا احمق

قال مطرف كل الناس احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الناس اقل حماقة من بعض وكذا قوله يا جاهل

فهذا القدر هو الذى اباحه هؤلاء وهو رخصة فى الايذاء جزاء على ايذائه السابق ولا يبعد

الرخصة فى هذا القدر ولكن الافضل تركه فانه يجره الى ما وراءه ولا يمكن الاقتصار على حد الحق

فيه والسكوت عن اصل الجواب لعله ايسر من الشروع فى الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن

الناس ايضا

والغضب يسع الوقود ويسع بطلى الخمود

فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم بطئ الوقود سريع الخمود وهذا انمرح ان لم يحرك الجود

الجود وبعضهم كالنفط بطئ الخمود وهو الاحمد ما لم ينته الى فتور الحمية والغيرة

وبعضهم بطئ الوقود سريع الخمود وهذا احمد ما لم يجر الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قال ص الا ان بنى آدم خلقوا على طبقات شتى

الحمية والغيرة وبعضهم سريع الغضب سريع الفئ وبعضهم بطئ الغضب بطئ الفئ فتلك بتلك الا وان منهم

سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك قال ص ذلك وكان ابو بكر فقال ان الاولين لا يبعد النفس

ثم ذكر الحقد ان شاء الله تعالى ان الشيطان لينتظر من عباد الله الذى يستحضر من غير زيادة ولا نقصان والعدل

وقال تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم ان يزيد فى الاذى قال ان الاولين لا يخبون ان يعفو احد على احد

الاوسط ان يبقى على ما كان فان امكنه ان يزيد فى العدل فهو الفضل واما الثالث ان يظلمه بالاسائة الى ما يستحقه فذلك هو الجور وهو اختيار الاراذل والثاني

درجة الصديقين وذلك صرحه الله فى فضيلة العفو اخبار كثيرة منها قوله ص ثلاث والذى نفسى بيده ان كنت لحالفا عليهن ما نقص مال من صدقة

وهى من فضائل اعمال العرب بالعفو والفضل الى درجة الصالحين واما الطبقة العليا فهى الصفح وعن انس قال قال رسول الله ص اذا بعث الله

الثانية ان يحسن اليه بالعفو والاحسان وهو منتهى درجة الصالحين والطبقة الثالثة ان يقوم احد الا من عفا قال فيقوم

جواعيا بن الخصومة فيما بينهم نادى مناد ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قيل ومن ذا الذى اجره على الله قال العافون عن الناس فيقوم كذا وكذا الفا فيدخلون الجنة بغير حساب

مارايت رسول الله ص منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله شئ فاذا انتهك من محارم الله شئ كان اشدهم فى ذلك غضبا

غضبا وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما وعن ابى هريرة قال قال رسول الله ص ما من رجل يجرح فى جسده جراحة فيتصدق بها الا كفر الله عنه مثل ما تصدق به

النعيم نادى مناد من تحت العرش ثلاث اصوات يا معشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض وعن ابى هريرة ان رسول الله ص لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة فاخذ بعضادتى الباب فقال ماذا تقولون وما تظنون قالوا نقول اخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلثا فقال اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين قال فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا فى الاسلام

هريرة ان رسول الله ص لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة فاخذ بعضادتى الباب فقال ماذا تقولون قالوا نقول اخ وابن عم حليم رحيم ومن الاثار روى ان

منه فقال ما تقولون وما تظنون قالوا نقول اخ وابن عم حليم رحيم فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده

عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين قال لا اله الا الله وحده ثم قال يا معشر قريش ان بيده الملك فقال الا وكل

بده على باب الكعبة والناس حوله فقال وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش ان ربى عليه الملك

راهب دخل على عثمان رب

وان تعرض كان نبيا فقال الا ان

انا اعطى ما اعطى

نابيع

باربع خصال كن فيه كان اذا قدر عفا واذا وعد وفا واذا حدث صدق ولا يجمع اليوم لغد وقيل

مكتوب فى الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان ثم اورد فى فضيلة الرفق اخبارا كثيرة منها

قوله ص اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق وقال ص ان الله ليعطى على الرفق ما لا يعطى على الخرق

وقال ص تدرون من يحرم على النار كل هين لين سهل قريب وقال ص الرفق يمن والخرق شوم

ومن الاثار فى الخبر موقوفا ومرفوعا العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق

والده واللين اخوه والصبر امير جنوده قال الحسن المؤمن وقاف متان وليس كحاطب ليل فهذا

ثناء اهل العلم على الرفق وذلك لانه محمود ومفيد فى اكثر الاحوال واغلب الامور والحاجة الى العنف

قد تقع ولكن على الندور وانما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطى كل امر حقه فان

كان قاصر البصيرة او اشكل عليه حكم واقعة من الوقايع فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه فى الاكثر

ثم اورد فى ذم الحسد اخبارا كثيرة منها قوله ص اخوف ما اخاف على امتى ان يكثر لهم المال فيتحاسدون

ويقتتلون وقال صلى الله عليه وآله ان لنعم الله اعداء فقيل ومن اولئك قال الذين يحسدون الناس على

ما آتاهم الله من فضله وقال ص ستة يدخلون النار قبل الحساب بستة قيل يا رسول الله من هم قال

الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء

بالحسد وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد اخاك فان كان الذى اعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه

الله وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة

وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا

شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا ثم قال رحمه الله بعد ذكر اسباب الحسد وهى سبعة

مفصلا السبب الاول العداوة والبغضاء وهذا اشد اسباب الحسد فان من آذاه انسان بسبب من

الاسباب وخالفه فى غرضه بوجه من الوجوه ابغضه قلبه وغضب عليه ورسخ فى نفسه الحقد والحقد يقتضى

التشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه احب ان يتشفى منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة

نفسه عند الله تعالى فمهما اصاب عدوه بلية فرح وظنها مكافاة من جهة الله له على بغضه وانه لاجله اصابه

لا بد من ذكر هذه الاسباب

[illegible] عضوا عليكم الانامل من الغيظ [illegible]

[illegible] السبب الثالث [illegible]

[illegible] الرابع التعجب [illegible]

[illegible] الخامس [illegible]

[illegible] السادس [illegible]

[illegible]

يحب الاذى لغيره ويبخل بنعم الله على عباده كانهم ياخذون ذلك من ملكه وخزائنه ويقال البخيل
من يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهو البخيل بنعم الله تعالى على عباده الذين ليس بينه وبينهم
عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث النفس ورذالة الطبع عليه وقعت الجبلة
ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت بسائر الاسباب اسبابه عارضة يتصور زوالها فيطمع في
ازالتها وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فيعسر ازالته او يستحيل في العادة ازالته بيان
السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوان والاقارب وقلته في غيرهم اعلم ان الحسد
انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الاسباب فيهم وتتظاهر
اذ الشخص الواحد يجوز ان يحسد لانه يمتنع من قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو ولغير ذلك من الاسباب و
هذه الاسباب انما تكثر بين اقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض
فاذا خالف واحد صاحبه في غرض من اغراضه نفر طبعه وابغضه وثبت الحقد فيه فعند ذلك يريد ان
يستحقره ويتكبر عليه ويكافيه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه ويترادف
جملة الاسباب اذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متنائيتين ولا يكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين نعم
اذا تجاوروا في مسكن او سوق او مسجد او مدرسة تواردوا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهم فيثور
من التناقض التنافر والتباغض ومنه تثور بقية اسباب الحسد فلذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد
والعابد العابد دون العالم والتاجر التاجر [illegible] ويحسد الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب
والمرأة تحسد ضرتها [illegible] اكثر مما تحسد ام الزوج وابنته ثم حسد الواعظ للواعظ اكثر من حسده للفقيه الى [illegible]
قال رضي الله عنه بيان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب بعد بيان كون الحسد ضارا للحاسد في الدين والدنيا
الدنيا وانه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه ومهما لم تزل النعمة بحسدك لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا
ولا يكون عليه اثم في الآخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي وهذا غاية الجهل
فانه بلاء تشتهيه اولا لنفسك فانك ايضا لا تخلو عن عدو يحسدك فلو كانت النعم تزول بالحسد لم
يبق نعمة لله تعالى عليك ولا على الخلق ولا نعمة الايمان لان الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان
قال الله تعالى ودت طائفة لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم اذ ما يريده الحسود لا يكون نعم هو يضل

[illegible]

ورق ١٤٣

وربما يبتلي بعين ما يشتهيه لعدوه وقل ما يشمت شامت بمساءة الا ويبتلي بمثلها حتى قالت
عائشة رضي الله عنها ما تمنيت لعثمان شيئا الا نزل بي حتى لو تمنيت القتل لقتلت فهذا اثم الحسد نفسه فكيف ما يجر
اليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق واطلاق اللسان واليد بالفواحش في التشفي من الاعداء
وهو الداء الذي هلكت فيه الامم السالفة فهذه هي الادوية العلمية فمهما تفكر فيها الانسان اطفأ
من قلبه نار الحسد بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب اعلم ان المؤذي
ممقوت بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك ان لا تبغضه غالبا واذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك ان
لا تكرهها له حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة
ولا يزال الشيطان ينازعك في الحسد له ولكن ان قوي ذلك فيك حتى بعثك على اظهار الحسد
بقول او فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك الاختيارية فانت حسود عاص بحسدك وان
كففت ظاهرك بالكلية الا انك بباطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فانت
ايضا حسود عاص لان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال الله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما
اوتوا وقال تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا وقال تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم واما الفعل فهو غيبة و
كذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس
مظلمة يجب الاستحلال منها بل هي معصية بينك وبين الله تعالى وانما يجب الاستحلال من الاسباب الظاهرة على
الجوارح اما تغير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه او غمه بما يتيسر لهما من نعمة او
ينصب عليهما من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا ان يصير مستغرقا
بحب الله تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهي امره الى ان لا يلتفت قلبه الى تفاصيل احوال الخلق بل
ينظر الى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وافعالهم افعالا لله ويراهم مسخرين
وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ويرجع القلب بعد ذلك الى طبعه ويعود العدو الى منازعته
اعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهية الزم قلبه فقد ادى ما كلفه

تم [illegible] ذم الدنيا

الستشة الطبعه والعاده

قال الشيخ الغزالي رحمه الله تعالى في ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين بعد ذكر الحمد والصلوة
اما بعد فان التوبة من الذنوب بالرجوع الى ستار العيوب وعلام الغيوب مبدا طريق السالكين
ورأس مال الفائزين واول اقدام المريدين ومفتاح استقامة المائلين ومطلع الاصطفا والاجتبا للمقربين
ولابينا آدم صلى الله عليه وعلى سائر النبيين وما اجدر بالاولاد الاقتداء بالاباء والاجداد فلا غرو ان
اذنب الادمي واجترم فهي شنشنة نعرفها من اخزم ومن اشبه اباه فما ظلم ولكن الاب اذا جبر بعد ان
كسر وعمر بعد ان هدم فليكن النزوع اليه في كلا طرفي النفي والاثبات والوجود والعدم ولقد قرع آدم سن
الندم وتندم على ما سبق منه وتقدم فمن اتخذه قدوته في الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم بل
التجرد لمحض الخير دأب الملائكة المقربين والتجرد للشر دون التلافي سجية الشياطين والرجوع الى الخير بعد الوقوع
في الشر ضرورة الادميين فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان والمتجرد للشر شيطان والمتلافي
للشر بالرجوع الى الخير بالحقيقة انسان فقد ازدوج في طينة الانسان شائبتان واصطحب فيه سجيتان وكل
عبد مصحح نسبه اما الى الملك او الى آدم او الى الشيطان فالتائب قد اقام البرهان على صحة نسبه
الى آدم بملازمة حد الانسان والمصر على الطغيان مسجل على نفسه بنسب الشيطان فاما تصحيح النسب
بالتجرد لمحض الخير الى الملائكة فخارج عن حيز الامكان فان الشر معجون مع الخير في طينة آدم عجنا محكما لا تخلصه الا
احدى النارين نار الندم او نار جهنم فالاحراق بالنار ضروري في تخليص جوهر الانسان عن خبائث الشيطان
واليك الان اختيار اهون النارين والمبادرة الى اخف الشرين قبل ان يطوى بساط الاختيار
ويساق الى دار الاضطرار اما الى الجنة واما الى النار واذ كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع
وجب تقديمها في صدر ربع المنجيات لشرح حقيقتها وشروطها وسببها وعلامتها وثمرتها والافات
المانعة منها والادوية الميسرة لها ويتضح ذلك بذكر اركان اربعة ثم قال اي بعد هذا التمهيد في بحث
ان التوبة عبارة عن علم وحال وعمل واعني بهذا العلم الايمان واليقين فان الايمان عبارة
عن التصديق بان الذنوب سموم مهلكة واليقين عبارة عن تأكد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه
فيثمر نور هذا الايمان مهما اشرق على القلب نار الندم فيتألم به القلب حيث يبصر باشراق نور الايمان

انحسار حجاب فرأى محبوبه قد اشرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب في قلبه وتنبعث تلك النيران بارادته للانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلاثة معان مرتبة في الحصول فيطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتأخر وبهذا الاعتبار قال صلى الله عليه وآله الندم توبة اذ لا يخلو الندم عن علم اوجبه واثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه فيكون الندم محفوفا بطرفيه اعني ثمرته ومثمره وبهذا الاعتبار قيل في حد التوبة انه ذوبان الحشا لما سبق من الخطا فان هذا يعرض لمجرد الالم ولذلك قيل هو نار في القلب تلتهب وصدع في الكبد لا ينشعب وباعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة انه خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء وقال سهل التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ولا يتم ذلك الا بالخلوة والصمت واكل الحلال وكانه اشار الى المعنى الثالث من التوبة والاقاويل في حدود التوبة لا تنحصر واذا فهمت هذه المعاني الثلاثة وتلازمها وترتيبها عرفت ان جميع ما قيل في حدودها قاصر عن الاحاطة بجميع معانيها وطلب العلم بحقائق الامور اهم من طلب الالفاظ المجردة

ثم قال رحمه الله بيان وجوب التوبة وفضلها بعد ذكر الآيات وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون والاجماع منعقد من الامة على وجوبها اذ معناه العلم بان الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات من الله وهذا داخل في وجوب الايمان ولكن قد يدهش الغفلة عنه فمعنى هذا العلم ازالة هذه الغفلة ولا خلاف في وجوبها ومن معانيها ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير في سابق الاحوال وذلك لا يشك في وجوبه واما الندم على ما سبق والتحزن عليه فواجب وهو روح التوبة وبه تمام التلافي فكيف لا يكون واجبا بل هو نوع الم يحصل لا محالة عقيب حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع في سخط الله فان قلت تألم القلب امر ضروري لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب فاعلم ان سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل الى تحصيل سببه وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى ان العلم يخلقه العبد ويحدثه في نفسه فان

ذلك محال بل العلم والندم والفعل والارادة والقدرة والقادر الكل من خلق الله وفعله والله خلقكم وما تعملون هذا هو الحق عند ذوي البصائر وما سوى هذا ضلال فان قلت افليس للعبد اختيار

الركن الثاني

فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغائرها وكبائرها فاعلم ان التوبة ترك الذنب ولا يمكن ترك الشيء الا بعد معرفته واذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل اليها الا به واجبا فمعرفة الذنوب واجبة والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لامر الله في ترك او فعل وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكليفات من اولها الى آخرها وليس ذلك من غرضنا ولكنا نشير الى مجامعها وروابط اقسامها

بيان اقسام

الذنوب بالاضافة الى صفات العبد اعلم ان للانسان اخلاقا واوصافا كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب عجائب القلب وغوائله ولكن تنحصر مثارات الذنوب في اربع صفات صفات ربوبية وصفات شيطانية وصفات بهيمية وصفات سبعية وذلك لان طينة الانسان عجنت من اخلاط مختلفة فاقتضى كل واحد من الاخلاط في المعجون منه اثرا من الآثار كما يقتضي السكر والخل والزعفران في السكنجبين آثارا مختلفة فاما ما يقتضي النزوع الى الصفات الربوبية فمثل الكبر والفخر والجبرية وحب المدح والثناء والعز والغنى وحب دوام البقاء وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كانه يريد ان يقول انا ربكم الاعلى وهذا يتشعب منه جملة من كبائر الذنوب غفل عنها الخلق ولم يعدوها ذنوبا وهي المهلكات العظيمة التي هي كالامهات لاكثر المعاصي كما استقصيناه في ربع المهلكات الثانية هي الصفة الشيطانية التي منها يتشعب الحسد والبغي والحيلة والخداع والامر بالفساد والمكر وفيه يدخل الغش والنفاق والدعوة الى البدع والضلال الثالثة الصفة البهيمية ومنها يتشعب الشره والكلب والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنه يتشعب الزنا واللواط والسرقة واكل مال الايتام وجمع الحطام لاجل الشهوات الرابعة الصفة السبعية ومنها يتشعب الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الاموال ويتفرع عنها جمل من الذنوب وهذه الصفات لها تدريج في الفطرة فالصفة البهيمية هي التي تغلب اولا ثم تتلوها الصفة السبعية ثانيا ثم اذا اجتمعا استعملا العقل في الخداع والمكر والحيلة وهي الصفة الشيطانية ثم بالآخرة تغلب الصفات الربوبية وهي الفخر والعز والعلو وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء على جميع الخلق فهذه امهات الذنوب ومنابعها ثم تنفجر الذنوب من

هذه المنابع على الجوارح فبعضها في القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق واضمار السوء للناس وبعضها على العين والسمع وبعضها على اللسان وبعضها على البطن والفرج وبعضها على اليدين والرجلين وبعضها على جميع البدن ولا حاجة الى تفصيل ذلك فانه واضح

قسمة ثانية

اعلم ان الذنوب تنقسم الى ما بين العبد وبين الله والى ما يتعلق بحقوق العباد فما يتعلق بالعبد خاصة كترك الصلاة والصوم والواجبات الخاصة به وما يتعلق بحقوق العباد كتركه الزكاة وقتله النفس وغصبه الاموال وشتمه الاعراض وكل متناول من حق الغير فاما نفس او طرف او مال او عرض او دين او جاه وتناول الدين بالاغواء والدعاء الى البدعة والترغيب في المعاصي وتهييج اسباب الجرأة على الله كما يفعله بعض الوعاظ بتغليب جانب الرجاء على جانب الخوف وما يتعلق بالعباد فالامر فيه اغلظ وما بين العبد وبين الله اذا لم يكن شركا فالعفو فيه ارجى واقرب وقد جاء في الخبر الدواوين ثلاثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فالديوان الذي يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله واما الديوان الذي لا يغفر فالشرك بالله واما الديوان الذي لا يترك فمظالم العباد اي لا بد وان يطالب بها حتى يعفى عنها

قسمة ثالثة

اعلم ان الذنوب تنقسم الى صغائر وكبائر وقد كثر اختلاف الناس فيها فقال قائلون لا صغيرة ولا كبيرة بل كل مخالفة لله فهي كبيرة وهذا ضعيف واختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر من اربع الى سبع الى تسع الى احدى عشرة فما فوق ذلك وكان عبد الله بن عباس اذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع يقول هي الى سبعين اقرب منها الى سبع وقال ابن مسعود اقرأ من اول سورة النساء الى قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقال ابو طالب المكي الكبائر سبع عشرة جمعتها من جملة الاخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم اربع في القلب ... وكشف الغطاء عن ذلك ... والمراد بها ...

ثم قال رحمه الله بيان كيفية توزع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا

قال

قال رحمه الله اعلم ان الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم الغيب والملكوت واعني بالدنيا حالتك قبل الموت وبالآخرة حالتك بعد الموت فدنياك وآخرتك صفاتك واحوالك يسمى القريب الداني منها دنيا والمتأخر آخرة ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة فانا الآن في الدنيا وهو عالم الملك وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم الملكوت ولا يتصور شرح عالم الملكوت في عالم الملك الا بضرب الامثال ولذلك قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وهذا لان عالم الملك نوم بالاضافة الى عالم الملكوت ولذلك قال عليه السلام الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وما سيكون في اليقظة لا يتبين لك في النوم الا بضرب الامثال المحوجة الى التعبير فكذلك ما سيكون في يقظة الآخرة لا يتبين في نوم الدنيا الا في كسوة الامثال واعني بكسوة الامثال ما تعرفه من علم التعبير ويكفيك منه ان كنت فطنا ثلاثة امثلة فقد جاء رجل الى ابن سيرين وقال رايت كان في يدي خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النساء فقال انك مؤذن تؤذن في رمضان قبل الفجر فقال صدقت وجاءه آخر فقال رايت كاني اصب الزيت في الزيتون فقال ان كان تحتك جارية اشتريتها ففتش عن حالها فانها امك لان الزيتون اصل الزيت فهو رد الى الاصل فنظر فاذا جاريته كانت امه وقد سبيت في صغره وقال له آخر رايت كاني اقلد الدر في اعناق الخنازير فقال انك تعلم الحكمة غير اهلها وكان كما قال والتعبير من اوله الى آخره مثال يعرفك طريق ضرب الامثال وانما نعني بالمثل اداء المعنى في صورة ان نظر الى معناه وجد صادقا وان نظر الى صورته وجد كاذبا فالمؤذن ان نظر الى صورة الخاتم والختم به على الفروج رآه كاذبا فانه لم يختم به قط وان نظر الى معناه وجده صادقا اذ قد صدر منه روح الختم ومعناه وهو المنع الذي يراد الختم له وليس للانبياء ان يتكلموا مع الخلق الا بضرب الامثال لانهم كلفوا ان يكلموا الناس على قدر عقولهم وقدر عقولهم انهم في النوم والنائم لا يكشف له عن شيء الا بمثل فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا ان المثل صادق ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وهو من المثال الذي لا يعقله الا العالمون فاما الجاهل فلا يجاوز حده ظاهر المثال لجهله بالتفسير الذي يسمى تأويلا كما يسمى تفسير ما يرى من الامثلة في النوم تعبيرا فيثبت لله تعالى يدا واصبعا تعالى الله عن قوله وكذلك في قوله عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته فانه لا يفهم من الصورة الا اللون والشكل والهيئة فيثبت لله تعالى مثل ذلك تعالى الله عن قوله علوا كبيرا ومن ههنا زل من زل في الصفات الالهية حتى في الكلام وجعله صوتا وحرفا الى غير ذلك من الصفات والقول فيه يطول

وكذلك

فيرد في لباس الجنة التي كانت ... المال

الآخرة من ... علي ... بالموت يوم القيمة

بما الملك ... وقد ... بالموت الا الحق ... الصحيح

وما قضيه عنه وقد ... فيدبح ... الموت ... من ... عرفه

زمرة ... كبش ابلح فيذبح بين الجنة والنار ... ان الحق ... كبش

ولستدل على ... من ... الاعمال ... اما الحق ... الكلب ... ان

كشف ... العرض ... العالمون والابدي المسكين ... ان الايام بالاعمال

اسرار الله تعالى فقال وما يعقلها الا العالمون ... الاجره ... ليصل الى

وقيل هذا ... الذي ... التقيض ... حل ... الكبش ... العرا

والا يعود وقطا ... الذي ... الاصل ... الجنة ... الدنيا ... الدوام

تجاوز ... الذي ... البعض انما ... الدنيا ... المعاد ... الطلب

وكان ... وتيسير الادراك ما يعرف ... الانسان ... بيان ما تحب التوبة ونشر ... ومما الالم

ولطفا بعبادة وتيسيرا للقلوب ... والاحكام ... من عاصين ...

الباب من الموت ... والد يعود ... الدرجات الى ... والاحكام ... على

القدرة ... بالمقصود ... ان الاول ... الدنيا ... في ... العاصي ... الظن ... وبطل التوبة

فرض ... العرض ... المقصود ... الاول ... والعاصي ما الذي فيما ... عدد ما فاته منها

وشرط ... باحتمال ... الطاعات ما الذي ... على ... الباب ان ... الظن

بوما وقفنا ونظر الى الطاعات ... بشرط النية ... فان كان قد ترك ... الزكوة

تجب ... وصلاة ... بشرط ... ادائه ... الصوم فان كان ... الزكوة ... الحج

ترك ... القدر الذي ... الاجتهاد ... والاجتهاد

سبيل ... والنحري والاجتهاد ... عدد لا

افطر ... صح ... من اول

من زمان البلوغ فان تركه واحصى غال القلب ... ما علم بغالب الظن بذمته وان اداه لا على وجه

يوافق مذهبه بان لم يصرف الى الاصناف الثمانية او اخرج البدل وهو على مذهب الشافعي فيقضي

جميع ذلك فان ذلك لا يجزيه اصلا وحساب الزكوة ومعرفة ذلك يطول ويحتاج فيه الى تامل شافٍ و

يلزمه ان يسال العلماء عنه من العلماء واما الحج فان كان قد استطاع في بعض السنين ولم يتفق له

خروج والآن قد افلس فعليه الخروج فان لم يقدر مع الافلاس فعليه ان يكتسب من الحلال قدر الزاد فان لم

يكن له كسب ولا مال فعليه ان يسال الناس ليصرف اليه من الزكاة او الصدقات ما يحج به فانه ان

مات قبل الحج مات عاصيا قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا و

العجز الطاري بعد القدرة لا يسقط عنه الحج فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها واما المعاصي

فينبغي ان يفتش من اول بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وساير جوارحه

ثم ينظر في جميع ايامه وساعاته ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع على جميعها صغايرها وكبايرها

ثم ينظر فيها فما كان من ذلك بينه وبين الله من حيث لا يتعلق بمظالم العباد كنظر الى غير محرم وقعود في

مسجد مع الجنابة ومس مصحف بغير وضوء واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع ملاهي وغير ذلك مما لا يتعلق

بمظالم العباد فالتوبة عنها بالندم والتحسر عليها وبان يحسب مقدارها من حيث الكثرة ومن حيث المدة و

يطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها فياتي من الحسنات بمقدار تلك السيئات اخذا من قوله

عليه السلام اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها بل من قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات

فيكفر سماع الملاهي بسماع القرآن وبمجالس الذكر ويكفر القعود في المسجد جنبا بالاعتكاف فيه والاشتغال

بالعبادة ويكفر مس المصحف محدثا باكرام المصحف وكثرة قراءة القرآن وكثرة تقبيله بان يكتب مصحفا

ويجعله وقفا ويكفر شرب الخمر بالتصدق بكل شراب حلال هو اطيب واحب اليه ... المعاصي

غير ممكن وانما المقصود سلوك طريق المضادة فان المرض يعالج بضده فكل ظلمة ارتفعت الى القلب

بمعصية فلا يمحوها الا نور يرتفع اليه بحسنة تضادها والمتضادات هي المتناسبات فلذلك ينبغي

ان يمحو كل سيئة بحسنة من جنسها لكن تضادها فان البياض يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة و

وهذا التدريج والتحقيق ... المحو فاري

الى ... طريق ... من ... ان ... الله

من السلطنة في ... قاطع ... ان ... الايام ... ان

فيما صدق والتوبة ... وان كان ذلك ... بعض الاوقات ... الآن

نوع واحد من العادات ... بعض الذنوب ... على

والمحو بهذا ... بكل خطيئة ... الذنوب ... لا ... الا ... على ... فقال

حب الدنيا راس كل خطيئة ... الذنوب ... قد روي ... على

لها والتخيل اليها ... في ... الانت ... فقال ... عن علم ... الله

القلب ... تلك ... الخطيئة ... ان ... الناس ... الله

القم ... الغيبة ... عنه ... على ... فان ... اذاه ... بالاعمال

فاعلم ... الكتب ... فقال ... عليك ... فيها ... التي ... من اهل الدين ... الكفير

التبع ... واما مظالم العباد ففيها ... بالحسنات التي ... على ... الصلاة ... موجود

ما بينه وبين الله تعالى ... بالغيبة والقدح ... منفرد ... العباد

بالندم والتحسر ... ولا ... الرضا ... من ... طريق ... مظالم العباد ... توبته

اموالهم بالصدق ... الحلال ... الركابة ... وحكم ... الخرج ... فان جرى عليه

اوانه واشاله ويكفر قتل النفوس باعتاق الرقاب ... وذلك كله ... قبل الوصول وان كان ... قال

الانسان على ... باعتاق رقبة ثم اذا فعل ذلك كله لم ... ابدا المحض ... الله

في الشرع حيث كفر القتل باعتاق ... اوالقلب ... ذلك ... لم ... الابتداء ...

اما النفوس او الاموال او الاعراض او القلوب ... عهدة ... عند ... الا ... او شرب او ... او قطع

بتسليم الدية ... فيها الى المستحق ... فان لم يعرف ... عليه ... ان ... الطريق ... ما ... عليه

للقصاص في القصاص ... عن ... وان ... الاستيطا ... او شرب ... فانه ... الى ... في

الطريق ... الله

ان يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس من الوالي استيفاء حق الله بل عليه ان يستتر بستر الله ويقيم

حد الله على نفسه بانواع المجاهدة والتعذيب فالعفو في محض حدود الله قريب من التائبين النادمين

فان رفع امره الى الوالي حتى اقام عليه الحد وقع موقعه وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله بدليل ما روي ان ماعز بن

مالك اتى رسول الله صلى الله عليه واله فقال يا رسول الله اني قد ظلمت نفسي وزنيت واني اريد ان تطهرني فرده

فلما كان من الغد اتاه فقال يا رسول الله اني قد زنيت فرده الثانية فلما كان في الرابعة امر به فحفر له

حفيرة ثم امر به فرجم فكان الناس فيه فرقتين فقائل يقول لقد هلك لقد احاطت به خطيئته وقائل يقول

ما توبة افضل من توبة ماعز فقال رسول الله صلى الله عليه واله لقد تاب توبة لو قسمت بين امة لوسعتهم

وجاءت الغامدية فقالت يا رسول الله اني قد زنيت فطهرني فردها فلما كان الغد قالت يا رسول الله

لم تردني لعلك تريد ان تردني كما رددت ماعزا فوالله اني لحبلى فقال اما الآن فلا فاذهبي حتى تضعي فلما

ولدت اتته بالصبي في خرقة فقالت هذا قد ولدته قال اذهبي فارضعيه حتى تفطميه فلما فطمته اتته بالصبي و

في يده كسرة خبز فقالت هذا يا نبي الله قد فطمته وقد اكل الطعام فدفع الصبي الى رجل من المسلمين ثم امر بها

فحفر لها الى صدرها وامر الناس فرجموها فاقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى راسها فنضخ الدم على وجه خالد

فسبها فسمع رسول الله صلى الله عليه واله سبه اياها فقال مهلا يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها

صاحب مكس لغفر له ثم امر بها فصلى عليها ودفنت واما القصاص وحد القذف فلا بد من تحكيم المستحق

فيه وان كان المتناول مالا تناوله بغصب او خيانة او غبن في معاملة بنوع تلبيس كترويج زائف او

ستر عيب من المبيع او نقص اجرة اجير او منع اجرته فكل ذلك يجب ان يفتش عنه لا من حد بلوغه بل من اول

مدة وجوده فان ما يجب في مال الصبي يجب على الصبي اخراجه بعد البلوغ ان كان الولي قد قصر فيه

فان لم يفعل كان ظالما مطالبا به اذ يستوي في الحقوق المالية الصبي والبالغ وليحاسب نفسه على الحبات

والذر من اول يوم حياته الى يوم توبته قبل ان يحاسب في القيامة وليناقش قبل ان يناقش في

فمن لم يحاسب نفسه في الدنيا طال في الآخرة حسابه فاذا حصل مجموع ما عليه بظن غالب ونوع

الاعتياد ويتيب

مكن فليكتبه [illegible] بالطاعات واحدا واحدا [illegible] ليستحلهم [illegible] فانهم
اسبابه احصى [illegible] الطاعات [illegible] وعلى [illegible] في كل [illegible] ينفعه [illegible]
ولتسلطنه في [illegible] التوبة [illegible] على [illegible] الا الان [illegible] بعطائه فانه [illegible] المظالم [illegible]
ليؤدّ [illegible] التوبة [illegible] الطاعات [illegible] المطالب [illegible] المظالم [illegible]
لا تعديلون على [illegible] عليه [illegible] الظالم [illegible] عنده [illegible]
ان يعمل [illegible] ووضع [illegible] الظالم [illegible] الاوقات [illegible]
العصر [illegible] حسنات [illegible] المعاصي [illegible] المظالم [illegible]
[illegible] حسنات [illegible] العزم [illegible] الذي كان [illegible] عليه [illegible]
وجب استغراق العمر في [illegible] الوقت [illegible] لم يعرف [illegible] عليه [illegible]
لتسموه للحسنات والوقت [illegible] فاما [illegible] فعليه [illegible]
فليرد الى المالك ما يعرف [illegible] الحرام [illegible] والحلال [illegible] وعليه [illegible]
المقدار كما سبق تفصيله في كتاب [illegible] واحدا واحدا [illegible]
له بلسانه او اذى قلبه [illegible] فليطلب [illegible] بالاحلال [illegible]
منه عوضا في النية [illegible] وكثرة [illegible] عليه [illegible] طريق الاحلال [illegible]
المبهم لا يمكن [illegible] ذلك [illegible] على الغير [illegible] الذكر [illegible] المطلب [illegible]
او يجلده من [illegible] بعظ اذاه [illegible] والغائب [illegible] بالاحلال [illegible]
الى غيب [illegible] الحسنات [illegible] عليه [illegible]
مظالمه فليجبر بالحسنات [illegible]
فعليه ان يتلطف به [illegible] الاحسان [illegible]
[illegible]

بحسنه فاذا طاب قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال فان ابى الا الاصرار فيكون تلطفه به
واعتذاره اليه من جملة حسناته التي يمكن ان يجبر بها في القيامة جنايته ولكن قدر سعيه في فرحه وسرور قلبه
بتودده وتلطفه كقدر سعيه في اذاه حتى اذا قاوم احدهما الاخر او زاد عليه اخذ ذلك منه عوضا في
القيامة بحكم الله به عليه كمن اتلف في الدنيا مالا فجاء بمثله فامتنع من له عن القبول وعن الابراء فان الحاكم
يحكم عليه بالقبض منه شاء ام ابى فكذلك يحكم في صعيد القيامة احكم الحاكمين واعدل المقسطين
وفي المتفق عليه من الصحيحين عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين
نفسا فسال عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة
فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سال عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل
له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها ناسا يعبدون الله تعالى
فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا نصف الطريق اتاه الموت
فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى
وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة ادمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين
الارضين فالى ايتهما كان ادنى فهو له فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة
وفي رواية فكان الى القرية الصالحة اقرب منها بشبر فجعل من اهلها وفي رواية فاوحى الله الى هذه
ان تباعدي والى هذه ان تقربي وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه الى هذه اقرب بشبر فغفر له فبهذا
تعرف انه لا خلاص الا بترجيح ميزان الحسنات ولو بمثقال فلا بد للتائب من تكثير الحسنات هذا حكم
القصد المتعلق بالماضي فاما العزم المرتبط بالاستقبال فهو ان يعقد مع الله عقدا مؤكدا ويعاهده
بعهد وثيق ان لا يعود الى تلك الذنوب ولا الى امثالها كالذي يعلم في مرضه ان الفاكهة تضره مثلا
فيعزم عزما جزما انه لا يتناول الفاكهة ما لم يزل مرضه فان هذا العزم يتاكد في الحال وان كان يتصور
ان تغلبه الشهوة في ثاني الحال ولكن لا يكون تائبا ما لم يتاكد عزمه في الحال ولا يتصور ان يتم ذلك
للتائب في اول امره الا بالعزلة والصمت وقلة الاكل والنوم واحراز قوت حلال فان كان له مال
موروث حلال او كانت حرفة يكتسب بها قدر الكفاية فليقتصر عليه فان راس المعاصي اكل

احرام

مكث سكران [illegible]
مع الاصرار عليه ولا يبعد على [illegible] قال بعضهم ان لم
وترك الشبهات والمكروهات [illegible] العبد [illegible] اليه
الشهوات في الحلالات [illegible] عليه [illegible] المرسل [illegible] عليه [illegible]
من صدق في ترك شهوة وجاهد نفسه واستعان [illegible] عليه [illegible] بعض الذنوب [illegible] وقال [illegible]
يتبدل بها وقال بعضهم التائب اذا لم [illegible] بعض الذنوب [illegible]
ابدا ومن مجاهدات التائب [illegible] توبة [illegible] وقد قال بعض [illegible] الذنوب ان [illegible]
بكثرة الاستماع وان لم [illegible] والغضب وليست [illegible] ان غيبة [illegible] بعض الذنوب [illegible]
الشرب والزنا والغصب [illegible] فان [illegible] لا يصح [illegible] وسؤال [illegible]
تصح ولفظ [illegible] هذا المقام [illegible] العقاب [illegible] ترك الجميع هذا الكلام [illegible]
فانا نعلم ان كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب [illegible] النجاة [illegible] الندم [illegible]
قبولا موصلا الى النجاة والفوز فهذا ايضا حق [illegible] التوبة عبارة عن الندم [illegible]
ذهب الى انه لا تصح الى [illegible] توجعه لاجل المعصية [illegible]
عليها دون الزنا ان كان [illegible] بالسبب [illegible] المعصية [illegible]
لان توجعه بفوات [illegible] الذنب [illegible]
فكيف يتوجع على البعض دون البعض [illegible] المعاصي [illegible] الندم [illegible]
بعض المعاصي دون بعض [illegible] المعاصي [illegible]
في الخمرين واحد وانما [illegible] اذا لم [illegible]
فان دفع عند [illegible] الثمرة [illegible]
وهو كالملك [illegible] لا يترتب عليه [illegible]
لا يصح اي لا يترتب [illegible]
[illegible]

مل الندم عليها ولا يتصور الندم الا لكونها معصية وذلك يعم جميع المعاصي وهذا كلام مفهوم واقع ولسنا نطلق
المنصف ينفصل عنه فيكشف الغطاء فنقول التوبة عن بعض الذنوب لا يخلو اما ان يكون عن
الكبائر دون الصغائر او عن الصغائر دون الكبائر او عن كبيرة دون كبيرة اما التوبة عن الكبائر دون الصغائر
فهو ممكن لانه يعلم ان الكبائر اعظم عند الله واجلب لسخط الله ومقته والصغائر اقرب الى تطرق
العفو اليه فلا يستحيل ان يتوب عن الاعظم ويتندم عليه كالذي يجني على اهل الملك وحرمه ويجني على دابته
فيكون خائفا من الجناية على الاهل مستحقرا للجناية على الدابة والندم بحسب استعظام الذنب واعتقاد
كونه مبعدا عن الله وهذا ممكن وجوده في الشرع فقد كثر التائبون في الاعصار الخالية ولم يكن احد منهم معصوما
فلا يستدعي التوبة العصمة والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيرا شديدا ويحذره السكر تحذيرا اخف
منه على وجه يشعره معه بانه ربما لا يظهر ضرر السكر اصلا فيتوب المريض بقوله عن العسل دون السكر فهذا
غير محال وجوده وان اكلهما جميعا بحكم شهوته وندم على اكل العسل دون السكر الثاني ان يتوب عن
بعض الكبائر دون بعض وهذا ايضا ممكن لاعتقاده ان بعض الكبائر اشد واغلظ عند الله كالذي
يتوب عن القتل والنهب والظلم ومظالم العباد لعلمه بان ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين الله يسارع
العفو اليه فهذا ايضا ممكن كما في تفاوت الصغائر والكبائر لان الكبائر ايضا متفاوتة في انفسها وفي اعتقاد
مرتكبها ولذلك قد يتوب عن الكبائر الذي لا يتعلق بالعباد كما يتوب عن شرب الخمر دون الزنا مثلا اذ يتضح
له ان الخمر مفتاح الشرور وانه اذا زال عقله ارتكب جميع المعاصي وهو لا يدري فيترجح بسبب شرب الخمر
عنده فينبعث منه خوف يوجب ذلك تركا في المستقبل وندما على الماضي الثالث ان يتوب عن
صغيرة وهو مصر على كبيرة يعلم انها كبيرة كالذي يتوب عن الغيبة او عن النظر الى غير المحرم او ما
يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر وهو ايضا ممكن ووجه امكانه انه ما من مؤمن الا وهو خائف
على معاصيه ونادم على فعله ندما اما ضعيفا واما قويا ولكن يكون لذة نفسه في تلك المعصية اقوى
من الم قلبه في الخوف منها لاسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والغفلة واسباب توجب قوة الشهوة
فيكون الندم موجودا ولكن لا يكون مليا بتحريك العزم ولا قويا عليه فان سلم عن شهوة اقوى منه بل لم
يعارضه الا ما هو اضعف منه قهر الخوف الشهوة وغلبها واوجب ذلك ترك المعصية وقد يشتد

ضراوته ... فلذلك
الفاسق بالشهوة وبعده عن ... النظر الى الشهوة ... الكف عن
بعد على الصبر عنه ولذلك ... مبلغا تنبعث الشهوة ... [illegible]
ضراوته بها بالعيبة ... علته حمد الخوف ... على بعض المعاصي ... [illegible]
الى غير المحرم ... فيوجب ... السلطان بالطبع ... الحاجة ... الفاسق ان يعود ... [illegible]
الضعيف دون الكوبة ... الى ... ان قدر ... بالطبع ... ولو لم ... الفسق ... على ... [illegible]
بل يقول هذا الفاسق ... الغد ... ذنوب ولو لم ... فاتوك الفسق ... بل ... [illegible]
العاصي فلم ... البعض كفارة لبعض ... وان كانت ... على ... [illegible]
اغلبيه فيكون ... صلاتك لغير الله ... فانوه ... الندم ... [illegible]
يصلي ولقيل له ان كانت صلاتك ... الاخرة ... الذنوب ... [illegible]
ان تقصد بصلاتك التقرب الى السلطان ... الا ... الذنب ... [illegible]
وانا ملي ... كل مسلم ... اذ كان ... الذنب ... [illegible]
لا يتصور هذا وهو حال ... جودة ... الذنب ... الشهوة ... المعصية ... [illegible]
للشهوة في بعض الذنوب وقال ... الكبيرة ... القليل ... الكثرة ... [illegible]
ولم يشترط الندم على كل ذنب ... الكبيرة دون ... الطبيب ... [illegible]
سبق ان التوبة عن بعض الذنوب ... المريض الذي ... الاعتقاد ... [illegible]
الاسد ... ولم ... عن شيء ولا يتوب ... على ... فان قلت ... العنين
بالقدر الذي يعجز عنه ... ان يتوب ... هذا ... الذنب ... قبل ... [illegible]
فقد حصل من هذا انه لا يمكن ... الشهوة ... جملة الاوامر والنواهي ... [illegible]
شدة المعصية واما في غلبة الشهوة ... الذي ... ان ... الذنب ... [illegible]
والندم فيتصور ... يذنب وان لم يمكن ... العنين من الزنا الذي ... [illegible]
بعج توبة ... كان ... سببه ... اذ لا ... [illegible]

قبل طرفان العين ومات عقيبه كان من التائبين وان لم يطأ عليه حال يهيج فيه الشهوة وتتيسر اسباب قضاء الشهوة
ولكنه تائب باعتبار ان ندمه بلغ مبلغا اوجب ذلك في قصده عن الزنا لو ظهر قصده فاذن لا يستحيل ان يبلغ
قوة الندم في حق العنين هذا المبلغ الا انه لا يعرفه من نفسه فان كل من لا يشتهي شيئا يقدر نفسه قادرا
على تركه بادنى خوف والله مطلع على ضميره وعلى مقدار ندمه فعساه يقبله منه بل الظاهر انه يقبله والحقيقة في
هذا ترجع الى ان ظلمة المعصية تمحى عن القلب بشيئين احدهما حرقة الندم والآخر شدة المجاهدة بالترك في المستقبل و
قد امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محالا ان يقوى الندم بحيث يقوى على محوها دون المجاهدة ولو
لا هذا لقلنا ان التوبة لا تقبل ما لم يعش التائب بعد التوبة مدة يجاهد نفسه في عين تلك الشهوة مرات
كثيرة وذلك مما لا يدل ظاهر الشرع على اشتراطه اصلا فان قلت اذا فرضنا تائبين احدهما سكنت نفسه
عن النزوع الى الذنب والآخر في نفسه نزوع اليه وهو يجاهدها ويمنعها فايهما افضل فاعلم ان هذا مما
اختلف العلماء فيه فقال احمد بن ابي الحواري واصحاب ابي سليمان الداراني ان المجاهد افضل لان له مع
التوبة فضل الجهاد وقال علماء البصرة ذلك الآخر افضل لانه لو فتر في توبته كان اقرب الى السلامة من
المجاهد الذي هو في عرضة الفتور عن المجاهدة وما قاله كل واحد من الفريقين لا يخلو عن حق وعن قصور عن
كمال الحقيقة والحق فيه ان الذي انقطع نزوع نفسه له حالتان احداهما ان يكون انقطاع نزوعها اليه بفتور
في نفس الشهوة فقط فالمجاهد افضل من هذا اذ تركه بالمجاهدة قد دل على قوة يقينه واستيلاء دينه
على شهوته فهو دليل قاطع على قوة اليقين وعلى قوة الدين واعني بقوة الدين قوة الارادة التي
تنبعث باشارة اليقين وتقمع الشهوة المنبعثة باشارة الشياطين فهاتان قوتان تدل المجاهدة
عليهما قطعا وقول القائل ان هذا اسلم اذ لو فتر لا يعود الى هذا فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ الافضل
فيه خطأ وهو كقول القائل العنين افضل لانه في امن من خطر الشهوة والصبي افضل من البالغ لانه
اسلم والمفلس افضل من الملك القاهر القامع لاعدائه لان المفلس لا عدو له والملك ربما يغلب
وان غلب مرات وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظاهر غير عالم بان العز في الاخطار

وان كان في ... لعل
العدو ... والكلب ... [illegible]
الاغوار الذي ليس له ... واهل ... [illegible]
الصياد ... الاصطياد ... ان يبرح ... عليه ... [illegible]
افضل ... آمن ... ان بعض الكلب ... الطرق ... [illegible]
الكلب والفرس ... اذا كان ... ان يكون ... النزوع ... [illegible]
المستولي على الفرس والكلب اذا كان الثانية ... الشهوة ... [illegible]
بل صاحب الفرس ... الصيد ... الشهوة ... العدو ... [illegible]
يدرك سعادة الصيد ... المقصود ... [illegible]
المجاهدة ... الدين ... الجهاد ... المقصود ... القتال ... [illegible]
سكنت ... المقصود الجهاد ... الجهاد ... الطريق ... [illegible]
قصور عن الاحاطة بمقصود الجهاد ... الاضافة ... [illegible]
فلا يصدنك عن سلوك طريق الدين ... الكلب ... الاباحة ... [illegible]
قدر المقصود ... عنده ... ذلك ... الشرع ... الواعظ ... [illegible]
الفرس ... المقصود الاقصى ... النفس ... المهلكات ... [illegible]
وظنوا ان الجهاد هو المقصود ... الاصرار ... [illegible]
متصود ... جهل وضلال وقد قررنا ذلك في كتاب ... فان قلت فما الطريق الذي ... عقدة الاصرار ... [illegible]
... بالعلاج لحل عقدة الاصرار ... النوع الاول ان يذكر ... الآيات ... [illegible]
... وما ورد من الاخبار والآثار ... النوع الثاني ... حكايات ... [illegible]
الذنوب وهي اربعة انواع ... والعاصين وكذلك ... شديد الوقع ... مثل احوال
... [illegible]

وروي في الاسرائيليات ان رجلا تزوج امرأة من بلدة اخرى وارسل عبده ليحملها اليه فراودته نفسه
وطالبته بها فجاهدها واستعصم قال فنبأه الله ببركة تقواه فكان نبيا في بني اسرائيل وفي قصص
موسى عليه السلام انه قال للخضر بم اطلعك الله على علم الغيب فقال بتركي المعاصي لاجل الله تعالى وروي
ان الله تعالى اوحى الى يعقوب عليه السلام اتدري لم فرقت بينك وبين ولدك يوسف قال لا قال لقولك
لاخوته اخاف ان يأكله الذئب لم خفت عليه الذئب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر
الى حفظي له وكذلك لما قال يوسف اذكرني عند ربك قال تعالى فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في
السجن بضع سنين وامثال هذه الحكايات لا تنحصر ولم يرد بها القرآن والاخبار ورود الاسمار بل الغرض
بها الاعتبار والاستبصار لتعلم ان الانبياء عليهم السلام لم يتجاوز عنهم في الذنوب الصغار فكيف يتجاوز عن غيرهم
نعم كانت سعادتهم في ان عجلوا بالعقوبة ولم تؤخر الى الآخرة والاشقياء يمهلون ليزدادوا اثما ولان
عذاب الآخرة اشد واكبر فهذا ايضا مما ينبغي ان يكثر جنسه على اسماع المصرين فانه نافع في تحريك دواعي
التوبة النوع الثالث ان يقرر عندهم ان تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنب وان كل ما يصيب
العبد من المصائب فهو بسبب جناياته الى ان قال رحمه الله واعلم انه لا يذنب العبد ذنبا الا ويسود
وجه قلبه فان كان سعيدا اظهر السواد على ظاهره لينزجر وان كان شقيا اخفي عنه حتى ينهمك ويستوجب
النار والاخبار كثيرة في آفات الذنوب في الدنيا من الفقر والمرض وغيره بل من شؤم الذنب في الدنيا على
الجملة ان تكتسب ما بعده صفته فان ابتلي بشيء كان عقوبة ويحرم حمل الرزق حتى يضاعف شقاوته وان
اصابته نعمة كان استدراجا له ويحرم جميل الشكر حتى يعاقب على كفرانه النوع الرابع ذكر ما ورد من
العقوبات على آحاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد وكل ذلك مما لا يمكن حصره
وذكره مع غير اهله وضع للدواء في غير موضعه بل ينبغي ان يكون العالم كالطبيب الحاذق فيستدل
بالنبض والسحنة ووجوه الحركات على العلل الباطنة ويشتغل بعلاجها فليستدل من الاحوال

[illegible]

ثم قال رحمه الله بعد ذكر بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه فاذا عرفت الآن معنى الملك والتربص ومعنى
السخو والعبوديه ومدخل الغلط في ذلك وكيف قهر الشيطان وتلبيسه فيسهل عليك النزوع عن الملك وابائه
والاعراض عنه والصبر عند فواته اذ يصير تركه ملكا في الحال وزجر ابه ملكا في الآخرة ومن كوشف بهذه
الامور بعد ان الف الجاه وانس به ورسخ فيه بالعادة مباشرة اسبابه فلا يكفيه في العلاج مجرد العلم و
الكشف بل لابد وان يضيف اليه العمل وعمله في ثلثة امور احدها ان يهرب عن موضع الجاه كي لا يشاهد
اسبابه فيعسر عليه الصبر مع الاسباب كما يهرب من غلبة الشهوة عن رؤية الصور المحركة ومن لم يفعل هذا
فقد كفر نعمة الله تعالى في سعة الارض اذ قال تعالى الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الثاني ان يكلف نفسه
في اعماله افعالا تخالف ما اعتاده فيبدل التكلف بالتبدل وزي الحشمة بزي التواضع وكذلك كل هيئة وحال
وفعل في مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاء بمقتضى جاهه ينبغي ان يبدلها بنقائضها
حتى ترسخ باعتياد ذلك ضد ما ترسخ فيه من قبل باعتياد ضده فلا معنى للمعالجة الا المضادة الثالث ان يراعي
في ذلك التلطف والتدريج فلا ينتقل دفعة واحدة الى الطرف الاقصى من التبدل فان الطبع نفور ولا يمكن نقله
عن اخلاقه الا بالتدريج فيترك البعض ويسلي نفسه بالبعض ثم اذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتدا بترك البعض
من ذلك البعض الى ان تقنع بالبقية وهكذا يفعل شيئا فشيئا الى ان يقمع تلك الصفات التي رسخت فيه و
الى هذا التدريج الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى
نفسك عبادة الله تعالى فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى والى الاشارة بقوله عليه السلم
لا تشادوا هذا الدين فان من شاده يغلبه فاذن ما ذكرناه في علاج الصبر عن الوسواس وعن
الشهوة وعن الجاه اضفه الى ما ذكرناه من قوانين طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات
واتخذه دستورك لتعرف به علاج الصبر في جميع الاقسام التي فصلناها قبل فان تفصيل الآحاد
يطول ومن راعى التدريج ترقى به الصبر الى حال يشق عليه الصبر كما كان يشق عليه الصبر معه فتنعكس
اموره فيصير ما كان محبوبا عنده ممقوتا وما كان مكروها عنده مشربا هنيئا لا يصبر عنه وهذا لا يعرف
الا بالتجربة والذوق وله نظير في العادات فان الصبي يحمل على التعلم في الابتداء قهرا فيشق عليه
الصبر عن اللعب والصبر مع العلم حتى اذا انفتحت بصيرته وانس بالعلم
انعكس الامر الخ

ثم قال

[illegible]

عنه بمجاهدة وهو بما دل الفقر او وجد الزيادة نعمة وشكرها ان يصرفها الى الخيرات وهو ان
لا يستعمل في المعصية فان اضيف الصبر الى الشكر الذي هو صرف الى الطاعة فالشكر افضل
لانه تضمن الصبر ايضا وفيه فرح بنعمة الله وفيه احتمال الم في صرفه الى الفقراء وترك صرفه الى التنعم المباح
وكان الحاصل يرجع الى ان شيئين افضل من شيء واحد وان الجملة اعلى رتبة من البعض وهذا فيه خلل
اذ لا يصح الموازنة بين الجملة وبين البعاض واما اذا كان شكره بان لا يستعين به على معصية بل يصرفه
الى التنعم المباح فالصبر هنا افضل من الشكر والفقير الصابر افضل من الغني الشاكر الصارف ماله الى [illegible]
لان الفقير قد جاهد نفسه وكسر نهمتها واحسن الرضا على بلاء الله تعالى وهذه الحالة تستدعي قوة
والغني اتبع نهمته واطاع شهوته ولكنه اقتصر على المباح والمباح مندوحة عن الحرام ولكن لابد من قوة
في الصبر عن الحرام ايضا الا ان القوة التي عنها يصدر صبر الفقير اعلى واتم من القوة التي عنها يصدر
الاقتصار في التنعم على المباح والشرف لتلك القوة التي تدل العمل عليها فان الاعمال لا تراد الا
لاحوال القلب وتلك القوة حالة للقلب تختلف بحسب قوة اليقين والايمان فما دل على زيادة قوة
في الايمان فهو افضل لا محالة وجميع ما ورد من تفضيل اجر الصبر على اجر الشكر في الآيات والاخبار
انما اريد به هذه الرتبة على الخصوص لان السابق الى افهام الناس من النعم الاموال والغنى بها والسابق
الى الافهام من الشكر ان يقول الانسان الحمد لله ولا يستعين بالنعم على المعصية لا ان يصرفها الى الطاعة
فاذا الصابر افضل من الشاكر اي الصبر الذي تفهمه العامة والى هذا المعنى على الخصوص اشار الجنيد
حيث سئل عن الصبر والشكر ايهما افضل فقال ليس مدح الغني بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم
وانما المدح في الاثنين قيامهما بشرط ما عليهما وهو صحيح جملة اقسام الصبر والشكر في النعم التي
ذكرناه وهو لم يرد سواه ويقال كان ابو العباس بن عطا قد خالفه في ذلك وقال الغني الشاكر
افضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجنيد فاصابه ما اصابه من البلاء من قتل اولاده وتلف امواله
وزوال عقله اربع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجنيد اصابتني ورجع الى تفضيل الفقير الصابر

الغني الشاكر على ... الغنى المال الذي ليس غنى

ومنها الافضل ان يكون واحد من الشخصين افضل ... هو الغني

ذكرنا ما علمنا ان الاحوال ... بفقير صابر وذلك القدر الضرورة والباطن حاصل ... تنعم ... عباده فهذا

وهو في بعض الاحوال ... شاكر افضل ... لنفسه من المالكين والساكنين وما بطن ... الى الله تعالى في نفسه عبادة القدرة وذلك

شاكر كما سبق ورتبتهم الفقراء اذ لا يبكي لنفسه المحتاجين والساكنين ... لذة ... زاده الله ...

الذي يرى نفسه مثل الفقراء ... حال المحتاجين ... والتنبيه يشتمل عليه الفقر لان ...

الى الخيرات او يمسكه على اعتقاد ... لطلب جاه وصيت ... والتنبيه يشتمل عليه الفقر ... الاعيان وما علم ان ... الكسب ...

اليها ثم اذا صرف ... المعرفة لطلب جاه ... فهذا لا يشتمل على النفس ... وقد ذكرنا تفصيل ذلك في الكتب

افضل من الصابر فان قلت فهذا انما يشتمل ... عن نفسه ... الكمال ... ان

يستشعر الم الصبر فان كان غنيا ... المال ... وانما تنقطع عن نفسه ... الكلب ... الاولين

رغبة وطيب نفس ... وهو بخيل به ... في البداية ... كلهم من

النفس ليس مطلوبا بعينه بل ... الابلاغ ... في البداية ... ولكن انما كان الناس ... اراده

فاعلم ان ... العاقل ... افضل ... صحيح ...

وان كان صابرا ... افضل من الكرامة ...

هو الا في حقه ... الارادة ... الصبر ...

في البداية بل قبل البداية ... تقطعه لا ارادة ... الصبر مع الالم والرضا ...

عموم الخلق فاذا ... الصبر درجات ... الرضا او الصبر ... وكذلك الشكر درجات ... النعمة من ...

الانفاق فاما الاولى ... الشكر على البلاء وهو وراء الرضا ... مفروح به وكذلك ... فان فرح ... النعمة ...

وهو مقام وراء الصبر ... الشكر لا يكمل الا على ... مطلوب ... ان

ولا ... الاعلى ... ويحصل في ... ومعرفته ...

اختصارا ... نعم الله تعالى عليه ... والاقتداء ... والمعرفة ...

بحكم الله وكشف ستره شكر والاعتراف بان النعم ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق شكر ومن العلم

بان الشكر ايضا نعمة من نعم الله تعالى وموهبة منه شكر وحسن التواضع للنعم والتذلل فيها

وشكر الوسائط شكر اذ قال عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد ذكرنا حقيقة ذلك

في كتاب اسرار الزكوة وقلة الاعتراض وحسن الادب بين يدي المنعم شكر وتلقي النعم بحسن القبول

واستعظام صغيرها شكر فما يندرج من الاعمال والاحوال تحت اسم الشكر والصبر لا يحصى آحاده

وهي درجات مختلفة فكيف يمكن اجمال القول بتفضيل احدهما على الآخر الا على سبيل ارادة الخصوص باللفظ العام كما ورد في الاخبار والآثار

بعد ذكر ... في بيان فضيلة الرجاء ... الاخبار والآثار

رئي يحيى بن اكثم في النوم بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال اوقفني بين يديه وقال يا شيخ السوء فعلت وفعلت قال فاخذني من الرعب ما يعلم الله ثم قلت يا رب ما هكذا حدثت عنك فقال وما حدثت عني فقلت حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن انس عن نبيك صلى الله عليه وآله عن جبريل عنك انك قلت اني لاستحيي ... ذي شيبة في الاسلام ان اعذبه فقال صدق عبد الرزاق وصدق معمر وصدق الزهري وصدق انس وصدق نبيي وصدق جبريل وانا قلت ذلك انطلقوا به الى الجنة

وفي الخبر ان رجلا من بني اسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم فيقول الله تعالى له يوم القيامة اليوم أويسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها

وقال صلى الله عليه وآله ان رجلا يدخل النار فيمكث فيها الف عام ينادي يا حنان يا منان فيقول الله تعالى لجبريل اذهب فأتني بعبدي فيجيء به فيوقفه على ربه فيقول الله تعالى كيف وجدت مكانك فيقول شر مكان فيقول ردوه الى مكانه فيمشي ويلتفت الى ورائه فيقول الله تعالى الى اي شيء تلتفت فيقول لقد رجوت ان لا تعيدني اليها بعد اذ اخرجتني منها فيقول الله تعالى اذهبوا به الى الجنة

وحكي ان ابا العباس ... الى الجنة ... فقال ... ما ذا علمت فيما علمت فقال ... ان تغفر لي ذنوبي فقال اذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلث ليال ه

بعد ذكر طرق الاعتبار

قال رحمه الله في بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه واما الطريق الاقيس من الآيات والاخبار

فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة

والعلم والرضوان وهي مجامع مقامات اهل الجنان قال الله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون

وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف ثمرة العلم ولذلك جاء في حديث موسى عليه

وعليه السلام واما الخائفون فان لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه فانظر كيف افردهم بمرافقة الرفيق

الاعلى وذلك لانهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الانبياء لانهم ورثة الانبياء ومرافقة الرفيق الاعلى

للانبياء ومن يلحق بهم ولذلك لما خُيّر رسول الله صلعم في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله

تعالى كان يقول اسألك الرفيق الاعلى فاذن ان نظرت الى مثمره فهو العلم وان نظرت الى ثمرته فالورع

والتقوى ولا يخفى ما ورد في فضائلها حتى ان العاقبة صارت موسومة بالتقوى مخصوصة به

كما صار الحمد مخصوصا بالله تعالى والصلوة برسول الله صلعم حتى قال الحمد لله رب العالمين و

العاقبة للمتقين والصلوة على محمد واله وقد خصص الله التقوى بالاضافة الى نفسه فقال تعالى

لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وانما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف

كما سبق ولذلك قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولذلك وصى الله تعالى الاولين والآخرين

بالتقوى فقال تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وقال تعالى

وخافون ان كنتم مؤمنين فامر بالخوف واوجبه وشرطه في الايمان فلذلك لا يتصور ان ينفك

مؤمن عن خوف وان ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وايمانه وقال رسول الله صلعم

راس الحكمة مخافة الله وقال عليه السلام لابن مسعود ان اردت ان تلقاني فاكثر من الخوف بعدي

وقال الفضيل من خاف الله تعالى دله الخوف على كل خير وقال الشبلي ما خفت الله يوما

الا رايت له بابا من الحكمة والعبرة ما رايته قط وذكر ما له عدد كثير من الاخبار والآثار

وكذلك ما ورد في فضائل الذكر لا يحصى وقد جعله الله تعالى مخصوصا بالخائفين فقال سيذكر من يخشى وقال تعالى ولمن

خاف مقام ربه جنتان وقال رسول الله صلعم من خاف الله تعالى خافه كل شيء وقال صلعم اتمكم عقلا اشدكم

لله خوفا واحسنكم فيما امر الله تعالى به ونهى عنه نظرا وقال يحيى بن معاذ مسكين ابن آدم لو خاف النار

كما يخاف الفقر لدخل الجنة والتشديدات الواردة في الامن من مكر الله وعذابه لا تنحصر وكل ذلك

ثناء على الخوف لان مذمة الشيء ثناء على ضده الذي ينفيه وضد الخوف الامن كما ان ضد الرجاء الياس

وكما دل مذمة القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك يدل مذمة الامن على فضيلة الخوف المضاد له بل نقول

كل ما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لانهما متلازمان وكل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله

فهو اظهار لفضيلة الخشية فان البكاء ثمرة الخشية وقد قال الله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقال

تعالى ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وقال افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون وقال عليه السلام

ما من مؤمن يخرج من عينيه دمعة وان كانت مثل راس الذباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيئا من حر وجهه

الا حرمه الله على النار وقال صلعم اذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات

من الشجر ورقها وقال صلى الله عليه وآله لا يلج النار احد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع وقال

عقبة بن عامر ما النجاة يا رسول الله قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك

وقالت عائشة قلت يا رسول الله يدخل احد من امتك الجنة بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى وقال صلعم

ما من قطرة احب الى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله او قطرة دم اهريقت في سبيل الله وقال صلعم اللهم

ارزقني عينين هطالتين تشفيان القلب بذروف الدمع قبل ان يصير الدمع دما والاضراس جمرا

وقال صلعم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وذكر منهم رجلا ذكر الله تعالى في خلوة ففاضت عيناه

وكان محمد بن المنكدر اذا بكى مسح وجهه ولحيته من دموعه ويقول بلغني ان النار لا تاكل موضعا مسته الدموع

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم احدكم لصرخ حتى

ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وقال ابو سليمان الداراني ما تغرغرت عين بمائها الا لم يرهق وجه صاحبها

قد ترد اليه فان
واليوم ... الحفا ... ذنوبه ... الخوف
سالت دموعه من النيران ولو ان ... والذي نفسي بيده
... وقال كعب الاحبار والذي ... لان اتصدق بجبل ذهب
... فاذن
... فضل العلم ... الا من ... فهو دالة على فضل الخوف
... وفضل الورع ... ان الافضل عليه الخوف او الرجا
وقال عبد الله ... والبكا وفضل التقوى ... والرجل
[illegible]

معذوره فلا يغلب رجاؤه على خوفه والبذر في مسئلتنا هو الايمان وشروط صحته وبقيه
والارض القلب وخبايا خبثه وصفاته من الشرك الخفي والنفاق والريا وخبايا الاخلاق
فيه غامضه والافات هي الشهوات وزخارف الدنيا والالتفات اليها في مستقبل الزمان
وان سلم في الحال وذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربه اذ قد يعرض من الاسباب ما لا يطاق
مخالفته ولم يجرب مثله والصواعق هي احوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده و
ذلك مما لا يجرب ثم الحصاد والادراك عند المنصرف من الثمار الى الجنه وذلك لم يجرب فمن
عرف حقايق هذه الامور فان كان ضعيف القلب جبانا في نفسه غلب خوفه على رجاءه
لا محاله كما سنحكي في احوال الخايفين من الصحابه والتابعين وان كان قوي القلب ثابت
الجاش تام المعرفه استوى خوفه ورجاؤه فاما ان يغلب رجاؤه فلا ولقد كان عمر بالغ في
تفتيش قلبه حتى كان يسال حذيفه رضي الله عنه انه هل يعرف من اثار النفاق شيئا اذ كان قد خصه
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم المنافقين فمن الذي يقدر على تطهير قلبه من خبايا النفاق والشرك الخفي
وان اعتقد نقاء قلبه عن ذلك فمن اين يامن مكر الله تعالى بتلبيس حاله عليه واخفاء عيبه
عنه وان وثق به فمن اين يثق بثباته على ذلك الى تمام حسن الخاتمه وقد قال عليه السلام ان
الرجل ليعمل عمل اهل الجنه خمسين سنه حتى لا يبقى بينه وبين الجنه الا شبر وفي روايه الا
قدر فواق ناقه فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل اهل النار وقدر فواق الناقه لا يحتمل
عملا بالجوارح انما هو بقدر خاطر يختلج في القلب عند الموت فيقتضي خاتمة السوء فكيف يؤمن
ذلك فاذن اقصى غايات المؤمن ان يعتدل خوفه ورجاؤه اما غلبة الرجاء في حال الناس
يكون مستنده الاغترار وقلة المعرفه الى قوله فالاحب عند الموت الرجاء وقال والمقصود من
ذلك كله ان يحبب الله الى نفسه ولذلك اوحى الله الى داود عليه السلام ان حببني الى عبادي فقال باذا

ثم ذكر رجاء الله
[illegible]
ثم ذكر رجاء الله
[illegible]

عبدي اما رضيت ان عصمت فلك لن تكون فيه تسالني الدنيا فاخذ التراب فوضعه على راسه وقال بلى
قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر فاذن اذا كان خوف العارفين مع رسوخ اقدامهم وقوة ايمانهم
من سوء الخاتمه فكيف لا يخاف الضعفاء ولسوء الخاتمه اسباب تتقدم على الموت الى ان قال والنفاق وعلاماته
كثيره قال صلى الله عليه وآله اربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مسلم وان
كانت فيه خصله منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن
خان واذا خاصم فجر وفي لفظ آخر واذا عاهد غدر قال الحسن ان من النفاق اختلاف السر والعلانيه
واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج ومن الذي يخلو عن هذه المعاصي بل صارت هذه الامور
مالوفه بين الناس معتاده ونسي كونها منكرا بالكليه بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوه فكيف
الظن بزماننا حتى قال حذيفه ان كان الرجل ليتكلم بالكلمه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا
اني لاسمعها من احدكم في اليوم عشر مرات وقال بعضهم لبعض العارفين اني اخاف على نفسي النفاق فقال لو
كنت منافقا لما خفت النفاق فلا يزال العارف بين الالتفات الى السابقه والخاتمه خايفا منهما ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم العبد المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما
الله قاض فيه فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنه والنار
ثم ذكر رجاء الله بعد بيان معنى سوء الخاتمه واحوال الانبياء والملائكه عليهم السلام في الخوف
[illegible]

وقال مالك بن دينار بينا انا اطوف بالبيت اذا انا بجويرية متعبدة متعلقة باستار الكعبة وهي تقول يا رب كم من شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها يا رب اما كان لك ادب وعقوبة الا النار وتبكي فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر قال مالك فلما رأيت ذلك وضعت يدي على راسي صارخا اقول ثكلت مالكا امه [illegible] ومر الحسن بشاب وهو مستغرق في ضحكه وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن يا فتى هل مررت بالصراط قال لا قال فهل تدري الى الجنة تصير ام الى النار قال لا قال فما هذا الضحك فما رئي ذلك الفتى بعدها ضاحكا وقال عطاء خرجنا مع عتبة الغلام وفينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهور العشاء قد تورمت اقدامهم من طول القيام وغارت اعينهم في رؤوسهم ولصقت جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كانها الاوتار يصبحون كان جلودهم قشور البطيخ وكانهم قد خرجوا من القبور يخبرون كيف اكرم الله المطيعين وكيف اهان العاصين فبينما هم يمشون اذ مر احدهم بمكان فخر مغشيا عليه فجلس اصحابه حوله يبكون في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقا فجاؤوا بماء فمسحوا وجهه فافاق وسالوه عن امره فقال اني ذكرت اني كنت عصيت الله في ذلك المكان وقال صالح المري قرأت على رجل من المتعبدين يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فخر مغشيا عليه فلما افاق قال زدني يا صالح فاني اجد غما فقرأت كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها فخر ميتا [illegible] الغداة فلما قرأ فاذا نقر في الناقور [illegible] فاذا تكلمت سمعت البكاء من كل جانب [illegible] فقالوا ما الذي يبكيك يرحمك الله [illegible] وقال صالح المري قدم علينا ابن السماك مرة فقال ارني شيئا من بعض عجائب عبادكم فذهبت به الى رجل في بعض الاحياء في خص له فاستاذنا عليه فاذا رجل يعمل خوصا فقرأت اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون فشهق الرجل شهقة وخر مغشيا عليه فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا الى آخر فاستاذنا عليه فقال ادخلوا ان لم تشغلونا عن ربنا فقرأت ذلك الآية فشهق شهقة فاذا الدم قد انبعث من منخريه وجعل يتشحط في دمه حتى يبس فتركناه على حاله وذهبنا الى آخر

على ستة انفس كل نخرج من عنده ونتركه مغشيا ثم اتينا السابع فاستاذنا فاذا امرأة من وراء الخص تقول ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فان جالس في مصلاه فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا فقلت بصوت عال ان للخلق غدا مقاما فقال الشيخ بين يدي من ويحك ثم بقي مبهوتا فاتحا فاه شاخصا بصره يصيح بصوت له ضعيف اوه اوه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امرأته اخرجوا فانكم لا تنتفعون به الساعة فلما كان بعد ذلك سالت عن القوم فاذا ثلاثة قد افاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله واما الشيخ فانه مكث ثلاثة ايام على حالته مبهوتا متحيرا لا يؤدي فرضا فلما كان بعد ثلاث عقل وقال يحيى بن سعيد بن جبير بلغني انك لم تضحك قط فقال كيف اضحك وجهنم قد سعرت والاغلال قد نصبت والزبانية قد اعدت ويحكى ان اويس القرني كان يحضر عند القاص فيبكي من كلامه فاذا ذكر النار صرخ اويس ثم يقوم منطلقا فيتبعه الناس فيقولون مجنون وقال معاذ بن جبل ان المؤمن لا يسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وراءه وكان طاوس يفرش فراشه ثم يضطجع فيتقلى كما تتقلى الحبة في المقلى ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول طير ذكر جهنم نوم الخائفين وقال الحسن البصري يخرج من النار رجل بعد الف عام يا ليتني كنت ذلك الرجل وانما قال ذلك لخوفه من الخلود وسوء الخاتمة ه

قال رحمه الله تعالى في كتاب الفقر والزهد وهو الرابع من كتب ربع المنجيات بعد بيان حقيقة الفقر و بيان فضيلته بالآيات والاخبار والآثار بما لا مزيد عليه كما هو دأبه رحمه الله تعالى واما بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين فقد قال صلى الله عليه وآله طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وآله يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا فالاول للقانع وهذا للراضي ويكاد يشعر هذا بمفهومه ان الحريص لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة في فضل الفقراء تدل على ان له ثوابا كما سيأتي تحقيقه فلعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة لفعل الله في حبس الدنيا عنه ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه انكار على الله وكراهة في فعله فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر وروي عن النبي صلى الله عليه وآله ان لكل شيء مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله يوم القيامة وقال ايضا احب العباد الى الله الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى و قال صلى الله عليه وآله اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيامة انه كان اوتي قوتا في الدنيا واوحى الله تعالى الى اسماعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم من اجلي قال ومن هم قال الفقراء الصادقون وقال صلى الله عليه وآله يقول الله تعالى يوم القيامة اين صفوتي من خلقي فتقول الملائكة من هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعين بعطائي الراضين بقدري ادخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون فهذا في القانع والراضي واما الزاهد فسنذكر فضله في الشطر الثاني من الكتاب

ثم قال رحمه الله في بيان فضيلة الفقر على الغنى اعلم ان الفقر والغنى اذا اخذا مطلقا لم يسترب من قرأ الاخبار والآثار في تفضيل الفقر ولا بد فيه من تفصيل فنقول انما يتصور الشك في مقامين ا

فقير صابر ليس بحريص على الطلب بل هو قانع او راض بالاضافة الى غني منفق ماله في الخيرات ليس حريصا على امساك المال والثاني فقير حريص مع غني حريص اذ لا يخفى ان الفقير القانع افضل من الغني الحريص الممسك وان الغني المنفق ماله في الخيرات افضل من الفقير الحريص اما الاول فربما يظن ان الغني افضل من الفقير لانهما تساويا في ضعف الحرص على المال والغني متقرب بالصدقات والخيرات والفقير عاجز عنها وهذا هو الذي ظنه ابن عطاء فيما نحسبه فاما الغني المتمتع بالمال وان كان في مباح فلا يتصور ان يفضل على الفقير القانع وقد استشهد له بما روي في الخبر ان الفقراء شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال

سبقن الاغنياء بالخير والجهاد والحج قال فلاتواعدوا وكانوا يقولون لهم
والصدقات والعتق والحج وذكر لهم انهم اتوا بالحج والجهاد سبقن بنيانه ادا ولبيه ابا التسبيح قال النبي
فعلمهم كلمات في التسبيح فتعلم الاغنياء ذلك فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكره قال فقال
بها فوق ما نالوا الاغنياء فقال عليه السلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهو ذو الفضل العظيم ثم قال ابن
فعادوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان شئتم ان تفضلوا عليهم فاذا استقمتم على ذلك عملتم مثل عملهم
وقد استشهد ابن عطاء بهذا الحديث على ان الغنى الشاكر افضل من الفقير الصابر قال فقد دعا لهم
الاول بعد نظر لان الخبر قد روي مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك وهو ان ثواب الفقير افضل من
زيد على ثواب الغني وان قوما من الفقراء بعثوا رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الفقراء
قال بعث الفقراء رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه
فقال قالوا يا رسول الله بلغ عن الفقراء ان لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للاغنياء اما الخصلة الاولى
الى النبي صلى الله عليه وسلم والى ما بلغ عن الفقراء ان في الجنة غرفا ينظر اليها اهل الجنة كما ينظر اهل الارض الى نجوم السماء لا يدخلها الا نبي فقير او شهيد فقير او مؤمن فقير
اهل الجنة كما ينظر اهل الارض الى الكواكب والثانية يدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام والثالثة اذا قال الغني سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني الفقير وان انفق فيها عشرة الاف درهم وكذلك اعمال البر كلها فرجع اليهم فقالوا رضينا رضينا
عشرة الاف درهم وكذلك اعمال البر كلها وانما قال بعض الشيوخ ان الغني الشاكر افضل من الفقير الصابر
فان قيل فما ذكرتم ان القلب افضل من قال اما عمل واحد كالزكاة افضل
جزء من ثواب الفقراء على ذكرهم وانما قولهم ان الغني وصف الحق وصفات الله تعالى والفقر وصف العبد فالاغنى به افضل
فانقطع ولم ينطق وانما خرج فقالوا الشكر من صفات الربوبية والصبر من صفات العبودية فصفة الربوبية افضل للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية بعينها نازع فيها
العبد افضل لان صفات العبودية افضل للعبد وتفضيل الغنى على الفقر كما قال بعض من قال بالتكبر فيما يتعلق به فما نازع فيه
فما روي عن عطاء انه ان كان الاستغناء بالمال فقد ذكرنا ان الغني اذا اغنى وهو في تفضيل الغنى وصف العبد وليس للعبد ان يعافى
فيها لانها صفات الله تعالى فان هذا اذكر نناقض قول المفضل لان الغنى صفة الحق والعلم وصف العبد بالجهل والعلم وهذا لا ريب فيه وكل ما ذكرناه في كتاب الصبر
ولكلمات قاصرة لا يعبد بها فقضيتها اذكرنا ان وصف العبد بالجهل والعلم فكشفت الغطاء في هذا وهو ان المال يراد لغيره ويطلب لا لعينه بل لغيره ومعنى ان العبد
ذم الغنى وفضل الفقر لانه وصف العبد والعلم فكشفت الغطاء والعبد بالانفصال على العلم وهو ان المال يراد لغيره اذ ليس مقصوده ان يعطي
العقلاء على الفقر وهو ان المال ليس مقصودا لعينه
والدنيا ليست مقصودة لعينها
الى مقصوده

كونها عايقة عن الوصول الى الله ولا الفقر مطلوب لعينه ولكن لان فيه فقد العايق عن الله وعدم الشاغل عنه وكم
من فقير لشغله الفقر وصرفه عن المقصد وغاية المقصود في الدنيا هو حب الله تعالى والانس به ولا يكون ذلك
الا بعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من الشواغل
وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا اذ لا يجتمع معه حب الله في القلب والمحب للشيء مشغول به سواء كان في فراقه
او في وصاله وربما يكون شغله في الفراق اكثر وربما يكون في الوصال اكثر والدنيا معشوقة الغافلين والمحروم عنها
مشغول بها وبطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع منها فاذن ان فرضت فارغين عن حب
المال بحيث صار المال في حقهما كالماء استوى القاعد والواجد اذ كل واحد منهما غير متمتع الا بقدر الحاجة ووجود قدر
الحاجة افضل من فقده اذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة وان اخذت الامر باعتبار الاكثر فالفقر
عن الخطر ابعد اذ فتنة السراء اشد من فتنة الضراء ومن العصمة ان لا تقدر ولذلك قالت الصحابة ابتلينا بفتنة
الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر وهذه خلقة الادميين كلهم الا الشاذ الفذ الذي لا يوجد في الاعصار
الكثيرة الا نادرا فلما كان خطاب الشرع مع الكل لا مع النادر والفقر اصلح للكل دون النادر زجر الشرع عن
الغنى وذمه وفضل الفقر ومدحه حتى قال عيسى عليه السلم لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم
يذهب بنور ايمانكم وقال بعض العلماء تقليب الاموال يمص حلاوة الايمان وفي الخبر ان لكل امة عجل
وعجل هذه الامة الدينار والدرهم وكان اصل عجل قوم موسى من حلية الذهب والفضة ايضا
واستواء المال والماء والذهب والحجر انما يتصور للانبياء ثم يتم لهم بعد فضل الله تعالى بطول
المجاهدة اذ كان صلى الله عليه وسلم يقول للدنيا اليك عني اليك عني اذ كانت الدنيا تتمثل له بزينتها
وكان علي عليه السلم يقول يا صفراء غري غيري ويا بيضاء غري غيري وذلك لاستشعاره في نفسه
مبادي الاغترار بها لولا ان راى برهان ربه وذلك هو الغنى المطلق اذ قال عليه السلم ليس
الغنى بكثرة العرض انما الغنى غنى النفس واذا كان ذلك بعيدا فاذن الاصلح للكافة الخلق فقد المال
وان تصدقوا بها وصرفوها الى الخيرات لانهم لا ينفكون في القدرة على المال عن انس بالنفس بهذا
العالم وبقدر ما يانس العبد بالدنيا يستوحش من الاخرة وبقدر ما يانس بصفة من صفاته سوى
صفة المعرفة لله يستوحش من الله ومن محبته ومهما انقطعت اسباب الانس بالدنيا تجافى القلب عن
الدنيا وزهرتها والقلب اذا تجافى عما سوى الله وكان مؤمنا بالله انصرف لا محالة الى الله تعالى

ازديد
لا يتصور الا بوجود ما يغرس عليه بكونه
فارغ وليس فيه افضل عن غيره الا بالقرب من الله تعالى وقد اجاب به واذا
الى الله وغيره افضل عن الاخرة وقربه قال رحمه الله قال الانبياء علاقة
فقد كان في غيره ما بعده ما يقدر في الشرق والغرب الا هو الخلق وافضل الاثار
فان كان على احد وما يتعلق بالدنيا مثل الشرق والغرب ان الفقر اصلح للكافة الا ان يكون تاركا للدنيا وعبادة الله ذات الاثار
بعد من الاخرة او بعيد او قد يطلق الفقر على الفقير ان وصف الغني وقد يقال الغني افضل من الفقير
كان ذلك على الاخرة لانه اضعف ويقدر ضعف علاقته بها لا بغيره وقد قال بعض السلف مثل من يطلب الدنيا مثل شارب ماء البحر
الفقر والنسبة بالدنيا ليست وراءه لاعبا بها بل قال بعض العارفين ان ما يرد على الفقير من اقارب وافتقاره الى غني
الحكايات التي تستحق كما قرره في باب الشكر وكان ابو بكر رضي الله عنه اذ قال العاصي ونعمة تطول ان يصبر على
ان قلت فارغ عن الدنيا وبيان بدهية الفقراء انهم الذين هم اصحاب الحق وافضل من ذلك صح فهو افضل للعبد
الناس ما يحتاجونه الا ما يخففه ذلك يتصل بالغنى واما الفقر فاعطا اذ ان الغنى وصف الحق الذي هو افضل
فلا وسعة فيها ومع ذلك فالاغنياء يطلبون المال ليس عندهم ان تنحو ما ذكره ان عطا وغيره من انه يسبق الاغنياء
الفقراء بالمعنى اشرف من اصحاب وما ذكر من ان الغنى افضل للعبد وهو ان العبد يتصف بصفات الربوبية
وسعل الغلط وشدة الجهالة يوجب العذاب الشديد كما قلنا وقد كان ما ذكر في الاول ان الدين والعلم لا يستحق
وعدمه جميعا فان استحل كلاهما عنده فان كان قصور البرق والبرق وما ذكر في الاول وهو ان العلم لا يستحق
غني بذاته لا ما يتصور زواله والمال الحق لا يليق بالعبد عن صفات الحق وما ذكر ان المتكبر على الله
بريد بها المال وما ذكر من صفات الحق ان يتمتع بها بالعبد عن صفات الحق ان يتكبر على الله ويتصف
باخلاق الله قالوا لهذا يقول بعض المشايخ ان التكبر لا يليق بالعبد فان التكبر على الكافر والعاصي
ولكل واحد نصيب واما التكبر على الكافر وعلى العاصي وعلى المؤمن فان الله تعالى احد ابدا وليس ذلك
اوصافه الذي يكون لمن يستحقه كما يتكبر المؤمن على الكافر والمبتدع والعبد مامور بان يطلب اعلى المراتب
الله فاما التكبر على من يستحقه وبه التكبر على المؤمن والابداء وليس لك ذلك ولكن بالاستحقاق كلام من لا يعرف الحق
فقد يراد بالتكبر الزهو والصلف والايذاء وهو مذموم كله كما ان الاعلم من الخلق والاستغناء عن الشيء
علي وليس له ان يعلم وانه يعلم والعاقل ان يعلم ان كل شيء احد
ابدا
اذن

وادرك الى الله تعالى حينئذ فلو راى الانسان بعينه بهذه الصفة رؤية محققة لا شك فيها لكان صفة الكبر
حاصلة ولا عيب به وفضيلة في حقه الا انه لا سبيل له الى معرفته فان ذلك موقوف على الخاتمة و
ليس يدري الخاتمة كيف تتفق فلجهله وجب ان لا يعتقد لنفسه رتبة فوق الكافر اذ ربما
يختم للكافر بالايمان ويختم له بالكفر فلم يكن ذلك لائقا به لقصور علمه عن معرفة العاقبة ولما تصور ان يعلم
الشيء على ما هو كان العلم كمالا في حقه لانه من صفات الله ولما كان معرفة بعض الاشياء قد تضره
صار ذلك العلم نقصانا في حقه اذ ليس من اوصاف الله تعالى علم يضره فمعرفة الامور التي لا ضرر فيها
هي التي تتصور في العبد من صفات الله فلا جرم هو منتهى الفضيلة وبه فضل الانبياء والاولياء والعلماء
فاذن لو استوى عنده وجود المال وعدمه فهو نوع من الغنى يضاهي بوجه من الوجوه الغنى الذي
يوصف به الله سبحانه وتعالى فهو فضيلة اما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه اصلا المقام الثالث
في نسبة حال الفقير الحريص الى الغني الحريص فلنفرض ذلك في شخص واحد وهو طالب للمال
وساع فيه وفاقد له ثم وجده فله حال الفقد وحالة الوجود فاي حالتيه افضل فنقول ينظر ان
كان مطلوبه لا بد منه في المعيشة وكان قصده ان يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه فحال الوجود
افضل لان الفقد يشغله بالطلب وطالب القوت لا يقدر على الفكر والذكر الا قدرة مدخولة
بشغل والمكفي هو القادر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال كاد الفقر ان يكون
كفرا اي الفقر مع الاضطرار فيما لا بد منه وان كان المطلوب فوق الحاجة او كان المطلوب قدر
الحاجة ولكن لم يكن المقصود منه الاستعانة به على سلوك السبيل فحالة الفقر اصلح وافضل
لانهما استويا في الحرص وحب المال وفي ان كل واحد لا يقصد به الاستعانة على الطريق
فاستويا في ان كل واحد معرض لمعصيته بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا في ان الواجد
يانس بما وجده فيتاكد حبه في قلبه ويطمئن الى الدنيا والفاقد المضطر يتجافى قلبه عن
الدنيا ويكون الدنيا عنده مثل السجن الذي يبغي الخلاص منه ومهما استوت الامور كلها و
خرج من الدنيا رجلان احدهما اشد ركونا الى الدنيا فحاله اشد لا محالة اذ يلتفت قلبه الى
الدنيا ويستوحش من الاخرة بقدر تاكد انسه بالدنيا وقد قال عليه السلم ان روح القدس
نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه وهذا تنبيه على ان فراق المحبوب شديد

[illegible]

بيان آداب الفقير في فقره

[illegible]

قال رحمه الله الشطر الثاني من الكتاب في الزهد وفيه بيان حقيقة الزهد

اعلم ان الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات
لان ابواب الايمان كلها كما قال السلف ترجع الى عقد وقول وعمل وكان القول لظهوره اقيم مقام الحال اذ به يظهر
الحال الباطن والا فليس القول مرادا لعينه وان لم يكن صادرا عن حال سمي اسلاما ولم يسم ايمانا والعلم هو
السبب للحال يجري مجرى المثمر والعمل من الحال يجري مجرى الثمرة فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل اما
الحال فنعني بها ما يسمى زهدا وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير منه فكل من عدل عن شيء
الى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فانما عدل عنه لرغبته عنه وانما عدل الى غيره لرغبته فيه فحاله بالاضافة الى
المعدول عنه يسمى زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وحبا فاذن يستدعي حال الزهد مرغوبا
عنه ومرغوبا اليه هو خير من المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه ان يكون ايضا هو مرغوب فيه بوجه من
الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوبا في نفسه لا يسمى زاهدا فتارك التراب والحجر والحشرات لا يسمى زاهدا و
انما يسمى تارك الدراهم والدنانير زاهدا الا ان التراب والحجر ليس في مظنة الرغبة وشرط المرغوب اليه
ان يكون خيرا عنده من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة فالبايع لا يقدم على البيع الا والمشتري عنده
خير من المبيع فيكون حاله بالاضافة الى المبيع زهدا فيه وبالاضافة الى العوض رغبة وحبا ولذلك قال
الله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين معناه باعوه ووصف اخوة يوسف
بالزهد فيه اذ طمعوا في ان يخلو لهم وجه ابيهم وكان ذلك عندهم احب اليهم من يوسف فباعوه طمعا في العوض فاذن
كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو ايضا زاهد ولكن في الآخرة
ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن زهد في الدنيا كما خصص اسم الالحاد بمن يميل الى الباطل خاصة وان
كان هو الميل في وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجملة لم يتصور الا بالعدول الى شيء هو احب
منه والا فترك المحبوب لغير الاحب محال والذي يرغب عن كل ما سوى الله تعالى حتى الفراديس ولا يحب
الا الله تعالى فهو الزاهد المطلق والذي رغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ في الآخرة بل طمع
في الحور والقصور والفواكه والانهار فهو ايضا زاهد ولكنه دون الاول والذي ترك من حظوظ الدنيا البعض
دون البعض كالذي يترك المال دون الجاه او يترك التوسع في الاكل ولا يترك التجمل في الزينة فلا يستحق

[illegible]

فقال صلى لا تقل هكذا ولكن قل ارنا الدنيا كما اريتها الصالحين من عبادك وهذا لان الله تعالى يراها حقيرة كما ان كل
مخلوق هو بالاضافة الى جلاله حقير والعبد يراها حقيرة في حق نفسه بالاضافة الى ما هو خير له ولا يتصور ان
يرى بايع الفرس وان رغب عن فرسه كما يرى بايع حشرات الارض لانه مستغن عن الحشرات اصلا وليس مستغنيا عن
الفرس والله تعالى غني بذاته عن كل ما سواه فيرى الكل في درجة واحدة بالاضافة الى جلاله ويراه متفاوتا بالاضافة
الى غيره والزاهد هو الذي يرى تفاوته بالاضافة الى نفسه لا الى غيره واما العمل الصادر عن حال الزهد فهو
ترك واحد لانه بيع ومعاملة واستبدال للذي هو خير بالذي هو ادنى فكما ان العمل الصادر من عقد البيع هو ترك
المبيع واخراجه من اليد واخذ العوض فكذلك الزهد يوجب ترك المزهود فيه بالكلية وهي الدنيا باسرها مع
اسبابها ومقدماتها وعلايقها فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات ويخرج من اليد والعين ما اخرج
من القلب ويوظف على اليد والعين وساير الجوارح وظايف الطاعات والا كان كمن سلم المبيع ولم ياخذ
الثمن فاذا وفى بشرط الجانبين في الاخذ والترك فليستبشر ببيعه الذي بايع به فان الذي بايعه بهذا البيع وفى
بالعهد فمن اسلم حاضرا في غايب وسلم الحاضر واخذ يسعى في طلب الغايب سلم اليه الغايب حين فراغه من سعيه ان
كان العاقد ممن يوثق بصدقه وقدرته ووفائه بالعهد وما دام ممسكا للدنيا لا يصح زهده اصلا ولذلك لم
يصف الله اخوة يوسف في الزهد في بنيامين وان كانوا قد قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وعزموا
على ابعاده كما عزموا على يوسف حتى تشفع فيه احدهم فترك ولا وصفهم ايضا بالزهد في يوسف عند العزم
على اخراجه الا عند التسليم والبيع فعلامة الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج فان اخرجت عن
اليد بعض الدنيا دون البعض فانت زاهد فيما اخرجت فقط ولست زاهدا مطلقا وان لم يكن
لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد لان ما لا يقدر عليه لا يقدر على تركه وربما يستهويك
الشيطان بغروره ويخيل اليك انك وان لم تاتك فانت زاهد فيه فلا ينبغي ان تتدلى بحبل غروره دون ان
تستظهر بموثق غليظ من الله فانك ان لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عند القدرة فكم من
ظان بنفسه كراهة المعاصي عند تعذرها فلما تيسرت له اسبابها من غير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها
واذا كان هذا غرور النفس في المحظورات فاياك وان تثق بوعدها في المباحات والموثق الغليظ ان
تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة فاذا وفت بها وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والاعذار

فيكون انما بغير الله ... وترك التنعم بالتراب والنسوان طمعا في الحور العين وترك التبخر في البساتين طمعا في بساتين الجنة ...
طمعا في اشربة الجنة وترك التنعم بالسراري والنسوان طمعا في الحور العين ...
التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة وترك المطاعم اللذيذة طمعا في فواكه الجنة ...
في صومكم الدنيا فانه في جميع ذلك ما يعد به ... الاخرة خير وابقى وما سوى هذا انما معاملات دنيوية لا جدوى لها في الاخرة

باب في فضيلة الزهد

قال الله تعالى ... وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا
ووصف

ووصف اهله بالعلم وهو غاية الثنا ، وقال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قيل
معناه ايهم ازهد فيها فوصف الزهد بانه من احسن الاعمال وقال تعالى من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها
وما له في الاخرة من نصيب وقال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم
فيه ورزق ربك خير وابقى وقال تعالى الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة فنه وصف الكفار فمفهومه
ان المومن هو الذي يتصف بضده وهو ان يستحب الاخرة على الحيوة الدنيا واما الاخبار فما ورد منها
في ذم الدنيا من المهلكات وكل ذلك منتص على فضيلة بغض الدنيا فانه من المنجيات وهو المعنى بالزهد وقد قال
صلى الله عليه واله من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم ياته
من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الاخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته
الدنيا وهي راغمة وقال صلى الله عليه واله اذا رايتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة
وقد قال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولذلك قيل من زهد في الدنيا اربعين يوما اجرى الله ينابيع
الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وعن بعض الصحابة انه قال قلنا يا رسول الله اي الناس خير قال كل
مومن مخموم القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما مخموم القلب قال التقي النقي الذي لا غش فيه
ولا غل ولا بغي ولا حسد قيل يا رسول الله فمن على اثره قال الذي يشنا الدنيا ويحب الاخرة ومفهومه
ان شر الناس الذي يحب الدنيا وقال صلى الله عليه واله ان اردت ان يحبك الله فازهد في الدنيا فجعل الزهد سببا
للمحبة فمن احبه الله فهو في اعلى الدرجات فينبغي ان يكون الزهد من افضل المقامات ومفهومه ان محب
الدنيا متعرض لبغض الله وفي خبر من طريق اهل البيت الزهد والورع يجولان في القلب كل ليلة فان
صادفا قلبا فيه الايمان والحيا اقاما فيه والا ارتحلا ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه واله انا مومن حقا
قال وما حقيقة ايمانك فقال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكاني بالجنة والنار
وكاني بعرش ربي بارزا فقال صلى الله عليه واله عرفت فالزم هذا عبد نور الله قلبه فانظر كيف بدا باظهار حقيقة
الايمان بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه واله اذ قال عبد نور الله قلبه اي
بالايمان ولما سئل رسول الله صلى الله عليه واله عن معنى الشرح في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
فقيل له ما هذا الشرح قال ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح فقيل يا رسول الله هل لذلك

الايمان الى دار الخلود ... وقال الله تعالى ...
قال تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون ...
الا تحبوا ان لا تاكلون ولا تبنون ما لا ... لا اله الا الله لا تخلطوا معها غيرها ...
خطبنا رسول الله صلى الله عليه واله ... وقيل ... ان الدنيا ...
ما لا تخلطوا معها غيرها ...
الا الله ليس معها شي ...
به لسانه وعرفه ...
الحواريين ... قال عيسى عليه السلام ...
عظمت ... فعرض عليها رسول الله ...
الا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ...
وبكيت لما رايت به من الجوع فقال يا عائشة ...
من الارض ولكني اخترت الجوع ...
لا انال محمدا يا عائشة ان الله لم يرض من اولي العزم من الرسل الا بالصبر ...
تكلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ... ولا قوة الا بالله
وكان ... قال

قال لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين كان خضرة البقل ترى في بطنه من الهزال فهذا كان ما اختاره انبياء الله
المرسلون وهم اعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز في الاخرة وفي حديث عمر انه لما نزل والذين
يكنزون الذهب والفضة الاية قال عليه السلام تبا للدينار والدرهم فقلنا نهانا الله عن كنز الذهب والفضة فاي شي
ندخر فقال صلى الله عليه واله ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على امر الاخرة وفي حديث حذيفة
عن رسول الله صلى الله عليه واله من اثر الدنيا على الاخرة ابتلاه الله بثلاث هما لا يفارق قلبه ابدا وفقرا لا يستغني ابدا وحرصا
لا يشبع ابدا وقال صلى الله عليه واله لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى ان يكون
قلة الشي احب اليه من كثرته وقال عيسى عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وقيل له يا نبي الله لو امرتنا
ان نبني بيتا نعبد الله فيه فقال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء فقالوا كيف يستقيم بنيان على الماء قال وكيف
يستقيم عبادة على حب الدنيا وقال صلى الله عليه واله ان ربي عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا
قلت لا يا رب ولكن اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي
اشبع فيه فاحمدك واثني عليك وقال صلى الله عليه واله اذا اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الاخرة
وبصره بعيوب نفسه وقال صلى الله عليه واله ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس وقال من اشتاق
الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار لهى عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا
هانت عليه المصيبات وقال عيسى ومن ساعدها السلام اربعة لا يدركن الا بعجب الصمت وهو اول العبادة و
التواضع وكثرة الذكر وقلة الشي وجملة الاخبار الواردة في مدح بغض الدنيا وذم حبها لا يمكن ان احصي
ما بعث الا لصرف الناس عن الدنيا الى الاخرة فاليه يرجع اكثر كلامهم مع الخلق وفيما اوردناه كفاية **واما**
الاثار فقد جاء في الاثر لا يزال لا اله الا الله يدفع عن العبيد سخط الله تعالى ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم و
في لفظ اخر ما لم يوثروا صفقة دنياهم على دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم لستم
بها صادقين الى غير ذلك مما يكثر ذكره

بيان درجات الزهد واقسامه بالاضافة الى نفسه

والى المرغوب عنه والى المرغوب فيه اعلم ان الزهد في نفسه متفاوت بحسب تفاوت قوته على ثلاث درجات
الدرجة السفلى منها ان يزهد في الدنيا وهو لها مشتهي وقلبه اليها مائل ونفسه اليها ملتفت ولكنه يجاهدها و
يكفها وهذا يسمى المتزهد وهو مبدا الزهد في حق من يصل الى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والمتزهد

نفسه ثم كيسه والزاهد اولا يذيب كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعات لا في الصبر على ما فارقه والمتزهد على خطر فانه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والى الاستراحة بها في قليل او كثير الدرجة الثانية الذي يترك الدنيا طوعا لاستحقاره اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كالذي يترك درهما لاجل درهمين فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت اليه كما يرى البائع المبيع ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ويظن في نفسه انه ترك شيئا له قدر لما هو اعظم قدرا منه وهذا ايضا نقصان الدرجة الثالثة وهي العليا ان يزهد طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهده اذ لا يرى انه ترك شيئا اذ عرف ان الدنيا لا شيء فيكون كمن ترك خزفة واخذ جوهرة فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات الى الدنيا كما ان تارك الخزفة بالجوهرة آمن من طلب الاقالة في البيع قال ابو يزيد رحمه الله لابي موسى عبد الرحيم في اي شيء تتكلم قال في الزهد قال في اي شيء قال في الدنيا فنفض يده وقال ظننت انه يتكلم في شيء الدنيا لا شيء ايش يزهد فيها ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند اهل المعرفة مثل من منعه عن باب الملك كلب على بابه فالقى اليه لقمة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ امره في جميع مملكته افترى انه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز القاها الى كلبه في مقابلة ما قد ناله فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع ان الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة ان اكلتها فلذتها في حال المضغ وتنقضي على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقلها في المعدة ثم تنتهي الى النتن والقذر ثم يحتاج بعد ذلك الى اخراج ذلك الثقل فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت اليها ونسبة الدنيا كلها اعني ما يسلم لكل شخص منها وان عمر مائة سنة بالاضافة الى نعيم الآخرة اقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا اذ لا نسبة للمتناهي الى ما لا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تتمادى الف الف سنة صافية عن كل كدورة لما كان لها نسبة الى نعيم الابد فاذن لا يلتفت الزاهد الى زهده الا اذا التفت الى ما زهد فيه ولا يلتفت الى ما زهد فيه الا لاستعظامه له ولا يستعظمه الا لقصور معرفته فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذه درجات الزهد وكل درجة من هذه ايضا لها درجات اذ تصبر المتزهد يختلف باختلاف قدر المشقة في الصبر وكذلك درجة المعجب بزهده

واما

واما انقسام الزهد بالاضافة الى المرغوب فيه فهو ايضا على ثلث درجات الدرجة السفلى ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار وساير الالام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وساير ما بين يدي العبد من الاهوال كما وردت به الاخبار اذ فيها ان الرجل ليوقف في الحساب حتى لو ورد مائة بعير عطاش على عرقه لصدرت رواء فهذا زهد الخائفين وكانهم رضوا بالعدم لو اعدموا فان الخلاص من الالم يحصل بمجرد العدم الدرجة الثانية ان يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه واللذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيره وهذا زهد الراجين فان هولاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الالم بل طمعوا في وجود دايم ونعيم قايم لا آخر له الدرجة الثالثة وهي العليا ان لا يكون له رغبة الا في الله وفي لقائه فلا يلتفت قلبه الى الالام ليقصد الخلاص منها ولا الى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذي اصبح وهمومه هم واحد وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى لان من طلب غير الله فقد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالاضافة الى مطلوبه وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين وهم العارفون لانه لا يحب الله خاصة الا من عرفه وكما ان من عرف الدينار والدرهم وعلم انه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب الا الدينار فمن عرف الله وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف ان الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور العين والنظر الى نقش القصور وخضرة الاشجار غير ممكن فلا يحب الا لذة النظر ولا يوثر غيره ولا تظنن ان اهل الجنة عند النظر الى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك اللذة بالاضافة الى لذة نعيم الاستيلاء على عصفور واللعب به والطالبون لنعيم الجنة عند اهل المعرفة وارباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك لا لان اللعب بالعصفور في نفسه اعلى والذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق واما انقسامه بالاضافة الى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الاقاويل ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا نشتغل بنقل الاقاويل ولكن نشير الى كلام محيط وتفصيل وللتفصيل مراتب بعضها اشرح لاحاد الاقسام وبعضها اجمع للجمل اما الاجمال في الدرجة الاولى فهو كل ما سوى الله فينبغي ان يزهد فيه حتى يزهد في نفسه ايضا والاجمال في الدرجة الثانية ان يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها والاجمال في الدرجة الثالثة ان يزهد في المال والجاه واسبابهما اذ اليهما ترجع حظوظ النفس وفي الرابعة ان يزهد في العلم

والقدرة والدينار والدرهم والجاه وان كثر اسبابه فيرجع الى العلم والقدرة واعني به كل علم وقدرة مقصودها ملك القلوب اذ معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها كما ان معنى المال ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل الى شرح وتفصيل ابلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا ثم رده في آية اخرى الى خمسة فقال اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد ثم رده في موضع آخر الى اثنين فقال وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو ثم رد الكل في موضع آخر الى واحد فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي ان يكون الزهد فيه واذا عرفت طريق الاجمال والتفصيل عرفت ان البعض من هذه لا يخالف البعض وانما يفارقه في الشرح مرة والاجمال اخرى والحاصل ان الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا فقصر امله لا محالة لانه يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدايم بارادة البقاء فان من اراد شيئا اراد دوامه ولا معنى لحب الحيوة الا حب دوام ما هو موجود او ممكن في هذه الحيوة فاذا رغب عنها لم يردها ولذلك لما كتب عليهم القتال قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل اي لستم تريدون البقاء الا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين اما الزاهدون المحبون لله فقاتلوا في سبيل الله كانهم بنيان مرصوص واستيقنوا احدى الحسنيين وكانوا اذا دعوا الى القتال يستنشقون رائحة الجنة ويبادرون اليه مبادرة الظمآن الى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله او نيل رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة واما المنافقون ففروا من الزحف خوفا من الموت فقيل لهم ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم فايثارهم البقاء على الشهادة استبدال الذي هو ادنى بالذي هو خير فاولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين واما المخلصون فان الله اشترى منهم انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فلما راوا انهم تركوا تمتع عشرين سنة او ثلثين بتمتع الابد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا به وهذا بيان المزهود فيه واذا فهمت هذا علمت ان ما ذكره المتكلمون في

حد

في حد الزهد لم يشيروا به الا الى بعض اقسامه فذكر كل واحد ما رآه غالبا على نفسه او على من كان يخاطبه فقال بشر الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس وهذا اشارة الى الزهد في الجاه خاصة وهكذا الى

ثم قال رحمه الله وفي الزهد اقاويل ورآء ما ذكرناه فلم نر في نقله فائدة فان من طلب كشف حقائق الامور من اقاويل الناس ورآها مختلفة فلا يستفيد الا الحيرة واما من انكشف له الحق في نفسه وادركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من سمعه فقد وثق بالحق واطلع على قصور من قصر لقصور بصيرته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاهمام حاجته وقد يكون سببا لاقتصار الاخبار عن الحالة الراهنة التي هي مقام العبد في نفسه والاحوال تختلف فلا جرم الاقوال المخبرة عنها تختلف واما الحق في نفسه فلا يكون الا واحدا ولا يتصور ان يختلف وانما الجامع من هذه الاقاويل الكامل في نفسه وان لم يكن فيه تفصيل ما قاله ابو سليمان الداراني اذ قال الزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله وقد فصل مرة وقال من تزوج او سافر في طلب المعيشة او كتب الحديث فقد ركن الى الدنيا فجعل جميع ذلك ضد الزهد وقد قرأ ابو سليمان قوله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم قال هو القلب الذي ليس فيه غير الله وقال انما زهدوا في الدنيا لتفرغ قلوبهم من همومها للآخرة فهذا بيان انقسام الزهد بالاضافة الى اصناف المزهود فيه فاما بالاضافة الى احكامه فينقسم الى فرض ونفل وسلامة فالفرض هو الزهد في الحرام والنفل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات وقد ذكرنا درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وذلك من الزهد اذ قيل لمالك بن انس ما الزهد فقال التقوى واما بالاضافة الى خفايا ما يترك فلا نهاية للزهد فيه اذ لا نهاية لما يتمتع به النفس في الخطرات واللحظات وساير الحالات لا سيما خفايا الرياء فان ذلك لا يطلع عليه الا سماسرة العلماء بل الاموال الظاهرة ايضا درجات الزهد فيها لا تتناهى فمن اقصى درجاتها زهد عيسى عليه السلام اذ توسد حجرا في نومه فقال له الشيطان اما كنت تركت الدنيا فما الذي بدا لك فقال وما الذي تجدد فقال توسدك الحجر اي تنعمت برفع راسك عن الارض في النوم فرمى الحجر وقال خذه مع ما تركته لك وروي عن يحيى بن زكريا انه لبس المسوح حتى نقب جلده تركا للتنعم بلين اللباس واستراحة حس اللمس فسالته امه ان يلبس مكانها جبة من صوف ففعل فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى آثرت علي الدنيا فبكى ونزع الصوف وعاد الى ما كان وجلس عيسى عليه السلام في ظل حائط انسان فاقامه صاحب الحائط فقال ما اقمتني انما اقامني الذي لم يرض لي ان اتنعم بظل الحائط فاذن درجات الزهد ظاهرا وباطنا

قال عيسى عليه السلام [illegible] الزهد [illegible]

[illegible]

حب الخلق له وكيفية الاحتراز منه في كتاب الجاه من ربع المهلكات ونحن الآن نقتصر على بيان هذه المهمات
الأول المطعم ولا بد للإنسان من قوت حلال يقيم صلبه ولكن له طول وعرض فأما طوله فبالإضافة إلى جملة العمر فإن
من يملك طعام يومه فلا يقنع به وأما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت تناوله أما طوله فلا يقصر إلا بقصر الأمل
وأقل درجات الزهد فيه الاقتصار على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله فإذا استقل بما
تناوله لم يدخر من غدائه لعشائه وهذه هي الدرجة العليا الدرجة الثانية أن يدخر لشهر أو لأربعين يوما الثالثة
أن يدخر لسنة فقط وهذه رتبة ضعفاء الزهاد ومن ادخر لأكثر من ذلك فتسميته زاهدا محال لأن من أمل بقاء أكثر من سنة
فهو طويل الأمل فلا يتم منه الزهد إلا إذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الأخذ من الأيدي كداود الطائي فإنه ورث عشرين
دينارا فأمسكها وأنفقها في عشرين سنة فهذا لا يضاد أصل الزهد إلا عند من جعل التوكل شرط الزهد وأما عرضه فبالإضافة
إلى المقدار فأقل درجاته في اليوم والليلة نصف رطل وأوسطه رطل وأعلاه مد واحد وهو ما قدره الله تعالى في إطعام
المسكين في الكفارة وأما بالإضافة إلى الجنس فأقله كل ما يقوت ولو الخبز من النخالة وأما بالإضافة إلى الوقت فأقله
في اليوم والليلة مرة وهو أن يكون صائما وأوسطه أن يصوم ويشرب ليلة ولا يأكل ويأكل ليلة ولا يشرب وأعلاه
أن ينتهي إلى أن يطوي ثلاثة أيام أو أسبوعا وما زاد وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شهوته في ربع المهلكات ولينظر إلى أحوال
رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه كيف كان زهدهم في المطاعم وتركهم الإدام الثاني الملبس وأقل درجاته ما يدفع الحر
والبرد ويستر العورة وأما من حيث الوقت فأقصاه ما يبقى سنة وأقله ما يبقى يوما وأوسطه ما يتماسك عليه شهرا وما
يقاربه فطلب ما يبقى أكثر من سنة خروج إلى طول الأمل وهو مضاد للزهد إلا إذا كان المطلوب خشونته ثم قد يتبع ذلك
قوته ودوامه ومن وجد زيادة من ذلك فينبغي أن يتصدق به فإن أمسكه لم يكن زاهدا بل كان محبا للدنيا ولينظر
فيه إلى أحوال الأنبياء والصحابة كيف تركوا الملابس قال أبو بردة أخرجت عائشة كساء ملبدا وإزارا غليظا
فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وآله في هذين وقال صلى الله عليه وآله إن الله تعالى يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس واشترى
رسول الله صلى الله عليه وآله ثوبا بأربعة دراهم وكانت قيمة ثوبيه عشرة وكان إزاره أربعة أذرع واشترى سراويل بثلاثة دراهم
وكان يلبس شملتين بيضاوين من صوف وكانت تسمى حلة لأنهما ثوبان من جنس واحد وربما يلبس بردين يمانيين
أو سحوليين من هذه الغلاظ وفي الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وآله كأنه قميص زيات وعن جابر قال دخل رسول
الله صلى الله عليه وآله على فاطمة وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من أجلة الإبل فلما نظر إليها بكى وقال يا فاطمة

[illegible]

وقال صلى الله عليه وآله إن الرجال الذين يشكون الضيق منزله أوسع في السماء أي في الجنة وقال ابن مسعود يأتي قوم
يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين ويصلون إلى قبلتكم ويموتون على غير دينكم الرابع
أثاث البيت وللزهد فيه درجات وأعلاها حال عيسى عليه السلام إذ كان لا يصحبه إلا مشط وكوز فرأى
إنسانا يخلل لحيته بأصابعه فرمى المشط ورأى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى الكوز وهذا حكم كل
أثاث فإنه إنما يراد لمقصود فإذا استغني عنه فهو وبال في الدنيا والآخرة وما لا يستغنى عنه فيقتصر فيه على أقل
الدرجات وأوسطها أن يكون له أثاث بعدد الحاجة صحيح ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد
كالذي معه قصعة يشرب فيها ويأكل الثريد فيها ويحفظ المتاع فيها وأدناه أن يكون بعدد كل حاجة
آلة من الجنس النازل الخسيس فإن زاد في العدد أو في نفاسة الجنس خرج عن جميع أبواب الزهد وركن
إلى طلب الفضول ولينظر إلى سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيرة الصحابة فقد قالت عائشة كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وآله
الذي ينام عليه وسادة من أدم حشوها ليف وقال الفضيل ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وآله إلا عباءة مثنية و
وسادة من أدم حشوها ليف وروي أن عمر بن الخطاب دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو نائم على
سرير مرمول بشريط فجلس فرأى أثر الشريط في جنبه عليه السلام فدمعت عيناه فقال له صلى الله عليه وآله
ما الذي أبكاك يا ابن الخطاب قال ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك وذكرتك وأنت رسول الله وحبيبه
وصفيه نائم على سرير مرمول بالشريط فقال صلى الله عليه وآله أما ترضى يا عمر أن تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة قال بلى
يا رسول الله قال فذلك كذلك ورأى رسول الله صلى الله عليه وآله على باب عائشة سترا فهتكه وقال كلما رأيته ذكرت
الدنيا أرسلي به إلى آل فلان وفرشت له عائشة ذات ليلة فراشا جديدا وقد كان صلى الله عليه وآله ينام على عباءة
مثنية فما زال يتقلب ليلته فلما أصبح قال لها أعيدي العباءة الخلقة ونحي هذا الفراش عني فقد أسهرني الليلة
وكذلك أتته دنانير خمسة أو ستة أو عشرة عشاء فبيتها فسهر ليلته حتى أخرجها من آخر الليل قالت عائشة
فنام حتى سمعت غطيطه ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده الخامس المنكح فقد قال قائلون
لا معنى للزهد في أصل النكاح ولا في كثرته وإليه ذهب سهل بن عبد الله وقال قد حبب إلى سيد الزاهدين
النساء فكيف نزهد فيهن ووافقه ابن عيينة وقال كان أزهد الصحابة علي بن أبي طالب وكان له أربع
نسوة وبضع عشرة سرية والصحيح ما قاله أبو سليمان الداراني إذ قال كل ما شغلك عن الله من أهل ومال
وولد فهو عليك مشؤوم والمرأة قد تكون شاغلة وكشف الحق فيه أنه قد تكون العزوبة أفضل في بعض

[illegible]

طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد ان لا يسعى لطلب المحل في القلوب اصلا فان اشتغاله بالدين و
العبادة يمهد له من المحل في القلوب ما يدفع عنه الاذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين واما
التوهمات والتقديرات التي تحوج الى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي اوهام كاذبة اذ من طلب
الجاه ايضا لم يخل عن اذى في بعض الاحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر اولى من علاجه بطلب الجاه
فاذن طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه اصلا واليسير منه داع الى الكثير وضراوته اشد من ضراوة الخمر
من قليله وكثيره واما المال فهو ضروري في المعيشة اعني القليل منه فان كان كسوبا فاذا اكتسب حاجة
يومه فينبغي ان يترك الكسب كان بعضهم اذا اكتسب قدر حاجته رفع سفطه وقام هذا شرط الزهد فان
جاوز ذلك الى ما يكفيه اكثر من سنة فقد خرج من حد ضعفاء الزهاد واقويائهم جميعا وان كانت له ضيعة
ولم يكن له قوة يقين في التوكل فامسك منها مقدار ما يكفي ريعه لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر من الزهد
بشرط ان يتصدق بكل ما يفضل من كفاية سنته ويكون من ضعفاء الزهاد فان شرط التوكل في الزهد كما شرطه
اويس القرني فلا يكون هذا من الزهاد وقولنا انه خرج من حد الزهاد نعني به ان ما وعد للزاهد في الدار الاخرة
من المقامات المحمودة لا يناله والا فاسم الزهد لا يفارقه بالاضافة الى ما زهد فيه من الفضول والكثرة وامر المنفرد
في جميع ذلك اخف من امر المعيل وقد قال ابو سليمان لا ينبغي ان يرهق الرجل اهله الى الزهد بل يدعوهم
اليه فان اجابوه والا تركهم وفعل بنفسه ما شاء معناه ان التضييق المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه كل
ذلك في عياله نعم لا ينبغي ان يجيبهم ايضا فيما يخرج عن الاعتدال وليتعلم من رسول الله اذ انصرف من بيت
فاطمة بسبب ستر وقلبين لان ذلك من الزينة لا من الحاجة فاذن ما يضطر الانسان اليه من جاه ومال ليس
بمحذور بل الزائد على الحاجة سم قاتل والمقتصر على الضرورة دواء نافع وما بينهما درجات متشابهة فما يقرب من الزيادة
وان لم يكن سما قاتلا فهو مضر وما يقرب من الضرورة فهو دواء وان لم يكن دواء نافعا ولكنه قليل الضرر والسم
محظور شربه والدواء فرض تناوله وما بينهما مشتبه امره فمن احتاط فانما يحتاط لنفسه ومن تساهل
فانما يتساهل على نفسه ومن استبرأ لدينه وترك ما يريبه الى ما لا يريبه ورد نفسه الى مضيق الضرورة فهو
الاخذ بالحزم وهو من الفرقة الناجية لا محالة والمقتصر على الضرورة والمهم لا يجوز ان ينسب الى الدنيا
بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لانه شرط الدين والشرط من جملة المشروط ويدل عليه ما روي

[illegible]

رفضوا

رفضوا الدنيا بالكلية حتى قال الحسن رايت سبعين بدريا كانوا فيما احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم الله
عليكم وفي لفظ آخر كانوا بالبلاء اشد فرحا منكم بالخصب والرخاء لو رايتموهم لقلتم مجانين ولو راوا اخياركم
قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو راوا اشراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب وكان احدهم يعرض له المال
الحلال فلا ياخذه ويقول اخاف ان يفسد علي قلبي فمن كان له قلب كان يخاف من فساده والذين
امات حب الدنيا قلوبهم فقد اخبر الله عنهم اذ قال ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها والذين
هم عن اياتنا غافلون وقال ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا وقال
فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم احال ذلك كله على الغفلة وعدم
العلم ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلم احملني معك في سياحتك فقال اخرج مالك والحقني فقال لا استطيع
فقال عليه السلم بعجب يدخل الغني الجنة او قال بشدة وقال بعضهم ما من يوم الا واربعة املاك ينادون
في الافاق باربعة اصوات ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب يقول احدهم بالمشرق يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر
اقصر ويقول الاخر اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا ويقول اللذان في المغرب لدوا للموت وابنوا
للخراب ويقول الاخر كلوا وتمتعوا ليوم الحساب **بيان علامات الزهد** اعلم انه قد يظن ان تارك
المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال واظهار الخشونة سهل على من احب المدح بالزهد فكم من الرهابين
ردوا انفسهم كل يوم على قدر يسير من الطعام ولازموا ديرا لا باب له وانما سرورهم معرفة الناس حالهم و
نظرهم اليه ومدحهم له فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لا بد من الزهد في المال والجاه جميعا
حتى يكمل الزهد بل في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعي جماعة الزهد مع لبس الاصواف الفاخرة و
الثياب الرفيعة كما ذكرنا فمعرفة الزهد مشكل بل حال الزهد على الزاهد مشكل وينبغي ان يعول في
باطنه على ثلث علامات **الاولى** ان لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى لكيلا تاسوا على
ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم بل ينبغي ان يكون بالضد من ذلك وهذه علامة الزهد في المال **والثانية** ان يستوي
عنده ذامه ومادحه وهذه علامة الزهد في الجاه **والثالثة** ان يكون انسه بالله تعالى والغالب
على قلبه حلاوة الطاعة اذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة اما محبة الدنيا واما محبة الله وهما في القلب
كالماء والهواء في القدح فالماء اذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان وكل من انس بالله اشتغل به ولم

[illegible]

بغيره [illegible]

[illegible]

قال رحمه الله [illegible]

[illegible]

بيان فضيلة التوكل

[illegible] الكتاب ونذكر حال التوكل وعمله [illegible]

وعلى الله فتوكلوا [illegible] وعلى الله فليتوكل المتوكلون ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله يحب المتوكلين فاعظم بمقام موسوم بمحبة الله صاحبه ومضمون بكفاية الله ملابسه [illegible] وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقال تعالى اليس الله بكاف عبده فطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل [illegible]

بهذه الآية فانه سؤال في معرض استنطاق بالحق كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وقال تعالى ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم اي عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجأ الى ذمامه حكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم بين ان كل من سوى الله عبد مسخر حاجته مثل حاجتكم فكيف يتوكل عليه و قال ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه و قد قال تعالى ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون وكل ما ذكر في القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الاغيار والتوكل على الواحد القهار ثم ذكر رحمه الله كثيرا من الاخبار والآثار

بيان حقيقة التوحيد الذي هو اصل التوكل

اعلم ان التوكل من ابواب الايمان وجميع ابواب الايمان لا تنتظم الا بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الاصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل فلنبدأ ببيان العلم الذي هو الاصل وهو المسمى ايمانا في اصل اللسان اذ الايمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم واذا قوي سمي يقينا ولكن ابواب اليقين كثيرة ونحن انما نحتاج منها الى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له والايمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك له الملك والايمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فمن قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فقد تم له الايمان الذي هو اصل التوكل اعني ان يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه فاما التوحيد فهو الاصل والقول فيه طويل وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات يتعلق بالاعمال بواسطة الاحوال ولا يتم علم المعاملة الا بها فاذن لا نتعرض الا للقدر الذي يتعلق بالاعمال والا فالتوحيد هو البحر الخضم الذي لا ساحل له فنقول للتوحيد اربع مراتب وهو ينقسم الى لب والى لب اللب والى قشر والى قشر القشر ولنمثل ذلك تقريبا الى الافهام الضعيفة بالجوز في قشرته العليا فان له قشرتين وله لب وللب دهن هو لب اللب فالرتبة الاولى من التوحيد ان يقول الانسان باللسان لا اله الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد المنافقين والثانية ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام والثالثة ان يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بان يرى اشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة من الواحد القهار والرابعة ان لا يرى في الوجود الا واحدا وهو مشاهدة الصديقين وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا

[illegible]

يشرح صدره للاسلام وبقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وكان اللب نفيس في نفسه بالاضافة الى القشر وكانه المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالاضافة الى الدهن المستخرج منه فكذلك توحيد الفعل مقصد عال للسالكين ولكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق فان قلت كيف يتصور ان لا يشاهد الا واحدا [illegible]

قال رحمه الله

[illegible]

[illegible] فان قلت [illegible] فاعلم [illegible]

عبارات فنسم خرقه الماء عنده و فوضه على وجهه فعلا طبيعيا ومن نفسه فعلا اراديا وسمي كسبه فعلا
اختياريا والجزء في الفعل الطبيعي لانه بها وقف على وجه الماء او يخطر من السطح ما الهوا الخرق
لا محالة فيكون الخرق بعد الخطر ضروريا والتشنيع في معناه فان نسبة حركة الحنجرة الى ارادة التنفس
كنسبة انخراق الماء الى ثقل البدن فيها كان الثقل موجودا وجد الانخراق بعده وليس الثقل اليه لكن
الارادة ليست اليه ولذلك لو قصد عين انسان بابرة طبق الاجفان اضطرارا ولو اراد ان
تركها مفتوحة لا يقدر مع ان تغميض الاجفان فعل ارادي ولكنه اذا تمثل صورة الابرة في مشاهدته
بالادراك حدثت الارادة للتغميض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو اراد ان يتركها لم يقدر عليه مع انه
فعل بالقدرة والارادة فقد التحق بالفعل الطبيعي في كونه ضروريا فاما الثالث وهو الاختياري فهو
مظنة الالتباس كالكتبة والنطق وهو الذي يقال فيه ان شاء فعل وان لم يشا لم يفعل وتارة يشاء وتارة
لم يشا فيظن من هذا ان الامر اليه وهو الجهل في معنى الاختيار فلنكشف عنه وبيانه ان الارادة تبع للعلم
الذي يحكم بان الشيء موافق لك والاشياء تنقسم الى ما يحكم مشاهدتك الظاهرة والباطنة بانه
موافقك من غير تحير وتردد والى ما قد يتردد العقل فيه فالذي تقطع به من غير تردد ان تقصد عينك بابرة
او بدنك بسيف فلا يكون في علمك تردد في ان دفع ذلك خير لك وموافق فلا جرم تنبعث الارادة
بالعلم والقدرة بالارادة وتحصل حركة الاجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف ولكن من غير روية
وفكرة ويكون ذلك بالارادة ومن الاشياء ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدري انه موافق ام لا فيحتاج
الى روية وفكرة حتى يتبين ان الخير في الفعل او الترك فاذا حصل بالفكر والروية العلم بان احدهما خير
التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية وفكر وانبعثت الارادة ههنا كما انبعثت لدفع السيف والابرة
فاذا انبعث لفعل ما ظهر للعقل انه خير سميت هذه الارادة اختيارا اشتقاقا من الخير اي هو انبعاث الى ما
ظهر للعقل انه خير وهو عين تلك الارادة ولم ينتظر في انبعاثها الا ما انتظرت في انبعاث تلك الارادة وهو
ظهور خيرة الفعل في حقه الا ان الخيرة في دفع السيف ظهرت من غير روية بل على البديهة وهذا
افتقر الى الروية فالاختيار عبارة عن ارادة خاصة وهي التي انبعثت باشارة العقل فيما له في
ادراكه توقف وعن هذا قيل العقل يحتاج اليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور ان تنبعث الارادة

[illegible] فانه [illegible] قلت [illegible] فاعلم [illegible]

فلم يكاشف بالحق الا الراسخون في العلم فانهم وقفوا على كنه معناه والكافة وقفوا على مجرد لفظه مع نوع من التشبيه بعيد ما
وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك يطول ولكن بعض المقدورات مرتبة على البعض في الحدوث ترتب المشروط على الشرط
فلا يصدر من القدرة الازلية ارادة الا بعد علم ولا علم الا بعد حيوة ولا حيوة الا بعد محل الحيوة وكما لا يجوز ان
يقال الحيوة حصلت من الجسم الذي هو شرط الحيوة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط مما ظهر للعامة
وبعضها لم يظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق والا فلا يتقدم متقدم ولا يتاخر متاخر الا بالحق واللزوم وكذلك جميع
افعال الله تعالى ولولا ذلك لكان التقديم والتاخير عبثا يضاهي فعل المجانين تعالى الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا
والى هذا اشار بقوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن
اكثرهم لا يعلمون فكل ما بين السماء والارض حادث على ترتيب واجب وحق لازم ولا يتصور ان يحدث الا
كما حدث على الترتيب الذي وجد فما تاخر متاخر الا لانتظار شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال
لا يوصف بكونه مقدورا فلا يتاخر العلم عن النطفة الا لفقد شرط الحيوة ولا يتاخر عنها الارادة بعد الحيوة
الا لفقد شرطها وهو العلم وكل ذلك على منهاج الواجب وترتيب الحق وليس في شيء من ذلك لعب واتفاق
بل كل ذلك بحكمة وتدبير وتفهيم ذلك عسير ولكن نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط
مثالا يقرب مبادي الحق من الافهام الضعيفة وذلك بان تقدر انسانا محدثا قد انغمس في الماء الى رقبته فالحدث
لا يرتفع عن اعضائه وان كان الماء هو الرافع للحدث وهو ملاق لاعضائه فالقدرة الازلية حاضرة ملاقية
للمقدورات متعلقة بها ملاقاة الماء للاعضاء ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظارا
للشرط وهو غسل الوجه فاذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء وعمل الماء في سائر الاعضاء وارتفع
الحدث فربما يظن الجاهل ان الحدث ارتفع عن اليد برفعه عن الوجه لانه حدث عقيبه اذ يقول كان الماء
ملاقيا ولم يكن رافعا والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل فيه ما لم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث من
اليد عند غسل الوجه فاذن غسل الوجه هو الرافع للحدث عن اليد وهو جهل يضاهي ظن من يظن ان الحركة
تحصل بالقدرة والقدرة بالارادة والارادة بالعلم وكل ذلك خطأ بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع
الحدث عن اليد بالماء الملاقي له لا بغسل الوجه والماء لم يتغير ولم يحدث فيه شيء ولكن حدث وجود الشرط فظهر

انه لعله ...
وهكذا تتسلسل القدرات ... [illegible]
صدور القدرة ان القدرة ... آخر من عالم الملكوت ... [illegible]
الارادة ... [illegible] ... التوحيد والتوكل والاعتماد ... [illegible]
حادثة و ... [illegible] ... التوحيد الا الله ... [illegible]
فلنترك ... [illegible]
وان الفاعل ... التوحيد ... [illegible]
على ان ... [illegible]
وذلك ... [illegible]
مؤنته على ... [illegible]
فان قلت
فكيف يكون الله فاعلا وان كان العبد فاعلا ... [illegible]
واحد ... [illegible]
العبد فاعل ... [illegible]
بعد ان خلق ... [illegible]
ارتباط المخترع بالمخترع ... [illegible]
ارتبط بقدرته ... [illegible]
في القرآن مرة الى الملائكة ومرة الى العباد ... [illegible]
بكم ثم قال الله يتوفى الانفس حين موتها ... [illegible]
... [illegible]

الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ثم قال الرحمن علم القرآن وقال علمه البيان وقال ان علينا بيانه وقال تعالى
افرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله في وصف ملك الارحام
انه يدخل الرحم فيأخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا فيقول يا رب أذكر ام انثى أسوي ام معوج فيقول الله ما شاء
ويخلق الملك وفي لفظ آخر ويصور الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة او بالشقاوة وقد قال بعض السلف ان
الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الارواح في الاجسام وانه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من انفاسه روحا
يلج في جسم ولذلك سمي روحا وما ذكره من هذا الملك وصفته فهو حق شاهده ارباب القلوب ببصائرهم فاما كون
الروح عبارة عنه فلا يمكن الا ان يعلم بالنقل والحكم به دون النقل تخمين مجرد وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن
الادلة والآيات في الارض والسموات ثم قال او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقال شهد الله انه لا اله
الا هو فبين انه الدليل على نفسه وذلك ليس بمتناقض بل طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله بالنظر
الى الموجودات وكم من طالب عرف الموجودات بالله كما قال بعضهم عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي
وهو معنى قوله او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وقد وصف نفسه بانه المحيي والمميت وفوض الموت و
الحياة الى ملكين ففي الخبر ان ملك الموت وملك الحياة تناظرا فقال ملك الموت انا اميت الاحياء وقال
ملك الحياة انا احيي الموتى فاوحى الله اليهما كونا على عملكما وما سخرتما له من الصنع وانا المميت والمحيي لا يميت ولا يحيي
سواي فاذن الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تتناقض هذه المعاني اذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للذي ناوله
التمرة خذها لو لم تأتها لأتتك اضاف الاتيان اليه والى التمرة ومعلوم ان التمرة لا تأتي على الوجه الذي يأتي
الانسان اليها ولذلك لما قال ذلك الرجل اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد قال عليه السلام عرف الحق لاهله
فكل من اضاف الكل الى الله تعالى فهو المحق الذي عرف الحق والحقيقة لاهلها ومن اضاف الى غيره فهو المتجوز المستعير
في كلامه والتجوز وجه كما ان للحقيقة وجها واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع ولكن ظن ان الانسان
مخترع بقدرته فسماه فاعلا بحركته وظن انه تحقيق وتوهم ان نسبته الى الله على سبيل المجاز مثل نسبة
القتل الى الامير فانه مجاز بالاضافة الى نسبته الى الجلاد فلما انكشف الحق لاهله عرفوا ان الامر
بالعكس وقالوا ان كان الفاعل قد وضعته ايها اللغوي للمخترع فلا فاعل الا الله فالاسم له بالحقيقة

ولعموم ...
بالمجازة اي ... [illegible]
... [illegible] ... بعض الاعراب ... اصدق ... [illegible]
صدق ... [illegible] ... وقال عليه ... [illegible]
وانما ... [illegible]
قاله ... [illegible]
وانما ... [illegible]
الا الله القيوم الحي الذي ليس كمثله شيء ... [illegible]
فان قلت
سواه باطل ... [illegible]
لم يكن ... [illegible]
فاعلم
على فعل نفسه ... [illegible]
التوحيد الذي ... [illegible]
سعتها ... [illegible]
وهذا الايمان ... [illegible]
لا يستريب فيه ... [illegible]
وخلق ... [illegible]
وان الله ... [illegible]
عن بدء الملك والملكوت ... [illegible]
الخلق ... [illegible]
بل كل ما خلق الله تعالى ... [illegible]
ايمان وكفر ... [illegible]

فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي و
ليس في الامكان اصلا احسن منه ولا اتم ولا اكمل فلو كان وادخره مع القدرة ولم يفعله لكان بخلا
يناقض الجود وظلما يناقض العدل ... وكما ان قطع اليد اذا تآكلت ابقاء على الروح عدل لانه فداء
كامل بناقص فكذا الامر في التفاوت الذي بين الخلق في القسمة في الدنيا والآخرة فكل ذلك عدل لا جور فيه
وحق لا لعب فيه وهذا الآن بحر آخر عظيم واسع الاطراف مضطرب الامواج قريب في السعة من بحر
التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين ولم يعلموا ان ذلك غامض لا يعقله الا العالمون ووراء هذا
البحر سر القدر الذي تحير فيه الاكثرون ومنع من افشائه المكاشفون والحاصل ان الخير والشر مقضي به و
قد صار ما قضي الله به واجب الحصول بعد سبق المشيئة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه بل كل صغير وكبير مستطر
وحصوله بقدر معلوم منتظر وما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك ولنقتصر على هذه
المرامز من علوم المكاشفات التي هي اصل مقام التوكل ولنرجع الى علم المعاملة

الشطر الثاني في احوال المتوكل واعماله

وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله الشيوخ في حد التوكل ... [illegible]

بيان حال التوكل قد ذكرنا ان مقام التوكل ينتظم من علم وحال وعمل وذكرنا العلم فاما الحال فالتوكل بالتحقيق
عبارة عنه وانما العلم اصله والعمل ثمرته وقد اكثر الخائضون في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم و
تكلم كل واحد عن مقام نفسه واخبر عن حده كما جرت عادة اهل التصوف به ولا فائدة في النقل والاكثار
فلنكشف الغطاء عنه ونقول التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل امره الى فلان اي فوضه اليه واعتمد عليه فيه
ويسمى الموكول اليه وكيلا ويسمى المفوض اليه متكلا عليه ومتوكلا عليه مهما اطمأنت اليه نفسه ووثق به
ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ولنضرب
للوكيل في الخصومة مثلا فنقول من ادعي عليه دعوى باطلة بتلبيس فوكل للخصومة من يكشف ذلك التلبيس لم يكن
متوكلا عليه ولا واثقا به ولا مطمئن النفس بتوكيله الا اذا اعتقد فيه اربعة امور منتهى الهداية ومنتهى القوة
ومنتهى الفصاحة ومنتهى الشفقة اما الهداية فليعرف بها مواقع التلبيس حتى لا يخفى عليه من
غوامض الحيل شيء اصلا واما القوة والقدرة فليتجرأ على التصريح بالحق فلا يداهن ولا يخاف ولا
يستحيي ولا يجبن فانه ربما يطلع على وجه تلبيس خصمه فيمنعه الخوف او الجبن او الحياء او صارف آخر من

الصراخ مثل [illegible] الضعيف للتلبيس [illegible] الفصيح [illegible] القدرة [illegible] على الإفصاح [illegible] قادراً [illegible] الشفقة [illegible] فإذا كان [illegible] لا يهتم بأمره [illegible] من عالم [illegible] القلب [illegible] التوكل [illegible] الطمأنينة [illegible] في العلم والقدرة [illegible]

[illegible] والمتوكل [illegible] وكذلك بسائر الخصال [illegible] فتصور أن يحصل [illegible] وجادم أنه لا فاعل إلا الله [illegible] ولا حول ولا قوة [illegible] العلم والقدرة [illegible] الشفقة والعناية والرحمة [illegible] وإذا [illegible] فإن قلت [illegible] فاعلم أن ذلك [illegible] ضعف اليقين [illegible] التوحيد [illegible] الجبن عليه [illegible] لا تنحل [illegible]

مطردة بأنه لا يحشره الآن ولا يحييه وإن كان قادراً عليه كما أنها مطردة بأن لا يقلب القلم الذي في يده حية ولا يقلب السنور أسداً وإن كان قادراً عليه ومع أنه لا يشك في هذا اليقين ينفر طبعه عن مضاجعة الميت ولا ينفر عن سائر الجمادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قلما يخلو الإنسان عن شيء منه وإن قل فقد يقوى فيصير مرضاً حتى يخاف أن يبيت في البيت وحده مع إغلاق الباب وإحكامه فإذن لا يتم التوكل إلا بقوة القلب وقوة اليقين جميعاً إذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالتمس أن يكون مشاهداً إحياء الميت بعينه ليثبت في خياله فإن النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في ابتداء أمرها إلى أن تبلغ بالآخرة إلى درجة النفس المطمئنة وذلك لا يكون في البداية أصلاً وكم من مطمئن لا يقين له كسائر أرباب الملل والمذاهب فإن اليهودي مطمئن القلب إلى تهوده وكذا النصراني ولا يقين لهما أصلاً وإنما يتبعون الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين إلا أنهم معرضون عنه فإذن الجبن والجراءة غرائز ولا ينفع اليقين معها فهي أحد الأسباب التي تضاد حال التوكل كما أن ضعف اليقين بالخصال الأربع أحد الأسباب وإذا اجتمعت هذه الأسباب حصلت الثقة بالله وقد قيل مكتوب في التوراة ملعون من ثقته إنسان مثله وقد قال عليه السلام من اعتز بالعبيد أذله الله وإذا انكشف معنى التوكل وعلمت الحالة التي سميت توكلاً فاعلم أن تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلث درجات الأولى ما ذكرناه وهي أن يكون حاله في حق الله تعالى والثقة بكفالته وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل الثانية وهي أقوى أن يكون حاله مع الله كحال الطفل في حق أمه فإنه لا يعرف غيرها ولا يفزع إلى أحد سواها ولا يعتمد إلا إياها فإن رآها تعلق في كل حال بذيلها ولم يخلها وإن نابه أمر في غيبتها كان أول سابق إلى لسانه يا أماه وأول خاطر يخطر على قلبه أمه فإنها مفزعه فإنه قد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة ليست خالية عن نوع إدراك بالتمييز الذي له ويظن أنه طبع من حيث إن الصبي لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على تلقين لفظها ولا على إحضاره مفصلاً في ذهنه ولكن كل ذلك وراء الإدراك فمن كان باله إلى الله ونظره إليه واعتماده عليه كلف به كما يكلف الصبي بأمه فيكون متوكلاً حقاً فإن الطفل متوكل على أمه والفرق بين هذا وبين الأول أن هذا

متوكل [illegible] وقد فني عن توكله [illegible] فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه [illegible] وأما الأول فيتوكل بالتكلف والكسب [illegible] وذلك شغل صارف [illegible] التوكل [illegible] ترك [illegible] قال ترك الاختيار وهو إشارة إلى الدرجة الثانية [illegible] الثالثة وهي أعلاها أن يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه إلا في أنه يرى نفسه ميتاً تحركه القدرة الأزلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذي قوي يقينه بأنه مجرى للحركة والقدرة والإرادة والعلم وسائر الصفات [illegible] فيكون بائناً عن الانتظار [illegible] ويفارق الصبي فإن الصبي يفزع إلى أمه ويصيح ويتعلق بذيلها [illegible] بل هو مثل صبي علم أن أمه تطلبه وإن لم يتعلق بذيلها [illegible] فهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وأنه يعطي ابتداء أفضل مما يسأل [illegible] والمقام الثاني [illegible] ترك السؤال من غيره فقط [illegible] فإن قلت [illegible] فاعلم أن ذلك ليس بمحال ولكنه عزيز نادر [illegible] ثم إذا وجد [illegible] الثالث [illegible] كصفرة الوجل [illegible] القلب [illegible] والثاني يشبه صفرة [illegible] البشرة [illegible] والأول [illegible]

والأسعد أن الأول فإن

فإن قلت فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالأسباب في هذه الأحوال فاعلم أن المقام الثالث ينفي التدبير رأساً ما دامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمبهوت والمقام الثاني ينفي كل تدبير إلا من حيث الفزع إلى الله بالدعاء والابتهال كتدبير الطفل في التعلق بأمه فقط والمقام الأول لا ينفي أصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات كالمتوكل على وكيله في الخصومة فإنه يترك تدبيره من جهة الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي أشار إليه وكيله أو التدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون صريح إشارته فأما الذي يعرفه بإشارته فهو أن يقول لا أتكلم إلا في حضورك فيشتغل لا محالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضاً لتوكله عليه إذ ليس هو فزع منه إلى حول نفسه وقوته في إظهار الحجة وإلى حول غيره بل من تمام توكله عليه أن يفعل ما رسمه له إذ لو لم يكن متوكلاً عليه ولا معتمداً له في قوله لما حضر بقوله وأما المعلوم بعادته واطراد سنته فهو أن يعلم أنه لا يحاج الخصم إلا من السجل فمن تمام توكله إن كان متوكلاً عليه أن يكون معولاً على سنته وعادته وتقتضيها وهو أن يحمل السجل مع الحضور عليه عند مخاصمته فإذن لا يستغني عن التدبير في الحضور وعن التدبير في إحضار السجل ولو ترك شيئاً من ذلك كان نقصاناً في توكله فكيف يكون حمله نقصاناً فيه بعد أن حضره وقام بإشارته وأحضر السجل وقام بسنته وعادته وتعديناً طالباً لحاجته فقد انتهى إلى المقام الثاني والثالث في حضوره حتى بقي كالمبهوت المنتظر لا يفزع إلى حوله وقوته في الحضور وإحضار السجل بإشارة الوكيل وسنته وقد انتهى نهايته فلم يبق إلا طمأنينة النفس والثقة بالوكيل في ما يجري وإذا تأملت هذا اندفع عنك كل إشكال في التوكل وفهمت أنه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وأن كل تدبير وعمل لا يجوز أن يصاحب التوكل بل هو على الانقسام وسيأتي تفصيله في الأعمال فإذن قرع المتوكل إلى حوله وقوته في الحضور والإحضار لأنا قضي التوكل لأنه يعلم أنه لولا الوكيل لكان حضوره وإحضاره باطلاً وتعباً محضاً بلا جدوى فإذن لم يرى حضوره عند الخصم من حوله وقوته بل من حيث إن الوكيل جعله عند الحاجة وعرفه ذلك بإشارته وسنته فإذن لا

[illegible]

على الدوام واس لذات البهائم من لذات الملك والنزول في اعلى عليين في جوار رب العالمين ولو كان
لهذه اللذات قدر لما وسع على البهائم ولما رفعت عنها درجة الملائكة افترى ان احوال البهائم وهي
مسرحة في رياض متنزهة بالمياه والاشجار واصناف المأكولات مختصة بالنزوان والسفاد اعلى في
اللذة واشرف واجدر بان يكون عند ذوي الكمال مغبوطة من احوال الملائكة في سرورهم بالقرب
من جوار الله في اعلى عليين هيهات هيهات ما ابعد عن التحصيل من اذا خير بين ان يكون حمارا
او يكون في درجة جبرئيل فيختار درجة الحمار على درجة جبرئيل وليس يخفى ان شبه كل شيء ينجذب
اليه وان النفس التي يكون نزوعها الى صفة الاسافل اكثر من نزوعها الى صفة الملائكة فهي
بالاسافل اشبه في جوهرها منها بالكتاب وكذلك من نزوع نفسه الى نيل لذات البهائم فهو البهائم
بالبهائم اشبه منه بالملائكة لا محالة وهؤلاء هم الذين قال فيهم اولئك كالانعام بل هم اضل
وانما كانوا اضل لان الانعام ليس في قوتها طلب درجة الملائكة فتركها للعجز واما الانسان
ففي قوته ذلك والقادر على نيل الكمال احرى بالذم واجدر بالنسبة الى الضلال مهما قعد
عن طلب الكمال وانما كان هذا كلاما معترضا فلنرجع الى المقصود فقد بينا معنى قولك لا اله الا
الله ومعنى قولك لا حول ولا قوة الا بالله وان من ليس قائلا بها عن مشاهدة فلا يتصور منه
حال التوكل فان قلت اليس في قولك لا حول ولا قوة الا بالله الا نسبة شيء الى الله
فلو قال قائل السماء والارض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه فاقول لا لان الثواب على
قدر درجة المثاب عليه ولا مساواة بين الدرجتين ولا تنظر الى عظم السماء والارض وصغر الحول
والقوة وان جاز وصفها بالصغر تجوزا فليست الامور بعظم الاشخاص بل كل عامي يفهم ان
الارض والسماء ليس من جهة الادميين بل من خلق الله تعالى فاما الحول والقوة فقد اشكل امرها على
المعتزلة والفلاسفة وطوائف كثيرة فمن يدعي انه يدعي النظر في الدقيق والمعقول حتى ليس الشيء بجده
عظيم فهي مهلكة مخطرة ومزلة عظيمة هلك فيها العالمون اذ اثبتوا لانفسهم امرا وهو شرك في التوحيد
واثبات خلق لغير الله فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله تعالى اياه فقد علت رتبته وعظمت درجته

[illegible]

الى علوم التوحيد وقطع الاسباب اشارة الى الاعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وان كان اللفظ متضمنه
فقيل له زدني فقال القاء النفس في العبودية واخراجها عن الربوبية وهذا اشارة الى التبري من الحول والقوة
فقط وسئل عبد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله في كل حال فقال السائل زدني فقال
ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك والاول عام للمقامات الثلث
وهذا اشارة الى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل ابراهيم عليه السلام اذ قال له جبرئيل عليه السلام
الك حاجة فقال اما اليك فلا اذ كان سؤاله سببا يفضي الى حفظ جبرئيل له فترك ذلك ثقة بان الله يسخر
ان اراد جبرئيل لذلك فيكون هو المتولي لذلك وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله فلم يكن له وجه غيره
وهو حال عزيز في نفسه ودوامه ان وجد اعز واعز وقال ابو سعيد الخراز التوكل اضطراب
بلا سكون وسكون بلا اضطراب ولعله يشير الى المقام الثاني فسكونه بلا اضطراب اشارة الى سكون
القلب الى الوكيل وثقته به واضطرابه بلا سكون اشارة الى فزعه اليه وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب
الطفل بيديه الى امه وسكون قلبه الى تمام شفقتها وللشيوخ اقاويل في التوكل سوى ما ذكرناه فلا
نطول بها فان الكشف انفع من الرواية بيان اعمال المتوكلين اعلم ان العلم يورث الحال والحال
تثمر الاعمال وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة
الملقاة واللحم على الوضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام في الشرع والشرع قد اثنى على المتوكلين فكيف
ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين بل نكشف الغطاء عنه ونقول انما يظهر تاثير التوكل في حركة
العبد وسعيه بعلمه الى مقاصده وسعي العبد باختياره اما ان يكون لاجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب
او لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار او لدفع ضار لم ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع او
لازالة ضار قد نزل به كالتداوي من المرض فمقصود حركات العبد لا يعدو هذه الفنون الاربعة وهو جلب
النافع او حفظه او دفع الضار او قطعه فلنذكر شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مع شواهد
الشرع الفن الاول في جلب النافع ونقول فيه الاسباب التي بها يجلب المنافع على ثلث درجات
مقطوع به ومظنون ظنا يوثق به وموهوم وهما لا تثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن اليه الدرجة الاولى

التطويح [illegible] مثل [illegible] وذلك مثل المسببات التي ارتبطت بها المسببات بتقدير الله تعالى ومشيئته ارتباطا مطردا لا يختلف كما اذا كان الطعام موضوعا بين يديك وانت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليه اليد وتقول انا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق اعالي الحنك على اسافله فهذا جنون محض وليس من التوكل في شي فانك ان انتظرت ان يخلق الله تعالى فيك شبعا دون الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكا ليمضغه لك ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزرع الارض وطمعت في ان يخلق الله تعالى نباتا من غير بذر او تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فذلك كله جنون وامثال هذا مما يكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم اما العلم فهو ان تعلم ان الله تعالى خلق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة وانه الذي يطعمك ويسقيك واما الحال فهو ان يكون سكون قلبك واعتمادك على فضل الله تعالى لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال وتفلج وكيف تعتمد على قدرتك وربما يطرأ عليك في الحال ما يزيل عقلك وقوة حركتك وكيف تعتمد على حضور الطعام وربما يسلط الله تعالى عليك من يغلبك عليه او يبعث حية تزعجك عن مكانك وتفرق بينك وبين طعامك واذا كان احتمال هذا موجودا ولا علاج له الا بفضل الله تعالى فبذلك فلتفرح وعليه فلتعول فاذا كان هذا حاله وعلمه فليمد اليد فانه متوكل [الدرجة الثانية] الاسباب التي ليست متيقنة ولكن الغالب ان المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يفارق الامصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الاولين ولا يزول التوكل به بعد ان يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك جائز وهو من اعلى مقامات التوكل ولذلك كان يفعله الخواص فان قلت فهذا سعي في الهلاك والقا النفس في التهلكة فاعلم ان ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين احدهما ان يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها وسواها على الصبر عن الطعام اسبوعا وما يقاربه بحيث يصبر عنه بلا ضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى والثاني ان يكون بحيث يقوى على التقوت

يتقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق من الاشياء الخسيسة فبعد هذين الشرطين لا يخلو في غالب الامر في البوادي في كل اسبوع عن ان يلقاه آدمي او ينتهي الى حلة او قرية او الى حشيش يزجي به وقته فيحيى به مجاهدا نفسه والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا كان يعول الخواص ونظراؤه من المتوكلين والدليل عليه ان الخواص كان لا يفارقه الابرة والمقراض والحبل والركوة ويقول هذا لا يقدح في التوكل وسببه انه علم ان البوادي لا يكون الما فيها على وجه الارض وما جرت سنة الله تعالى بصعود الما من البئر بغير دلو ولا حبل ولا يغلب وجود الحبل والدلو في البوادي كما يغلب وجود الحشيش به والما يحتاج اليه لوضوء كل يوم مرات ولعطشه في يوم او يومين مرة فان المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الما وان صبر عن الطعام وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق فينكشف عورته ولا يوجد المقراض والابرة في البوادي غالبا عند كل صلوة ولا يقوم مقامهما في الخياطة والقطع شي مما يوجد في البوادي فكل ما في معنى هذه الاربعة ايضا يلتحق بالدرجة الاولى لانه مظنون ظنا يقطع به لانا نحتمل ان لا يتخرق الثوب او يعطيه انسان ثوبا او يجد على راس البئر من يسقيه ولا يحتمل ان يتحرك الطعام ممضوغا الى فيه فبين الدرجتين فرق ولكن الثانية في معنى الاولى ولهذا نقول لو انحاز الى شعب من شعاب الجبال حيث لا ما ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلا فهو آثم به ساع في اهلاك نفسه كما روي ان زاهدا من الزهاد فارق الامصار واقام في سفح جبل وقال لا اسال احدا شيئا حتى ياتيني ربي برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي لا ارزقك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب واوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت اني ان ارزق عبدي بايدي عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي فاذن التباعد عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله دون الاسباب لا يناقض التوكل كما ضربنا مثلا في الوكيل بالخصومة من قبل ولكن الاسباب تنقسم الى ظاهرة والى خفية فمعنى التوكل الاكتفاء بالاسباب الخفية عن الاسباب الظاهرة مع سكون النفس الى مسبب الاسباب

لا الى السبب فان قلت فما قولك في القاعد في البلد بغير كسب اهو حرام ام مباح او مندوب فاعلم ان ذلك ليس بحرام لان صاحب البادية اذا لم يكن مهلكا نفسه فهذا كيف كان مهلكا نفسه حتى يكون فعله حراما بل لا يبعد ان ياتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتاخر عنه والصبر ممكن الى ان يتفق ولكن لو اغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لاحد اليه ففعله ذلك حرام وان فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة فالكسب والخروج اولى له ولكن ليس فعله حراما الا ان يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه الخروج والسؤال والكسب وان كان مشغول القلب بالله غير متشوف الى الناس ولا متطلع الى من يدخل من الباب فياتيه برزقه بل تطلعه الى فضل الله واشتغاله بالله ولا يهتم برزقه فان الرزق ياتيه لا محالة وعند هذا يصح ما قاله بعض العلماء وهو ان العبد لو هرب من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لادركه وانه لو سال الله تعالى ان لا يرزقه لما استجاب له وكان عاصيا ولقال له يا جاهل كيف اخلقك ولا ارزقك ولذلك قال ابن عباس اختلف الناس في كل شي الا في الرزق والاجل فانهم اجمعوا ان لا رازق ولا مميت الا الله تعالى وقال صلى الله عليه وآله لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعائكم الجبال وقال عيسى عليه السلم انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوما بيوم فان قلتم نحن اكبر بطونا فانظروا الى الانعام كيف قيض الله لها الخلق وقال ابو يعقوب السوسي المتوكلون تجري ارزاقهم على ايدي العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون وقال بعضهم العبيد كلهم في رزق الله تعالى لكن بعضهم ياكل بذل السؤال وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار وبعضهم بامتهان كالصناع وبعضهم بعز كالصوفية يشهدون العزيز فياخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة [الدرجة الثالثة] ملابسة الاسباب التي يتوهم افضاؤها الى المسببات من غير ثقة ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه فذلك يخرج بالكلية عن درجات التوكل كلها وهو الذي فيه الناس كلهم اعني من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتسابا مباحا لمال مباح فاما اخذ الشبهة والاكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الاسباب فلا يخفى ان ذلك مبطل للتوكل وهي مثل الاسباب التي نسبتها الى جلب المنافع مثل الرقية والطيرة والكي بالاضافة الى ازالة الضرر

فان

فان النبي صلى الله عليه وآله وصف المتوكلين بذلك ولم يصفهم بانهم لا يكتسبون ولا يجلسون في الامصار ولا ياخذون من احد شيئا بل وصفهم بانهم لا يتعاطون هذه الاسباب وامثال هذه الاسباب التي لا يوثق بها في المسببات مما يكثر فلا يمكن احصاؤه وقال سهل في التوكل انه ترك التدبير وقال ان الله خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وانما حجابهم تدبيرهم ولعله اراد به اسقاط الاسباب البعيدة التي يحتاج الى التدبير دون الاسباب الجلية فاذن قد ظهر ان الاسباب تنقسم الى ما يخرج التعلق بها عن التوكل والى ما لا يخرج وان الذي لا يخرج ينقسم الى المقطوع به والى المظنون وان المقطوع لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الاسباب فالتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل واما المظنون فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعا والمتوكلون في ملابسة هذه الاسباب على ثلث مقامات المقام الاول مقام الخواص ونظرائه وهو الذي يدور في البوادي بغير زاد ثقة بفضل الله تعالى عليه في تقويته على الصبر اسبوعا وما فوقه او تيسير حشيش له او قوت او تثبيته على الرضا بالموت ان لم يتيسر شي من ذلك فان الذي يحمل الزاد قد يؤخذ زاده او يضل بعيره ويموت جوعا فذلك ممكن مع الزاد كما انه ممكن مع فقده المقام الثاني ان يقعد في بيته او مسجده ولكنه في القرى والامصار فهذا اضعف من الاول ولكنه ايضا متوكل لانه تارك للكسب والاسباب الظاهرة معول على فضل الله تعالى في تدبير امره من جهة الاسباب الخفية ولكنه بالقعود في الامصار متعرض لاسباب الرزق كان ذلك من الاسباب الجلية الا ان ذلك لا يبطل توكله اذا كان نظره الى الذي يسخر سكان البلد لايصال رزقه اليه لا الى سكان البلد اذ يتصور ان يغفل جميعهم ويضيعوه لولا فضل الله تعالى بتعريفهم وتحريك دواعيهم المقام الثالث ان يخرج ويكتسب اكتسابا على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث من كتاب آداب الكسب وهذا السعي ايضا لا يخرجه عن مقامات التوكل اذا لم يكن طمانينة نفسه الى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته فان ذلك ربما يهلكه الله جميعه في لحظة بل يكون نظره الى الكفيل الحق بحفظ جميع ذلك وتيسير اسبابه بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالاضافة الى قدرة الله تعالى كما يرى القلم في يد الملك الموقع فلا يكون نظره الى القلم بل الى قلب الملك انه بماذا

تحرك

والعا ذا اصل من [illegible] الكسب [illegible]

بحكم ان الرزق على المساكين [illegible]

لعياله او ليتزود فقال [illegible] وقال [illegible]

وتقلبه عنه منقطع فقال هذا [illegible] النبوة فقال لا تشتغل [illegible]

الدليل على ان الكسب [illegible] الصديق [illegible]

اليه الكل والمعرفة [illegible] وقالوا [illegible] المسلمين [illegible]

السوق [illegible] ان اضيعهم [illegible] الكسب [illegible]

عن عيال فاني ان اضيعهم [illegible]

راى حب عدتهم وتطيب قلوبهم [illegible] متوكلا [illegible]

هذا المقام [illegible] كان [illegible]

الا اسباب بشروط [illegible]

غيره [illegible] دخل السوق [illegible]

الزهد دون التوكل فان التوكل [illegible]

السوق [illegible] الكسب [illegible]

لا تكلم في التوكل [illegible]

بعيد [illegible] التوكل وان لم [illegible]

والعلم بتوكل المكتسب [illegible]

السوق ولا يكون داخل السوق [illegible]

اصطار

لا اصطار من يدخل بحمل الميسرة بل يكون قوي القلب في الصبر والاتكال على الله تعالى فالتعود لها ولو

ان كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف الى الناس فالكسب له اولى لان استشراف القلب الى الخلق

سؤال بالقلب وتركه اهم من تركه الكسب وما كان المتوكلون يأخذون ما يستشرف اليه نفوسهم كان

احمد بن حنبل قد امر ابا بكر المروزي ان يعطي بعض الفقراء شيئا فضلا عما كان استأجره عليه فرده فلما ولى

قال له الحقه واعطه فانه يقبل فلحقه واعطاه فاخذه فسئل عن ذلك فقال كان قد استشرف نفسه

فرد فلما خرج انقطع طمعه وأيس فاخذ وكان الخواص بعد ان سئل عن اعجب ما راه في اسفاره فقال

رايت الخضر ورضي بصحبتي ولكن فارقته خشيا ان يسكن اليه نفسي فيكون نقصا في توكلي فاذن المكتسب اذا

راعى اداب الكسب وشروط نيته كما سبق في كتاب الكسب ولم يقصد الاستكثار ولم يكن اعتماده على بضاعته و

كفايته كان متوكلا فان قلت فما علامة عدم توكله على البضاعة والكفاية فاقول علامته ان سرقت

بضاعته او خسرت تجارته او يعوق امر من اموره كان راضيا به ولم يبطل طمانينته ولم يضطرب قلبه

بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحدا فان من لم يسكن الى شي لم يضطرب بفقده ومن اضطرب

بفقد شي فقد سكن اليه وكان لبشر يعمل المغازل فتركها لما مات عياله كما كان لسفيان [illegible] دنانير ا

يتجر فيه فلما مات عياله فرقه فان قلت كيف يتصور ان يكون له بضاعة ولا يسكن اليها وهو

يعلم ان الكسب بغير بضاعة لا يمكن فاقول بان يعلم ان الذين رزقهم الله بغير بضاعة فيهم كثرة و

ان الذين كثرت بضاعتهم فسرقت واهلكت فيهم كثرة وان يوطن نفسه على ان الله تعالى لا يفعل به الا ما فيه

صلاحه فان اهلك بضاعته فهو خير له فلعله لو تركها كان سببا لفساد دينه وهو لطف الله تعالى به وغايته

ان يموت جوعا فينبغي ان يعتقد ان الموت جوعا خير له في الاخرة مهما قضى الله عليه بذلك من غير تقصير

منه فاذا اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة وعدمها ففي الخبر ان العبد ليهم من الليل

بامر من امور التجارة مما لو فعل لكان فيه هلاكه فينظر الله اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا

حزينا يتطير بجاره وابن عمه من سبقني من دهاني وما هو الا رحمة رحمه الله بها ولذلك قال عمر

لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي ومن لم يكامل يقينه بهذه الامور لم يتصور

[illegible]

التوكل [illegible] الداراني [illegible]

قال ابو سليمان الداراني [illegible]

لا حدثنا ان [illegible] هذا التوكل [illegible]

نصيب [illegible] علو [illegible] الاسباب [illegible]

الا انه [illegible] ما ادركه [illegible]

ولكنه قال ما ادركه ولا الرازق سواه [illegible] التوكل [illegible]

فاعل الا الله [illegible] التوكل [illegible]

فهو خير له ما [illegible] العبد [illegible] قوة الشخص [illegible]

كل استعد من قوة القلب [illegible] فان قلت [illegible] الشيطان [illegible]

الكسب فقد طعن في التوحيد فاقول نعم [illegible] الشيطان [illegible]

في تيسير الاسباب الخفية [illegible] فقال الامام [illegible]

والله يعدكم مغفرة وفضلا فالانسان [illegible] في مسجد ولم يكن له معلوم فقال الامام [illegible]

القلب عن هذه [illegible] فقد حكي عن عابد انه اعتكف [illegible]

ايضا يبطل التوكل [illegible] جار المسجد [illegible] التوحيد كان خيرا لك [illegible]

فقال في الرابعة يهودي [illegible] الصلوة التي [illegible]

بكن اما تتقي الله [illegible]

وقال الامام لبعض المصلين [illegible]

يعني الرزق من لطف الله تعالى بواسطة الاسباب [illegible] ابراهيم [illegible]

وفيها عجايب [illegible] بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

والمشار اليه بكل معنى • انا حامد انا شاكر انا ذاكر • انا جايع انا ضايع انا عاري • هي ستة وانا الضمين لنصفها

فكن الضمين لنصفها يا باري • مدحي لغيرك لهب نار خضتها • فاجر عبدك من دخول النار

ثم دفع الي الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله وادفع الرقعة الى اول من يلقاك فخرجت فاول

من لقيني كان رجلا على بغلة فناولته الرقعة فاخذها وبكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو في

المسجد الفلاني فدفع الي صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا اخر فسالته عن راكب البغلة فقال هذا

نصراني فجئت الى ابرهيم واخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجي الساعة فلما كان بعد ساعة دخل

النصراني واكب على راس ابرهيم يقبله واسلم وقال ابو يعقوب الاقطع البصري جعت مرة بالحرم عشرة ايام

فوجدت ضعفا فحدثتني نفسي فخرجت الى الوادي لعلي اجد شيئا يسكن ضعفي فرايت سلجمة مطروحة فاخذتها

فوجدت في نفسي منها وحشة وكان قائلا يقول جعت عشرة ايام فاخر حظك يكون سلجمة متغيرة فرميت

بها ودخلت المسجد فقعدت فاذا انا برجل اعجمي جلس بين يدي ووضع قمطرة وقال هذه لك فقلت

كيف خصصتني بها قال اعلم انا كنا في البحر منذ عشرة ايام فاشرفت السفينة على الغرق فنذرت

ان خلصنا الله ان اتصدق بهذه على اول من يقع عليه بصري من المجاورين وانت اول من لقيته فقلت

افتحها ففتحها فاذا فيها سميد مصري ولوز مقشر وسكر كعاب فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا

وقلت رد الباقي الى صبيانك هدية مني اليهم وقد قبلتها ثم قلت في نفسي رزقك يسير اليك من

عشرة ايام وانت تطلب من الوادي وحكي عن بنان الحمال قال كنت في طريق مكة اجي من

مصر ومعي زاد فجاءتني امراة وقالت لي يا بنان انت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم انه

لا يرزقك قال فرميت بزادي ثم اتى علي ثلاث لم اكل فوجدت خلخالا في الطريق فقلت في

نفسي احمله حتى يجي صاحبه فربما يعطيني شيئا فارده عليه فاذا انا بتلك المراة فقالت لي انت

تاجر تقول حتى يجي صاحبه فاخذ منه شيئا ثم رمت الي شيئا من الدراهم وقالت

انفقها فاكتفيت بها الى قريب من مصر وروي ان رجلا لازم باب عمر فقال له عمر يا هذا

هاجرت الى عمر او الى الله اذهب فتعلم القران فانه سيغنيك عن باب عمر فذهب الرجل وغاب

خبز فقبلته وقد ذهب ... وقال
عمر فاذا هو قد جاء بعد ... فقال انك لن تنال ... وقال ابو حمزة الخراساني
واشتغل بالعبادة فقال الذي ... قلت لا والله لا استغيث
الى ان استغنت ... فلما ... في البئر فنازعتني نفسي ان استغيث فما استتممت
وان القرآن ... هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال احدهما للآخر
فيه فقال وصدقت ... تعال حتى نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيه احد
انا اطلبه من الارض فبينا انا امشي في الطريق اذ وقعت في بئر فاتوا بقصب وبارية وطموا رأس البئر فهممت ان اصيح
ثم قلت الى من اصيح هو اقرب منهما وسكنت فبينا انا بعد ساعة
لا استغيث فما استتممت هذا الخاطر اذا انا بشيء جاء وكشف عن رأس البئر وادلى رجله وكأنه يقول تعلق بي في همهمة له كنت اعرف ذلك فتعلقت به فاخرجني
فاذا هو سبع فمر وهتف بي هاتف يا ابا حمزة أليس هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف
ساعة اذا انا بشيء جاء ... فمشيت وانا اقول
أهابك ان ابدي اليك الذي اخفي ۞ وسري يبدي ما يقول له طرفي
تلطفت في امري فابديت شاهدي ۞ الى غائبي واللطف يدرك باللطف
تراءيت لي بالغيب حتى كأنما ۞ تبشرني بالغيب انك في الكف
اراك وبي من هيبتي لك وحشة ۞ فتؤنسني باللطف منك وبالعطف
وتحيي محبا انت في الحب حتفه ۞ وذا عجب كون الحياة مع الحتف
فهذه الوقائع وامثالها اذا كثر وقوعها قوي الايمان بها وانضم اليه القدرة على الصبر على الجوع مدة اسبوع ... عند تمام التوكل
لم يتق اليه رزقه في اسبوع فالموت خير له عند الله ... فمن لم يشاهد ذلك ... الايمان
بيان توكل المعيل
اعلم ان من له عيال فحكمه يباين حكم المنفرد لان المنفرد لا يصح توكله الا بامرين احدهما قدرته على الجوع
اسبوعا من غير استشراف وضيق نفس والآخر ابواب من الايمان ذكرناها وهو ان يطيب نفسا بالموت ان لم يأته
رزقه علما بان رزقه الموت والجوع وهو رزق الآخرة وانه كذا قضي وقدر ... وان هذا تمام التوكل
الى ... الزهد ... بذلك وان ... التصبر على الجوع ولا يمكن ان يكلف ... بالتوحيد وبان ... رزق ... الجوع ...

عليه في نفسه الى الحق ذلك بادرا وكذلك سائر ابواب الايمان فاذن لا يمكنه في حقهم الا التوكل
المكتسب وهو المقام الثالث كتوكل ابي بكر اذ خرج للكسب فاما دخول البوادي وترك العيال توكلا
في حقهم او القعود عن الاهتمام بامرهم توكلا في حقهم فهذا حرام وقد يفضي الى هلاكهم ويكون هو مؤاخذا
بهم بل التحقيق انه لا فرق بينه وبين عياله فانه ان ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة وعلى الاستبشار
بالموت على الجوع رزقا وغنيمة في الآخرة فله ان يتوكل في حقهم ونفسه ايضا عيال عنده لا يجوز ان يضيعها
الا ان يساعده على الصبر مع الجوع مدة فان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه ويشوش عبادته
لم يجز له التوكل ولذلك قال ابو علي الروذباري اذا قال الفقير بعد خمسة ايام انا جائع فالزموه
السوق ومروه بالعمل والكسب فاذن بدنه عياله وتوكله فيما يضر بدنه كتوكله في عياله وانما يفارقه في
شيء وهو ان له تكليف النفس الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله وقد انكشف لك من هذا ان التوكل
ليس انقطاعا عن الاسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت ان تأخر الرزق نادرا
وملازمة الامصار والبلاد او ملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجري مجراه فهذه كلها اسباب
البقاء ولكن مع نوع من الاذى اذ لا يمكن الاستمرار عليه الا بالصبر والتوكل في الامصار اقرب الى الاسباب
من التوكل في البوادي وكل ذلك من الاسباب الا ان الناس عدلوا الى اسباب اظهر منها فلم يعدوا ذلك
اسبابا وذلك لضعف ايمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الاذى في الدنيا لاجل الآخرة واستيلاء الجبن على
قلوبهم باساءة الظن وطول الامل ومن نظر في ملكوت السموات والارض انكشف له تحقيقا ان الله تعالى دبر
الملك والملكوت تدبيرا لا يجاوز العبد رزقه وان ترك الاضطراب فان العاجز عن الاضطراب كيف وصل
سرته بالام حتى ينتهي اليه فضلات غذاء الام بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين ثم اذا انفصل
سلط الحب والشفقة على الام لتتكفل به شاءت ام ابت اضطرارا من الله تعالى اليه بما اشتعل في
قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له سن يمضغ به الطعام جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج الى
مضغ ولانه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف فادر له اللبن اللطيف في ثدي الام عند
انفصاله على حسب حاجته افكان هذا بحيلة الطفل ام بحيلة الام فاذا صار بحيث يوافقه

الغذاء الكثيف انبت له الاسنان القواطع والطواحن لاجل المضغ فاذا كبر واستقل يسر له
اسباب التعلم وسلوك سبيل الآخرة فجبنه بعد البلوغ جهل محض فانه ما نقصت اسباب معيشته
ببلوغه بل زادت فانه لم يكن قادرا على الاكتساب والآن قد قدر نعم كانت له شفقة
الابوين وكانت تلك الشفقة شديدة جدا اذ كانت لشخص واحد وهو الام او الاب والآن قد ... وكان اطعامه
بتسليط الله الشفقة على قلب الاب والام فاذا كبر سلط الشفقة على المسلمين واهل البلد حتى ان كل واحد منهم
اذا رأى محتاجا رق قلبه ... وقد كان يشفق عليه ... الاب والام ...
ولقد كانوا لا يشفقون عليه لانهم رأوه قادرا ... على الكسب ...
على ... الجنين ... فان ... الناس ...
له كالام ... يشتغل في الصبي ... البيت ... والرزق ...
اما والناس ... الصبي ... بحيث ... التوكل ...
فسأل ... الكسب ... التوكل ... ولا ...
كان ... القادر ... الناس ... الرجل ...
به على ... بالله ... تعلق ... الاسباب ...

وهو في الامصار فمات جوعا فتعطل لو اراد الطعام جماعة من الناس بقوله لقدر عليه فان من كان تقي
كان الله له ومن اشتغل بالله القى الله حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الام
لولده فقد دبر الله الملك والملكوت تدبيرا كافيا لاهل الملك والملكوت فمن شاهد هذا التدبير وثق
بالمدبر واشتغل به وآمن ونظر الى مسبب الاسباب لا الى الاسباب نعم ما دبره تدبيرا يصل الى
المشتغل به الحلوا والطير السمان والثياب الرفيعة والخيول النفيسة على الدوام لا محة وقد يقع
ذلك ايضا في بعض الاحوال لكن دبره تدبيرا يصل الى كل مشتغل بعبادة الله في كل اسبوع
قرص شعير او حشيش يتناوله لا محة والغالب انه يصل اكثر منه بل يصل ما يزيد على الحاجة والكفاية
ولا سبب لترك التوكل الا رغبة النفس في التنعم على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الاطعمة اللطيفة
وليس ذلك من طريق الآخرة وقد لا يحصل ذلك الا من غير اضطراب وهو في الغالب ايضا ليس يحصل مع
الاضطراب وانما يحصل نادرا وفي النادر ايضا قد يحصل من غير اضطراب فاذن الاضطراب ضعيف
عند من انفتحت بصيرته فلذلك لا يلتفت الى اضطرابه بل الى مدبر الملك تدبيرا لا يجاوز عبدا من عباده رزقه
وان سكن الا نادرا ندورا عظيما وقد يتصور مثله في حق المضطرب فاذا انكشف هذه الامور وكان
معه قوة في القلب وشجاعة اثر ما قال الحسن البصري اذ قال وددت ان اهل البصرة في عيالي
وان حبة بدينار وقال وهيب بن الورد لو كانت السماء نحاسا والارض رصاصا واهتممت برزقي
لظننت اني مشرك فاذا فهمت هذه الامور فهمت ان التوكل مقام مفهوم في نفسه ويمكن الوصول
اليه لمن قهر نفسه وعلمت ان من انكر اصل التوكل وامكانه انكره عن جهل فاياك ان تجمع بين
افلاسين الافلاس عن وجود المقام ذوقا والافلاس عن الايمان به علما فاذن عليك بالقناعة
بالرزق القليل والرضا بالموت فانه يأتيك لا محة وان فررت منه وعند ذلك يسوق الله
اليك رزقك على يد من لا تحتسب فان اشتغلت بالتقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق
قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الا انه لم يتكفل ان يرزقه

[illegible]

رزقه ورزق جماعة كثيرة ان كان نواه اى اذا اراد ان لا ياخذ من ايدى الناس وما كل من كذلك له
وجه لائق بالعالم العامل الذى سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فان الكسب يمنع من السير
بالفكر الباطن فاشتغاله بالسلوك مع الاخذ من يدى من يتقرب الى الله بما يعطيه اولى لانه تفرغ لله و
اعانة للمعطى على نيل الثواب ومن نظر الى مجارى سنة الله تعالى علم ان الرزق ليس على قدر الاسباب
ولذلك سال بعض الاكابر حكيما عن الاحمق المرزوق والعاقل المحروم فقال اراد الصانع ان يدل على
انه لو رزق كل عاقل وحرم كل احمق لظن ان العقل رزق صاحبه فلما راوا خلافه علموا ان
الرازق غيرهم ولا ثقة بالاسباب الظاهرة لهم والله الطول احوال المتوكلين فى التعلق
بالاسباب بضرب مثال ان مثال الخلق مع الله تعالى مثال طايفة من السؤال وقفوا
فى ميدان على باب قصر الملك وهم محتاجون الى الطعام فاخرج اليهم غلمانا كثيرة ومعهم ارغفة وامرهم
ان يعطوا بعضهم رغيفين رغيفين وبعضهم رغيفا رغيفا وان يجتهدوا فى ان لا يغفلوا عن احد منهم و
امر مناديا حتى نادى فيهم ان اسكنوا ولا تتعلقوا بغلمانى اذا خرجوا اليكم بل ليطمئن كل واحد منكم
فى موضعه فان الغلمان مسخرون وهم مامورون بان يوصلوا اليكم طعامكم فمن تعلق بالغلمان واذاهم
واخذ رغيفين فاذا فتح باب الميدان وخرج اتبعته بغلام يكون موكلا به الى ان اقدم لعقوبته فى
ميعاد معلوم عندى ولكنى اخفيه ومن لم يوذ الغلمان وقنع برغيف واحد اتاه من يد الغلام وهو
ساكن فانى اخصه بخلعة سنية فى الميعاد المذكور لعقوبة الاخر ومن ثبت فى مكانه ولكنه اخذ رغيفين
فلا عقوبة عليه ولا خلعة له ومن اخطاه غلمانى فما اوصلوا اليه شيئا فبات فى الليلة جايعا غير متسخط
على الغلمان ولا قايل ليته اوصل الى فانى غدا استوزره وافوض ملكى اليه فانقسم السؤال
الى اربعة اقسام قسم غلبت عليهم بطونهم فلم يلتفتوا الى العقوبة الموعودة وقالوا من اليوم الى غد فرج و
نحن الان جايعون وبادروا الى الغلمان واذوهم واخذوا الرغيفين فسبقت العقوبة اليهم فى الميعاد
المذكور فندموا ولم ينفعهم الندم وقسم تركوا التعلق بالغلمان خوف العقوبة ولكن اخذوا رغيفين

[illegible]

بوجه مستحقه ويحتاج السيد ضرورة على هذه النسبة فهذا هو الواجب بموجب التوكل لحقيقة وهى الدرجة العليا
الحالة الثالثة المقابلة لهذه المخرجة له عن حدود التوكل ان يدخر لسنة فما فوقها فهذا ليس من
المتوكلين اصلا وقد قيل لا يدخر من الحيوانات الا ثلثة الفار والنملة وابن آدم الحالة الثالثة ان يدخر لاربعين
يوما فما دونه فهذا هل يوجب حرمانه عن المقام الموعود فى الاخرة للمتوكلين اختلفوا فيه فذهب سهل الى انه
يخرج عن التوكل وذهب الخواص الى انه لا يخرج باربعين يوما ويخرج بما يزيد على الاربعين وقال ابو طالب المكى
لا يخرج عن حدود التوكل بالزيادة على الاربعين ايضا وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجويز اصل الادخار ثم لو
ان يظن ظان ان اصل الادخار يناقض التوكل فاما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له وكل ثواب موعود على اسم
فانه يتوزع على تلك الرتبة وتلك لها بداية ونهاية ويسمى اصحاب النهايات السابقين واصحاب البدايات
اصحاب اليمين ثم اصحاب اليمين ايضا على درجات وكذا السابقون واعالى درجات اصحاب اليمين تلاصق
اسافل درجات السابقين فلا معنى للتقدير فى مثل هذا بل التحقيق ان التوكل بترك الادخار لا يتم الا بقصر الامل
واما عدم امل البقاء فيبعد اشتراطه ولو فى نفس فان ذلك كالممتنع وجوده واما الناس فيتفاوتون فى طول
الامل وقصره واقل درجات الامل يوم وليلة فما دونه من الساعات واقصاه ما يتصور ان يكون عمر الانسان
وبينهما درجات لا تحصر فانا من لم يامل اكثر من شهر كان اقرب الى المقصود ممن يامل سنة والتقدير باربعين
لاجل ميعاد موسى عليه السلام بعيد فان تلك الواقعة ما قصد بها بيان مقدار ما يرخص الامل فيه ولكن استحق
لنيل الموعود كان لا يتم الا بعد اربعين يوما لسر جرت به وبامثاله سنة الله تعالى فى تدريج الامور كما قال صلى الله
عليه وآله خمر طينة آدم اربعين صباحا لان استحقاق تلك الطينة للتخمير كان موقوفا على مدة مبلغها ما ذكر
فاذن ما وراء السنة لا يدخر الا من ضعف القلب والركون الى ظاهر الاسباب وهو خارج عن
مقام التوكل عن وثوق بحافظة الله وتدبيره الوكيل الحق ... الاسباب فان اسباب الدخل فى الاعادات
والزكوات تتكرر بتكرر السنين غالبا ومن ادخر لاقل من سنة فله درجة بحسب قصر امله ومن
كان امله شهرين لم يكن درجته درجة من امله شهر او لا درجة من امله ثلاثة اشهر بل هو منهما ادنى

ولا يبنى من ان لا
من الادخار فالافضل ان لا يدخر كان يفعل
قصر الامل ما لا يضعف قلبه فكان قل ادخاره [illegible]
اصلا فان ضعف [illegible] صلى الله عليه وآله [illegible]
اكثر وقد دل [illegible] قال [illegible]
فصلاة [illegible] الادخار [illegible]
كالنوم [illegible] الادخار [illegible]
يا رسول الله قال [illegible] الضعيف [illegible]
لضعيف اخرى واذا [illegible] ما يحتاج اليه على الدوام [illegible]
وليس الكنز والتنزه [illegible] ترك الادخار والتكد [illegible] الاعداد [illegible]
وهذا في حق من لا [illegible] العادة [illegible] اصلاح [illegible]
اضطرابا [illegible] المقصود [illegible]
عليه الاية [illegible]
ما تعلم من الله [illegible]
والمحترفون واهل الحرف [illegible] الضعيف [illegible]
بل دعا الكل الى الله [illegible]
القلب فصواب [illegible]
يخرج عن حد التوكل [illegible]
الاسباب [illegible]
والمتوكل [illegible]
لعياله قوت سنة [illegible]
من [illegible] ادخره

ادخره لتسخط عليها فقال انفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا وقال له اذا سئلت فلا تمنع و
اذا اعطيت فلا تخبأ فالاقتداء بسيد المتوكلين عليه السلام وقد كان قصر امله بحيث كان اذا بال تيمم
مع قرب الماء ويقول ما يدريني لعلي لا ابلغه وكان عليه السلام لو ادخر لم ينقص ذلك من توكله اذ كان
لا يثق بما ادخره ولكنه ترك ذلك تعليما للاقوياء من امته فان اقوياء امته ضعفاء بالاضافة
الى قوته وادخر لعياله سنة لا لضعف قلب فيه وفي عياله ولكن ليسن ذلك للضعفاء من امته ثم
اخبر ان الله يحب ان يؤتى رخصه كما يحب ان يؤتى عزائمه تطييبا لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي
بهم الضعف الى الياس والقنوط فيتركون الميسور من الخير عليهم لعجزهم عن منتهى الدرجات فما
ارسل صلى الله عليه وآله الا رحمة للعالمين على اختلاف اصنافهم ودرجاتهم فاذا فهمت هذا
علمت ان الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ويدل عليه ما روى ابو امامة الباهلي ان
بعض اصحاب الصفة توفي فما وجد له كفن فقال عليه السلام فتشوا ثوبه فتشوا فوجدوا دينارين
في داخل ازاره فقال عليه السلام كيتان من النار وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف اموالا
ولا يقول ذلك في حقه وهذا يحتمل وجهين لان حاله يحتمل حالين احدهما انه اراد كيتان من النار كما قال
تعالى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وذلك اذا كان حاله اظهار الزهد والفقر والتوكل مع
الافلاس عنه فهو نوع تلبيس والثاني ان لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن درجة
كماله كما ينقص عن جمال الوجه اثر كيتين في الوجه وذلك ان لا يكون عن تلبيس فان كل ما يخلفه الرجل
فهو نقصان عن درجته في الآخرة اذ لا يؤتى احد من الدنيا شيئا الا نقص بقدره من الآخرة واما بيان ان
الادخار مع فراغ القلب عن المدخر ليس من ضرورته بطلان التوكل فيشهد له ما روي عن بشر قال
الحسين المغازلي صاحب بشر كنت عنده ضحوة من النهار فدخل عليه رجل كهل اسمر خفيف العارضين فقام اليه
بشر قال وما رايته قام لاحد غيره قال ودفع الي كفا من دراهم فقال اشتر لنا من اطيب ما
يقدر عليه من الطعام الطيب وما قال قط مثل ذلك فجئت بالطعام فوضعته فاكل معه وما رايته

اكل مع غيره قال فاكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شي كثير فاخذه الرجل وجمعه في ثوبه وحمله وانصرف
فتعجبت من ذلك وكرهته له فقال لي بشر لعلك انكرت فعله قلت نعم اخذ بقية الطعام من غير اذن فقال
ذلك اخونا فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل وانما اراد ان يعلمنا ان التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار

الفن الثالث في مباشرة الاسباب الدافعة للضرر المتعرض للخوف اعلم ان الضرر قد
يتعرض للخوف في نفس او مال وليس من شرط التوكل ترك الاسباب الدافعة راسا اما في النفس فكالنوم
في المسبعة او في مجرى السيل من الوادي او تحت الجدار المائل والسقف المنكسر فكل ذلك منهي عنه وصاحبه
قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة نعم تنقسم هذه الاسباب الى مقطوع بها والى مظنون والى موهوم فترك
الموهوم منها من شرط التوكل وهي التي نسبتها الى دفع الضرر نسبة الكي والرقية فان الكي والرقية
قد يقدم على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازالة ورسول الله صلعم لم يصف المتوكلين
الا بترك الكي والرقية والطيرة ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا جبة والجبة تلبس دفعا
للبرد المتوقع وكذلك كل ما في معناها من الاسباب نعم الاستظهار باكل الثوم عند الخروج سفرا في الشتاء
تهيجا لقوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق في الاسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب
من الكي بخلاف الجبة ولترك الاسباب الدافعة وان كانت مقطوعا بها وجه فاذا نال الضرر
من الانسان فاذا امكنه الصبر وامكنه الدفع والتشفي فشرط التوكل الاحتمال والصبر قال تعالى
فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون وقال ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون و
قال ودع اذاهم وتوكل على الله وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال نعم اجر العاملين الذين
صبروا وعلى ربهم يتوكلون وهذا في اذى الناس واما الصبر على اذى السباع والحيات و
العقارب وترك دفعها فليس من التوكل في شي اذ لا فائدة فيه ولا يراد السعي ولا يترك السعي
بعينه بل لاعانته على الدين وترتب الاسباب ههنا كترتبها في الكسب وجلب النافع
فلا نطول بالاعادة وكذلك في الاسباب الدافعة عن المال فلا ينقص التوكل باغلاق باب البيت

عند

عند الخروج ولا بان يعقل البعير لان هذه اسباب عرفت بسنة الله تعالى اما قطعا واما ظنا
ولذلك قال صلى الله عليه وآله للاعرابي لما اهمل البعير وقال توكلت على الله فقال اعقلها وتوكل
وقال تعالى خذوا حذركم وقال في كيفية صلوة الخوف وليأخذوا اسلحتهم وقال واعدوا لهم ما
استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وقال لموسى عليه السلام فاسر بعبادي ليلا والتحصن بالليل اختفاء
عن اعين الاعداء نوع تسبب واختفى رسول الله صلى الله عليه وآله في الغار عن اعين الاعداء
دفعا للضرر واخذ السلاح في الصلوة ليس دفعا قطعا كقتل الحية والعقرب فانه يكون دافعا
قطعا ولكن اخذ السلاح سبب مظنون وقد بينا ان المظنون كالمقطوع وانما الموهوم هو الذي يقتضي
التوكل تركه **فان قلت** فقد حكي عن جماعة ان الاسد وضع يديه على كتفه ولم يتحرك **فاقول**
وقد حكي عن جماعة انهم ركبوا الاسد وسخروه ولا ينبغي ان يغرك ذلك فانه وان كان صحيحا في نفسه فلا
يصلح الاقتداء بطريق التعلم من الغير بل ذلك مقام رفيع في الكرامات وليس ذلك شرطا في التوكل
وفيه اسرار لا تقف عليها ما لم تنته اليها **فان قلت** وهل من علامة اعلم بها اني قد وصلت
اليه **فاقول** الواصل لا يحتاج الى طلب العلامات ولكن من العلامات السابقة عليه ان يسخر
لك كلب هو معك في اهابك يسمى الغضب فلا يزال يعضك ويعض غيرك فان سخر لك هذا الكلب
بحيث اذا هيج واشلي لم يسترسل الا باشارتك وكان مسخرا لك فربما يرتفع درجتك الى ان
يسخر لك الاسد الذي هو ملك السباع وكلب دارك اولى بان يكون مسخرا لك من كلب البوادي وكلب اهابك
اولى بان يسخر لك من كلب دارك فان لم يسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع في استسخار الكلب الظاهر **فان
قلت** فاذا اخذ المتوكل سلاحه حذرا من اللص وعقل بعيره حذرا من ان يطلق فباي اعتبار يكون
متوكلا **فاقول** يكون متوكلا بالعلم والحال فاما العلم فهو ان يعلم ان اللص ان اندفع لم يندفع بكفايته
في اغلاق الباب بل بدفع الله تعالى اياه فكم من باب يغلق ولا ينفع وكم من بعير يعقل ويموت او يفلت
وكم من آخذ سلاحه يغلب فلا يتكل على هذه الاسباب اصلا بل على مسبب الاسباب كما ضربنا المثل في
المتوكل بالحصر فانه وان حضر واحضر السجل فلا يتكل على نفسه وعلى سجله بل على كفاية الوكيل

وقوته ويكون

واما الحال فلا يقتضي ان يبالي سلطت راض وان زرق فرح

يكون راضيا بما يفعله وبين الكل اسيب او عاريه فيخطئ ما له [illegible]

نابيته ونفسه وباخذه فهو الصبر فلا يشتكي من الالزام [illegible] ان يكون الكل عند الله

على ما في البيت وما اعطي واخذ فلا يلتفت اليه [illegible] ما في البيت

بحكم فان الله لا ادري لا ادري انها زيد او سبب الاكل مستند [illegible]

ودينه يفتتر لم ولا ادري فانا راض به وما اعلقت الباب ثم اذا عاد [illegible]

وكيف ما قضيت فانا راض [illegible] البعير واحد السلاح [illegible]

على يتعن ان يكخ من صدر التوكل يفعل [illegible] وان [illegible]

ذكرناه عليه يحيى انه وان لم يجده بل وجده [illegible] التوكل [illegible]

عنده نعمة جديدة في الاخرة فقد صح [illegible] التوكل [illegible]

الا ان يدرقه في الاخرة فقد صح مقام بعد الزهد ولا يصح الزهد الا [illegible]

التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد [illegible] الصبر [illegible]

فكيف يتبع له التوكل نعم قد يصح [illegible] قلت [illegible]

وان كان لا يقدر على ذلك فقصوره عن جميع العادات [illegible]

من حيث انها اظهر له قصوره [illegible]

يتبع بجبل غرور [illegible] من متاع [illegible]

المتوكل لا يخلو بيته من متاع كقصعة [illegible] الضرورة [illegible]

ضرورات المعيشة من اثاث البيت [illegible] المتوكلين [illegible]

وهذه البنية مبطلة للتوكل وفي كل مال [illegible] الخبران والاشبه [illegible]

انا ذكرت في الماكول [illegible] الا الفقراء المتوكلين [illegible]

ولذلك كان الخواص يأخذ في السفر الحبل والركوة والمقراض والابرة دون الزاد لان سنة الله تعالى جارية بالفرق

بين الامرين فان قلت فكيف يتصور ان لا يحزن اذا اخذ متاعه الذي هو محتاج اليه ولا يأسف

عليه فان كان لا يشتهيه فلم امسكه واغلق الباب عليه وان امسكه لانه يشتهيه لحاجته اليه فكيف

لا يتأذى ولا يحزن وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه فاقول انما كان يحفظه ليستعين به على دينه

اذ كان يظن ان الخيرة له في ان يكون له ذلك المتاع ولولا ان الخيرة له فيه لما رزقه الله ولما اعطاه فاستدل

على ذلك بتيسير الله تعالى وحسن الظن بالله تعالى فظن انه سبب له على اسباب دينه ولم يكن ذلك عنده قطعا اذ

يحتمل ان يكون خيرته في ان يبتلي بفقد ذلك حتى يتعب في تحصيل عوضه ويكون ثوابه في التعب والنصب اكثر

فلما اخذه الله تعالى منه بتسليط اللص تغير ظنه لانه في جميع الاحوال واثق بحسن الظن فيقول لولا ان الله

علم ان الخيرة لي كانت في وجوده الى الان وان الخيرة الآن في عدمه لما اخذه مني وبمثل هذا يتصور ان يندفع

الحزن عنه اذ به يخرج عن ان يكون فرحه بالاسباب عناية به ولطفا وهو كالمريض بين يدي الطبيب المشفق يرضى بما

يفعله فان قدم اليه الغذاء فرح وقال لولا انه عرف ان الغذاء ينفعني وقد قويت على احتماله لما قدمه الي

وان اخر عنه الغذاء بعد ذلك ايضا فرح وقال لولا ان الغذاء يضرني ويسوقني الى الموت لما حال بيني

وبينه وكل من لا يعتقد في لطف الله تعالى ما يعتقده المريض في الوالد المشفق الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه التوكل

اصلا ومن عرف الله تعالى وعرف افعاله وعرف سنته في اصلاح عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري

اي الاسباب خير له كما قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي وكذلك ينبغي ان لا

يبالي المتوكل بسرقة متاعه او بقائه فانه لا يدري ايهما خير له في الدنيا ولا في الاخرة فكم من متاع في

الدنيا يكون سبب هلاك الانسان وكم من غني يبتلى بواقعة لاجل غناه فيقول ليتني كنت فقيرا

الفن الرابع السعي في ازالة الضرر كمداواة المرض وامثاله اعلم ان الاسباب المزيلة للضرر

ايضا تنقسم الى مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع والى مظنون كالفصد والحجامة و

شرب المسهل وسائر ابواب الطب اعني معالجة البرودة بالحرارة ومعالجة الحرارة بالبرودة وهي الاسباب

الظاهرة في الطب والى موهوم كالكي والرقية اما المقطوع به فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند

(في الحاشية:) ثم اورد ههنا ان التوكل اذا كان على هذا [illegible]

من ارض ونار اما التوكل ليكتفي بغير [illegible]

الموت واما التوكل في ذلك [illegible] الطب [illegible]

المدرج شرط التعبير [illegible] الاسباب [illegible] التداوي [illegible]

او منه وصف [illegible] الظاهرة [illegible] الاسباب [illegible] التداوي [illegible]

انواع الكي [illegible] والاسباب [illegible] الاولى والدواء [illegible]

الاعمال وطلب [illegible] والكي [illegible] وصف [illegible]

الدرجة المتوسطة [illegible] بعض الاشخاص [illegible] فقال [illegible] الدواء [illegible]

فعله ليس مناقضا للتوكل [illegible] بعض الاحوال [illegible] اخراج الدم [illegible]

من فعله في بعض الاحوال وقوله وامره به [illegible] تداووا عباد الله [illegible]

للتوكل فعل رسول الله وقال تداووا [illegible] الحجامة [illegible]

الا الناس فينفع الموت [illegible] الملائكة الا قالوا مر امتك بالحجامة [illegible]

ما مررت بملا من الملائكة [illegible] التوكل [illegible] سعد بن زرارة [illegible]

فذكر ان التبيغ سبب الموت [illegible] ليس من شرط التوكل [illegible]

من بحث الثياب واخراج الدم [illegible] التوكل [illegible] سعد بن معاذ [illegible]

من التوكل الخروج [illegible] التداوي [illegible] وصف [illegible]

عن واحد من الصحابة [illegible] وكل من هذا [illegible] الطب [illegible]

من هذا ابتغى الطب [illegible] تداووا [illegible]

العين بالكل [illegible] تداويت [illegible] الدواء [illegible]

يكتحل كل ليلة [illegible] فكان يعلقه [illegible] في الاسراء [illegible]

العلق [illegible] له لو تداويت [illegible] فقالت عائشة [illegible] وانا تداويت [illegible] قد امت [illegible] ابنه [illegible]

وعزتي وجلالي لا ابرئك حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرأ فاوجس في

نفسه من ذلك فاوحى الله اليه اردت ان تبطل حكمتي بتوكلك علي من اودع العقاقير منافع الاشياء غيري وفي

خبر اخر ان نبيا من الانبياء شكى علة يجدها فاوحى الله تعالى اليه كل البيض وشكى نبي اخر الضعف فاوحى

الله اليه كل اللحم باللبن فان فيهما القوة قيل هو الضعف عن الجماع وقد روي ان قوما شكوا الى

نبيهم قبح اولادهم فاوحى الله تعالى اليه مرهم ان يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد ويفعل ذلك

في الشهر الثالث والرابع اذ فيه يصور الله تعالى الولد وقد كانوا يطعمون الحبلى السفرجل والنفساء الرطب فهذا

يعرفك ان مسبب الاسباب اجرى سنته بربط المسببات بالاسباب لاظهار الحكمة والادوية اسباب مسخرة بحكم

الله تعالى كسائر الاسباب فكما ان الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش والسكنجبين دواء الصفراء والسقمونيا

دواء الاسهال لا يفارقه الا في امرين احدهما ان معالجة الجوع والعطش بالماء والخبز جلي واضح يدركه كافة

الناس ومعالجة الصفراء بالسكنجبين يدركه بعض الخواص ممن ادركه بالتجربة فمن حصل له بالتجربة والا فما ان

الدواء يسهل والسكنجبين يسكن الصفراء بشروط اخر في الباطن واسباب في المزاج ربما يتعذر الوقوف

على جميع شروطها وربما يفوت بعض الشروط فيبقى عمل الدواء عن الاسهال وازالة العطش لا يستدعي سوى

الماء شروطا كثيرة وقد يتفق من العوارض ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر واختلاف

الاسباب لما يتفق في مدى الغني والاغلب تلو المسبب لا محالة مهما تمت شروط السبب وكل ذلك بتدبير

مسبب الاسباب وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضر المتوكل استعماله مع النظر الى مسبب الاسباب

دون الطبيب والدواء وقد روي عن موسى عليه السلام انه قال يا رب ممن الدواء والشفاء فقال تعالى مني

قال فما يصنع الاطباء قال ياكلون ارزاقهم ويطيبون قلوب عبادي حتى ياتي شفائي او قضائي فاذن

معنى التوكل مع التداوي التوكل بالعلم والحال كما سبق في فنون الاعمال الدافعة للضرر والجالبة للنفع فاما

ترك التداوي راسا فليس شرطا فيه فان قلت فالكي ايضا من الاسباب الظاهرة النفع فاقول

ليس كذلك اذ الاسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب المسهل وسقي المبردات للمحرور واما الكي فلو كان

مثلها في الظهور لما خلت البلاد الكثيرة عنه وقلما يعتاد الكي في اكثر البلاد وانما ذلك عادة الاتراك

والاعراب

بيان ان ترك التداوي قد يحمد في بعض الاحوال ويدل على قوة التوكل وان ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وآله

اعلم ان الذين تداووا من السلف لا ينحصرون ولكن قد ترك التداوي ايضا جماعة من الاكابر فربما يظن ان ذلك نقصان لانه لو كان كمالا لتركه رسول الله صلى الله عليه وآله اذ لا يكون حال غيره في التوكل اكمل من حاله. وقد روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قيل له لو دعونا لك طبيبا فقال الطبيب قد نظر الي وقال اني فعال لما اريد. وقيل لابي الدرداء في مرضه ما تشتكي قال ذنوبي قيل فما تشتهي قال مغفرة ربي قالوا الا ندعو لك طبيبا قال الطبيب امرضني. وقيل لابي ذر وقد رمدت عيناه لو داويتهما قال اني عنهما مشغول فقيل لو سالت الله تعالى ان يعافيك فقال اساله فيما هو اهم علي منهما. وكان الربيع بن خثيم اصابه فالج فقيل له لو تداويت فقال قد هممت ثم ذكرت عادا وثمود واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكان فيهم الاطباء فهلك المداوي والمداوى ولم تغن الرقى شيئا. وقيل لسهل متى يصح للعبد التوكل قال اذا دخل عليه الضر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله وينظر الى قيام الله تعالى عليه. فاذن من الناس من ترك التداوي ورآه فضيلة ومنهم من تداوى ولم ير في ذلك نقصا وانما ترك التداوي لاسباب

الاول ان يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف بانه انتهى اجله وان الدواء لا ينفعه ويكون ذلك معلوما عنده تارة برؤيا صادقة وتارة بحدس وظن وتارة بكشف محقق ويشبه ان يكون ترك الصديق رضي الله عنه التداوي من هذا السبب

الثاني ان يكون المريض مشغولا بحاله وبخوف عاقبته واطلاع الله تعالى عليه فينسيه ذلك الم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوي شغلا بحاله وعليه يدل كلام ابي ذر اذ قال اني عنهما مشغول وكلام ابي الدرداء اذ قال انما اشتكي ذنوبي فكان تالم قلبه خوفا من ذنوبه اكثر من تالم بدنه بالمرض

اذا غابت ... الثالث ان تكون العلة مزمنة والدواء الذي يؤمر به بالاضافة الى علته موهوم النفع جار مجرى الكي والرقية فيتركه المتوكل واليه يشير قول الربيع بن خثيم اذ قال ذكرت عادا وثمود وفيهم الاطباء فهلك المداوي والمداوى اي ان الدواء غير موثوق به وهذا قد يكون كذلك في نفسه وقد يكون عند المريض كذلك لقلة ممارسته الطب وقلة تجربته له فلا يغلب على ظنه كونه نافعا ولا شك في ان الطبيب المجرب اشد اعتقادا في الادوية من غيره فيكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد بحسب التجربة واكثر من ترك التداوي من العباد والزهاد هذا مستندهم لانه يبقى الدواء عندهم شيئا موهوما لا اصل له وذلك صحيح في بعض الادوية عند من عرف صناعة الطب غير صحيح في البعض لكن غير الطبيب قد ينظر الى الكل نظرا واحدا فيرى التداوي تعمقا في الاسباب كالكي والرقى فيتركه توكلا

الرابع ان يقصد العبد بترك التداوي استبقاء المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى او ليجرب نفسه في القدرة على الصبر فقد ورد في ثواب المرض ما يكثر ذكره فقد قال صلى الله عليه وآله نحن معاشر الانبياء اشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب الايمان شدد عليه البلاء وان كان ضعيف الايمان خفف عنه البلاء. وفي الخبر ان الله تعالى ليجرب عبده بالبلاء كما يجرب احدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم من يخرج اسود محترقا. وفي حديث من طريق اهل البيت ان الله تعالى اذا احب عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضي اصطفاه. وقال صلى الله عليه وآله اتحبون ان تكونوا كالحمر الضالة لا تمرضون ولا تسقمون. وقال ابن مسعود تجد المؤمن اصح شيء قلبا وامرضه جسما وتجد المنافق اصح شيء جسما وامرضه قلبا. فلما عظم الثناء على المرض والبلايا احب قوم المرض واغتنموه لينالوا ثواب الصبر عليه فكان منهم من له علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ويقاسي العلة ويرضى بحكم الله تعالى ويعلم ان الحق اغلب على قلبه من ان يشغله المرض عنه وانما يمنع المرض جوارحه وعلموا ان صلاتهم قاعدا مع الصبر على قضاء الله تعالى افضل من الصلاة قائما مع العافية والصحة ففي الخبر ان الله تعالى يقول للملائكة اكتبوا لعبدي صالح ما كان يعمل فانه في وثاقي ان اطلقته ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته توفيته الى رحمتي. وقال صلى الله عليه وآله افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس فقيل معناه ما دخل عليها من الامراض والمصائب واليه الاشارة

بقوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم. وكان سهل يقول ترك التداوي وان ضعف عن الطاعات وقصر عن الفرائض افضل من التداوي لاجل الطاعات وكان به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها وكان يداوي الناس منها فاذا راى العبد يصلي من قعود ولا يستطيع اعمال البر من ذلك ويعجب من ذلك ويقول صلاته من قعود مع الرضا بالحال افضل من التداوي للقوة والصلاة قائما ... الضعف ... قيل الله تعالى ... احب ... النبي صلى الله عليه وآله ... لم ياخذ ... فلا سوال عليه وكان ... والتوكل افضل من اعمال الجوارح والمرض لا يمنع من اعمال القلوب الا ان يكون المرض شديدا ... القلوب مثل الصبر والرضا والتوكل ... عقوبة

الخامس ان يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف منها عاجز عن تكفيرها فيرى المرض اذا طال تكفيرا فيترك التداوي خوفا من ان يسرع زوال المرض فقد قال صلى الله عليه وآله لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى يمشي على الارض كالبردة ما عليه ذنب ولا خطيئة. وفي الخبر حمى يوم كفارة سنة فقيل لانه يهد قوة سنة وقيل للانسان ثلاثمائة وستون مفصلا والحمى تدخل جميعها ويجد في كل واحد ألما فيكون كل الم كفارة يوم. ولما ذكر صلى الله عليه وآله كفارة الذنوب بالحمى سال زيد بن ثابت ربه ان لا يزال محموما فلم تكن الحمى تفارقه حتى مات رحمه الله وسال ذلك طائفة من الانصار فكانت الحمى لا تفارقهم. وقال عيسى عليه السلام لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب والامراض على جسده وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطاياه. وروي ان موسى عليه السلام نظر الى عبد عظيم البلاء فقال يا رب ارحمه فقال تعالى كيف ارحمه فيما به ارحمه اي به اكفر ذنوبه وازيد في درجاته

السادس ان يستشعر العبد في نفسه مبادي البطر والطغيان بطول مدة الصحة فيترك التداوي خوفا من ان يعاجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر والطغيان وطول الامل والتسويف في تدارك الفائت وتاخير الخيرات فان الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها ينبعث الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو الى المعاصي واقلها ان تدعو الى التنعم في المباحات وهو تضييع الاوقات واهمال الربح العظيم في مخالفة النفس وملازمة الطاعات واذا اراد الله بعبد خيرا لم يخله عن التنبه بالامراض والمصائب ولذلك قيل لا يخلو المؤمن من علة او قلة او ذلة. وقد روي ان الله تعالى يقول الفقر سجني والمرض قيدي

احبس به من احب من خلقي فاذا كان في المرض حبس عن الطغيان وركوب المعاصي فاي خير يزيد عليه ولا ينبغي ان يشتغل بعلاجه من يخاف ذلك على نفسه فالعافية في ترك المعاصي فقد قال بعض العارفين لانسان كيف كنت بعدي قال في عافية قال ان كنت لم تعص الله فانت في عافية وان كنت قد عصيته فاي داء ادوى من المعصية ما عوفي من عصى. وقال علي عليه السلام لما راى زينة النبط بالعراق في يوم عيدهم ما هذا الذي اظهروه قالوا يا امير المؤمنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لا نعصي الله فيه فهو لنا عيد. وقال تعالى وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون قيل العافية. وقال بعضهم انما قال فرعون انا ربكم الاعلى لطول العافية لانه لبث اربعمائة سنة لم يصدع له راس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو اخذته الشقيقة كل يوم لشغلته عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية. وقد قال صلى الله عليه وآله اكثروا من ذكر هاذم اللذات. وقيل الحمى بريد الموت فهو مذكر به ودافع للتسويف. وقال تعالى اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قيل يفتنون بالامراض ويختبرون بها. ويقال ان العبد اذا مرض مرضتين ثم لم يتب قال ملك الموت يا غافل جاءك مني رسول بعد رسول فلم تجب. وقد كان السلف يستوحشون اذا خرج عام لم يصابوا فيه بنقص في نفس او مال. وقال لا يخلو المؤمن في كل اربعين يوما ان يروع بروعة او يصاب بنكبة حتى روي ان عمار بن ياسر تزوج امراة فلم تكن تمرض فطلقها. وان النبي صلى الله عليه وآله عرض عليه امراة فذكر من وصفها حتى هم ان يتزوجها فقيل انها ما مرضت قط فقال لا حاجة لي فيها. وذكر رسول الله صلى الله عليه وآله الامراض والاوجاع كالصداع وغيره فقال رجل وما الصداع ما اعرفه فقال صلى الله عليه وآله اليك عني من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى هذا. وهذا لانه ورد في الخبر ان الحمى حظ المؤمن من النار. وفي حديث انس وعائشة قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهداء غيرهم يوم القيامة قال نعم من ذكر الموت في كل يوم عشرين مرة. وفي لفظ آخر الذي يذكر ذنوبه فتحزنه. ولا شك في ان ذكر الموت على المريض اغلب فلما ان كثرت فوائد المرض

[illegible]

بيان الرد على من قال ان ترك التداوي افضل [illegible]

[illegible]

في هذا ابا ح فهذا لا يدل على المقصود ولكن الذي يتقدح فيه والعلم عند الله ان الهوآء لا يضر من حيث
يلاقي ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق فلا يظهر الوبآء على الظاهر الا بعد طول التاثير في
الباطن فالخروج من البلد لا يخلص غالبا من الاثر الذي استحكم من قبل ولكنه يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات
كالرقية والطيرة وغيرها فلو تجرد هذا المعنى لكان مناقضا للتوكل ولم يكن منهيا عنه ولكن صار منهيا عنه لانه
انضاف اليه امر اخر وهو انه لو رخص للاصحاء في الخروج لما بقي في البلد الا المرضى الذين اقعدهم المرض والطاعون
وانكسرت قلوبهم وفقدوا المتعهدين ولم يبق في البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرة
ذلك بانفسهم فيكون ذلك سعيا في اهلاكهم تحقيقا وخلاصهم منتظر كما ان خلاص الاصحاء منتظر فلو اقاموا لم
يكن الاقامة قاطعا بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص وهو قاطع في اهلاك الباقين والمسلمون
كالبنيان يشد بعضهم بعضا والمؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى اليه سائر اعضائه
فهذا هو الذي يتقدح عندنا في تعليل النهي وينعكس هذا فيمن لم يقدم على البلد فانه لم يؤثر الهواء في باطنهم
ولا باهل البلد حاجة اليهم نعم لو لم يبق في البلد الا مطعونون وافتقروا الى المتعهدين فقدم عليهم قوم فربما
كان ينقدح استحباب الدخول ههنا لاجل الاعانة او لا ينهى عن الدخول لانه تعرض لضرر موهوم على رجاء
دفع ضرر عن بقية المسلمين ولهذا شبه الفرار من الطاعون في بعض الاخبار بالفرار من الزحف لان فيه كسر
القلوب لبقية المسلمين وسعيا في اهلاكهم فهذه امور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر الى ظواهر الاخبار
والاثار ربما يناقض عنده اكثر ما سمعه غلط الزهاد والعباد في مثل هذا اكثر وانما شرف العلم وفضيلته
لاجل ذلك فان قلت فترك التداوي فضل كما ذكرتم فلم لم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم التداوي لينال
الفضل فنقول فيه فضل بالاضافة الى من كثرت ذنوبه ليكفرها او خاف على نفسه طغيان العافية وغلبة
الشهوات او احتاج الى ما يذكره الموت لغلبة الغفلة او احتاج الى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن
مقامات الراضين والمتوكلين او قصرت بصيرته عن الاطلاع على ما اودع الله الادوية من لطائف المنافع
حتى صار في حقه موهوما كالرقى او كان يشغله حاله فيمنعه عن التداوي فكان التداوي يشغله عن حاله لضعفه في الاضافة
لضعفه عن الجمع فالى هذه المعاني رجعت الصوارف عن ترك التداوي وكل ذلك كمال

[illegible]

[illegible]

ممن يقتدى به وكان يكتب في المعرفة فاراد ان يذكره ان يعلم ... حسن الصبر في المرض بل ...
[illegible]

الثالث [illegible]

[illegible]

احياء علوم الدين

كتاب المحبة والشوق والرضا والانس وهو الكتاب السادس من ربع المنجيات من كتب

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي نزه قلوب اوليائه على الالتفات الى متاع الدنيا وحضرتها وصفى
اسرارهم عن ملاحظة غير حضرته ثم استخلصها للعكوف على بساط عزته ثم تجلى لها باسمائه وصفاته حتى اشرقت
بانوار معرفته ثم كشف لها عن سبحات وجهه حتى احترقت بنار محبته ثم احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت
في بيداء كبريائه وعظمته فكلما اهتزت لملاحظة كنه الجلال غشيها من الدهش ما غبر في وجه
العقل وبصيرته وكلما همت بالانصراف عنه آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا ايها الآيس
عن نيل الحق بجهلك وعجلته فبقيت بين الرد والقبول والصد والوصول غرقى في بحر معرفته ومحترقة بنار
محبته والصلوة على محمد خاتم الانبياء بكمال نبوته وعلى آله واصحابه سادة الخلق وائمته وقادة
الحق وازمته وسلم كثيرا اما بعد فان المحبة لله عز وجل هي الغاية القصوى من المقامات والذروة
العليا من الدرجات فما بعد ادراك المحبة مقام الا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والانس
والرضا واخواتها ولا قبل المحبة مقام الا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها وسائر المقامات
ان عز وجودها فلم تخل القلوب عن الايمان بامكانها فاما محبة الله عز وجل فقد عز الايمان بها حتى انكر بعض
العلماء امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعة الله عز وجل واما حقيقة المحبة فمحال الا مع الجنس والمثل
ولما انكروا المحبة انكروا الانس والشوق ولذة المناجات وساير لوازم الحب وتوابعه ولا بد من كشف
الغطاء عن هذا الامر ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع في المحبة ثم بيان حقيقتها واسبابها
اعلم ان الامة مجمعة على ان الحب لله عز وجل ولرسوله فرض وكيف نفرض ما لا وجود له وكيف يفسر الحب
بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته فلا بد ان يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من احب ومن شواهد الشرع
في حبه عز وجل قوله يحبهم ويحبونه وقوله تعالى والذين آمنوا اشد حبا لله وهو دليل على اثبات
الحب والتفاوت فيه وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الحب لله من شرط الايمان في اخبار كثيرة كقوله لا يؤمن احدكم
حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما كيف وقد قال تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم
الى قوله احب اليكم من الله ورسوله وانما ذكر ذلك في معرض التهديد والانكار وقد امر عليه السلام بالمحبة فقال
احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله وقد روي ان رجلا قال يا رسول الله اني احبك فقال

احبوا الله تعالى قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه لقد رايته بين ابويه يغذوانه باطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله الى ما ترون وفي الخبر المشهور ان ابراهيم عليه السلام قال لملك الموت اذ جاءه ليقبض روحه هل رايت خليلا يميت خليله فاوحى الله تعالى اليه هل رايت محبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت الان فاقبض وهذا لا يجده الا عبد يحب الله بكل قلبه فاذا علم ان الموت سبب اللقاء انزعج قلبه اليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت اليه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الماء البارد وجاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة قال ما اعددت لها فقال ما اعددت لها كثير صلاة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب قال انس فما رايت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم بذلك وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه من جميع البشر وقال الحسن من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل فاذا تفكر حزن وقال ابو سليمان الداراني ان من خلق الله خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا ويروى ان عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نحلت ابدانهم وتغيرت الوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله ان يؤمن الخائف ثم جاوزهم الى ثلاثة اخرى فاذا هم اشد نحولا وتغيرا فقال ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله ان يعطيكم ما ترجون ثم جاوزهم الى ثلاثة اخرى فاذا هم اشد نحولا وتغيرا كأن على وجوههم المرائي من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا حب الله عز وجل فقال انتم المقربون انتم المقربون ... غير المحبين لله تعالى فانهم ينادون ... وقال هرم بن حيان المؤمن اذا عرف ربه عز وجل احبه واذا احبه اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الاخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الاخرة وقال يحيى بن معاذ عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الامال فكيف وده

وانتطق

وقد ورد في حب الله تعالى من الاخبار والاثار ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك امر ظاهر وانما الغموض في تحقيق معناه فلنشتغل به

بيان حقيقة المحبة واسبابها وتحقيق محبة العبد لله تعالى

اعلم ان المطلوب من هذا الفصل لا ينكشف الا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها واسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله عز وجل فاول ما ينبغي ان يتحقق انه لا يتصور محبة الا بعد معرفة وادراك اذ لا يحب الانسان الا ما يعرفه ولذلك لم يتصور ان يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية الحي المدرك ثم المدركات في انقسامها تنقسم الى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه والى ما ينافيه وينافره ويؤلمه والى ما لا يؤثر فيه بايلام والذاذ فكل ما في ادراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما في ادراكه الم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن الم ولذة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فاذن كل لذيذ محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه محبوبا ان في الطبع ميلا اليه ومعنى كونه مبغوضا ان في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشيء الملذ فان تاكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب فاذا قوي سمي مقتا فهذا اصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته

الاصل الثاني ان الحب لما كان تابعا للمعرفة والادراك انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل حاسة ادراك لنوع من المدركات ولكل واحدة منها لذة في بعض المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت محبوبة عند الطبع السليم فلذة العين في الابصار وادراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة ولذة الاذن في النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم في الروائح الطيبة ولذة الذوق في الطعوم ولذة اللمس في اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذة كانت محبوبة اذ كان للطبع السليم ميل اليها حتى قال عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنسا وجعلت قرة عيني في الصلوة فسمى الطيب محبوبا ومعلوم انه لا حظ للعين والسمع فيه بل للشم فقط وسمى النسا محبوبا ولا حظ فيهن الا للبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع وسمى الصلوة قرة عين وجعلها ابلغ المحبوبات ومعلوم انه ليس يحظى بها الحواس الخمس بل حس سادس مظنته القلب لا يدركه الا من كان له قلب ولذات الحواس الخمس تشاركه فيها البهائم الانسان فان كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا يحب فاذن قد بطل خاصية الانسان وما تميز به عن الحس

السادس الذي يعبر عنه اما بالعقل او بالنور او بالقلب او بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيها وهيهات فالبصيرة الباطنة اقوى من البصر الظاهر والقلب اشد ادراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار فتكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه من الامور الشريفة الالهية التي تجل عن ان تدركها الحواس اتم وابلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليه اقوى ولا معنى للحب الا الميل الى ما في ادراكه لذة كما سياتي تفصيله فلا ينكر اذن حب الله تعالى الا من قعد به القصور في درجة البهائم فلم يجاوز ادراكه الحواس اصلا

الاصل الثالث ان الانسان لا يخفى انه يحب نفسه ولا يخفى انه قد يحب غيره لاجل نفسه وهل يتصور ان يحب غيره لذاته لا لاجل نفسه هذا مما قد يشكل على الضعفا حتى يظنون انه لا يتصور ان يحب الانسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ الى المحب سوى ادراك ذاته والحق ان ذلك متصور وموجود فلنبين اسباب المحبة واقسامها وبيانه ان المحبوب الاول عند كل حي نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه ان في طبعه ميلا الى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه لان المحبوب بالطبع هو الملائم للمحب واي شي اتم ملائمة من نفسه ودوام وجوده واي شي اعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه فلذلك يحب الانسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا لمجرد ما يخافه بعد الموت ولا لمجرد الحذر من سكرات الموت بل لو اختطف من غير الم واميت من غير ثواب ولا عقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت والعدم المحض الا لمقاساة الم في الحيوة ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلا فان احب العدم لم يحبه لانه عدم بل لان فيه زوال البلا فالهلاك والعدم ممقوت ودوام الوجود محبوب وكما ان دوام الوجود محبوب فكمال الوجود ايضا محبوب لان الناقص فاقد للكمال والنقص عدم بالاضافة الى القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة اليه والهلاك والعدم ممقوت في الصفات وكمال الوجود كما هو ممقوت في اصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما ان دوام اصل الوجود محبوب وهذه غريزة في الطباع بحكم سنة الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا فاذن المحبوب الاول للانسان ذاته ثم سلامة اعضائه ثم ماله وولده وعشيرته واصدقاؤه فالاعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لان كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها والمال محبوب لانه ايضا آلة في دوام الوجود وكماله وكذا سائر الاسباب فالانسان يحب هذه الاشيا لا لاعيانها بل لارتباط حظه في دوام الوجود وكماله بها حتى انه ليحب ولده

ولده وان كان لا يناله منه حظ بل يتحمل المشاق لاجله لانه يخلفه في الوجود بعد عدمه فيكون في بقاء نسله نوع بقاء له فلفرط حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم مقامه وكانه جزء منه لما عجز عن الطمع في بقاء نفسه ابدا نعم لو خير بين قتله وقتل ولده وكان طبعه باقيا على اعتداله آثر بقاء نفسه على بقاء ولده لان بقاء ولده يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاءه المحقق وكذلك حبه لاقاربه وعشيرته يرجع الى حبه لكمال نفسه فانه يرى نفسه كثيرا بهم قويا بسببهم متجملا بكمالهم فان العشيرة والمال والاسباب الخارجة كالجناح المكمل للانسان وكمال الوجود ودوامه محبوب بالطبع لا محالة فاذن المحبوب الاول عند كل حي ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله والمكروه عنده ضد ذلك فهذا هو اول الاسباب

السبب الثاني الاحسان فان الانسان عبد الاحسان وقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر علي يدا فيحبه قلبي اشار الى ان حب القلب للمحسن اضطرار لا يستطاع دفعه وهو جبلة وفطرة لا سبيل الى تغييرها وبهذا السبب قد يحب الانسان الاجنبي الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة وهذا اذا حقق رجع الى السبب الاول فان المحسن من امده بالمال والمعونة وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التي بها يتهيأ الوجود الا ان الفرق ان اعضاء الانسان محبوبة لان بها كمال وجوده وهي عين الكمال المطلوب فاما المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له كالطبيب الذي يكون سببا في دوام صحة الاعضاء ففرق بين حب الصحة وحب الطبيب الذي هو سبب الصحة اذ الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب لا لذاته بل لانه سبب للصحة وكذلك العلم محبوب والاستاد محبوب ولكن العلم محبوب لذاته والاستاد محبوب لا لذاته بل لانه سبب العلم المحبوب فاذن يرجع الفرق الى تفاوت الرتبة والا فكل واحد يرجع الى محبة الانسان نفسه فكل من احب المحسن لاحسانه فما احب ذاته تحقيقا بل احب احسانه وهو فعل من افعاله لو زال زال الحب مع بقاء ذاته ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد ويتطرق اليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه

السبب الثالث ان يحب الشي لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته بل يكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه وذلك

كل جمال محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا تظنن ان حب الصور الجميلة لا يتصور الا لاجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذة اخرى قد يحب الصور الجميلة لاجلها وادراك نفس الجمال ايضا لذيذ فيجوز ان يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري محبوب لا ليشرب الماء وتؤكل الخضرة او ينال منها حظ سوى نفس الرؤية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الخضرة والماء الجاري والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة الالوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل حتى ان الانسان لتنفرج عنه الغموم والهموم بالنظر اليها لا لطلب حظ وراء النظر فهذه الاسباب ملذة وكل لذيذ محبوب وكل حسن وجمال فلا يخلو ادراكه عن لذة ولا احد ينكر كون الجمال محبوبا بالطبع فان ثبت ان الله جميل كان لا محالة محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال ولعلك تظن ان المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات لا معنى للحسن والجمال الا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض مشربا بالحمرة وامتداد القامة الى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الانسان فان الحسن الاغلب على الخلق حسن الابصار واكثر التفاتهم الى صور الاشخاص فيظن ان ما ليس مبصرا ولا متخيلا ولا متشكلا ولا ملونا مقدرا فلا يتصور حسنه واذا لم يتصور حسنه لم يكن في ادراكه لذة فلم يكن محبوبا وهذا خطأ ظاهر فان الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالحمرة فانا نقول هذا خط حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن فأي معنى لحسن الصوت والخط وسائر الاشياء ان لم يكن الحسن الا في الصورة ومعلوم ان العين تستلذ بالنظر الى الخط الحسن والاذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة وما من شيء من المدركات الا وهو منقسم الى حسن وقبيح فما معنى الحسن الذي تشترك فيه هذه الاشياء فلا بد من البحث عنه وهذا البحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة الاطناب فيه فنصرح بالحق ونقول كل شيء فجماله وحسنه في ان يحضر كماله اللائق به الممكن له فاذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال وان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن هو الذي جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كر وفر عليه والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده فحسن كل شيء في كماله الذي يليق

به

به فللحسن للانسان بما يحسن به الفرس ولا الحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا يحسن الاواني بما يحسن به الثياب وكذلك سائر الاشياء فان قلت فهذه الاسباب وان لم يدرك حسنها بالبصر مثل الاصوات والطعوم فانها لا تنفك عن ادراك الحواس لها فهي محسوسات وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذة بادراك حسنها وانما ينكر ذلك في غير المدرك بالحواس فاعلم ان الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات اذ يقال هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه اخلاق جميلة وانما الاخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروة وسائر خلال الخير وشيء من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة وكل هذه الخلال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته وآية ان الامر كذلك ان الطباع مجبولة على حب الانبياء صلوات الله عليهم وعلى حب الصحابة رضي الله عنهم مع انهم لم يشاهدوا بل حب ارباب المذاهب حتى ان الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد العشق ويحمله ذلك على ان ينفق جميع امواله في نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في امامه ومتبوعه فكم من دم اريق في نصرة ارباب المذاهب وليت شعري من يحب الشافعي مثلا فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته فاستحسانه الذي حمله على افراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة فان صورته الظاهرة قد انقلبت ترابا وانما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والاحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لافاضة علم الشرع ولنشره هذه الخيرات في العالم وهذه امور جميلة لا يدرك جمالها الا بنور البصيرة فاما الحواس فقاصرة عنها وكذلك من يحب الشافعي وتلك الصفات ترجع جملتها الى العلم والقدرة اذ علم حقائق الامور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته فجميع خلال الخير يتشعب عن هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحس ومحلهما من جملة البدن جزء لا يتجزى فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزى صورة وشكل ولون يظهر حتى يكون محبوبا لاجله فاذن الجمال موجود في السير ولو صدرت السيرة الجميلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حبا فالمحبوب مصدر السيرة الجميلة وهي الاخلاق الحميدة والفضائل الشريفة ويرجع جملتها الى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى ان الصبي المخلى وطبعه اذا اردنا ان نحبب اليه غائبا او حاضرا حيا كان او ميتا لم يكن لنا سبيل الا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة فمهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه ولم يقدر ان لا يحبه فهل غلب حب الصحابة وبغض ابي جهل

ان م

وبغض ابليس اللعين الا بالاطناب في وصف المحاسن والمقابح التي لا تدرك بالحواس بل لما وصف الناس حاتما بالسخاء ووصفوا خالدا بالشجاعة احبتهم القلوب حبا ضروريا وليس ذلك عن نظر الى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهم بل اذا حكي من سيرة بعض الملوك في بعض اقطار الارض العدل والاحسان وافاضة الخير غلب حبه على القلوب مع الياس من انتشار احسانه الى المحبين لبعد المزار ونأي الديار فاذن ليس حب الانسان مقصورا على من احسن اليه بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي قط احسانه اليه وكل جمال وحسن محبوب والصورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصورة الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل اليها ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة اكثر من حبه للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشا مصورا على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبيا من الانبياء لجمال صورته الباطنة السبب الخامس المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب اذ رب شخصين تتأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال او حظ ولكن بمجرد تناسب الارواح كما قال صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقد حققنا ذلك في كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه فهذه ايضا من عجائب اسباب الحب فترجع اقسام الحب الى خمسة اسباب وهو حب الانسان وجود نفسه وكماله وبقاءه وحبه من احسن اليه فيما يرجع الى دوام وجوده ويعين على بقائه ودفع المهلكات عنه وحبه من كان محسنا في نفسه الى الناس وان لم يكن محسنا اليه وحبه لكل ما هو جميل في ذاته سواء كان من الصور الظاهرة او الباطنة وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن فلو اجتمعت هذه الاسباب في شخص واحد تضاعف الحب لا محالة كما لو كان للانسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن الى الخلق ومحسن الى الوالد كان محبوبا لا محالة غاية الحب وتكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال في نفسها فان كانت هذه الصفات في اقصى درجات الكمال كان الحب لا محالة في اعلى الدرجات فلنبين الآن ان هذه الاسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها الا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة الا الله تعالى

[illegible]

بعد كل الاسباب ... لان شبه الشيء منجذب اليه والشكل الى الشكل اميل ولذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير يألف الكبير ويألف الطير نوعه وينفر من غير نوعه وانس

العالم

العالم بالعالم اكثر منه بالمحترف والفلاح بالفلاح وانسه به اكثر من انسه بالفلاح وهذا امر يشهد له التجربة وتشهد له الاخبار والآثار كما استقصيناه في باب الاخوة في الله من كتاب آداب الصحبة فليطلب منه واذا كانت المناسبة سبب المحبة فالمناسبة قد تكون في معنى ظاهر كمناسبة الصبي مع الصبي وقد تكون خفية حتى لا يطلع عليها كما يرى من الاتحاد الذي يقع بين شخصين من غير ملاحظة جمال او طمع في مال او غيره كما اشار اليه صلى الله عليه وسلم اذ قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف والتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين وهذا السبب ايضا يقتضي حب الله لمناسبة باطنة لا ترجع الى المشابهة في الصور والاشكال بل الى معان باطنة يجوز ان يذكر في الكتب بعضها ولا يجوز ان يسطر بعضها بل يترك تحت غطاء الغيرة حتى يعثر عليه السالكون للطريق اذا استكملوا شرط السلوك فالذي يذكر هو قرب العبد من الله عز وجل في الصفات التي امر فيها بالاقتداء والتخلق باخلاق الربوبية حتى قيل تخلقوا باخلاق الله وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي من صفات الالهية من العلم والبر والاحسان واللطف وافاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وارشادهم الى الحق ومنعهم من الباطل الى غير ذلك من مكارم الشريعة فكل ذلك يقرب الى الله عز وجل لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات واما ما لا يجوز ان يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة التي اختص بها الآدمي فهي التي يومى اليها قوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي اذ

بيان ان اجل اللذات واعلاها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور ان يؤثر عليها لذة اخرى الا من حرم هذه اللذة

اعلم ان اللذات تابعة للادراكات والانسان جامع لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها مقتضى طبعها التي خلقت له فان هذه الغرائز ما ركبت في الانسان عبثا بل خلقت كل قوة وغريزة لامر من الامور هو مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبعها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل الغذاء الذي هو مقتضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الابصار والاسماع والشم فلا تخلو غريزة من هذه الغرائز عن الم ولذة بالاضافة الى مدركاتها فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الالهي لقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالاسامي فان الاصطلاحات مختلفة والضعيف يظن ان الاختلاف واقع في المعاني لان الضعيف يطلب المعاني من الالفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لسائر اجزاء البدن بصفة بها يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كادراك

[illegible] والعالم [illegible] الامور كلها [illegible] بالصفات الالهية [illegible] فقد اشتهر اسم العقل [illegible] وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقائق الامور كلها فمقتضى طبعها المعرفة والعلم وهي لذتها كما ان مقتضى سائر الغرائز هي لذاتها ولا يخفى ان في العلم والمعرفة لذة حتى ان الذي ينسب الى العلم والمعرفة ولو في شيء خسيس يفرح به والذي ينسب الى الجهل ولو في شيء حقير يغتم به وحتى ان الانسان لا يكاد يصبر عن التحدي بالعلم والتمدح به في الاشياء الحقيرة فالعالم باللعب بالشطرنج على خسته لا يطيق السكوت عن التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته به فان العلم من اخص صفات الربوبية وهي منتهى الكمال ولذلك يرتاح الطبع اذا اثني عليه بالذكاء وغزارة العلم لانه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به ثم ليست لذة العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير امر الخلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وملكوت السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم [illegible] فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم به الذ العلوم لا محالة واشرفها واطيبها وليت شعري هل في الوجود شيء اجل واعلى واشرف واكمل واعظم من خالق الاشياء كلها ومكملها ومزينها ومبديها ومعيدها ومدبرها ومرتبها وهل يتصور ان تكون حضرة في الملك والكمال والجمال والبهاء والجلال اعظم من الحضرة الربانية التي لا يحيط بمبادي جلالها وعجائب احوالها وصف الواصفين فان كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي ان تشك في ان الاطلاع على اسرار الربوبية والعلم بترتيب الامور الالهية المحيطة بكل الموجودات هو اعلى انواع المعارف والاطلاعات والذها واطيبها واشهاها وافضلها [illegible] والاستبشار وبهذا تبين ان العلم لذيذ وان الذ العلوم العلم بالله تعالى وصفاته وافعاله وتدبيره في مملكته من منتهى عرشه الى تخوم الارضين فينبغي ان يعلم ان لذة المعرفة اقوى من سائر اللذات اعني لذة الشهوة والغضب ولذة سائر الحواس الخمس فان [illegible]

الشبق المغتلم من الجماع بالاضافة الى لذة الماء الشهوة وكمثله لذة النظر الى الوجه الحسن الباهر الكامل الذي ما دونه في الجمال وانما يعرف اقوى اللذات بان يكون موثرة على غيرها فان المخير بين النظر الى الصورة جميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة اذا اختار النظر الى الملاح علم ان الصور الجميلة عنده الذ من الروائح الطيبة وكذلك اذا حضر الطعام وقت الاكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الاكل فيعلم به ان لذة الغلبة في الشطرنج اقوى عنده من لذة الاكل فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فنعود ونقول اللذات تنقسم الى ظاهرة كلذات الحواس والى باطنة كلذة الرياسة والغلبة والكرامة وغيره اذ ليست هذه اللذات للعين ولا للانف ولا للاذن ولا للمس ولا للذوق والمعاني الباطنة اغلب على ذوي الكمال من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة الهريسة والدجاج السمين واللوزينج وبين لذة الرياسة وقهر الاعداء ونيل درجة الاستيلاء فان كان المخير خسيس الهمة ميت القلب شديد البهيمية اختار الهريسة والحلاوة وان كان علي الهمة كامل العقل اختار الرياسة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت اياما كثيرة فاختياره للرياسة يدل على انه الذ عنده من الهريسة والمطعومات نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي والذي ماتت قواه الباطنة كالمعتوه لا يبعد ان يوثر لذة المطعومات على لذة الرياسة وكما ان لذة الرياسة والكرامة اغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبي او العته فلذة معرفة الله تعالى ومطالعة جمال الحضرة الربوبية والنظر الى اسرار الامور الالهية الذ من الرياسة التي هي اعلى اللذات الغالبة على الخلق وغاية العبارة عنه ان يقول فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وانه اعد لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الآن لا يعرفه الا من ذاق اللذتين جميعا فانه لا محالة يوثر التبتل والتفرد والفكر والذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستحقر الخلق الذين يراسهم لعلمه بفناء رياسته وفناء من عليه رياسته وكونه مشوبا بالكدورات التي لا يتصور الخلو عنها وكونه مقطوعا بالموت الذي لا بد من اتيانه مهما اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها

[illegible] فيستعظم معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته وافعاله ونظام تدبير مملكته من اعلى عليين الى اسفل السافلين فانها خالية عن المزاحم والمكدرات متسعة للمتواردين عليها لا تضيق عنهم بكثرتهم وانما عرضها من حيث التقدير السموات والارض واذا خرج النظر عن المقدرات فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف بمطالعتها في جنة عرضها السموات والارض يرتع في رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع من حياضها وهو آمن من انقطاعها اذ ثمارها غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي ابدية سرمدية لا يقطعها الموت اذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى [illegible] وانما الموت يغير احوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها من حبسها [illegible] بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون [illegible] بالمقتول في المعركة فان للعارف بكل نفس درجة الف شهيد وفي الخبر ان الشهداء يتمنون يوم القيامة ان يكونوا علماء لما يرون من علو درجة العلماء فاذن جميع اقطار ملكوت السموات والارض ميدان العارف يتبوا منها حيث يشاء من غير حاجة الى ان يتحرك اليها بجسمه وشخصه [illegible] وكل عارف فله مثلها من غير ان يضيق بعضهم على بعض [illegible] الا انهم يتفاوتون في سعة منتزهاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله تعالى ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر ان لذة الرياسة وهي باطنة اقوى من اللذات المحسوسة وان لذة المعرفة اقوى من لذة الرياسة [illegible] الكمال من لذات الحواس كلها وان هذه [illegible] لا يكون لذوي الكمال مع لذة الرياسة [illegible]

لا يبقى الا ان يقال من ذاق عرف ولعمري طلاب العلوم وان لم يشتغلوا بطلب معرفة الامور الالهية فقد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التي قوي حرصهم على طلبها فانها ايضا معارف وعلوم وان كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الالهية فاما من طال فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من اسرار ملك الله ولو الشيء اليسير فانه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره وهذا مما لا يدرك الا بالذوق والحكاية فيه قليلة الجدوى فهذا القدر ينبهك على ان معرفة الله سبحانه الذ الاشياء وانه لا لذة فوقها ولهذا قال ابو سليمان الداراني ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله وفي اخبار عيسى عليه السلام اذا رايت الفتى مشغوفا بطلب الرب تعالى فقد الهاه عما سواه وراى بعض الشيوخ بشر بن الحارث في النوم فقال ما فعل ابو نصر التمار وعبد الوهاب الوراق فقال تركتهما الساعة بين يدي الله ياكلان ويشربان قلت فانت قال علم الله قلة رغبتي في الاكل والشرب فاعطاني النظر اليه وعن علي بن الموفق قال رايت في النوم كاني دخلت الجنة فرايت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو ياكل ورايت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه الناس فيدخل بعضها ويرد بعضها قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرايت في سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبد الله لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبا له فاباحه الله النظر اليه الى يوم القيامة وذلك قال ابو سليمان من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه وقال الثوري لرابعة ما حقيقة ايمانك قال ما عبدته خوفا من ناره ولا حبا لجنته فاكون كالاجير السوء بل عبدته حبا له وشوقا اليه وقالت في معنى المحبة

احبك حبين حب الهوى ... وحبا لانك اهل لذاكا
فاما الذي هو حب الهوى ... فشغلي بذكرك عمن سواكا
واما الذي انت اهل له ... فكشفك لي الحجب حتى اراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ... ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ولعلها الكبرى
ارادوا بشكر لاحب له اليها ويحبها اباه وهو غنيمة
حتى انه تعالى لاحظوظ العاجلة الذي انكشف الربوبية الى الصالحين على لالاه في الدنيا على قلب
وانعامه عليها بجماله وجلاله الذي لغة جمال الربوبية اعددت لعبادي الصالحين ذلك كلهم فضله ولقاه نعيمها
هو اطلبه الحب واقوارها ولذتها اعدد لعبادي الصالحين ما لا عين رات
اعلى الحسين حيث قال ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد يعجل بعض هذه اللذات بالله فاصبر ذلك العارفين فصار القلب
عليه السلم حيث قال لاخطر على قلب بشر فقال بعضهم اني لاقول يا رب جليسه فيقصد العارفين كلها فصار العلب بسرور فاتحة
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب وجل اراد طيب ما ادى جليسه والشهوات كلها فوق فاتحة
لمن انتهى صفاء قلبه الى الغاية ولذلك قال بعضهم اني لاطيب بالجنة اذا حصلت الحجب بالوصول الى نعيمه وبلوغه الغاية
من الجبال لان البقاء يكون من وراء حجاب ومن ارضى لهم نعيم الجنة الى الكمال ومالته والشهوات الجليلة
فقط في قرة العين التي لا يعلم نفس ما اخفي لهم والوصل اللذات بالشهوات الروية فصار يحسدني من كنت احسده
فلو التقى في الذات لم يحتمل بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم بلذة النظر الى وجه الله تعالى
ليت شعري من لا يفهم الا حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر الى وجه الله تعالى
الله تعالى به عباده وذكره انه اعظم النعم بل لا يعرف الله من اللذات ان العين اهوائي فصار يحسدني من كنت احسده
كانت لقلبي اهواء مفرقة فاستجمعت اذ راتك العين اهوائي
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي
تحت هذه اللذة كما قال بعضهم
فصرت مولى الورى اذ صرت مولائي
ولذلك قال بعضهم وجوه اعظم منا زاره ووصله اطيب من جنته وما ارادوا بها الا لذة النظر
الله تعالى على لذة الاكل والشرب والنكاح فان الجنة معدن تمتع الحواس فاما القلب فلذته في لقاء الله فقط
ومثال اطوار الخلق في لذاتهم ما نذكره وهو ان الصبي في اول حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ
اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده الذ من سائر الاشياء ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء ثم تظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر
التفاخر وهي اخر لذات الدنيا واعلاها كما قال تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر
رضى به ثم بعد هذا تظهر غريزة اخرى

بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة افعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها وكل متاخر فهو اقوى وهذا هو
الاخير اذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرياسة بعد العشرين
وحب العلوم بقرب الاربعين وهي الغاية العليا وكما ان الصبي يضحك على من يترك اللعب ويشتغل بملاعبة
النساء وطلب الرياسة فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى والعارفون
يقولون ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون **بيان السبب في زيادة لذة
النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا** اعلم ان المدركات تنقسم الى ما يدخل في الخيال كالصور
المتخيلة والاجسام المتلونة المتشكلة في اشخاص الحيوان والنبات والى ما لا يدخل في الخيال كذات الله سبحانه
وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغيرها ومن راى انسانا ثم غمض بصره وجد صورته حاضرة
في خياله كانه ينظر اليها ولكن اذا فتح العين وابصر ادرك تفرقة بينهما ولا ترجع الى اختلاف بين الصورتين لان
الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة وانما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف فان صورة المرئي صارت بالرؤية
اتم انكشافا ووضوحا وهو كشخص يرى في وقت الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم يراه بعد تمام الضوء
فانه لا تفارقه احدى الحالتين الاخرى الا في مزيد الانكشاف فاذن الخيال اول الادراك والرؤية هي الاستكمال
لادراك الخيال وهو غاية الكشف وسمي ذلك رؤية لانه غاية الكشف لا لانه في العين بل لو خلق الله هذا
الادراك الكامل المكشوف في الجبهة والصدر استحق ان يسمى رؤية واذا فهمت هذا في المتخيلات فاعلم
ان المعلومات التي لا تتشكل في الخيال ايضا لمعرفتها وادراكها درجتان احدهما اول والثاني استكمال
له وبين الاول والثاني من التفاوت في مزيد الكشف والايضاح ما بين المتخيل والمرئي فيسمى الثاني ايضا بالاضافة
الى الاول مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه التسمية حق لان الرؤية سميت رؤية لانها غاية الكشف وكما
ان سنة الله تعالى جارية بان تطبيق الاجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئي و
لا بد من ارتفاع الحجاب لحصول الرؤية وما لم يرتفع كان الادراك الحاصل مجرد التخيل فكذلك مقتضى سنة الله ان
النفس ما دامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما غلب عليها من الصفات البشرية فانها لا
تنتهي الى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحيوة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الاجفان
عن رؤية الابصار والقول في سبب كونها حجابا مما يطول ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال تعالى لموسى لن تراني
وقال تعالى لا تدركه الابصار اي في الدنيا والصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير الله عز وجل ليلة المعراج فاذا

فاذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وان كانت متفاوتة
فمنها ما تراكم عليه الخبث والصدا فصار كالمرآة التي فسد بطول تراكم الخبث جوهرها فلا تقبل الاصلاح
والتصقيل وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم ابد الآباد نعوذ بالله منه ومنها ما لم ينته الى حد الرين والطبع ولم يخرج
عن قبول التزكية والتصقيل فيعرض على النار عرضا يقمع منها الخبث الذي هو متدنس به ويكون العرض على
النار بقدر الحاجة الى التزكية واقلها لحظة خفيفة واقصاها في حق المؤمنين كما ورد في الاخبار سبعة آلاف
سنة ولم يخل نفس عن هذا العالم الا وتصحبها غبرة وكدورة ما وان قلت ولذلك قال تعالى وان منكم الا
واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فكل نفس مستيقنة للورود و
على النار وغير مستيقنة للصدور عنها فاذا اكمل الله عز وجل تطهيرها من ذنوبها وبلغ الكتاب اجله ووقع الفراغ
عن جملة ما ورد به الشرع من الحساب والعرض وغيره وكان لم استحقاق الجنة وذلك وقت لم يطلع الله عليه احدا
من خلقه فانه واقع بعد القيامة ووقت القيامة مجهول فعند ذلك يشتغل بصفائه ونقائه عن الكدورات
حيث لا يرهق وجهه غبرة ولا قترة ويتجلى فيه الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالاضافة
الى ما علمه كانكشاف تجلي المرئيات بالاضافة الى ما تخيله وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية
فاذن الرؤية حق بشرط ان لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فان
ذلك مما يتعالى عنه رب الارباب علوا كبيرا بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وتصور وتقدير
وشكل وصورة فتراه في الآخرة كذلك بل اقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ
كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف
الا من حيث زيادة الكشف والوضوح كما ضربنا المثال في استكمال الخيال بالرؤية فاذا لم يكن في معرفة الله
اثبات صورة وجهة فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح الى غاية الكشف ايضا جهة
وصورة لانها هي بعينها لا تفترق الا في زيادة الكشف كما ان الصورة المرئية هي المتخيلة بعينها الا في زيادة الكشف
واليه الاشارة بقوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اذ تمام النور لا
يؤثر الا في زيادة الكشف ولهذا لا يفوز بدرجة الرؤية والنظر الا العارفون في الدنيا لان المعرفة هي
النور التي تنقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة والبذر زرعا ومن لا نواة له فكيف يحصل

له نخل ومن لم يزرع البذر كيف يحصد الزرع ومن لم يعرف الله عز وجل في الدنيا فكيف يراه في الآخرة ولما
كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي ايضا على درجات متفاوتة فاختلاف التجلي بالاضافة الى اختلاف
المعارف كاختلاف النبات بالاضافة الى اختلاف البذور اذ تختلف لا محالة بكثرتها وقلتها وحسنها و
قوتها وضعفها ولذلك قال النبي عليه السلم ان الله عز وجل يتجلى للناس عامة ولابي بكر خاصة فلا ينبغي ان
تظن ان غيره ممن هو دونه يجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجده وكما انك ترى في الدنيا من يؤثر لذة
الرياسة على المنكوح والمطعوم وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف مشكلات ملكوت السموات والارض
وسائر الامور الالهية على الرياسة والمنكوح والمشروب جميعا فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون لذة
النظر الى وجه الله تعالى على نعيم الجنة اذ يرجع نعيمها الى المنكوح والمطعوم وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم
في الدنيا ما وصفناه من ايثار لذة المعرفة والعلم والاطلاع على اسرار الربوبية على المنكوح والمشروب
وسائر ما الخلق مشغولون به ولذلك لما قيل لرابعة ما تقولين في الجنة فقالت الجار ثم الدار فبينت انه ليس
في قلبها التفات الى الجنة بل الى رب الجنة فكل من لم يعرف الله عز وجل في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم
يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر في الآخرة اذ ليس يستأنف لاحد في الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا
فلا يحصد احد الا ما زرع ولا يحشر المرء الا على ما مات عليه ولا يموت الا على ما عاش عليه فما صحبه من المعرفة هي
التي يتنعم بها فقط الا انها تنقلب مشاهدة بكشف الغطاء فتتضاعف اللذة به كما تتضاعف لذة العاشق
اذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية صورته فان ذلك هو منتهى لذته وانما طيبة
الجنة ان لكل واحد فيها ما يشتهي فمن لا يشتهي الا لقاء الله عز وجل فلا لذة له في غيره بل ربما يتأذى
به فاذن نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى بقدر معرفته فاصل السعادات هي المعرفة التي عبر
الشرع عنها بالايمان فان قلت فلذة الرؤية ان كانت لها نسبة الى لذة المعرفة فهي قليلة وان
كان اضعافها لان لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها الى حد قريب لا ينتهي في القوة الى ان يستحقر
في جنبه سائر اللذات الجنة فاعلم ان هذا الاستحقار للذة المعرفة صدر من الخلق عن المعرفة فمن خلا عن
المعرفة كيف يدرك لذتها وان انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلائق الدنيا فكيف يدرك لذتها

فللعارفين في معرفتهم [illegible] عليهم الجنة
وهم فيها لذات لو عرضت [illegible] لاستبدلوا بها لذة [illegible]
تعالى عز وجل لذات الدنيا [illegible] اصلا [illegible] واللذة [illegible] واطهار [illegible] عظيم
الجنة في الدنيا [illegible] الى الروح [illegible] الوقاع والدنيا [illegible]
ثم هذه اللذة مع كمالها [illegible] الى اللذة [illegible] الاجل [illegible]
الك هذه كالانسية للذة [illegible] جمال المعشوق [illegible]
روابح الاطعمة [illegible] الانظر [illegible] من صعفت [illegible]
التفاوت بينهما [illegible] جمال المعشوق [illegible] كالتذاذه بادراكه على [illegible]
ما بان البعد [illegible] كمال جمال [illegible] اشتد عشقه [illegible] العشق [illegible]
والشهوة والعشق فليس [illegible] والرابع اندفاع العوائق [illegible] والالام [illegible]
العشوق في ظلمة او من وراء ستر رقيق [illegible] الشهوة والعشق [illegible] الغرض [illegible]
مع ثوب حائل كادراكه مع التجرد [illegible] فليس [illegible] يشغل قلبه [illegible] والاستعمال [illegible]
الخائف المذعور او المريض المتالم او المشغول قلبه بتدبير [illegible] الشهوة [illegible]
كبيرة صورته في حالة اجتمع عليه عقارب وزنابير تؤذيه وتلدغه [illegible]
به الستر واشرق به الضوء واندفع عنه المؤذيات [illegible] لذة [illegible] الضعيف
اللذة حتى لا ينفى الا [illegible] والعطش والغضب والغم والحزن [illegible]
مثال الشهوات المسلطة على الانسان [illegible] والاسعار [illegible]
الشوق الى الملك الاعلى والتفاته الى اسفل [illegible] المشوشات [illegible] ضرورة [illegible] اشتد [illegible]
ان قويت في الدنيا معرفته فلاح عن هذه [illegible] وانما العيش [illegible] الامن [illegible]
بدوم فلا جرم [illegible] الحياة [illegible] ولا يكره [illegible]
لم يعرض من [illegible] عز وجل فتحب الموت [illegible] في المعرفة فان المعرفة كالبذر [illegible]
الآخرة الى [illegible] الكاشف [illegible] ساحل [illegible]
اللذة منغصة [illegible] وكلما

وكلما كثرت المعرفة بالله عز وجل وبصفاته وبافعاله وباسرار مملكته وقويت كثر النعيم في الآخرة وعظم
كما انه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البذر الا في الدنيا ولا يزرع الا في
صعيد القلب ولا حصاد الا في الآخرة فلذلك قال النبي صلى الله عليه وآله افضل السعادات طول العمر
في طاعة الله عز وجل لان المعرفة انما تكمل وتكثر وتتسع في العمر الطويل بمداومة الذكر والمواظبة على المجاهدة
والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للطلب ويستدعي ذلك زمانا لا محالة فمن احب الموت احبه
لا محالة لانه راى نفسه واقفا في المعرفة بالغا الى منتهى ما يسر له ومن كره الموت كرهه لانه كان يؤمل
مزيد معرفة تحصل له بطول العمر وراى نفسه مقصرا عما تحتمله قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وحبه
عند اهل المعرفة واما سائر الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا ان اتسعت احبوا البقاء
وان ضاقت تمنوا الموت وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة فالجهل والغفلة مغرس
كل شقاوة والعلم والمعرفة اساس كل سعادة فقد عرفت بما ذكرناه معنى المحبة ومعنى العشق فانه المحبة
المفرطة القوية ومعنى لذة المعرفة ومعنى الرؤية ومعنى لذة الرؤية ومعنى كونها الذ من سائر اللذات عند
ذوي الكمال وان لم يكن كذلك عند ذوي النقصان كما لم يكن الرياسة الذ من المطعومات عند الصبيان فان قلت
هذه الرؤية محلها العين او القلب في الآخرة فاعلم ان الناس قد اختلفوا فيه وارباب البصائر لا يلتفتون
الى هذا الخلاف ولا ينظرون فيه بل العاقل ياكل البقل ولا يسال عن المبقلة ومن يشتهي رؤية معشوقه يشغله عشقه
عن ان يلتفت الى ان رؤيته تخلق في عينه او في جبهته بل يقصد الرؤية ولذتها سواء كان ذلك بالعين او
غيره فان العين محل وظرف لا نظر اليه ولا حكم له والحق ان القدرة الازلية واسعة فلا يحكم عليها بالتقصير
عن احد الامرين. بيان الاسباب المقوية لحب الله عز وجل اعلم ان اسعد الخلق حالا في الآخرة
اقواهم حبا لله فان الآخرة معناها القدوم على الله عز وجل ودرك سعادة لقائه وما اعظم نعيم المحب
اذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته ابد الآباد من غير منغص ومكدر ومن غير رقيب
ومزاحم ومن غير خوف وانقطاع الا ان هذا النعيم على قدر قوة الحب فكلما ازداد الحب ازدادت اللذة

واياك [illegible] ان يمن [illegible]
العبد من [illegible] واصل الحب [illegible] المعرفة [illegible]
في الدنيا واصل الحب [illegible] الذي لا يسع [illegible] احداها قطع علائق [illegible]
حتى يمكن له [illegible] مثل الاناء الذي [illegible] الذي [illegible] قالوا ربنا الله
الحب [illegible] ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه [illegible]
فكمال الحب [illegible] قل الله ثم ذرهم [illegible]
علائق الدنيا [illegible] الله [illegible] التوحيد [illegible] الاشارة [illegible] الارض [illegible]
ما لم يخرج [illegible] والى هذا التجريد والتوحيد [illegible] محبوب [illegible]
يلتفت الى غيره [illegible] وقال عليه السلام [illegible]
في الآثار [illegible] قولك لا اله الا الله اي لا معبود [illegible] فيه [illegible]
ثم استقاموا بل هو معنى [illegible] ارايت من اتخذ الهه هواه [illegible]
معبود [illegible] الاخلاص [illegible] الآباد [illegible] الدنيا [illegible]
دخل الجنة [illegible] المحبوب [illegible] الدواب [illegible] الشرق [illegible]
بحبه لا [illegible] والاقارب والعقار والدواب [illegible] الانسان [illegible]
عند حبه [illegible] والولد والاقارب [illegible] الآخرة [illegible] الزهد [illegible]
حب الاهل والمال [illegible] نعيم الدنيا [illegible] الآخرة بالضرورة [illegible] والخوف [illegible] الايمان بالله [illegible]
يبيع نعيم الاسى [illegible] الآخرة [illegible] الدنيا [illegible] التوبة والزهد [illegible] الرجاء [illegible]
شاهد الدنيا [illegible] بالعين [illegible] المقامات [illegible] الخوف [illegible] الزهد
تقدمه والطلب [illegible] الابصار بالعين [illegible] ذكرناه [illegible]
العلوم [illegible] الخوف [illegible] المحبة [illegible] والصبر [illegible]
الانقياد [illegible] الآخرة والجنة [illegible] التوبة والصبر [illegible] الدنيا [illegible]
وكل [illegible] الدنيا

حتى يحصل في جميعه طهارة القلب عن غير الله تعالى فقط حتى يتسع بعده لنزول معرفة الله عز وجل وحبه وكل ذلك
مقدمات تطهير القلب وهو احد ركني المحبة واليه الاشارة بقوله عليه السلام الطهور شطر الايمان كما ذكرناه في اول
كتاب الطهارة السبب الثاني لقوة المحبة قوة معرفة الله واتساعها واستيلاؤها على القلب وذلك بعد
تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلائقها مجرى مجرى وضع البذر في الارض بعد تطهيرها من الحشيش
وهو الشغل الثاني ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهي الكلمة الطيبة التي ضرب الله بها مثلا حيث قال
كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء واليها الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب اي
المعرفة والعمل الصالح يرفعه فالعمل الصالح كالحمال لها وكالخادم وانما العمل الصالح كله في تطهير القلب اولا
من الدنيا ثم في ادامة طهارته فلا يراد العمل الا لهذه المعرفة واما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل فالعلم هو الاول وهو
الآخر وانما الاول علم المعاملة وغرضه العمل وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جلية الحق و
يتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعتها المحبة بالضرورة كما ان من كان معتدل
المزاج اذا ابصر الجميل وادركه بالعين الظاهرة احبه ومال اليه ومهما احبه حصلت اللذة فاللذة
تبع المحبة بالضرورة والمحبة تبع المعرفة بالضرورة ولا يوصل الى هذه المعرفة الا بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب
بالفكر الصافي والذكر الدائم والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله وفي صفاته وفي ملكوت
سماواته وسائر مخلوقاته والواصلون الى هذه الرتبة ينقسمون الى الاقوياء ويكون اول معرفتهم
بالله تعالى ثم به يعرفون غيره والى الضعفاء فيكون اول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منها
الى الفاعل والى الاول الاشارة بقوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وبقوله شهد الله انه
لا اله الا هو ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك فقال عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت
ربي والى الثاني الاشارة بقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم وبقوله اولم ينظروا في ملكوت
السماوات والارض وبقوله انظروا ماذا في السماوات والارض وبقوله الذي خلق سبع سماوات طباقا
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر
وهذا الطريق هو الاسهل على الاكثرين وهو الاوسع على السالكين واليه اكثر دعوة القرآن عند الامر بالتدبر

[illegible]

وانظر

وانظر كيف قسم اعضاءه الظاهرة فاحسن جناحيه وافرج يديه ورجليه وشق سمعه وبصره ودبر
من اعضاء الغذاء والآلة ما ذكرناه في ساير الحيوانات وركب فيها من القوى الغاذية والجاذبة
والدافعة والماسكة والهاضمة ما ركب في الحيوانات هذا في شكله وصفاته ثم انظر الى هدايته كيف هداه
الله الى غذائه وعرفه ان غذاءه دم الانسان ثم كيف خلق له الخرطوم الطويل وهو محدد الراس وكيف هداه
الى مسام بشرة الانسان حتى يضع خرطومه في واحد منها ثم كيف قواه حتى يغرز فيه الخرطوم وكيف علمه
المص والتجرع للدم وكيف خلق الخرطوم مع دقته مجوفا حتى يجري فيه الدم الرقيق وينتهي الى باطنه و
ينتشر في ساير اجزائه ويغذيه ثم كيف عرفه ان الانسان يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب واستعمال
الة وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف حركة اليد وهي بعد بعيدة فيترك المص ويهرب واذا سكنت اليد يعود
ثم انظر كيف خلق له حدقتين حتى يبصر مواضع غذائه فيقصده مع صغر حجم وجهه وانظر الى ان حدقة كل حيوان
صغير لما لم يحتمل الاجفان لصغره وكانت الاجفان مصقلة المرآة الحدقة عن الغبرات خلق للبعوض والذباب
يدين فينظر الى الذباب فتراه على الدوام يمسح حدقتيه بيديه واما الانسان والحيوان الكبير خلق لحدقته الاجفان
حتى ينطبق احدها على الآخر واطرافها حادة فيجمع الغبار الذي يلحق الحدقة ويرميها الى اطراف الاهداب و
خلق الاهداب السود ليجمع ضوء العين ويعين على الابصار ويحسن صورة العين ولتشبكها عند هيجان الغبار
فينظرون من وراء شباك الاهداب واشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع الابصار واما البعوض
فخلق لها حدقتين مصقلتين من غير اجفان وعلمها كيفية التصقيل باليدين ولاجل ضعف ابصارها تراها تتهافت
على السراج لان بصرها ضعيف فهي تطلب ضوء النهار فاذا رأى المسكين ضوء السراج بالليل ظن انه في بيت
مظلم وان السراج كوة في البيت المظلم الى الموضع المضيء فلا يزال يطلب الضوء ويرمي بنفسه الى الكوة فاذا جاوزها
وراى الظلام ظن انها لم تصب الكوة ولم تقصدها على السداد فيعود اليه مرة اخرى الى ان يحترق فلعلك
تظن ان هذا لنقصانها وجهلها واعلم ان جهل الانسان اعظم من جهلها بل صورة الآدمي في الاكباب
على شهوات الدنيا صورة الفراش في التهافت على النار اذ يلوح للآدمي انوار الشهوات من حيث
ظاهر صورتها ولا يدري ان تحتها السم القاتل فلا يزال يرمي نفسه عليها الى ان ينغمس فيها ويتقيد بها ويهلك
هلاكا مؤبدا فليت كان جهل الآدمي كجهل الفراش فانها باغترارها بظاهر الضوء ان احترقت تخلصت

[illegible]

بيان

بيان السبب في تفاوت الناس في الحب اعلم ان المؤمنين يشتركون في الحب لاشتراكهم في اصل المعرفة ولكنهم
متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا اذ الاشياء انما تتفاوت بتفاوت اسبابها واكثر الناس
ليس لهم من الله تعالى الا الصفات والاسماء التي قرعت سمعهم فتلقنوها وحفظوها وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب
الارباب وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسدا بل آمنوا بها ايمان تسليم وتصديق واشتغلوا
بالعمل وتركوا البحث وهؤلاء هم اهل السلامة من اصحاب اليمين والمتخيلون هم الضالون والعارفون بالحقائق
هم المقربون وقد ذكر الله عز وجل الاصناف الثلاثة في قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم
الآيات واذا كنت لا تفهم الامور الا بالامثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثالا لا تقول من رأى تصنيف مصنف
فاستحسنه وعرف به فضل مصنفه احبه لا محالة ومال اليه قلبه فان رأى تصنيفا آخر احسن منه ازداد حبه تضاعف
لا محالة حبه لانه تضاعف معرفته بعلمه وكذلك يعتقد الرجل في انه شاعر فيحبه فاذا سمع من
غرائب شعره ما عظم فيه حذقه وصنعته ازداد معرفته وازداد له حبا وكذا ساير الصناعات
والفضائل فالعامي قد يسمع ان فلانا مصنف وانه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما التصنيف فيكون له
معرفة مجملة ويكون له بحسبه ميل مجمل والبصير اذا فتش عن التصانيف واطلع على ما فيه من العجائب تضاعف
حبه لا محالة لان عجائب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف والعالم بجملته
صنع الله وتصنيفه والعامي يعلم ذلك ويعتقده واما البصير فانه يطالع تفصيل صنع الله تعالى فيها حتى يرى
في البعوض مثلا من عجائب صنعه ما يبهر عقله ويحير فيه لبه فيزداد بسببه لا محالة عظمة الله تعالى وجلاله وكمال صفاته
في قلبه فيزداد له حبا فكلما ازداد على عجائب صنع الله اطلاعا استدل به على عظمة الصانع وجلاله و
ازداد به معرفة وله حبا وبحر هذه المعرفة اعني معرفة عجائب صنع الله لا ساحل له فلا جرم تفاوت
اهل المعرفة في الحب لا حصر له ومما يفاوت بسببه الحب ايضا اختلاف الاسباب الخمس التي ذكرناها للحب
فان من يحب الله مثلا لكونه محسنا اليه ومنعما عليه ولم يحبه لذاته ضعفت محبته اذ تتغير بتغير الاحسان
فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حالة الرضا والنعماء والمحبة لذاته او لانه مستحق للحب بسبب كماله و
جماله ومجده وعظمته فانه لا تتفاوت حبه بتفاوت الاحسان اليه فهذا وامثاله هو سبب تفاوت الناس
في المحبة والتفاوت في المحبة هو سبب التفاوت في سعادة الآخرة ولذلك قال تعالى وللآخرة اكبر درجات
واكبر تفضيلا ثم ذكر رحمه الله بعد بيان معنى الشوق الى الله تعالى وبيان السبب في قصور افهام

الخلق بها
عن معرفة من غره ان قال داود
محمد سيد الخلق عليه السلم انا الله عز وجل وعليه السلم فان فيها واني اقادر لي
اقادر داود عليه السلم ان جعل ما صحبت الجنة وقال ان الانفس الاقليه النفس واجبه فنا لانهم حق
اطلع اهل الارض بذكرى وما عن عبد علم دار لكل عبد ان يحي فاشنا فضوا بالاهل الارض عن نفسهم بيان عنه
ومن لم تر انس بذكري ما وجد عبد ذلك وطلب من اوى ذلك والمشوال اوانكم وابارح الرحمن اليهم والداوى مرد عن داود
ويطلع الى الحارج ما وحى اليك وعصانا عنه في ذلك انه عن فلك اراد من لوى ولك ان وان الى الهوى والكلا الى الطريق
لاسدى به احد من على اكرا منه وموسى يحي وبحمد ونحو الله [illegible] وما عادانتم قال عز وجل اعوذ الزمن
عليه من عز ورة وبطوا الى فليل ولى ان الى اعبادا من عبادى تحبون ان قال يارب ويا اعلام العطا [illegible]
عليه احبابي من عليه ابدهم فليل الى العصيان احبتك وان عدلت عنهم نشتك اذا احببهم انقطع منهم [illegible]
ان الله عز وجل ارحم عيد فانه ظهر الطير الى اوكارها عند الغروب بانعاما عن بيان اليه فليب بهم يحترون
الى ولنا النهم فان حد وسط بصوتهم الظهر الى اوكاره عند الغروب بانعاما فليب [illegible]
الشغف فيه وبحول الى غروب الشمس كالحوت الطير الى وكره [illegible]
حب نجد في نصبوا الى اقدامهم وفرشوا الى وجوههم وناجوا بكلامي وتملقوا بانعامي فبين صارخ وباك [illegible]
وساجد بعينى ما يتحملون من اجلي ويسمعون ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم [illegible]
السموات والارض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم والثاني ان اقبل بوجهي عليهم [illegible]
وفي الخبر ان داود عليه السلام ان الله عز وجل اوحى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسالني الشوق الي قال يا رب من المشتاقون اليك قال ان المشتاقين الي
الذين صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الي خرقا ينظرون الي وان ارى لاحمل قلوبهم [illegible]
فاذا اجتمعوا سجدوا لي ما تقول الملائكة [illegible] الشمس لاهل الارض يا داود [illegible]
ان قلوبهم لتضي [illegible] وجعلت ابدانهم موضع نظري الى الارض وقطعت من قلوبهم [illegible] فاذا اشتهيتم [illegible]
واتخذتهم للنفس [illegible] قال داود ارني اهل محبتك فقال يا داود ائت [illegible] فاذا انتهيت [illegible]
وفيهم كهول وفيهم شبان [illegible] بكم [illegible] السلام [illegible] فانكم [illegible]
واسابع

واسابع الى مجلسكم فاتاهم داود فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون في عظمة الله تعالى فلما نظروا الى داود
نهضوا ليتفرقوا عنه فقال داود اني رسول الله اليكم جئتكم لابلغكم رسالة ربكم فاقبلوا نحوه والقوا اسماعهم
نحو قوله والقوا ابصارهم الى الارض فقال داود اني رسول الله اليكم يقرئكم السلام ويقول لكم الا تسالوني حاجة
الا تنادوني فاسمع صوتكم وكلامكم فانكم احبابي واصفيائي واوليائي افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم
انظر اليكم في كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة قال فجرت الدموع على خدودهم فقال شيخهم سبحانك سبحانك
نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال الاخر سبحانك سبحانك نحن
عبيدك وبنو عبيدك افنجترئ على الدعاء وقد علمت انه لا حاجة لنا في شيء من امورنا فادم لنا لزوم الطريق
اليك واتمم بذلك المنة علينا وقال الاخر نحن مقصرون في طلب رضاك فاعنا عليه بجودك وقال الاخر
من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر في عظمتك افنجترئ على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر في جلالك
وطلبت الدنو من نورك وقال الاخر كلت السنتنا عن دعائك لعظم شانك وقربك من اوليائك و
كثرت منتك على اهل محبتك وقال الاخر انت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر
لنا تقصيرنا في شكرك وقال الاخر قد عرفت حاجتنا انما هي النظر الى وجهك وقال الاخر كيف يجترئ
العبد على سيده واذ امرتنا بالدعاء بجودك فهب لنا نورا نهتدي به تمام نعمتك فيما وهبت
لنا وتفضلت به علينا وقال الاخر لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامنن علينا بالاستقبال الى
قد عرفنا تباركت وتعاليت انك تحب ولايك فامنن علينا في [illegible] وقال الاخر بالنظر الى جمال وجهك
بالاشتغال العلي بك عن كل شيء دونك فاوحى الله تعالى الى داود قل [illegible] الاخر [illegible] ما لكم من [illegible]
قل لهم قد سمعت كلامكم واجبتكم الى ما احببتم فليفارق كل واحد منكم
صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فاني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظرون
الى نوري وجلالي فقال داود يا رب بم نالوا منك هذا قال بحسن الظن والكف عن الدنيا واهلها و
الخلوات بي ومناجاتهم لي وان هذا منزل لا يناله الا من رفض الدنيا واهلها ولم يشتغل بشيء من ذكرها
وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك اعطف عليهم فارفع نفسه له [illegible]

حتى ينظر الى نظر الناظر الى [illegible] الوالدة [illegible]
يعني لالتى الى [illegible]
واقرب من [illegible]
ولدها وان يطلب [illegible]
داود عجبت لنفس [illegible]
يشتغلن بالقدوم [illegible]
راتبه يا داود [illegible]
ملائكتي واهل سمواتي تزداد [illegible]
حتى يرضى ويذوق الرضا [illegible]
معاصيهم لما تواتر [illegible]
يكون العبد [illegible]
تدل على اثبات المحبة والشوق والانس [illegible]
محبة العبد لله تعالى [illegible]
وهذا انما [illegible]
لقاء الله تعالى [illegible] **ومنها** ان يكون [illegible]
وبهذه اسبابها [illegible]
علامة المحبة [illegible]
الشهوات ويعرض [illegible]
المحب عند [illegible]
نهارا

نهارا فقد اغضب الليل واذا دعاها ليلا سوف الى النهار وقال يا رسول الله انما كنت احبك قبل ان اعرفه فاما
اذا عرفته فلا اوثر على محبته محبة من سواه وما اريد به بدلا حتى قال لها ان الله جل ذكره امرنا بذلك احيانا امرنا بحج بيت
جاعلها نبيين فقال لها اذ كان الله تعالى امرنا بذلك وجعلني طريقا اليه فطاعته لامر الله فعند ذلك سكنت
اليه فاذن من احب الله لا يعصيه ولذلك قال ابن المبارك تعصي الاله وانت تظهر حبه
هذا لعمري في الفعال بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع
وقال سهل علامة المحب ايثاره على نفسه وليس كل من عمل بطاعة الله صار حبيبا وانما الحبيب
من اجتنب المناهي وهو كما قال لان محبته لله تعالى سبب محبة الله له كما قال تعالى يحبهم ويحبونه واذا احبه الله
تعالى تولاه ونصره على اعدائه وانما عدوه نفسه وشهواته فلا يخذله الله تعالى ولا يكله الى هواه وشهوته
ولذلك قال تعالى والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا **فان قلت** فالعصيان هل
يضاد اصل المحبة **فاقول** لا انه يضاد كمالها ولا يضاد اصلها فكم من انسان يحب نفسه وهو مريض و
يحب الصحة فيأكل ما يضره مع العلم بانه يضره وذلك لا يدل على عدم حبه لنفسه ولكن المعرفة قد تضعف و
الشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة ويدل عليه ما روي ان نعيمان كان يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في
كل قليل فيحده في معصية يرتكبها الى ان اتي به يوما فحده فلعنه رجل وقال ما اكثر ما يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله فلم يخرجه بالمعصية عن المحبة نعم تخرجه عن كمال الحب وقد قال بعض
العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب احب الله تعالى حبا متوسطا واذا دخل سويداء القلب احبه الله
الحب البالغ وترك المعاصي وعلى الجملة في دعوى المحبة خطر ولذلك قال الفضيل اذا قيل لك اتحب الله
فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم وليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت
ولقد قال العلماء ليس في الجنة نعيم اعلى من نعيم اهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب اشد من عذاب
من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشيء من ذلك **ومنها** ان يكون مستهترا بذكر الله تعالى لا يفتر عنه لسانه و
لا يخلو عنه قلبه فمن احب شيئا اكثر بالضرورة من ذكره وذكر ما يتعلق به فعلامة حب الله تعالى حب ذكره وحب
القرآن الذي هو كلامه وحب رسوله عليه السلام وحب كل ما ينسب اليه فان كل من يحب انسانا يحب كلبه
حسبه كالمعرفة اذا قويت تعدت من المحبوب الى كل من يكتنف بالمحبوب ويحيط به ويتعلق باسبابه

[illegible]
وكلامه لانه كلام [illegible]
دليل كمال [illegible]
[illegible]
[illegible]
فاتبعوني يحببكم الله وقال النبي عليه السلم [illegible]
سهل علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي عليه السلم وعلامة حب النبي حب السنة وعلامة حب السنة
حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا ياخذ منها الا زادا وبلغة الى الآخرة
ومنها ان يكون انسه بالخلوة ومناجاته لله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد ويغتنم هدوء الليل وصفاء الوقت
به بانقطاع العوائق واقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته فمن كان النوم والاشتغال بالحديث الذ عنده واطيب
من مناجاة الله تعالى كيف تصح محبته وقيل لابراهيم بن ادهم وقد نزل من الجبل من اين اقبلت فقال من الانس بالله
وفي اخبار داود عليه السلم لا تستانس الى احد من خلقي فاني انما اقطع عني رجلين رجلا استبطا ثوابي فانقطع ورجلا نسيني فرضي بحاله وعلامة ذلك ان اكله الى نفسه وان ادعه في
الدنيا حيران ومهما انس بغير الله كان بقدر انسه بغير الله مستوحشا من الله ساقطا عن درجة محبته
استسقى به موسى عليه السلم ان الله تعالى قال لموسى ان برخا نعم العبد هو لي الا ان فيه عيبا قال يا رب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن احبني لم يسكن
الى شيء وروي ان عابدا عبد الله في غيضة دهرا طويلا فنظر الى طائر وقد عشش في شجرة ياوي اليها ويصفر عندها فقال لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة فكنت آنس بصوت هذا الطائر قال ففعل فاوحى الله تعالى الى نبي ذلك الزمان
قل لفلان العابد استانست بمخلوق لاحطنك درجة لا تنالها بشيء من عملك ابدا فاذن علامة المحبة كمال الانس بمناجاة
المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به وكمال الاستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوق عن لذة المناجاة وعلامة الانس
بالله مصير العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به
وقطعت رجل بعضهم بسبب علة اصابته وهو في الصلاة فلم يشعر به ومهما غلب عليه الحب والانس صارت الخلوة والمناجاة قرة عينه يدفع بها جميع الهموم بل يستغرق الانس والحب قلبه حتى لا يفهم امور الدنيا
ما لم

ما لم يكرر على سمعه مرارا مثل العاشق الولهان فانه يكلم الناس بلسانه وانسه في الباطن بذكر حبيبه والمحب من
لا يطمئن الا الى محبوبه وقال قتادة في قوله تعالى وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب قال هشت
اليه واستانست به وقال الصديق من ذاق محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه من
جميع البشر واوحى الله تعالى الى داود عليه السلم قد كذب من ادعى محبتي اذا جنه الليل نام عني اليس كل محب
يحب لقاء حبيبه فها انا ذا موجود لمن طلبني ومنها ان لا يتاسف على ما يفوته مما سوى الله ويعظم تاسفه
على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستعتاب
والتوبة اليه وقال بعض العارفين ان لله عز وجل عبادا احبوه فاطمانوا اليه فذهب عنهم التاسف على الفائت
فلم يتشاغلوا بحظ انفسهم اذ كان قلبهم شكرا راضيا وملك مليكهم تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو
واصل اليهم وما فاتهم فحسن تدبيره لهم وحق المحب اذا رجع عن غفلته في لحظة ان يقبل على محبوبه ويشتغل
بالعتاب في سؤاله ويقول يا رب باي ذنب قطعت برك عني وابعدتني عن حضرتك وشغلتني بنفسي
وبمتابعة الشيطان فيستخرج ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب يكفر عنه ما سبق من الغفلة ويكون هفوته سببا
لتجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما لم ير المحب الا المحبوب ولم ير شيئا الا منه لم يتاسف ولم يشك واستقبل
الكل بالرضا وعلم ان المحبوب لم يقدر له الا ما فيه خيرته ويذكر قوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم
ومنها ان يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها ويسقط عنه تعبها كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين
سنة ثم تنعمت بها عشرين سنة وقال الجنيد علامة المحب دوام النشاط والدؤوب بشهوة تفتر بدنه ولا تفتر
قلبه وكل هذا امر له وجود في المشاهدات فان العاشق لا يستثقل السعي في هوى معشوقه ويستلذ
خدمته بقلبه وان كان شاقا على بدنه ومهما عجز بدنه كان احب الاشياء اليه ان يعاوده القدرة وان
يفارقه العجز حتى يشتغل به فهكذا يكون حب الله عز وجل فان كل حب صار غالبا قهر لا محالة ما
دونه فمن كان محبوبه احب اليه من الكسل ترك الكسل في خدمته ومن كان احب اليه من المال ترك المال
في حبه وقيل لبعض المحبين وقد كان بذل ماله ونفسه حتى لم يبق له شيء ما كان سبب حالك هذه
في المحبة فقال سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول انا والله احبك بقلبي كله وانت معرض عني بوجهك
كله فقال له المحبوب ان كنت تحبني فايش تنفق علي فقال يا سيدي املكك ما املك ثم انفق عليك

روحي حتى تهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بعبد لمعبود فكان هذا سببه ومنها ان يكون مشفقا
على جميع عباد الله رحيما عليهم شديدا على جميع اعداء الله وعلى كل من يقارف شيئا مما يكرهه كما قال تعالى اشداء
على الكفار رحماء بينهم ولا تاخذه لومة لائم ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه وصف الله تعالى اولياءه
اذ قال في بعض الكتب الذين يكلفون بحبي كما يكلف الصبي بالشيء ويأوون الى ذكري كما يأوي النسر الى وكره
ويغضبون لمحارمي كما يغضب النمر اذا حرد فانه لا يبالي قل الناس او كثر فانظر الى هذا المثال فان الصبي
اذا كلف بالشيء لم يفارقه اصلا فان اخذ منه شيء لم يكن له شغل الا البكاء والصياح حتى يرد اليه فاذا نام اخذه
معه في ثيابه ثم نام فاذا انتبه عاد وتمسك به ومهما فارقه بكى ومهما وجده ضحك ومن نازعه فيه ابغضه
ومن اعطاه احبه واما النمر فانه لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه ان يهلك نفسه فهذه
علامات المحبة فمن تمت فيه العلامات فقد تمت محبته وخلص حبه فصفا في الآخرة شرابه وعذب مشربه ومن
امتزج بحبه حب غير الله تنعم في الآخرة بقدر حبه اذ يمزج شرابه بقدر من شراب المقربين كما قال تعالى في حال الابرار
ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي
ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون فانما طاب شراب الابرار لشوب الشراب
الصرف الذي للمقربين والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان كما ان الكتاب عبر به عن جميع الاعمال فقال
ان كتاب الابرار لفي عليين ثم قال يشهده المقربون فكانت امارة علو كتابهم انه ارتفع الى حيث يشهده المقربون
كما ان الابرار يجدون المزيد في حالهم ومعرفتهم بقربهم من المقربين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حالهم في الآخرة ما
خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وكما بدانا اول خلق نعيده وقال جزاء وفاقا اي وافق الجزاء اعمالهم
فقوبل الخالص بالصرف من الشراب وقوبل المشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب
في حبه واعماله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما
بانفسهم وان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها
وكفى بنا حاسبين فمن كان من حبه في الدنيا رجاؤه لنعيم الجنة والحور والقصور مكن من الجنة [illegible] فيكون مع
الولدان ويتمتع بالنسوان ومن كان مقصده رب الارباب ومالك الملك ولم يغلب عليه الا حبه فالاخلاص
والصدق ينزل انه في مقعد صدق عند مليك مقتدر فالابرار يرتعون في البستان ويتنعمون في الجنان

مع الحور والولدان والمقربون ملازمون الحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالاضافة
الى ذرة منها فقوم بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون وللمجالسة اقوام اخرون ولذلك قال عليه السلم
اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب ولما قصرت الافهام عن ادراك معنى عليين عظم امره فقال
وما ادراك ما عليون كما قال القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة ومنها ان يكون في حبه خائفا
متضائلا تحت الهيبة والتعظيم وقد يظن ان الخوف يضاد الحب وليس كذلك بل ادراك العظمة يوجب
الهيبة كما ان ادراك الجمال يوجب الحب ولخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبة ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم
اشد من بعض فاولها خوف الاعراض واشد منه خوف الحجاب واشد منه خوف الابعاد و
هذا المعنى من سورة هود هو الذي شيب سيد المحبين اذ سمع قوله الا بعدا لثمود الا بعدا لمدين كما بعدت
ثمود وانما تعظم هيبة البعد وخوفه في قلب من الف القرب وذاقه وتنعم به فحديث البعد في
حق المبعدين يشيب سماعه اهل القرب في القرب ولا يحن الى القرب من الف البعد ولا يبكي لخوف البعد
من لم يمكن من بساط القرب ثم خوف الوقوف وسلب المزيد فانا قدمنا ان درجات القرب لا
نهاية لها وحق العبد ان يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال عليه السلم من استوى يوماه
فهو مغبون ومن كان يومه شرا من امسه فهو ملعون ولذلك قال عليه السلم انه ليغان على قلبي واني لاستغفر
الله في اليوم والليلة سبعين مرة وانما كان استغفاره من القدم الاولى فانها كانت بعدا بالاضافة الى
القدم الثانية ويكون ذلك عقوبة لهم على الفترة في الطريق والالتفات الى غير المحبوب كما روي في بعض
الكتب ان الله تعالى يقول ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا اثر شهوة الدنيا على طاعتي
ان اسلبه لذيذ مناجاتي فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة العموم واما الخصوص فيحجبهم عن المزيد مجرد
الدعوى والعجب والركون الى ما ظهر من مبادي اللطف وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز
منه الا ذوو الاقدام الراسخة ثم خوف فوت ما لا يدرك بعد فوته سمع ابراهيم بن ادهم قائلا يقول
في سياحته على جبل كل شيء لك مغفور سوى الاعراض عني قد وهبنا لك ما فات بقي ما فات مني
فاضطرب وغشي عليه يوما وليلة وطرات عليه احوال ثم قال سمعت النداء من الجبار يا ابراهيم كن عبدا فقال
فكنت عبدا واسترحت ثم خوف السلو عنه فان المحب يلازمه الشوق والطلب الحثيث فلا

[illegible]

فاعتدال

فاعتدال في فرحه وحه ورجاوه وسكن فصار كساير العارفين وتجلى في حال العارف • قريب الوجد دون بعيد
على الاحرار منهم والعبيد • قريب الوصف في علم غريب • كان فؤاده زبر الحديد • لعد غرت صفاير عقاب
عن الابصار الا للشهيد • ترى الاعياد في الاوقات تجرى • له في كل يوم الف عيد • وللاحباب افراح بعيد
ولا تجد السرور له بعيد • وامثال هذه المعارف التي اليها الاشارة لا يجوز ان يشترك الناس فيها ولا يجوز
ان يظهر ممن انكشف له شيء منها لمن لم ينكشف له بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا فالحكمة تقتضي شمول الغفلة
لعمارة الدنيا بل لو اكل الناس كلهم الحلال اربعين يوما لخربت الدنيا لزهدهم فيها وبطلت الاسواق والمعايش
بل لو اكل العلماء الحلال لاشتغلوا بانفسهم ولوقفت الالسنة والاقلام عن كثير مما انتشر من العلوم ولكن لله فيما
هو شر في الظاهر اسرار وحكم كما ان له في الخير اسرارا وحكما ولا منتهى لحكمته كما لا غاية لقدرته • ومنها
كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقي من اظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب واجلالا له وهيبة منه و
غيرة على سره فان الحب سر من اسرار الحبيب ولانه قد يدخل في الدعوى ما يتجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون
ذلك من الافتراء ويعظم العقوبة عليه في العقبى ويتعجل عليه البلوى في الدنيا نعم قد يكون للمحب سكرة في حبه حتى
يدهش فيها وتضطرب احواله فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك من غير تمحل واكتساب فهو معذور لانه مقهور
بما اشتعل من الحب نيرانه فلا اطاق سلطانه وقد تفيض القلب به فلا يندفع فيضانه فالقادر على الكتمان يقول
وقالوا قربت قلت ما انا صانع • بقرب شعاع الشمس لو كان في حجرى • فما لي منه غير ذكر بخاطر •
يهيج نار الحب والشوق في صدري • والعاجز عنه يقول • يخفي فيبدي الدمع اسراره •
ويظهر الوجد عليه النفس • ويقول • ومن قلبه مع غيره كيف حاله • ومن سره في جفنه كيف يكتم •
وقد قال بعض العارفين اكثر الناس من الله بعدا اكثرهم اشارة به كانه اراد من يكثر التعريض به في كل شيء
ويظهر التصنع لذكره عند كل احد فهو ممقوت عند المحبين والعلماء بالله ودخل ذو النون المصري
على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فراه مبتلى ببلاء فقال لا يحبه من وجد الم ضربه فقال لكني اقول
لا يحبه من لم يتنعم بضربه فقال ذو النون ولكني اقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه فقال الرجل استغفر الله و
اتوب اليه • فان قلت المحبة منتهى المقامات واظهارها اظهار للخير فلماذا يستنكر فاعلم
ان المحبة محمودة وظهورها ايضا محمود وانما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيه من الدعوى والاستكبار وحق

[illegible]

القدرة

والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك فلما عرفوا صفاته الكاملة واسماءه الحسنى لم يتصوروا ان احدا غيره
اذا استحق عندهم بذلك المحبة لانه اهل لها ولو زال عنهم حجاب الوهم [illegible] من الناس من يحب هواه وعدو الله
ابليس وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الغرور والجهل ويظن انه محب لله وهو الذي لا يجد في نفسه هذه العلامات
او يلبس بها نفاقا ورياء وسمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلافه كالعلماء السوء
اولئك بغضاء الله في الارض • وكان سهل اذا تكلم مع انسان قال يا دوست اي حبيب فسئل لم قد
لا يكون حبيبا فكيف تقول هذا فقال في اذن السائل سرا لا يخلو اما ان يكون مؤمنا او منافقا فان كان
مؤمنا فهو حبيب الله وان كان منافقا فهو حبيب ابليس وقد قال ابو تراب النخشبي في علامات المحبة ابياتا
لا تخدعن فللحبيب دلائل • ولديه من تحف الحبيب وسائل • منها تنعمه بمر بلائه • وسروره في
كل ما هو فاعل • فالمنع منه عطية مبذولة • والفقر اكرام وبر عاجل • الى بيان
معنى الانس بالله عز وجل قد ذكرنا ان الانس والخوف والشوق من اثار المحبة الا ان هذه اثار مختلفة تختلف
على المحب بحسب نظره وما يغلب عليه في وقته فاذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب الى منتهى الجمال واستشعر
قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب الى الطلب وانزعج له وهاج اليه فسميت هذه الحالة في الانزعاج
شوقا وهو بالاضافة الى امر غايب واذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من
الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت الى ما لم يدركه بعد استبشر القلب بما
يلاحظه فيسمى استبشاره انسا وان كان نظره الى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة
وخطر امكان الزوال والبعد تالم قلبه بهذا الاستشعار فيسمى المه خوفا وهذه الاحوال تابعة
لهذه الملاحظات وهذه الملاحظات تابعة لاسباب تقتضيها لا يمكن حصرها فالانس معناه استبشار
القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى انه اذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق اليه من خطر
الزوال عظم نعيمه ولذته ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له انت مشتاق فقال لا انما الشوق الى
غايب فاذا كان الغايب حاضرا فالى من يشتاق وهذا كلام مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت الى
ما بقي في الامكان من مزايا الالطاف ومن غلب عليه حال الانس لم يكن شهوته الا في الانفراد والخلوة
كما حكي ان ابراهيم بن ادهم نزل من الجبل فقيل له من اين اقبلت قال من الانس بالله وذلك ان الانس

بانه التوحش من غير الله تعالى بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من اثقل الاشياء على القلب كما روي ان موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام احد من الناس الا اخذه الغشيان لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما سواه ولذلك قال بعض الحكماء في دعائه يا من آنسني بذكره واوحشني من خلقه وقال الله عز وجل لداود عليه السلام كن لي مشتاقا وبي مستانسا ومن سواي مستوحشا وقيل لرابعة بم نلت هذه المنزلة قالت بتركي ما لا يعنيني وانسي بمن لم يزل وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت له يا راهب لقد اعجبتك الوحدة فقال يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت اليها من نفسك الوحدة راس العبادة فقلت يا راهب ما اقل ما تجده في الوحدة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم قلت يا راهب متى يذوق العبد حلاوة الانس بالله تعالى قال اذا صفا الود وخلصت المعاملة قلت ومتى يصفو الود قال اذا اجتمع الهم فصار هما واحدا في الطاعة فان قلت فما علامة الانس فاعلم ان علامته الخاصة ضيق الصدر من معاشرة الخلق والتبرم بهم واستهتاره بعذوبة الذكر فان خالط فهو كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضور مخالط بالبدن منفرد بالقلب المستغرق بعذوبة الذكر كما قال علي رضي الله عنه في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه فهذا معنى الانس بالله وهذه علامته وقد ذهب بعض المتكلمين الى انكار الانس والشوق والحب لظنه ان ذلك يدل على التشبيه وجهله بان جمال المدركات بالبصائر اكمل من جمال المبصرات ولذة معرفتها اغلب على ذوي القلوب حتى انكر بعضهم مقام الرضا وقال ليس الا الصبر فاما الرضا فغير متصور وهذا كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين الا على القشر فظن انه لا وجود الا للقشر فان المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال من طريق العين قشر مجرد ووراءه اللب المطلوب فمن لم يصل من الجوز الا الى قشره ظن ان الجوز خشب كله ويستحيل عنده خروج الدهن منه وهو معذور ولكن عذره غير مقبول وقد قيل

الانس بالله لا يحويه بطال • وليس يدركه بالحول محتال
والآنسون رجال كلهم نجب • وكلهم صفوة لله عمال

بيان معنى الانبساط والادلال الذي تثمره غلبة الانس

اعلم ان الانس اذا دام وغلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف البعد والحجاب فانه
يثمر نوعا من الانبساط في الاقوال والافعال والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكر الصورة لما فيه
من الجراة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن اقيم في مقام الانس ومن لم يقم في ذلك المقام ويتشبه بهم
في الفعل والكلام هلك به واشرف على الكفر ومثاله مناجاة برخ الاسود الذي امر الله تعالى كليمه موسى
ان يساله ليستسقي لبني اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج موسى ليستسقي لهم في سبعين الفا فاوحى
الله عز وجل اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويامنون
مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له فسال عنه موسى عليه السلام فلم يعرف
فبينا موسى ذات يوم يمشي في طريق اذا بعبد اسود قد استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود في
شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى بنور الله تعالى فسلم عليه فقال ما اسمك قال اسمي برخ قال فانت
طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا فخرج فقال في كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك وما
الذي بدا لك انقصت عليك عيونك ام عاندت الرياح عن طاعتك ام نفد ما عندك ام
اشتد غضبك على المذنبين الست كنت غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وامرت
بالعطف ام ترينا انك ممتنع ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى اخضلت بنو اسرائيل
بالقطر وانبت الله عز وجل العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى
فقال كيف رايت حين خاصمت ربي كيف انصفني فهم موسى به فاوحى الله عز وجل اليه ان برخا
يضحكني كل يوم ثلث مرات وعن الحسن قال احترقت اخصاص بالبصرة فبقي في وسطها خص
لم يحترق وابو موسى يومئذ امير البصرة فاخبر بذلك فبعث الى صاحب الخص قال فاتي بشيخ فقال
يا شيخ ما بال خصك لم يحترق فقال اني اقسمت على ربي ان لا يحرقه فقال ابو موسى اني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول يكون في امتي قوم شعثة رؤسهم دنسة ثيابهم لو اقسموا على الله لابرهم وقيل وقع حريق
بالبصرة فجاء ابو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار فقال له امير البصرة انظر لا تحترق بالنار فقال
اني اقسمت على ربي ان لا يحرقني بالنار قال فاعزم ان تطفى قال فعزم عليها فطفئت فهذا وامثاله

يجري لاهل الانس وليس لغيرهم ان يتشبه بهم قال الجنيد رحمه الله اهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم اشياء هي كفر عند العامة وقال مرة لو سمعها العموم لكفروهم وهم يجدون المزيد في احوالهم بذلك وذلك يحتمل منهم ويليق بهم فهذا النوع من الانبساط محتمل ممن هو في مقام الانس ولا تستبعدن رضاه بالانبساط عن عبد وغضبه على عبد اخر في مثله فان المقامات مختلفة وقد نبه القرآن على هذه المعاني فان قصص القرآن تنبيهات لاولي البصائر والابصار حتى ينظروا اليها بعين الاعتبار فاول قصة آدم عليه السلام وابليس ... ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ... وقال لموسى عليه السلام انني معكما اسمع وارى ... ويونس عليه السلام ... فنادى في الظلمات ... ونهى نبينا صلى الله عليه وسلم ان يقتدي به فقال فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم ... وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الاحوال والمقامات وبعضها لما سبق في الازل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد وقد قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فكان عيسى عليه السلام من المفضلين ولادلاله سلم على نفسه فقال والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس واما يحيى بن زكريا عليهما السلام فانه اقيم مقام الهيبة والحياء

فلم ينطق حتى اثنى عليه خالقه فقال وسلام عليه وانظر كيف احتمل لاخوة يوسف ما فعلوا بيوسف وقد قال بعض العلماء
قد عددت من اول قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا الى راس العشرين من اخباره عن
زهدهم فيه نيفا واربعين خطيئة بعضها اكبر من بعض وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلث والاربع فغفر
لهم وعفا عنهم ولم يحتمل لعزير مسئلة واحدة سال عنها في القدر حتى قيل محي من ديوان النبوة وكذلك بلعم بن
باعورا كان من اكابر العلماء فاكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له وكان آصف من المسرفين وكانت معصيته في
الجوارح فعفا عنه وقد روي ان الله تعالى اوحى الى سليمان عليه السلام يا راس العابدين ويا ابن محجة
الزاهدين الى كم يعصيني ابن خالتك آصف وانا احلم عنه مرة بعد اخرى فوعزتي وجلالي لئن اخذته
عصفة من عصفاتي لاتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده فلما دخل آصف على سليمان اخبره بما اوحى
الله تعالى اليه فخرج حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع راسه ومد يديه الى السماء وقال الهي وسيدي انت انت
وانا انا فكيف اتوب ان لم تتب علي وكيف استعصم ان لم تعصمني لئن لم تعصمني لاعودن فاوحى الله تعالى
اليه صدقت يا آصف انا انا وانت انت استقبل التوبة الي فقد تبت عليك وانا التواب الرحيم وهذا
كلام مدل به عليه وهارب منه اليه وناظر به اليه وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى عبد تداركه بعد ان اشفى على الهلكة
كم من ذنب واجهتني به غفرته لك قد اهلكت في دونه امة من الامم فهذه سنته في عباده بالتفضيل والتقديم و
التاخير على ما سبقت به المشيئة الازلية وهذه القصص اوردت في القرآن لتعرف بها سنة الله تعالى في
عباده الذين خلوا من قبل فما في القرآن شيء الا وهو هدى ونور وتعرف من الله تعالى الى خلقه فتارة
يتعرف اليهم بصفات جلاله فيقول الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وتارة يتعرف اليهم
في افعاله المخوفة والمرجوة فيتلو عليهم سنته في انبيائه واعدائه فيقول الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات
العماد الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ولا يعدو القرآن هذه الاقسام الثلثة وهي الارشاد الى
معرفة ذات الله تعالى وتقديسه او معرفة صفاته واسمائه او معرفة افعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت
سورة الاخلاص على احد هذه الاقسام الثلثة وهو التقديس وازنها النبي صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن
فقال من قرا سورة الاخلاص فقد قرا ثلث القرآن لان منتهى التقديس ان يكون واحدا في ثلثة امور لا يكون

حاصلة [illegible]

ومشبههم ودل عليه قوله لم يلد ولم يولد ولا يكون له كفوا احد [illegible] ولم يكن له كفوا احد

ودل عليه قوله ولم يكن له كفوا احد [illegible] لا اله الا الله

انه لم يكن اصلا له ولا فرعا [illegible] فتفصيل ذلك [illegible] الاول والآخر والظاهر والباطن [illegible]

لكفوا احد ويجمع جميع ذلك قوله قل هو الله احد [illegible]

فهذه اسرار القرآن ولا تنتهى امثال هذه الاسرار [illegible] والاعراف [illegible]

لذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه [illegible] والقصص [illegible] ما اوردناه [illegible]

بعرفه الا من طال فكره في آحاد كلماته وصفا له فهمه [illegible] اعلم ان الرضا [illegible]

عرضنا استيطا علم البشر واكثر اسرار القرآن معناه [illegible]

ما يستحرمعها العلوم المزخرفة [illegible]

القول في معنى الرضا بقضاء الله تعالى وحقيقته وما ورد في فضيلته

اعلم ان الرضا ثمرة من ثمار المحبة وهو من اعلى مقامات المقربين [illegible] والرضا بالقضاء [illegible]

فاحصة على الاكثرين وما يدخل عليهم من التشابه والابهام [illegible]

باب التسليم لتفتح [illegible] وعلمه البيان [illegible]

والفسق وترك الاعراض والانكار [illegible] قال ابن عباس [illegible]

بيان فضيلة الرضا

اما من الآيات فقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه [illegible]

الدعاء والسكوت على المعاصي [illegible] ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر [illegible]

عنه وقد قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان [illegible]

[illegible]

لها هو التفضيل في اما رضا العبد فسنذكر حقيقته واما رضوان الله تعالى عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه

في حب الله تعالى للعبد ولا يجوز ان يكشف عن حقيقته اذ تقصر افهام الخلق عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل

بادراكه من نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه وانما سألوه الرضا لانه سبب دوام النظر فكانهم

راوه غاية الغايات واقصى الاماني لما ظفروا بنعيم النظر فلما امروا بالسؤال لم يسألوا الا دوامه

وعلموا ان الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب وقال تعالى ولدينا مزيد وقال بعض المفسرين فيه ياتي اهل

الجنة في وقت المزيد ثلث تحف من عند رب العالمين احدها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان

مثلها وذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك

على الهدية فضلا وهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله تعالى اني عنكم راض فيكون ذلك

افضل من الهدية والتسليم وذلك قوله تعالى ورضوان من الله اكبر اي من النعيم الذي هم فيه فهذا رضا

الله تعالى وهو ثمرة رضا العبد واما الاخبار فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من اصحابه ما انتم فقالوا

مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم فقالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال

مؤمنون ورب الكعبة وفي خبر آخر قال حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء وقال عليه السلام من رضي

من الله عز وجل بالقليل من الرزق رضي الله عنه بالقليل من العمل وقال ايضا اذا احب الله عبدا ابتلاه

فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وفي اخبار داود عليه السلام ما لاوليائي والهم بالدنيا ان الهم

يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم يا داود ان محبتي من اوليائي ان يكونوا روحانيين لا يغتمون وروي

ان موسى عليه السلام قال يا رب دلني على امر فيه رضاك حتى اعمله فاوحى الله تعالى اليه ان رضاي في

كرهك وانت لا تصبر على ما تكره فقال يا رب دلني عليه فقال ان رضاي في رضاك بقضاي

وفي الاخبار ان نبيا من الانبياء شكا الى الله عز وجل الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما اجيب

له ثم اوحى الله تعالى اليه كم تشكو هكذا كان بدؤك عندي في ام الكتاب قبل ان اخلق السموات

والارض وهكذا سبق لك مني وهكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا اتريد ان اعيد خلق الدنيا

من اجلك ام تريد ان ابدل ما قدرت مرة اخرى لا محونك من ديوان النبوة الى غير ذلك من الاخبار

وذكر من الاثار ان رجلا نظر الى قرحة محمد بن واسع فقال اني ارحمك من هذه القرحة فقال اني

لاشكرها [illegible]

صدوقه [illegible] الى رحمن [illegible]

[illegible] حقيقة الرضا [illegible]

بيان [illegible] اعلم [illegible]

فيما يخالف الهوى [illegible] فاما الرضا [illegible]

الهوى وانواع البلاء الا الا [illegible] واما [illegible]

فرا حجة انكار [illegible] ان [illegible] الالم [illegible]

الالم به فلا يحس بالالم [illegible]

احدها ان يبطل الاحساس بالالم [illegible]

ومثاله الرجل المحارب فانه في حال غضبه او في حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها [illegible]

به على الجراحة بل الذي يعدو في شغل قلبه [illegible]

كالمه [illegible]

الاحوال [illegible] **واما الثاني** [illegible]

عمر والمريض [illegible]

اذا تصور هذا في الم [illegible]

الالم فلا [illegible]

لا قياس [illegible]

فانقطع [illegible]

منها ولا يعالج نفسه [illegible]

الم ولكن يكون راضيا به [illegible]

فانه يدرك الم [illegible]

كالمريض [illegible]

ما فاته [illegible]

بحيث يكون حظ المحب في مراد حبيبه ورضاه لا لمعنى آخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا عنده

ومطلوبا وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون في نظمهم ونثرهم

ولا معنى له الا ملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر فان نظر الى الجمال فما هو الا جلد على لحم ودم مشحون بالاقذار

والاخباث بدايته من نطفة مذرة ونهايته جيفة قذرة وهو فيما بينهما يحمل العذرة وان نظر الى المدرك

للجمال فهو العين الخسيسة التي تغلط فيما ترى كثيرا فترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا و

القبيح جميلا واذا تصور استيلاء هذا الحب فمن اين يستحيل ذلك في حب الجمال الازلي الابدي

الذي لا منتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التي لا يعتريها الغلط ولا يدورها الموت بل تبقى بعد الموت

حية عند الله تعالى فرحة برزق الله مستفيدة بالموت مزيد تنبيه واستكشاف وهذا امر

واضح من حيث النظر بعين الاعتبار ويشهد لذلك الوجود وحكايات احوال المحبين واقوالهم فقال

الجنيد سألت سريا السقطي هل يجد المحب الم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال و

ان ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة وقال بعضهم احببت كل شيء يحبه حتى لو احب النار

لاحببت دخول النار وقال بشر بن الحارث مررت برجل وقد ضرب الف سوط في شرقية بغداد

ولم يتكلم ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت له لم ضربت فقال لاني عاشق فقلت ولم سكت فقال

لان معشوقي كان بحذائي ينظر الي فقلت فلو نظرت الى المعشوق الاكبر قال فزعق زعقة خر منها

ميتا وقيل ان يونس قال لجبريل عليه السلام دلني على اعبد اهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام

يديه ورجليه وذهب ببصره وسمعه وهو يقول الهي متعتني بهما ما شئت انت وسلبتني ما شئت

انت وابقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول وروي عن عبد الله بن عمر انه اشتكى له ابن فاشتد

وجده عليه حتى قال بعض القوم خشينا على هذا الشيخ ان حدث بهذا الغلام حدث فمات

الغلام فخرج ابن عمر في جنازته وما خرج امرؤ اشد سرورا منه قط فقيل له في ذلك فقال انما كان حزني رحمة له

فلما وقع امر الله رضينا به وقال مسروق كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك فالديك يوقظهم

للصلوة والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خباءهم والكلب يحرسهم فجاء الثعلب واخذ الديك

فحزنوا له فقال الرجل عسى ان يكون خيرا ثم اصيب الكلب فقال عسى ان يكون خيرا ثم

اصبحوا ذات يوم فنظروا فاذا قد سبي من حولهم وبقوا هم قال وانما اخذوا اولئك لما كان عندهم

[illegible] حكايات [illegible]

[illegible] الحبيب [illegible] تعالى من عرف [illegible]

كما قدره الله ورضي بفعله [illegible] قال [illegible]

فقد لطف الله عز وجل به [illegible] وهو يقول [illegible] الذي [illegible] فقال [illegible]

على [illegible] عليه السلام [illegible] جبرائيل [illegible] وان كان [illegible]

فعالج [illegible] فاذا [illegible] الناس [illegible]

ما ابتلي به [illegible] فقال [illegible] بيده [illegible]

مصروفا عنك [illegible] الضيف [illegible]

صدقت [illegible] عيسى عليه السلام [illegible] ان المحبة [illegible] مقام عظيم [illegible]

ما كان [illegible] الشبلي في المارستان [illegible]

الصعبة [illegible] فاصبروا على بلائي [illegible]

من الناس [illegible] ادعيتم محبتي ان صدقتم فاصبروا [illegible]

ادعيتم [illegible] عرفت قطعا ان الرضا [illegible] انتظار [illegible] الاحساس بالالم [illegible]

الحكايات [illegible]

بالجملة وقطع [illegible] المحبوب [illegible]

الموجود كالرضا [illegible]

بعلة الحب [illegible] والتجربة [illegible]

ولو في [illegible] على العاشقين [illegible]

عن ادراك الالم [illegible]

لقد سبقه [illegible] بالغضب [illegible]

بن الحارث الرافقي [illegible]

المجلس [illegible] فقال [illegible] الجنيد [illegible]

المحبة

المحبة فالبعث لم الصبر وقال الى متى ذا النفاق الذي تظهره فقال قد علمت اني صادق فيما اورده حتى لو قلت لي مت لمت فقال ان كنت صادقا فمت قال فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا وقال سمنون المحب كان في جيراننا رجل وله جارية يحبها غاية الحب فاعتلت الجارية فجلس الرجل ليصلح لها حسا فبينا هو يحرك ما في القدر اذ قالت الجارية آه قال فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل الرجل يحرك ما في القدر بيده حتى تساقطت اصابعه فقالت الجارية ما هذا فقال الرجل هذا موضع قولك آه وحكي عن محمد بن عبد الله البغدادي قال رايت بالبصرة شابا على سطح مرتفع وقد اشرف على الناس وهو يقول من مات عشقا فليمت هكذا لا خير في عشق بلا موت ثم رمى بنفسه الى الارض فحملوه ميتا فهذا وامثاله قد يصدق به في حب المخلوقين فالتصديق به في حب الخالق اولى لان البصيرة الباطنة اصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة الربوبية اوفى من كل جمال بل كل جمال في العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال نعم الذي فقد البصر ينكر جمال الصور ومن فقد السمع ينكر لذة الالحان والنغمات الموزونة فالذي فقد القلب لابد ان ينكر ايضا هذه اللذات التي لا مظنة لها سوى القلب

بيان ان الدعاء غير مناقض للرضا ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا وكذلك كراهة المعاصي ومقت اهلها وحسم اسبابها والسعي في ازالتها بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه وقد غلط في ذلك قوم من البطالين المغترين وزعموا ان المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله وقدره فيجب الرضا به وهذا جهل بالتاويل وغفلة عن اسرار الشرع فاما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرت دعوات النبي صلى الله عليه وآله وسائر الانبياء عليهم السلام على ما نقلناه في كتاب الدعوات ولقد كان عليه السلام في اعلى مقامات الرضا وقد اثنى الله عز وجل على بعض عباده بقوله ويدعوننا رغبا ورهبا واما انكار المعاصي وكراهتها وعدم الرضا بها فقد تعبد الله عز وجل به عباده وذمهم على الرضا به فقال ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها وقال رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم وفي الخبر المشهور من شهد منكرا ورضي به فكانه قد فعله وفي الحديث الدال على الشر كفاعله وعن ابن مسعود ان العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه قيل وكيف ذلك قال يبلغه فيرضى به واما بغض الكفار والفجار والانكار عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والاخبار لا يحصى مثل قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين الى غير ذلك من الآيات والاخبار فان قلت فقد وردت الآيات والاخبار بالرضا بقضاء الله تعالى فان كانت المعاصي بغير قضاء الله فهو محال وهو قادح في التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله تعالى فكيف

السبيل الى الجمع بينهما وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد فاعلم ان هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على اسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى راوا السكوت على المنكرات مقاما من مقامات الرضا وسموه حسن الخلق وهو جهل محض بل نقول الرضا والكراهة يتضادان اذا تواردا على شيء واحد على وجه واحد وليس من التضاد في شيء واحد ان يكره من وجه ويرضى به من وجه اذ قد يموت عدوك الذي هو ايضا عدو بعض اعدائك وساع في اهلاكه فتكره موته من حيث انه مات عدو عدوك وترضاه من حيث انه مات عدوك وكذلك المعصية لها وجهان وجه الى الله عز وجل من حيث انها فعله واختياره وارادته فيرضى به من هذا الوجه تسليما للملك الى مالكه ورضا بما يفعله فيه ووجه الى العبد من حيث انها كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا عند الله تعالى وبغيضا عنده حيث سلط عليه اسباب البعد والمقت فهي من هذا الوجه منكر ومذموم ولا ينكشف هذا لك الا بمثال فلنفرض محبوبا من الخلق قال بين يدي محبيه اني اريد ان اميز بين من يحبني ويبغضني وانصب فيه معيارا صادقا وميزانا ناطقا وهو اني اقصد فلانا فاوذيه واضربه ضربا يضطره في ذلك الى الشتم لي حتى اذا شتمني ابغضته واتخذته عدوا لي فكل من احبه فاعلم انه ايضا عدوي وكل من ابغضه فاعلم انه صديقي ومحبي ثم فعل ذلك وحصل على مراده من شتمه الذي هو سبب البغض وحصل البغض الذي هو سبب العداوة فحق على كل من هو صادق في محبته وعالم بشروط المحبة ان يقول اما تدبيرك في ايذاء هذا الشخص وضربه وابعاده وتعريضك اياه للبغض والعداوة فانا محب له وراض به فانه رايك وتدبيرك وفعلك وارادتك واما شتمه اياك فانه عدوان من جهته وكان حقه ان يصبر ولا يشتم ولكنه كان مرادك منه فانك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت فهو من حيث انه حصل على وفق مرادك وتدبيرك الذي دبرته فانا راض به ولو لم يحصل لكان ذلك نقصانا في تدبيرك وتعويقا في مرادك وانا كاره لفوات مرادك ولكنه من حيث انه وصف لهذا الشخص وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جمالك اذ كان ذلك يقتضي ان يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم فانا كاره له من حيث نسبته اليه ومن حيث هو وصف له لا من حيث هو مرادك ومقتضى تدبيرك واما بغضك له بسبب شتمه فانا راض به ومحب له لانه مرادك وانا على موافقتك لان من شرط المحب ان يكون حبيب المحبوب حبيبه وعدوه عدوه واما بغضه لك فاني ارضاه من حيث انك اردت ان يبغضك اذ ابعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعي البغض ولكنه البغض من حيث انه وصف ذلك البغيض وكسبه وفعله فامقته لذلك فهو ممقوت عندي لمقته اياك وبغضه ومقته لك ايضا مكروه عندي من حيث انه وصف له وكل ذلك من حيث انه مرادك مرضي وانما التناقض ان يقول هو من حيث انه مرادك مرضي ومن حيث انه مرادك مكروه فاما اذا كان

كان مكروها لا من حيث انه فعله ومراده بل من حيث انه وصف غيره وكسبه فهذا تسليط الله تعالى دواعي الشهوة والمعصية عليه حتى يجره ذلك الى حب المعصية ويجره الحب الى الفعل يضاهي ضرب المحبوب الشخص الذي ضربناه مثلا ليجره الضرب الى الغضب والغضب الى الشتم ومقت الله عز وجل لمن عصاه وان كانت معصيته بتدبيره يشبه بغض المشتوم لمن شتمه وان كان شتمه انما حصل بتدبيره واختياره لاسباب ذلك وفعل الله ذلك بكل عبد من عبيده اعني تسليط دواعي المعصية عليه يدل على انه سبقت مشيئته بابعاده ومقته فواجب على كل عبد محب لله عز وجل ان يبغض من ابغضه الله ويمقت من مقته ويعادي من ابعده عن حضرته وان اضطره بقهره وقدرته الى معاداته ومخالفته فانه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة وان كان بعيدا بابعاده ومطرودا بطرده واضطراره والمبعد عن درجات القرب ينبغي ان يكون ممقوتا بغيضا الى جميع المحبين موافقة للمحبوب باظهار الغضب على من اظهر المحبوب الغضب عليه بابعاده وبهذا يتقرر جميع ما وردت به الاخبار من البغض في الله والحب في الله والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله عز وجل من حيث انه قضاء الله وهذا كله يستمد من سر القدر الذي لا رخصة في افشائه وهو ان الشر والخير كلاهما داخل في المشية والارادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي به فمن قال ليس الشر من الله تعالى فهو جاهل وكذا من قال انهما جميعا منه من غير افتراق في الرضا والكراهة فهو ايضا مقصر وكشف الغطاء عنه غير ماذون فيه فالاولى السكوت والتادب بادب الشرع فقد قال عليه السلام القدر سر الله فلا تفشوه وذلك يتعلق بعلم المكاشفة وغرضنا الآن بيان الامكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضا بقضاء الله ومقت المعاصي مع انها من قضاء الله وقد ظهر الغرض من غير حاجة الى كشف السر فيه وبهذا يعرف ايضا ان الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصي وسائر الاسباب المعينة على الدين غير مناقض للرضا بقضاء الله تعالى فان الله عز وجل تعبد العباد بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسببا لتواتر مزايا اللطف كما ان حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضا للرضا بقضاء الله تعالى في العطش وشرب الماء طلبا لازالة العطش مباشرة سبب رتبه مسبب الاسباب فكذلك الدعاء سبب رتبه الله تعالى وامر به وقد ذكرنا ان التمسك بالاسباب جريا على سنة الله تعالى لا يناقض التوكل واستقصيناه في كتاب التوكل فهو ايضا لا يناقض الرضا لان الرضا مقام ملاصق للتوكل ويتصل به اظهار البلاء في معرض الشكوى وانكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا واظهار البلاء على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض وقد قال السلف من حسن الرضا بقضاء الله ان

لا تقول هذا ابو [illegible] ان [illegible]
فاراى ربما مرض الضيف فانا ما بان [illegible] العائد [illegible] بل [illegible]
وذكر والشكوى من قضى الرضا لا تدبير الضيم [illegible] العبا [illegible] ونعب واكل لا كما مجاهد
دعيها بانا قضى والرضا بل التدبير [illegible] ان ليس [illegible] ان تقاوى البلاد [illegible]
اضع الله تعالى [illegible] فادح او قيل فانى لا ادرى ابها خير **بيان** [illegible]
كذ وسقه كلها لا اصحت [illegible] لا ينفع في الرضا **اعلم** ان الضيف [illegible] ان يكل واحد [illegible]
ما قيل لا ابالى اصحت المعاصي ومقتها [illegible] بعد طورت وبها المعاصي [illegible]
التى هي مظان المعاصي [illegible] الطاعون بل على [illegible]
عن الخروج [illegible] بلد ظهر به الطاعون [illegible]
فقال بل العلة [illegible] **تزكان** [illegible]
ذكر انا حكم ذلك [illegible] المعاصي [illegible] قال الله تعالى الم [illegible]
وكذلك صدما المواضع التى [illegible]
حتى اسس [illegible]
فيها المعاصي [illegible]
عيال او علاقة [illegible]
القرية الظالم اهلها [illegible]
الذين ظلموا انكم [illegible]
بين فيه انسب [illegible]
الى لقاء الله تعالى ورجل يحب البقاء [illegible]
العمل العارف فقال لصاحب [illegible]
ويوسف بن اسباط فقال [illegible] واعمل صالحا [illegible]

احب الى الله تعالى فقيل الثوري يا ابن عيينه وقال يد وحانيه ورب الكعبه **بيان** جمله من حكايات المحبين
واقوالهم ومكاشفاتهم كان يقول واحد اذا رايتموني فقد رايتم اربعين بدلا قيل كيف ذلك قال
لاني رايت اربعين بدلا واخذت من كل واحد خلقا من اخلاقه ويروى عن الخضر انه قال ما حدثت نفسي يوما قط انه
لم يبق ولي لله تعالى الا عرفته الا ورايت في ذلك اليوم وليا لم اعرفه وحكي عن يحيى بن معاذ الرازي انه قال رايت ابا يزيد
في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا اخمصيه مع عقبيه عن
الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر سجدة فاطال ثم قعد فقال
اللهم ان قوما طلبوك فاعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهواء ورضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك
فاعطيتهم المشي في الارض فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض فرضوا
بذلك واني اعوذ بك من ذلك قال حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء ثم التفت فرآني فقال يحيى قلت
نعم يا سيدي قال مذ متى انت ههنا قلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني بشيء فقال احدثك بما يصلح
لك ادخلني في الفلك الاسفل فدورني في الملكوت السفلي واراني الارضين وما تحتها الى الثرى ثم ادخلني في
الفلك العلوي فطوف بي في السموات واراني ما فيها من الجنان الى العرش ثم اوقفني بين يديه فقال سلني اي شيء
رايت حتى اهبه لك فقلت الهي ما رايت شيئا استحسنه فاسالك اياه قال انت عبدي حقا تعبدني
لاجلي صدقا لافعلن بك ولافعلن فذكر اشياء قال يحيى فهالني ذلك وامتلات به وعجبت منه فقلت يا
سيدي لم لم تساله المعرفة به وقد قال لك ملك الملوك سلني ما شئت قال فصاح وقال اسكت ويلك
غرت عليه مني حتى لا احب ان يعرفه سواه ثم قال رحمه الله بعد ذكر امثال هذه الحكايات فامثال هذه
المكاشفات لا ينبغي ان ينكرها المؤمن لافلاسه عن مثلها فلو لم يؤمن كل واحد الا بما شاهده من نفسه المظلم
وقلبه القاسي لضاق مجال الايمان عليه بل هذه احوال تظهر بعد مجاوزة عقبات ونيل مقامات كثيرة
ادناها الاخلاص واخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الاحوال ظاهرا وباطنا ثم مكاتمة ذلك
عن الخلق بستر الحال حتى يتحصنا بحصن الخمول فهي اوائل سلوكهم واول مقاماتهم واعز موجود في الاتقياء
من الناس وبعد تصفية القلب عن كدورة الالتفات الى الخلق يفيض عليه نور اليقين وينكشف له
مبادي الحق وانكار ذلك دون التجربة وسلوك الطريق يجري مجرى انكار من انكر امكان انكشاف
الصورة في الحديدة اذا شكلت ونقيت وصقلت وصورت بصورة المراة لسطر المنكر الى ما في يده من

زبر الحديد المظلم وقد استولى عليه الصدا والخبث وهو لا يحكي صورة من الصور فانكر امكان انكشاف
المراى فيها عند ظهور جوهرها وانكار ذلك غاية الجهل والضلال فهذا حكم كل من انكر كرامات الاولياء اذ لا
مستند له الا قصوره عنه وقصور من رآه واستبعاده ذلك انكار قدرة الله تعالى بل انما يشم روائح
المكاشفة من سلك شيئا ولو من مبادي الطريق كما قيل لبشر باي شيء بلغت هذه المنزلة فقال كنت اكاتم الله
تعالى حالي معناه اسالة ان يكتمه علي ويخفي امري ويروى انه راى الخضر عليه السلام فقال له ادع الله عز وجل لي
فقال يسر الله عليك طاعته فقال زدني قال وستره عليك فقيل معناه سترها عن الخلق وقيل سترها
عنك حتى لا تلتفت اليها ومن بعضهم انه قال اقلقني الشوق الى الخضر فسالت الله تعالى مرة ان
يريني اياه ليعلمني شيئا كان اهم الاشياء الي قال فرايته فما غلب علي همي ولا همتي الا ان قلت له يا ابا العباس
علمني شيئا اذا قلته حجبت عن قلوب الخليقة فلم يكن لي فيها قدر ولم يعرفني احد بصلاح ولا ديانه فقال قل اللهم
اسبل علي كثيف سترك وحط علي سرادقات حجبك واجعلني في مكنون غيبك واحجبني عن قلوب
خلقك قال ثم غاب فلم اره ولم اشتق اليه بعد ذلك فما زلت اقول هذه الكلمات في كل يوم فحكي انه صار
بحيث كان يستذل ويستهين حتى كان اهل الذمه يسخرون به ويستسخرونه في الطرق ويحمل الاشياء
لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان يولعون به وكانت راحته وجود قلبه واستقامة حاله في ذلته
وخموله وكذا حال اولياء الله عز وجل ففي امثال هؤلاء ينبغي ان يطلبوا والمغرورون انما يطلبونهم
تحت المرقعات والطيالسة وفي المشهورين من بالتقى في العلم والورع والرياسة وغيرة الله تعالى
على اوليائه تابى الا اخفاءهم كما قال تعالى اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري وقال عليه السلام رب اشعث
اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وبالجملة فابعد القلوب عن مشام هذه المعاني القلوب
المتكبرة المعجبة بانفسها المستبشرة بعلمها وعملها واقرب القلوب اليها القلوب المنكسرة المستشعرة
ذل نفسها استشعارا اذا ذل واهتضم لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل ومهما لم يشعر ايضا بعدم
التفاته الى الذل بل كان عنده نفسه اخس من ان يرى جميع انواع الذل ذلا في حقه بل يرى نفسه
دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاته فمثل هذا القلب يرجى له ان يستنشق مبادي
هذه الروائح فان فقدنا مثل هذا القلب وحرمنا مثل هذا الروح فلا ينبغي ان نطرح الايمان
بامكان ذلك لاهله فمن لا يقدر ان يكون من اولياء الله عز وجل فليكن محبا للاولياء الله تعالى مؤمنا بهم
فعسى

فعسى ان يحشر مع من احب ويشهد لهذا ما روي ان عيسى عليه السلام قال لبني اسرائيل اين ينبت الزرع
قالوا في التراب فقال بحق اقول لكم لا تنبت الحكمة الا في قلب مثل التراب ولقد انتهى المريدون لولاية الله تعالى
في طلب شروطها باذلال النفس الى منتهى الضعة والخسة حتى يروى عن استاذ الجنيد وهو ابن الكريبي ان رجلا دعاه
الى الطعام ثلاث مرات ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع اليه بعد ذلك حتى ادخله في المرة الرابعة فسالة عن ذلك فقال
قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد ثم يرمى له عظم فيعود ولو رددتني خمسين
مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت وعنه ايضا انه قال نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح فتشتت علي قلبي فدخلت
الحمام وعدوت على ثياب نفيسة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت وجعلت امشي قليلا قليلا
فلحقوني فنزعوا مرقعتي واخذوا الثياب وصفعوني واوجعوني ضربا فصرت بعد ذلك اعرف بلص الحمام فسكنت
نفسي فهكذا كانوا يروضون انفسهم حتى يخلصهم الله من النظر الى الخلق ثم من النظر الى النفس فان الملتفت الى نفسه محجوب عن
الله تعالى وشغله بنفسه حجاب له فليس بين القلب وبين الله تعالى حجاب بعد ولا تخلل حايل وانما بعد القلوب
شغلها بغيره او بنفسها واعظم الحجب شغل القلب بنفسه ولذلك حكي ان زاهدا عظيم القدر من اعيان اهل بسطام
كان لا يفارق مجلس ابي يزيد فقال له يوما يا ابا يزيد انا منذ ثلثين سنة اصوم الدهر لا افطر واقوم الليل
لا انام ولا اجد في نفسي من هذا العلم الذي تذكر شيئا وانا اصدق به واحبه فقال ابو يزيد ولو صمت ثلثمائة
سنة وقمت ليلها ما وجدت من هذه ذرة قال ولم قال لانك محجوب بنفسك قال فلهذا دواء قال نعم قال
قل لي حتى افعله قال لا تقبل قال فاذكر حتى افعل قال اذهب الساعة الى المزين واحلق
راسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة مملوة جوزا واجمع الصبيان
وقل من يصفعني صفعة اعطيته جوزة وادخل الاسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك وانت على
ذلك فقال الرجل سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال ابو يزيد قولك سبحان الله شرك قال وكيف قال
لانك عظمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك فقال هذا لا افعله ولكن دلني على غيره فقال ابتدئ بهذا
قبل كل شيء فقال لا اطيقه فقال قد قلت لك انك لا تقبل فهذا الذي ذكره ابو يزيد هو دواء من اعتل
بنظره الى نفسه ومرض بنظر الناس اليه ولا ينجي من هذا المرض دواء سوى هذا وامثاله فمن لا يطيق الدواء

ينبغي ان ... التنبت الارض اولم ترتفعه
بل ان امكان الشفا ... عبد المريض اصلا فاقل درجات التلبيك الفناء بنفسه من
ومن ادنى نفسه عبد المريض اصلا فاقل درجات الخليل الغناء بعد بنفسه من نفسه
الايمان ما ملكها وقيل الرحم ... الايمان حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما
هذه امور جليه من الشرع واخوه ومن ... الاسلام ... الابرار الاخرة على ... وقال عليه السلم
على الشرع وقد قال عليه السلم لا يبعث صاحب الدم ... الترب والاخرة ... عضب ... من حق والعضب ... وما طلب العنا والنقر
وحتى ان لا يبعث ... عليه واذا اعرض عليها ... ال ... رضى والعضب والقصد ... الرضا
لا يتم ولا ... حتى يكون ... خصال من ... لله اوتى مثل ما ... الى ... الايمان والعجب مديعى على علم الدين ... الاخبار ... وهذه
لا يكمل ايمان العبد حتى ... ثلث ... فقد ادى ... الايمان ... عظيمة ... واخر ... الكرامات والكاسى
ما ليس له ... ذكر ... عليه السلم لا قول الايمان ... عقبات ... الاخر ... الاحصر له ٥
في التتو العلانية وهذه شروط ... لا يكون الا بعد مجاوزة عقبات ... من يعرف ما وراء ... والنقصان ... عبارة
لم يكون نصيبه من علمه وعمله ان ... لا يكون ... عن ذكرى ... الى ... والزيادة ... الايمان ... فاذهم
الى ... انما ... الحب ... وتفاوته ... وتنع ... على حبنا ... عبادة
قطع بالمنا ... لم يجد ... الايمان ومقامات الايمان وتفاوته ... تنج القلوب ... الى ... الت
وكل ذكر ... الحب ... المحبوب ... القلب ... رابعة ... عزوجل الى عيسى ... الى ادم
ختم الله ... تعالى بالمحبة قال بعضهم المحبة ... صاحب العلاقة ... اوحى الله عزوجل الى ... عليه
وقال الجنيد ... عزوجل المحبة على صاحب ... وقال ... انك ... لنا العارف والمحب ... يحفظ وقال ابراهيم
وقال الجنيد حرم الله ... الدنيا فعطفت عنه ... ونار ... والمجالس ... الله ...
لها ... الدنيا والآخرة ... لا تزن عندي جناح ... وفرغنى ... الله ... وجل
الهى انك تعلم ان الجنة لا تزن ... من محبتك وانستنى بذكرك ... ذكرى
الى داود ... وقال الشبلي ... عظمتك
وزيارة

وزيارة للمشتاقين وانا خاصة للمحبين وعن على بن ابي طالب عليه السلم قال سالت النبي صلعم عن سنته فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله عزوجل انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلوة وقال ذو النون سبحان من جعل الارواح جنودا مجندة فارواح العارفين جلالية قدسية فلذلك اشتاقوا الى الله عزوجل وارواح المومنين روحانية ولذلك حنوا الى الجنة وارواح الغافلين هوائية فلذلك مالوا الى الدنيا وقيل الشوق نار الله اشعلها في قلوب اوليائه حتى يحترق بها ما في قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات فهذا القدر كاف في شرح المحبة والانس والشوق والرضا

تم كتاب المحبة والشوق والانس والرضا
سنة ١٠٣٢

[marginal note, written diagonally:] ... الفقير ... الى ... الله ... الكريم ... عفى ... الذي ... ولوالديه ... احسن ... الفقير ... والاولاد ... الطى

كتاب النية والصدق والاخلاص وهو الكتاب السابع من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رحمه الله بعد الحمد والصلوة اما بعد فقد انكشف لارباب القلوب ببصيرة الايمان وانوار القران ان لا وصول الى السعادة الا بالعلم والعبادة والناس كلهم هلكى الا العالمين والعالمون كلهم هلكى الا العاملين والعاملون كلهم هلكى الا المخلصين والمخلصون على خطر عظيم فالعمل بغير نية عناء والنية بغير اخلاص رياء وهو للنفاق كفاء ومع العصيان سواء والاخلاص من غير صدق وتحقيق هباء وقد قال تعالى في كل عمل كان بارادة غير الله مشوبا مغمورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا فليت شعري كيف يصحح النية من لا يعرف حقيقة النية وكيف يخلص من صحح النية اذا لم يعرف حقيقة الاخلاص وكيف يطالب المخلص نفسه بالصدق اذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الاولى على كل عبد اراد طاعة الله ان يتعلم النية اولا لتحصيل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والاخلاص الذين هما وسيلتان للعبد الى النجاة والخلاص ونحن نذكر معاني النية والصدق والاخلاص في ثلثة ابواب الباب الاول في حقيقة النية ومعناه

بيان فضيلة النية قال الله عزوجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه والمراد بتلك الارادة هي النية وقال عليه السلم انما الاعمال بالنيات ولكل امرى ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه وقال عليه السلم اكثر شهداء امتي اصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته وقال الله عزوجل ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فجعل النية سبب التوفيق وقال عليه السلم ان الله عزوجل لا ينظر الى صوركم واموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم وانما نظر الى القلوب لانها مظنة النية وقال عليه السلم ان العبد ليعمل اعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدي الله عزوجل فيقول القوا هذه الصحيفة فانه لم يرد بما فيها وجهي ثم ينادي الملائكة اكتبوا له كذا وكذا فيقولون يا ربنا انه لم يعمل شيئا من ذلك فيقول انه نواه انه نواه وقال عليه السلم الناس اربعة رجل اتاه الله علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو اتاني الله ما اتاه لعملت كما يعمل فهما في الاجر سواء ورجل اتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو اتاني الله ما اتاه لعملت كما يعمل فهما في الوزر سواء الا ترى كيف شركه بالنية في محاسن عمله ومساويه وفي حديث ابي هريرة من تزوج امراة على صداق وهو لا ينوي اداءه فهو زان

وعن اداني دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق وقال عليه السلم من تطيب لله تعالى جاء يوم القيمة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة وذكر جماعة من الاخبار والاثار كثيرا ٥

بيان حقيقة النية اعلم ان النية والارادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها امران العلم يتقدمه لانه اصله وشرطه والعمل يتبعه لانه ثمرته وفرعه وذلك لان كل عمل اعني كل حركة وسكون اختياري فانه لا يتم الا بثلثة امور علم وارادة وقدرة لانه لا يريد الانسان ما لا يعلمه فلا بد ان يعلم ولا يعمل ما لم يرد فلا بد من ارادة ومعنى الارادة انبعاث القلب الى ما يراه موافقا للغرض اما في الحال او في المال فقد خلق الانسان بحيث يوافقه بعض الامور ويلائم غرضه ويخالفه بعض الامور فاحتاج الى جلب الملائم الموافق الى نفسه ودفع المضار المنافي عن نفسه فاذن لا بد من معرفة وادراك للشيء المضر والنافع حتى يطلب هذا ويهرب من هذا فان من لا يدرك الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه ان يتناوله ومن لا يبصر النار لا يمكنه الهرب منها فخلق الله الهداية والمعرفة وجعل لها اسبابا وهي الحواس الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو عرف الغذاء وعرف انه موافق له فلا يكفيه ذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل الى الغذاء وشهوة له باعثة عليه اذ المريض يرى الغذاء ويعلم انه موافق له ولا يمكنه التناول لفقد الرغبة والميل ولفقد الداعية المحركة اليه فخلق الله تعالى له الميل والرغبة والارادة واعني بها نزوعا في نفسه وتوجها في قلبه اليه ثم ذلك لا يكفيه فكم من مشاهد طعاما راغب فيه مريد تناوله عاجز عنه لكونه زمنا فخلقت له القدرة والاعضاء المتحركة حتى يتم به التناول والعضو لا يتحرك الا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة والداعية تنتظر العلم والمعرفة او الظن والاعتقاد وهو ان يقوى في نفسه كون الشيء موافقا له واذا جزمت المعرفة بان الشيء موافق ولا بد ان يفعل وسلمت عن معارضة باعث اخر صارف عنه انبعثت الارادة وتحقق الميل فاذا انبعثت الارادة انتهضت القدرة لتحريك الاعضاء فالقدرة خادمة للارادة والارادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهي الارادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل الى ما هو موافق للغرض اما في الحال واما في المال فالمحرك الاول هو الغرض المطلوب وهو الباعث والغرض الباعث هو المقصد المنوي والانبعاث هو القصد والنية وانتهاض القدرة لخدمة الارادة بتحريك الاعضاء هو العمل الا ان انتهاض

القدرة
مثلا ما يكون باعثين اجتماعا
واحد وقد يكون باعثين فيكون باعثان القدرة كافيا
لو فعل واحد فاذا كان كل واحد مليا بانهاض القدرة لو انفرد الى التسليم ربعه
كل واحد بحيث لو انفرد ولكان مليا الا بالاجتماع وقد يكون احدهما كافيا لولا الاخر فيخرج من هذا التقسيم اربعة وكذا اذا
وقد يكون كل واحد قاصرا عنه الا بالاجتماع عاضدا ومعاونا فينبغي ان ينفرد الباعث ويتجرد الى الشيخ و
لولا الاخر لكن الغرض الاخر لا ينهض الا عاضدا ومعاونا اما الاول فهو ان ينفرد الباعث الانبعاث فقيل طلب الفرار من السبع
اقسام فلنذكر لكل واحد مثالا واسما اما الاول فهو ان ينفرد الباعث للقدرة عاملة بمقتضى الانبعاث وجاز على ... قدرة
هجم على الانسان سبع فكلما رآه قام من مكانه وهذه النية تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها اخلاصا بالاضافة الى الغرض الباعث بان يعرضه ... ويعلم انه لو
عرفه ضارا فانبعثت نفسه على الهرب وقد قرب فيه ... مستقل بالانهاض لو انفرد ومثاله من المحسوس ان يتعاون رجلان على حمل
التبع لا نية له في القيام غيره والثاني ان يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالانهاض ومثاله في غرضنا ان يسأله قريبه الفقير حاجة فيقضيها وكان الباعث
غيره ومعاونته الثاني من الحمل لو انفردت ومثاله في غرضنا ان يكون لكان يقضيها بمجرد الفقر وعلم انه لولا قرابته لكان يقضيها بمجرد الفقر وعلم انه ... فاقدم على الفعل وكان الباعث
من القوة كانت كافية في الحمل لو انفرد وانه لولا قرابته لكان يقضيها بمجرد القرابة وكذلك من امره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة فصام وهو يعلم انه لو
وعلم انه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة ... لاجل انه غرفه وقد اجتمعا جميعا فاقدم على الفعل وكان الباعث
في قضاء حاجته وقد اجتمع فيه باعثان ولولا الحمية لكان يترك لاجل انه يوم عرفة وقد اجتمعا جميعا فاقدم ... والغرض ان يقصده فيكون انبعاث
لا عرفه لكان يترك الطعام حمية ولولا الحمية لكان يترك الثالث ان لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكن قوي مجموعهما على
الثاني رفيق الاول ولنسم هذا موافقة البواعث الثالث ان لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكن قوي مجموعهما على انهاض القدرة ومثاله في غرضنا ان يقصده قريبه الغني فيطلب
القدرة ومثاله في المحسوس ان يتعاون ضعيفان على حمل ما لا ينفرد به احدهما ومثاله في غرضنا ان يقصده الاجنبي الفقير فيطلب درهما فلا يعطيه ثم يقصده القريب الفقير فيعطيه فيكون انبعاث
ليطلب درهما فلا يعطيه ويقصده الاجنبي الفقير ليطلب درهما فلا يعطيه ثم يقصده القريب الفقير فيعطيه وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس لغرض الثواب ولغرض الثناء وكان
داعيته بمجموع الباعثين وهما القرابة والفقر وكذلك الرجل يتصدق قصد الثواب على العطاء ولو اجتمعا اورثا بمجموعهما تحريك القلب ولنسم هذا
ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يبعثه مجرد الرياء على العطاء ولو كان احد الباعثين مستقلا لو انفرد ونفسه والاعانة
في التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الرياء على العطاء والرابع ان يكون احد الباعثين لم ينفك عن تأثير بالمعاونة
جنس مشاركة والرابع ان يكون ولكن لما انضاف اليه لم ينفك ومثاله في المحسوس ان يعاون
لا يستقل والتسهيل ومثاله في المحسوس ان يعاون الضعيف الرجل القوي على الحمل و

ولو انفرد القوي لاستقل ولو انفرد الضعيف لم يستقل فان ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر في تخفيفه ومثاله
في غرضنا ان يكون للانسان ورد في الصلوات وعادة في الصدقات فاتفق ان حضر في وقتها جماعة
من الناس فصار الفعل اخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه انه لو كان منفردا خاليا لم يفتر عن عمله وعلم
ان عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء يحمله عليه فهو شوب تطرق الى النية ولنسم هذا الجنس المعاونة فالباعث
الثاني اما ان يكون رفيقا او شريكا او معينا وسنذكر حكمها في باب الاخلاص وغرضنا الآن بيان اقسام النيات
فان العمل تابع للباعث عليه فيكتسب الحكم منه ولذلك قيل انما الاعمال بالنيات لانها تابعة لا حكم لها في نفسها و
انما الحكم للمتبوع بيان سر قوله عليه السلام نية المؤمن خير من عمله اعلم انه قد يظن ان سبب هذا الترجيح
ان النية سر لا يطلع عليه الا الله تعالى والعمل ظاهر وفعل السر افضل وهذا صحيح وليس هو المراد لانه لو نوى ان يذكر
الله تعالى بقلبه او يتفكر في مصالح المسلمين فيقتضي عموم الحديث ان يكون نية التفكر خيرا من التفكر وقد يظن ان
سبب الترجيح ان النية تدوم الى آخر العمل والاعمال لا تدوم وهو ضعيف لان ذلك يرجع معناه الى ان العمل الكثير خير من
القليل بل ليس كذلك فان نية اعمال الصلاة قد لا تدوم الا في لحظات معدودة والاعمال تدوم والعموم
تقتضي ان يكون نيته خيرا من عمله وقد يقال معناه ان النية بمجردها خير من العمل بمجرده دون النية وهو كذلك
ولكنه بعيد ان يكون هو المراد اذ العمل بلا نية او على الغفلة لا خير فيه اصلا والنية بمجردها خير وظاهر الترجيح
للمشتركين في اصل الخير بل المعنى به ان كل طاعة تنتظم بنية وعمل وكانت النية من جملة الخيرات وكان العمل
من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعات خير من العمل اي لكل واحد منهما اثر في المقصود واثر النية
اكثر من اثر العمل فمعناه نية المؤمن من جملة طاعته خير من عمله الذي هو من جملة طاعته خير من عمله الذي هو من جملة
طاعته والغرض ان للعبد اختيارا في النية وفي العمل فهما عملان والنية من الجملة خيرهما فهذا معناه واما
كونه خيرا وترجحه على العمل فلا يفهمه الا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ اثر الطريق في الايصال الى المقصد
وقاس بعض الآثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الارجح بالاضافة الى المقصود ومن قال الخبز خير من الفاكهة فانه
فانما يعني به انه خير بالاضافة الى مقصود القوت والاغتذاء ولا يفهم ذلك الا من فهم ان للغذاء مقصدا و
هو الصحة والبقاء وان الاغذية مختلفة الآثار فيها وفهم اثر كل واحد وقاس البعض بالبعض فالطاعات
غذاء القلوب والمقصود شفاؤها وبقاؤها وسلامتها في الآخرة وسعادتها وتنعمها بلقاء الله عز وجل
فالمقصود لذة السعادة بلقاء الله تعالى فقط ولن يتنعم بلقاء الله تعالى الا من مات محبا لله عارفا

بالله
ولن يحبه الا من عرفه ولن يأنس بربه الا من طال ذكره له ولن
عرفه ولن يأنس الا من يحصل تحصيل المعرفة بالضرورة ... الذكر ولن
طال ذكره له والانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة تحصل بدوام الفكر والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر الا اذا فرغ من شواغل الدنيا ولن
يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر الا اذا انقطعت عنها شهواتها في تفسير ما يمال الى الخير مريد له نافر عن الشر مبغض له وانما يميل الى الخيرات والطاعات اذا علم ان سعادته في الآخرة منوطة بها كما يميل العاقل الى الفصد والحجامة لعلمه بان سلامته فيهما واذا حصل اصل الميل بالمعرفة فانما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة عليه فان المواظبة على مقتضى صفات القلب وارادتها بالعمل تجري مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى تترشح الصفة وتقوى بسببها فالمائل الى طلب العلم او طلب الرياسة لا يكون ميله في الابتداء الا ضعيفا فان اتبع مقتضى الميل واشتغل بالعلم
الميل والمواظبة عليها فان المواظبة على مقتضى صفات القلب ... فان اتبع مقتضى الميل واشتغل بالعلم وتربية الرياسة والاعمال المطلوبة لها تأكد ميله ورسخ وعسر عليه النزوع وان خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال وانمحق
العصية وتقوى بسببها فالمائل الى طلب العلم او طلب الرياسة لا يكون ميله ... بل الذي ينظر الى وجه حسن مثلا فيميل اليه طبعه ميلا ضعيفا لو تبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة والمحادثة تأكد ميله حتى يخرج امره عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه ولو فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الميل ويكون ذلك زجرا ودفعا في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه وينقمع وينمحي وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هي التي يراد بها الآخرة والشرور كلها يراد بها الدنيا لا الآخرة وميل النفس الى الخيرات الاخروية وانصرافها عن الدنيا هو الذي يفرغها للذكر والفكر ولن يتأكد ذلك الا بالمواظبة على اعمال الطاعات وترك المعاصي بالجوارح لان بين الجوارح وبين القلب علاقة حتى انه يتأثر كل واحد منهما بالآخر فترى العضو اذا اصابته جراحة تألم بها القلب وترى القلب اذا تألم بعلمه بموت عزيز من اعزته او بهجوم امر مخوف تأثرت به الاعضاء وارتعدت الفرائص وتغير اللون الا ان القلب هو الاصل المتبوع فكانه الامير والراعي والجوارح كالخدم والرعايا والاتباع فالجوارح خادمة للقلب بتأكيد صفاتها فيها فالقلب هو المقصود والاعضاء آلات موصلة الى المقصود ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد وقال اللهم اصلح الراعي والرعية واراد بالراعي القلب وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وهي صفة القلب فمن هذا الوجه يجب لا محالة ان يكون اعمال القلب على الجملة افضل من حركات الجوارح ثم يجب ان يكون

النية
النية من جملتها افضل لانها عبارة عن ميل القلب الى الخير وارادته له وغرضنا من الاعمال بالجوارح ان يعود
القلب ارادة الخير ويؤكد فيه الميل اليه ليتفرغ عن شهوات الدنيا ويكب على الذكر والفكر فبالضرورة
يكون خيرا بالاضافة الى الغرض لانه متمكن من نفس المقصود وهذا كما ان المعدة اذا تألمت فقد تداوى
بان يوضع الطلاء على الصدر وتداوى بالشرب والدواء الواصل الى المعدة فالشرب خير من الطلاء
للصدر لان طلاء الصدر ايضا انما اريد به ان يسري منه الاثر الى المعدة فما يلاقي عين المعدة فهو خير وانفع
فهكذا ينبغي ان يفهم تأثير الطاعات كلها اذ المطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها فقط دون الجوارح فلا
تظنن ان في وضع الجبهة على الارض غرضا من حيث انه جمع بين الجبهة والارض بل من حيث انه بحكم العادة
يؤكد صفة التواضع في القلب فان من يجد في نفسه تواضعا فاذا استعان باعضائه وصورها بصورة
التواضع تأكد تواضعه ومن وجد في قلبه رقة على يتيم فاذا مسح رأسه وقبله تأكدت الرقة في قلبه
ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيدا اصلا لان من يمسح رأس يتيم وهو غافل بقلبه او ظان انه يمسح ثوبا لم ينتشر
من اعضائه اثر على قلبه لتأكيد الرقة وكذلك من يسجد غافلا وهو مشغول الهم باغراض الدنيا لم ينتشر من
جبهته ووضعها على الارض اثر الى قلبه يتأكد به التواضع وكان وجوده كعدمه وما ساوى وجوده
عدمه بالاضافة الى الغرض منه يسمى باطلا فيقال العبادة بغير نية باطلة وهذا معناه هذا اذا فعل عن
غفلة فان قصد به رياء او تعظيم شخص آخر لم يكن وجوده كعدمه بل زاده شرا فانه لم يؤكد الصفة المطلوب
تأكيدها بل اكد الصفة المطلوب قمعها وهو صفة الرياء التي هي من الميل الى الدنيا فهذا وجه كون النية خيرا
من العمل وبهذا ايضا يعرف معنى قوله عليه السلام من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة لان هم القلب
هو ميله الى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهو غاية الحسنات وانما الاتمام بالعمل يزيدها
تأكيدا فليس المقصود من اراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها ايثارا
لوجه الله عز وجل وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة فان عاق عن العمل عائق فلن
ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى ههنا اعني القلب ولذلك قال عليه السلام
ان قوما بالمدينة قد شاركونا في جهادنا كما رويناه لان قلوبهم في صدق ارادة الخير وبذل المال
والنفس والرغبة في طلب الشهادة واعلاء كلمة الله عز وجل كقلوب الخارجين وانما فارقوهم في

الابدان
لعله ان يخص القلب وذلك غير ممكن
خارج عن القلب ... جميع
الا ان هذه الصفات التي اوردناها في فضيلة النية ...
الاحاديث لكن اسرارها فلا نطول بالاعادة
عليه لينكشف لك اسرارها

بيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية

اعلم ان الاعمال وان انقسمت اقساما كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وجلب نفع ودفع ضر وفكر وذكر وغير ذلك مما لا يتصور احصاؤه واستقصاؤه فهي ثلثة اقسام طاعات ومعاصي ومباحات القسم الاول المعاصي وهي لا تتغير عن موضوعها بالنية فلا ينبغي ان يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عليه السلم انما الاعمال بالنيات فيظن ان المعصية تنقلب طاعة بالنية كالذي يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره او يطعم فقيرا من مال غيره او يبني مدرسة او مسجدا او رباطا بمال حرام وقصده الخير فهذا كله جهل والنية لا تؤثر في اخراجه عن كونه ظلما وعدوانا ومعصية بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر فان عرفه فهو معاند للشرع وان جهله فهو عاص بجهله اذ طلب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات انما عرف كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن ان يكون الشر خيرا هيهات بل المروج لذلك على القلب خفي الشهوة وباطن الهوى فان القلب اذا كان مائلا الى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس وسائر حظوظ النفس توسل الشيطان به الى التلبيس على الجاهل ولذلك قال سهل ما عصي الله بمعصية اعظم من الجهل قيل يا ابا محمد هل تعرف شيئا اشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل وهو كما قال لان الجهل بالجهل يسد بالكلية باب التعلم فمن يظن بنفسه انه عالم فكيف يتعلم وكذلك افضل ما اطيع الله به العلم وراس العلم العلم بالعلم كما ان راس الجهل الجهل بالجهل فان من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار اشتغل بما اكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التي هي وسائلهم الى الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العالم والمقصود ان من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذور الا اذا كان قريب العهد بالاسلام ولم يجد بعد مهلة للتعلم وقد قال تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقد قال عليه السلم لا يعذر الجاهل على الجهل ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت على علمه ويقرب من تقرب السلاطين ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام تقرب علماء السوء بتعليم العلم للسفهاء والاشرار المعروفين بالفجور والقاصرين هممهم على مماراة العلماء ومباهاة السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع حطام الدنيا واخذ اموال السلاطين واليتامى والمساكين فان هؤلاء اذا تعلموا كانوا قطاع طريق الله وانتهض كل واحد منهم في بلدته نائبا عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويجترئ الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله تعالى

ثم

ثم قد ينتشر ذلك العلم الى مثله وامثاله ويتخذونه ايضا آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك ووباله جميعه يرجع الى المعلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته انواع المعصية في اقواله وافعاله وفي مطعمه وملبسه ومسكنه فيموت هذا العالم وتبقى آثار شره منتشرة في العالم الف سنة والفي سنة وطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه ثم العجب من جهله حيث يقول الاعمال بالنيات وقد قصدت بذلك نشر علم الدين فان استعمله هو في الفساد فالمعصية منه لا مني وما قصدت به الا ان يستعين به على الخير وانما حب الرياسة يلبس عليه وليت شعري ما جوابه عمن وهب سيفا من قاطع طريق واعد له خيلا واسبابا ويقول انما اردت البذل والسخا والتخلق باخلاق الله عز وجل وقصدت به ان يغزو بهذا السيف والخيل فان اعداد الخيل للرباط والقوة للغزاة من اقرب القربات فان صرفه هو الى قطع الطريق فهو العاصي وقد اجمع الفقهاء على ان ذلك حرام مع ان السخا هو احب الاخلاق الى الله تعالى حتى قال عليه السلم ان لله ثلثمائة خلق من تقرب اليه بواحد منه دخل الجنة واحبها اليه السخا فليت شعري لم حرم هذا السخا ولم وجب عليه ان ينظر الى قرينة الحال من هذا الظالم فاذا لاح له من عادته انه يستعين بالسلاح على الشر فينبغي ان يسعى في سلب سلاحه لا ان يمده بغيره والعلم سلاح يقاتل به الشيطان واعداء الله وقد يعاون به اعداء الله تعالى وهو الهوى فمن لا يزال موثرا لدنياه على دينه ولهواه على آخرته وهو عاجز عنها لقلة فضله فكيف يجوز امداده بنوع علم يمكن به من الوصول الى شهواته بل لم يزل علماء السلف يتفقدون احوال من يتردد اليهم فلو راوا منهم تقصيرا في فعل النوافل انكروه وتركوا اكرامه فضلاء واذا راوا منه فجورا او استحلال حرام هجروه ونفوه عن مجالسهم وتركوا تكليمه عن تعليمه لعلمهم بان من تعلم مسئلة ولم يعمل بها وجاوزها الى غيرها فليس يطلب الا آلة الشر وقد تعوذ جميع السلف بالله من الفاجر العليم بالسنة وما تعوذوا من الفاجر الجاهل وحكى بعض اصحاب الامام احمد بن حنبل انه كان يتردد اليه سنين ثم اتفق انه اعرض عنه احمد وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله عن تغيره وهو ينكره حتى قال بلغني انك طينت حائطا دارك من جانب الشارع وقد اخذت قدر سمك الطين وهو انملة من شارع المسلمين فلا تصلح لنقل العلم فهكذا كانت مراقبة السلف لاحوال طلبة العلم فهذا وامثاله مما يلتبس على الاغبياء واتباع الشيطان وان كانوا ارباب الطيالسة والاكمام الواسعة

واصحاب الالسنة الطويلة والفضل الكثير اعني الفضل من العلوم التي لا تشتمل على التحذير من الدنيا والزجر عنها والترغيب في الاخرة والدعاء اليها بل هي العلوم التي تتعلق بالخلق ويتوصل بها الى جمع الحطام واستتباع الناس والتقدم على الاقران فاذن قوله عليه السلم الاعمال بالنيات يختص من الاقسام الثلثة بالطاعات والمباحات دون المعاصي اذ الطاعة تنقلب معصية بالقصد وتكون طاعة بالقصد والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد فاما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد اصلا نعم النية داخلة فيها وهو انه اذا انضاف اليها قصود خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها كما ذكرنا ذلك في كتاب التوبة

القسم الثاني الطاعات وهي مرتبطة بالنيات في اصل صحتها وفي تضاعف فضلها اما الاصل فهو ان ينوي بها عبادة الله تعالى لا غير فان نوى الرياء صارت معصية واما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة فان الطاعة الواحدة يمكن ان ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب اذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر امثالها كما ورد في الخبر ومثاله القعود في المسجد فانه طاعة ويمكن ان ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل اعمال المتقين ويبلغ به درجات المقربين اولها ان يعتقد انه بيت الله وان داخله زائر الله تعالى فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعده النبي عليه السلم حيث قال من دخل المسجد فقد زار الله عز وجل وحق على المزور اكرام زائره وثانيها ان ينتظر الصلوة بعد الصلوة فيكون في جملة انتظاره في الصلوة فيكون من جلسائه وهو معنى قوله تعالى ورابطوا وثالثها الترهب بكف السمع والبصر والاعضاء عن الحركات والترددات فان الاعتكاف كف وهو في معنى الصوم وهو نوع ترهب ولذلك قال عليه السلم رهبانية امتي القعود في المساجد ورابعها عكوف الهم على الله تعالى ولزوم السر للفكر في الاخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال الى المسجد وخامسها التجرد لذكر الله او الاستماع لذكره او للتذكر به كما روي من غدا الى المسجد ليذكر الله عز وجل او يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله وسادسها ان يقصد افادة علم او امر بمعروف او نهي عن منكر اذ المسجد لا يخلو عمن يسي في صلوته او يتعاطى ما لا يحل له فيامره بالمعروف ويرشده الى الدين فيكون شريكا معه في خيره الذي يعلم منه فتتضاعف خيراته وسابعها ان يستفيد اخا في الله عز وجل فان ذلك غنيمة

وذخيرة

وذخيرة للدار الاخرة والمسجد معشش اهل الدين المحبين في الله تعالى وثامنها ان يترك الذنوب حياء من الله عز وجل وحياء من ان يتعاطى في بيت الله ما يقتضي هتك الحرمة وقد قال الحسن بن علي عليهما السلم من ادمن الاختلاف الى المسجد رزقه الله تعالى احدى سبع خصال اخا مستفادا في الله او رحمة منتظرة او علما مستطرفا او كلمة تدل على هدى او تصرفه عن ردى او يترك الذنوب خشية او حياء فهذا طريق تكثير النيات وقس به سائر الطاعات والمباحات اذ ما من طاعة الا وتحتمل نيات كثيرة وانما يحضر في قلب العبد بقدر جده في طلب الخير وتشمره له وتفكره فيه فبهذا تزكوا الاعمال وتتضاعف الحسنات

القسم الثالث المباحات وما من شيء من المباحات الا ويحتمل نية او نيات يصير بها من محاسن القربات وينال بها معالي الدرجات فما اعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة عن سهو وغفلة ولا ينبغي ان يستحقر العبد شيئا من الخطرات والخطوات واللحظات فكل ذلك يسأل عنه يوم القيامة انه لم فعله وما الذي قصد به هذا في مباح محض لا يشوبه كراهة ولذلك قال عليه السلم حلالها حساب وحرامها عذاب وفي حديث معاذ بن جبل انه قال عليه السلم ان العبد ليسأل يوم القيمة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعيه وعن لمسه ثوب اخيه وفي خبر آخر من تطيب لله تعالى جاء يوم القيمة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة واستعمال الطيب مباح ولكن لا بد فيه من نية فان قلت فما الذي يمكن ان ينوي بالطيب وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله تعالى فاعلم ان من يتطيب مثلا يوم الجمعة وفي سائر الاوقات يتصور ان يقصد التنعم بلذات الدنيا او يقصد به اظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده الاقران او يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه في قلوبهم ويذكر بطيب الرائحة او ليتودد في قلوب النساء الاجنبيات اذا كان مستبيحا للنظر اليهن او لامور اخر لا تحصى وكل هذا يجعل التطيب معصية فبذلك يكون انتن من الجيفة في القيامة الا القصد الاول وهو التلذذ والتنعم فان ذلك ليس بمعصية الا انه يسأل عنه ومن نوقش في الحساب عذب ومن اوتي شيئا من مباح الدنيا لم يعذب عليه في الاخرة ولكن ينقص من نعيم الاخرة له بقدره

وناهيك خسرانا بان يستعجل ما يفنى ويخسر زيادة نعيم لا يفنى واما النيات الحسنة فان يقصد به اتباع سنة النبي عليه السلام يوم الجمعة وان ينوي بذلك تعظيم المسجد واحترام بيت الله عز وجل فلا يرى ان يدخله زائرا لله الا طيب الرائحة وان يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته بروائحه وان يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه التي تؤدي الى ايذاء مخالطيه وان يقصد به حسم باب الغيبة على المغتابين اذا اغتابوه بالروائح الكريهة فيعصون الله عز وجل بسببه فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كما قيل اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا الا تفارقهم فالراحلون هم وقال الله عز وجل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم اشار به الى ان التسبب الى الشر شر وان يقصد به معالجة دماغه لتزيد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمات دينه بالفكر وقد قال الشافعي من طاب ريحه زاد عقله فهذا وامثاله من النيات لا يعجز الفقيه عنها اذا كانت تجارة الآخرة وطلب الخير غالبة على قلبه واذا لم يغلب على قلبه الا نعيم الدنيا لم تحضره هذه النيات وان ذكرت له لم ينبعث لها قلبه فلا يكون معه منها الا حديث النفس وليس ذلك من النية في شيء والمباحات كثيرة ولا يمكن احصاء النيات فيها فقس بهذا الواحد ما عداه ولهذا قال بعض السلف اني لاستحب ان يكون لي في كل شيء نية حتى في اكلي وشربي ونومي ودخولي الخلاء وكل ذلك مما يمكن ان يقصد به التقرب الى الله لان كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو معين على الدين فمن قصده من الاكل التقوي على العبادة ومن الوقاع تحصين دينه وتطييب قلب اهله والتوصل به الى ولد يعبد الله بعده فتكثر به امة محمد عليه السلام كان مطيعا باكله ونكاحه واغلب حظوظ النفس الاكل والوقاع وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الآخرة ولذلك ينبغي ان يحسن نيته مهما ضاع له مال ويقول هو في سبيل الله واذا بلغه اغتياب غيره له فليطيب قلبه بانه سيحمل سيئاته وستنقل الى ديوانه حسناته ولينو ذلك بسكوته عن الجواب ففي الخبر ان العبد ليحاسب فتبطل اعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من الاعمال الصالحة ما يستوجب به الجنة فيتعجب ويقول يا رب هذه اعمال ما عملتها قط فيقال هذه اعمال الذين اغتابوك وآذوك وظلموك وفي الخبر ان العبد ليوافي القيامة بحسنات امثال الجبال لو خلصت له لدخل الجنة فياتي وقد ظلم

هذا

هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته ولهذا من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فتقول
الملائكة قد فنيت حسناته وبقي طالبون فيقول الله عز وجل القوا عليه من سيئاتهم ثم صكوا له صكا
الى النار وبالجملة فاياك ثم اياك ان تستحقر شيئا من حركاتك فلا تحذر من غرورها وشرورها ولا تعد
جوابها يوم السؤال والحساب فان الله مطلع عليك وشهيد وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
وقال بعض السلف كتبت كتابا واردت ان اتربه من جدار جار لي فتحرجت ثم قلت تراب
وما تراب فتربته فهتف بي هاتف سيعلم من استخف بالتراب ما يلقاه غدا من سوء الحساب و
صلى رجل مع الثوري فرآه مقلوب الثوب فعرفه فمد اليد ليصلحه ثم قبضها فلم يسوه فسأله عن
ذلك فقال اني لبسته لله تعالى ولا اريد ان اسويه لغير الله وقد قال الحسن ان الرجل ليتعلق
بالرجل يوم القيمة فيقول بيني وبينك الله فيقول والله ما اعرفك فيقول بلى انت اخذت لبنة من حائطي واخذت
خيطا من ثوبي فهذا وامثاله من الاخبار قطعت قلوب الخائفين فان كنت من اولي الحزم والنهى ولم
تكن من المغترين فانظر لنفسك الآن ودقق الحساب على نفسك قبل ان يدقق عليك وراقب احوالك
ولا تسكن ولا تتحرك ما لم تتأمل اولا انك لم تتحرك وماذا تقصد وما الذي تنال به من الدنيا
وما الذي يفوتك من الآخرة وبماذا ترجح الدنيا على الآخرة فاذا علمت انه لا باعث لك الا الدين
فامض عزمك وما خطر ببالك والا فامسك ثم راقب ايضا قلبك في امساكك وامتناعك
فان ترك الفعل فعل ولا بد له من نية صحيحة ولا ينبغي ان يكون الداعي هوى خفيا لا تطلع عليه ولا يغرك
ظواهر الامور ومشهورات الخيرات وانظر الى الاغوار والاسرار تخرج من حيز اهل الاغترار فقد روي
عن زكريا عليه السلام انه كان يعمل في حائط بالطين وكان اجيرا لقوم فقدموا اليه رغيفه اذ كان لا ياكل
الا من كسب يده فدخل عليه قوم فلم يدعهم الى الطعام حتى فرغ منه فتعجبوا منه لما علموا من سخائه وزهده
وظنوا ان الخير في طلب المساعدة في الطعام فقال اني اعمل لقوم باجرة وقدموا الي الرغيفين لاقوى
على عملهم فلو اكلتم معي لم يكفكم ولم يكفني وضعفت عن عملهم فالبصير هكذا ينظر الى البواطن بنور الله

فان ضعفا عن العمل نقص في فرض وترك الدعوة نقص في فضل ولا حكم للفضائل مع الفرائض وقال بعضهم دخلت على سفيان وهو ياكل فما كلمني حتى لعق اصابعه ثم قال لولا اني اخذته بدين لاحببت ان تاكل منه وقال سفيان من دعا رجلا الى الطعام وليس له رغبة ان ياكل فان اجابه فاكل فعليه وزران وان لم ياكل فعليه وزر واحد واراد باحد الوزرين النفاق وبالثاني تعريضه اخاه لما يكرهه لو علمه وهكذا ينبغي ان يتفقد العبد نيته في سائر الاعمال فلا يقدم ولا يحجم الا بنية فان لم تحضره النية توقف فان النية لا تدخل تحت الاختيار

بيان ان النية غير داخلة تحت الاختيار

اعلم ان الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع قوله عليه السلام الاعمال بالنيات فيقول في نفسه عند تدريسه او تجارته او اكله نويت ان ادرس لله واتجر لله واكل لله ويظن ان ذلك نية هيهات فذلك حديث نفس او حديث لسان او فكر او انتقال من خاطر الى خاطر والنية بمعزل عن جميع ذلك وانما النية انبعاث النفس وتوجهها وميلها الى ما ظهر لها ان فيه غرضها اما عاجلا واما آجلا والميل اذا لم يكن لم يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الارادة بل ذلك كقول الشبعان نويت ان اشتهي الطعام واميل اليه او قول الفارغ نويت ان اعشق فلانا واحبه واعظمه بقلبي فذلك محال بل لا طريق الى اكتساب صرف القلب الى الشيء وميله اليه وتوجهه نحوه الا باكتساب اسبابه وذلك مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه وانما تنبعث النفس الى الفعل اجابة للغرض الباعث الموافق الملائم لها وما لم يعتقد الانسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين واذا اعتقد فانما يتوجه القلب اذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل اقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي والصوارف لها اسباب كثيرة بها تجتمع وذلك يختلف بالاشخاص والاحوال والاعمال فاذا غلبت شهوة النكاح ولم يعتقد غرضا صحيحا في الولد دينا ولا دنيا لم يمكنه ان يواقع على نية الولد بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة اذ النية هي اجابة الباعث ولا باعث الا الشهوة فكيف ينوي الولد واذا لم يغلب على قلبه ان اقامة سنة النكاح

اتباعا لرسول الله يعظم فضله لم يمكنه ان ينوي اتباع السنة الا ان يقول ذلك بلسانه وقلبه
وهو حديث محض وليس بنية نعم طريق اكتساب هذه النية مثلا ان يقوي اولا ايمانه بالشرع ويقوي
ايمانه بعظم ثواب من سعى في تكثير امة محمد صلى الله عليه وآله ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة
وطول التعب وغيره واذا فعل ذلك فربما انبعث من قلبه رغبة الى تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة
وتحرك اعضاءه لمباشرة العقد واذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا
الباعث الغالب على القلب كان ناويا واذا لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه ويردده في قلبه من قصد
الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنعت جماعة من السلف من جملة من الطاعات اذ لم تحضرهم النية وكانوا
يقولون ليس تحضرنا فيه نية حتى ان ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصري وقال ليس تحضرني نية ونادى
بعضهم امرأته وكان يسرح شعره ان هاتي المدرى فقالت اجيء بالمرآة فسكت ساعة ثم قال نعم فقيل له
في ذلك فقال كانت لي في المدرى نية ولم تحضرني في المرآة نية فتوقفت حتى هيأها الله تعالى ومات حماد
بن ابي سليمان وكان احد علماء اهل الكوفة فقيل للثوري الا تشهد جنازته فقال لو كان لي نية لفعلت وكانوا
اذا سئلوا عملا من اعمال البر قالوا ان رزقنا الله تعالى نية فعلنا وكان طاوس لا يحدث الا بنية
فكان يسأل ان يحدث فلا يحدث ولا يسأل فيبتدئ فقيل له في ذلك فقال افتحبون ان احدث بغير
نية اذا حضرتني نية فعلت وحكي ان داود بن المحبر لما صنف كتاب العقل جاءه الامام احمد
بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه احمد صفحا فرده فقال ما لك فقال فيه اسانيد ضعاف فقال له
داود انا لم اخرجه على الاسانيد فانظر فيه بعين الخبر انما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت به
قال احمد فرده علي حتى انظر فيه بالعين التي نظرت فاخذه ومكث عنده طويلا ثم قال
جزاك الله خيرا فقد انتفعت به وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى اجد له نية وقال بعضهم
انا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لي بعد وقال عيسى بن كثير مشيت مع
ميمون بن مهران فلما انتهى الى باب داره انصرف فقال ابنه الا تعرض عليه العشاء

فعاب
ليس شيء منها ويدا نبيح فكانوا
لان النية روح العمل ان النية تعلمهم بان الله ربع بها في
انظر فان تغير النظر ان الاثار انما لا عملا صالحا وتكلف وهو سبب شيء من بعاث الثواب الجوارح
لا يرون بان يعملوا عملا صالحا وقد يقاربه ولكن العامل بالنية نوبت بل من ذلك العالم على طاعة الله وفي الدين اجل
وان العمل بغير نية ليس في قول القائل بعض الاوقات وقد يتعدد بعض الحكم الاصل المجبر فينبعث الى التفاصيل حال
وعلموا ان النية قد تغير في بعض الاوقات فان قلبه مايل بالجملة الى الرغائب الا الجهد جهد وغايته ان يتذكر النار ويحذر نفسه عقابها
الشيء من الله تعالى اختيار النية بالجزاء فان ذلك بل لا ينبغي صنعته فيكون ثوابه بعدد رغبته ونيته واما الطاعة على نية احلال الناس الى
في اكثر الاحوال وغلب عليهم انه نبيه لذلك بل لا ينبعث لدواعيه واعلاها ويعرض من يعمل لخاتمة لذلك الناس في الاخرة
الى الدنيا وغلب عليه فيها فربما انبعث لدواعي الدنيا وهذه اغراض النيات تنشق الناس ومنهم من سواه ويوم جملة النيات الصحيحة فالعامل
الجنة ورغب نفسه فيها فلا يبين التراغب في الدنيا لباعث الخوف فانه لذاته وجلاله الا لاجر سواه ويوم ان يعطيه فضلها وطاعا وذلك
الطاعة والعبودية فلا يتمكن علماء الباقية في القصد طاعة الله وتعظيمه لذاته وجلاله واعظم النعيم والبطن ومن طمع في الجنة البله واما عبادة وذو
الطاعة اقسام ادناهم من يكون علما بالاضافة الى القصد طاعة الله وانه لنيل الحسنات بعملها اذ اكثر اهل الجنة البله وان عبادة واخلاص
وهذا وان كان نازلا بالاضافة الى القصد الدنيا وانه لنيل الحسنات بعملها يكون مؤكدات ورواد العبادة والعمل
في الاخرة وان كان قد يلتفت الى الدنيا وان الله والدار الآخرة الذين يدعون ربهم بالغداة ولهم
الجنة فان الطمع فيها كالاجر المشروط درجة الجنة البله وجلاله وما يدعو الانسان الى الجنة وجه الله الكريم ويتجولون في النعم
الالباب فلا يجاوزون ذكر الله تعالى والفكر والطعم في الجنة فانهم لم يقصدوا الا الى وجه الله الكريم والنار الى الله فان الثواب
ارفع درجة من الالتفات الى المنكوح والمطعوم في الجنة بتنعمون بالنظر الى وجه الصمد المنزه عن الطين كالمشتغل الاشد وان العين والصور
يريدون وجهه فقط ويرون انما الناس يتعذبون به بل الى النظر الى وجه الله تعالى العين من نعيم بالنظر الى وجه الله تعالى اكبر الحور العين والاعراض
العين كما يبغي المتنعم بالنظر الى الحور العين والى المنظور اليه والعين اشد واعظم كثيرا من التفاوت بين النظرين فان الله تعالى خلق الجنان
من حال الخضرة والاسه وحال الحور العين البهيمية الى النظر وحمل الله الكريم تعالى عن استغناء عن
من الطين بل استغناء النفس البهيمية بالنظر الى وجه الله وحمل الكريم لها وجنتها واقفها لها واعراضها
عن حال وجه جلاله النظر الى حال وجه
الناس
تمم

فعم اكثر القلوب عن ابصار جمال الله عز وجل وجلاله يضاهي عمى الخفاش عن ادراك جمال الشمس فانها
لا تشعر به اصلا ولا يلتفت اليه ولو كان له عقل وذكر له لاستخف عقل من يلتفت اليه والازالوا
مختلفين كل حزب بما لديهم فرحون ولذلك خلقهم وقيل راى احمد بن حضرويه ربه في المنام فقال له كل الناس
يطلبون مني الا ابو يزيد فانه يطلبني وراى ابو يزيد في المنام فقال كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك وتعال
وراى الشبلي في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال لم يطالبني على الدعاوى بالبرهان الا على قول واحد قلت
اي خسارة اعظم من خسران الجنة فقال اي خسارة اعظم من خسران لقائي والغرض ان هذه انيات متفاوتة
الدرجات ومن غلب على قلبه واحدة منها لم يتيسر له العدول الى غيرها ومعرفة هذه الحقائق تورث اعمالا
وافعالا يستنكرها الظاهريون من الفقهاء فانا نقول من حضرت له نية في مباح ولم تحضر في فضيلة فالمباح اولى
واستحقت الفضيلة اليه وصارت الفضيلة في حقه نقيصة لان الاعمال بالنيات وذلك مثل العفو فانه افضل من
لان الاعمال بالنيات وذلك مثل العفو فانه افضل من الانتصاف في الظلم فانه ربما تحضر نية في الانتصاف دون
الظلم فيكون ذلك افضل ومثل ان يكون له نية في الشرب والاكل والنوم ليريح نفسه وتتقوى على العبادة في
المستقبل وليس تنبعث نية في الحال للصوم والصلوة فالاكل والنوم هو الافضل بل لو مل العبادة لمواظبته
عليها وسكن نشاطه وضعف رغبته وعلم انه لو ترفه ساعة بلهو وحديث عاد نشاطه فاللهو افضل من
الصلوة وقال ابو الدرداء اني لاستجم نفسي باللهو فيكون ذلك عونا لي على الحق وقال علي عليه السلم روحوا
القلوب فانها اذا اكرهت عميت وهذه دقايق يدركها مباشرة العلماء دون الحشوية منهم بل الحاذق بالطب
قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعده القاصر في الطب وانما يبتغي به ان يعيد اولا قوته ليحتمل العلاج
بالضد والحاذق في الشطرنج قد ينزل عن الرخ والفرس مجانا ليتوصل به الى الغلبة والضعيف البصيرة قد
يضحك به ويتعجب منه وكذلك الخبير بالقتال قد يرى من نفسه الهزيمة ويولي الخصم دبره ليستجره الى مضيق
فيكر عليه فكذلك سلوك طريق الله عز وجل كله قتال مع الشيطان ومعالجة للقلب والبصير الموفق
تقف فيها على لطائف من الحيل يستبعدها الضعفاء فلا ينبغي للمريد ان يضمر انكارا على ما يراه من شيخه
ولا للمتعلم ان يعترض على استاذه بل ينبغي ان يقف عند بصيرته وما لا يفهم من احوالهما يسلم لهما الى ان ينكشف له

بان ينفع رتبتها وتنال اسرارها
درجتها
الباب الثاني في الاخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجته فضيلة الاخلاص
فضيلة الاخلاص قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال الا لله الدين الخالص وقال الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وقال فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزلت فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه وقال عليه السلم ثلث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم اخلاص العمل لله عز وجل وعن مصعب بن سعد عن ابيه قال ظن ابي ان له فضلا على من دونه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي عليه السلم انما نصر الله هذه الامة بضعفائها ودعوتهم واخلاصهم وصلاتهم وعن الحسن قال قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الاخلاص سر من اسراري استودعته قلب من احببت من عبادي وقال علي عليه السلم لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فان النبي عليه السلم قال لمعاذ اخلص العمل يجزك منه القليل وقال عليه السلم ما من عبد يخلص العمل لله تعالى اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال عليه السلم ان اول من يسئل يوم القيمة ثلثة رجل اتاه الله العلم فيقول الله تعالى ما صنعت فيما علمت فيقول يا رب كنت اقوم به اناء الليل واطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم الا فقد قيل ذلك ورجل قتل في سبيل الله فيقول كذبت بل اردت ان يقال فلان شجاع الا فقد قيل ذلك قال ابو هريرة ثم خط رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي وقال يا ابا هريرة اولئك اول خلق تسعر بهم نار جهنم يوم القيمة وروي ان عابدا كان يعبد الله دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا ان هنا قوما يعبدون شجرة دون الله تعالى فغضب لذلك واخذ فاسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس في صورة شيخ فقال اين تريد رحمك الله قال اريد ان اقطع هذه الشجرة قال وما انت وذاك تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك فقال ان هذا من عبادتي قال فاني لا اتركك ان تقطعها فقاتله فاخذه العابد وطرحه على الارض وقعد على صدره فقال له ابليس اطلقني حتى اكلمك فقام عنه فقال له ابليس يا هذا ان الله عز وجل قد اسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك وما تعبدها انت وما عليك من غيرك ولله تعالى

انبياء في الارض ولو شاء الله لبعثهم الى اهلها وامرهم بقطعها فقال العابد لا بد لي من قطعها فنابذه للقتال فغلبه العابد وقعد على صدره فعجز ابليس فقال هل لك في امر فصل بيني وبينك وهو خير لك وانفع قال وما هو قال اطلقني حتى اقول لك فاطلقه فقال ابليس انت رجل فقير لا شيء لك انما انت كل على الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الامر ولك علي ان اجعل عند راسك في كل ليلة دينارين اذا اصبحت اخذتهما فانفقتها على نفسك وعيالك وتصدقت منها على اخوانك فيكون ذلك انفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي تغرس مكانها ولا يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع اخوانك المؤمنين قطعك اياها فتفكر العابد فيما قال وقال صدق الشيخ لست بنبي فيلزمني قطع هذه الشجرة ولا امرني الله ان اقطعها فاكون عاصيا وما ذكره اكثر منفعة فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له فرجع العابد الى متعبده فبات فلما اصبح راى دينارين عند راسه فاخذهما وكذلك الغد ثم اصبح اليوم الثالث وما بعده فلم ير شيئا فغضب واخذ فاسه على عاتقه واستقبله ابليس في صورة الشيخ فقال له الى اين فقال اقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما انت بقادر على ذلك ولا سبيل لك اليها فتناوله العابد لياخذه كما فعل اول مرة فقال هيهات فاخذه ابليس وصرعه فاذا هو كالعصفور بين رجليه وقعد ابليس على صدره فقال لتنتهين عن هذا الامر او لاقتلنك فنظر العابد فاذا لا طاقة له به فقال يا هذا غلبتني فخل عني واخبرني كيف غلبتك اولا وغلبتني الآن فقال لانك غضبت لله تعالى اول مرة وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله لك وهذه المرة غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك وهذه الحكاية تصديق قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين اذ لا يتخلص العبد من الشيطان الا بالاخلاص ولذلك كان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول يا نفس اخلصي تتخلصي وقال يعقوب المكفوف المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وراى بعضهم في المنام فقيل له كيف وجدت اعمالك قال كل شيء عملته وجدته حتى حبة رمان التقطتها من طريق وحتى هرة لنا ماتت رايتها في كفة الحسنات وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرايته في كفة السيئات وكان قد نفق حمار لي قيمته مائة دينار فما رايت له ثوابا فقلت موت سنور في الحسنات وموت حمار ليس فيها فقيل انه قد وجه حيث بعثت به وانه لما قيل لك انه مات قلت في لعنة الله فبطل اجرك ولو قلت

في سبيل الله لوجدته في حسناتك وفي رواية قال وكنت تصدقت بصدقة بين الناس فاعجبني نظرهم الي فوجدته لا علي ولا لي قال سفيان لما سمع هذا ما احسن حاله اذ لم يكن عليه وقال يحيى بن معاذ الاخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم وقيل كان رجل يخرج في زي النساء ويحضر كل موضع يجتمع فيه النساء من عرس او مأتم فاتفق ان حضر يوما موضعا فيه مجمع النساء فسرقت درة فصاحوا ان اغلقوا الباب حتى نفتش فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت النوبة اليه والى المرأة معه فدعا الله عز وجل بالاخلاص وقال ان نجوت من هذه الفضيحة لا اعود الى مثلها فوجدت الدرة مع تلك المرأة فصاحوا ان اطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة [illegible] فقال ابو عبيد [illegible] وكان يعمل في ارضه بعد العصر يوم عرفة فمر به بعض اخوانه [illegible] لابي عبيد ما قال لك فقال سالني ان احج معه [illegible]

وعن بعضهم انه قال غزوت في البحر فعرض بعضنا مخلاة فقلت اشتريها فانتفع بها في غزوي فاذا دخلت مدينة كذا بعتها فربحت فيها فاشتريتها فرايت تلك الليلة في النوم كان شخصين قد نزلا من السماء فقال احدهما لصاحبه اكتب الغزاة فاملى عليه خرج فلان متنزها وفلان مرائيا وفلان تاجرا وفلان في سبيل الله ثم نظر الي فقال اكتب فلان خرج تاجرا فقلت الله الله في امري ما خرجت اتجر وما معي تجارة اتجر فيها ما خرجت الا للغزو فقال يا شيخ قد اشتريت امس مخلاة تريد ان تربح فيها فبكيت فقلت لا تكتبوني تاجرا فنظر الى صاحبه وقال ما ترى فقال اكتب خرج فلان غازيا الا انه اشترى في طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله تعالى فيه ما يريد وقال سري السقطي لان تصلي ركعتين في خلوة تخلصهما خير لك من ان تكتب سبعين حديثا او سبعمائة بعلو وقال بعضهم في اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز ويقال العلم بذر والعمل زرع وماؤه الاخلاص وقال بعضهم اذا ابغض الله عبدا اعطاه ثلاثا ومنعه ثلاثا اعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم واعطاه الاعمال الصالحة ومنعه الاخلاص فيها واعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها وقال ان لله عز وجل عبادا عقلوا فلما عقلوا

عملوا اخلصوا فاستدعاهم الاخلاص الى ابواب البر اجمع وقال محمد بن سعيد المروزي الامر كله يرجع الى اصلين فعل منه بك وفعل منك له فترضى ما فعل وتخلص فيما تعمل فاذا انت قد سعدت بهذين وفزت في الدارين

بيان حقيقة الاخلاص

اعلم ان كل شيء يتصور ان يشوبه غيره فاذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمي خالصا ويسمى الفعل المصفى المخلص اخلاصا قال الله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فانما خلوص اللبن ان لا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن ان يمتزج به والاخلاص يضاده الاشراك فمن ليس مخلصا فهو مشرك الا ان للشرك درجات والاخلاص في التوحيد يضاده التشريك في الالهية والشرك منه خفي ومنه جلي وكذا الاخلاص والاخلاص وضده يتواردان على القلب فمحلهما القلب وانما يكون ذلك في القصود والنيات وقد ذكرنا حقيقة النية وانها ترجع الى اجابة البواعث فمهما كان الباعث واحدا على التجرد سمي الفعل الصادر عنه اخلاصا بالاضافة الى المنوي فمن تصدق وغرضه محض الرياء فهو مخلص ومن كان غرضه محض التقرب الى الله تعالى فهو مخلص ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى الله تعالى عن جميع الشوائب كما ان الالحاد عبارة عن الميل ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق ومن كان باعثه مجرد الرياء فهو معرض للهلاك ولسنا نتكلم فيه اذ ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الرياء من ربع المهلكات واقل امور ما ورد في الخبر ان المرائي يدعى يوم القيمة باربعة اسماء يا مرائي يا مخادع يا مشرك يا كافر وانما كلامنا الان فيمن انبعث لقصد التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث باعث آخر اما من الرياء واما من غيره من حظوظ النفس ومثال ذلك ان يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب او يعتق عبدا ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه او يحج ليصح مزاجه بحركة السفر او يتخلص من شر يعرض له في بلده او ليهرب عن عدو له في منزله او يتبرم باهله وولده او بشغل هو فيه فاراد ان يستريح عنه اياما او ليغزو ليمارس الحرب ويتعلم اسبابه ويقدر به على تهيئة العساكر وجرها او يصلي بالليل وله غرض في دفع النعاس عن نفسه به ليراقب رحله واهله او يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال او ليكون عزيزا بين العشيرة او ليكون عقاره وامواله محروسا بعز العلم عن الاطماع او اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب الصمت ويتفرج بلذة الحديث او تكفل بخدمة العلماء والصوفية لتكون حرمته وافرة عندهم وعند الناس او لينال به رفقا في الدنيا او كتب مصحفا ليجود بالمواظبة على الكتابة خطه او حج ماشيا ليخفف عن نفسه الكراء او توضأ ليتنظف او يتبرد او اغتسل لتطيب رائحته او روى

الحديث ليعرف بعلو الاسناد او تكلم في العلم ليعرف [illegible] او اعتكف في المسجد ليخف كراء المسكن او صام ليخفف عن نفسه التردد في طبخ الطعام او ليتفرغ لاشغاله فلا يشغله الاكل عنها او تصدق على السائل ليقطع ابرامه في السؤال عن نفسه او يعود مريضا ليعاد اذا مرض او يشيع جنازة ليشيع جنائز اهله او يفعل شيئا من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به وينظر اليه بعين الصلاح والوقار فمهما كان باعثه التقرب الى الله عز وجل ولكن انضاف اليه خطرة من هذه الخطرات حتى صار العمل اخف عليه بسبب هذه الامور فقد خرج عمله عن حد الاخلاص وخرج عن ان يكون خالصا لوجه الله تعالى وتطرق اليه الشرك وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح اليه النفس ويميل اليه القلب قل ام كثر اذا تطرق الى العمل تكدر به صفوه وزال به اخلاصه والانسان مرتبط في حظوظه منغمس في شهواته قلما ينفك فعل من افعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ واغراض عاجلة من هذه الاجناس فلذلك قيل من سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله تعالى نجا وذلك لعزة الاخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب بل الخالص هو الذي لا باعث عليه الا طلب القرب من الله تعالى وهذه الحظوظ ان كانت هي الباعثة وحدها فلا يخفى شدة الامر على صاحبه فيها وانما نظرنا فيما اذا كان القصد الاصلي هو التقرب الى الله تعالى وانضافت اليه هذه الامور ثم هذه الشوائب اما ان تكون في رتبة الموافقة او في رتبة المشاركة او المعاونة كما ذكرناه في النية وبالجملة اما ان يكون الباعث النفسي مثل الباعث الديني او اقوى منه او اضعف ولكل واحد حكم آخر كما سنذكره وانما الاخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها قليلها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه وهذا لا يتصور الا من محب لله تعالى مستهتر بالله مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار حتى لا يحب الاكل والشرب ايضا بل تكون رغبته فيه كرغبته في قضاء الحاجة من حيث انه ضرورة الجبلة فلا يشتهي الطعام لانه طعام بل لانه يقويه على عبادة الله تعالى ويتمنى ان لو كفي شر الجوع حتى لا يحتاج الى الاكل فلا يبقى في قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة ويكون قدر الضرورة مطلوبا عنده لانه ضرورة دينه فلا يكون له هم الا الله تعالى فمثل هذا الشخص لو اكل او شرب او قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا حتى يريح نفسه ليتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه ومن ليس كذلك فباب الاخلاص في الاعمال مسدود عليه الا على الندور وكما ان من غلب عليه حب الله وحب الآخرة فاكتسبت حركاته الاعتيادية صفة همه وصارت اخلاصا فالذي يغلب على نفسه الدنيا والعلو والرياسة وبالجملة غير الله فقد اكتسب

جميع حركاته تلك الصفة فلا تسلم له عباداته وصومه وصلوته الا نادرا فعلاج الاخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فاذ ذاك يتيسر الاخلاص وكم من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله تعالى ويكون فيها مغرورا لانه لا يدري وجه الآفة كما حكي عن بعضهم انه قال قضيت صلوة ثلثين سنة كنت صليتها في المسجد في الصف الاول لاني تأخرت يوما لعذر وصليت في الصف الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث رأوني في الصف الثاني فعرفت ان نظر الناس الي في الصف الاول كان يسرني وكان سبب استراحة قلبي من ذلك من حيث لا اشعر وهذا دقيق غامض وقلما تسلم الاعمال عن امثاله وقل من يتنبه له والغافلون عنه يرون حسناتهم كلها سيئات وهم المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما كسبوا وقل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا واشد الخلق تعرضا لهذه الفتنة العلماء فان الباعث للاكثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد والثناء والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول غرضكم نشر دين الله والنضال عن شرع رسول الله وترى الواعظ يمن على الله بنصيحته للخلق ووعظه للسلاطين ويفرح بقبول الناس قوله واقبالهم عليه وهو يزعم انه يفرح بما يسر له من نصرة الدين ولو ظهر من اقرانه من هو احسن منه وعظا وانصرف الناس عنه واقبلوا عليه ساءه ذلك وغمه ولو كان باعثه الدين لشكر الله عز وجل اذ كفاه هذا المهم بغيره ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول انما غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس عنك ولو اتعظوا بقولك لكنت انت المثاب واغتمامك لفوات الثواب محمود ولا يدري المسكين ان انقياده للحق وتسليم الامر للافضل اجزل ثوابا واعود عليه في الآخرة من انفراده وليت شعري لو اغتم عمر بتصدي ابي بكر للامامة اكان غمه محمودا او مذموما ولا يستريب ذو دين ان لو كان ذلك لكان مذموما لان انقياده للحق وتسليمه الامر الى من هو اصلح اعود عليه في الدين من تكفله بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر باستقلال من هو اولى منه بالامر فما بال العلماء لا يفرحون بذلك وقد ينخدع بعض اهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بانه لو ظهر من هو اولى منه بالامر لفرح به واخباره بذلك على نفسه قبل التجربة والامتحان محض الجهل والغرور فان النفس سهلة

اتباع و مثال ذلك في الوعد بما تم اراد او امره بالوعد ولا يأتي بها والنادر التنبه قبل زوال الامر ورجعت ولم ترب بالوعد اشتغاله بالآفات العبد شديد الا من تعزبت مكايد النفس وطال اشتغاله بها عجيب يعرف فيه الخبيث معرفة الامور عزيزة والعمل بها اعز الا عباد المخلصين لعزته خشية الاخلاص والعمل بها والمراقبة لهذه الدقائق والغنى في قوله تعالى الا من تبع النفس باتباع الشيطان وهو الاخلاص والنظر اليه عجب

بيان اقاويل الشيوخ في الاخلاص

قال السوسي الاخلاص فقد رؤية الاخلاص فان من شاهد في اخلاصه الاخلاص فقد احتاج اخلاصه الى اخلاص وما ذكره اشارة الى تصفية العمل عن العجب بالفعل فان الالتفات الى الاخلاص والنظر اليه عجب وهو من جملة الآفات والخالص ما صفا عن جميع الآفات فهذا تعرض لآفة واحدة وقال سهل رحمه الله الاخلاص ان يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض وفي معناه قول ابراهيم بن ادهم الاخلاص صدق النية مع الله عز وجل وقيل لسهل اي شيء اشد على النفس فقال الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب وقال رويم الاخلاص في العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين ولا حظا من الملكين وهذه اشارة الى ان حظوظ النفس آجلا وعاجلا والعابد لاجل تنعم النفس بالشهوات في الجنة معلول بل الحقيقة ان لا يراد بالعمل الا وجه الله تعالى وهو اشارة الى اخلاص الصديقين وهو الاخلاص المطلق فاما من يعمل لرجاء الجنة وخوف النار فهو مخلص بالاضافة الى الحظوظ العاجلة والا فهو في طلب حظ البطن والفرج وانما المطلوب الحق لذوي الالباب وجه الله عز وجل فقط وهو القائل لا يتحرك الانسان الا لحظ والبراءة من الحظوظ صفة الالهية ومن ادعاه فهو كافر وقد قضى القاضي ابو بكر الباقلاني بتكفير من يدعي البراءة عن الحظوظ وقال هذا من صفات الالهية وما ذكره حق ولكن القوم ارادوا بها البراءة عما يسميه الناس حظوظا وهو الشهوات الموصوفة في الجنة فقط فاما التلذذ بمجرد المعرفة والمناجاة والنظر الى وجه الله عز وجل فهذا حظ هؤلاء وهذا لا يعده الناس حظا بل يتعجبون منه وهؤلاء لو عوضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة الشهود للحضرة الالهية سرا وجهرا جميع نعيم الجنة لاستحقروه ولم يلتفتوا اليها فحركتهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره وقال ابو عثمان الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الخالق وهو اشارة الى آفة الرياء فقط ولذلك قال بعضهم الاخلاص في العمل ان لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه فانه اشارة الى مجرد الاخفاء وقد قيل الاخلاص ما استتر عن الخلائق وصفا عن العلائق وهذا اجمع للمقاصد وقال المحاسبي الاخلاص هو اخراج الخلق عن معاملة الرب وهو اشارة الى مجرد الرياء وكذلك قول الخواص من شرب من كاس الرياسة فقد خرج عن اخلاص العبودية وقد قال الحواريون لعيسى عليه السلام ما الخالص من الاعمال فقال الذي يعمل لله عز وجل لا يحب ان يحمده عليه احد وهذا ايضا تعرض للرياء وانما خص بالذكر لانه اقوى الاسباب المشوشة للاخلاص وقال الجنيد الاخلاص تصفية الاعمال من الكدورات وقال الفضيل ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله عنهما وقيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والاقاويل في هذا كثيرة ولا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وانما البيان الشافي بيان سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن الاخلاص فقال ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت اي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم في عبادتك كما امرت وهذا اشارة الى قطع كل ما سوى الله عز وجل عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا

بيان درجات الشوائب والآفات المكدرة للاخلاص

اعلم ان الآفات المشوشة للاخلاص بعضها جلي وبعضها خفي وبعضها ضعيف مع الجلاء وبعضها قوي مع الخفاء ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفاء والجلاء الا بمثال واظهر مشوشات الاخلاص الرياء فلنذكر منه مثالا فنقول الشيطان يدخل الآفة على المصلي مهما كان مخلصا في صلاته ثم نظر اليه جماعة او دخل عليه داخل فيقول له حسن صلاتك حتى ينظر اليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك فتخشع جوارحه وتسكن اطرافه وتحسن صلاته وهذا هو الرياء الظاهر ولا يخفى على المبتدئين من المريدين الدرجة الثانية ان يكون المريد قد فهم هذه الآفة فاخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيه ولا يلتفت اليه ويستمر في صلاته كما كان فياتيه في معرض الخير ويقول انت متبوع ومقتدى بك ومنظور اليك وما تفعله يؤثر عنك ويتاسى بك غيرك فيكون لك ثواب اعمالهم ان احسنت وعليك الوزر ان اسات فاحسن عملك بين يديه فعساه يقتدي بك في الخشوع وتحسين العبادة وهذا اغمض من الاول وقد يخدع به من لا ينخدع بالاول وهو ايضا عين الرياء ومبطل للاخلاص فانه ان كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيرا لا يرضى لغيره تركه فلم لم يرتض لنفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن ان يكون نفس غيره اعز عليه من نفسه فهذا محض التلبيس بل المقتدى به هو الذي يستقيم في نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره الى غيره فيكون له ثواب عليه

فاما هذا فمحض النفاق والتلبيس فمن اقتدى به اثيب عليه واما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على اظهاره من نفسه ما ليس متصفا به الدرجة الثالثة وهي ادق مما قبلها ان يجرب العبد نفسه في ذلك ويتنبه لكيد الشيطان ويعلم ان مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الرياء ويعلم ان الاخلاص في ان تكون صلاته في الخلوة مثل صلاته في الملا ويستحي من نفسه ومن ربه ان يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعا زايدا على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلاته على الوجه الذي يرتضيه في الملا ويصلي في الملا ايضا كذلك فهذا ايضا من الرياء الغامض لانه حسن صلاته في الخلوة ليحسن في الملا فلا يكون قد فرق بينهما فالتفاته في الخلوة والملا الى الخلق بل الاخلاص ان تكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة فكان نفس هذا ليست تسمح باساءة الصلاة بين اظهر الناس ثم يستحي من نفسه ان يكون في صورة المرائين ويظن ان ذلك يزول بان تستوي صلاته في الخلوة والملا وهيهات بل زوال ذلك بان لا يلتفت الى الخلق كما لا يلتفت الى الجمادات في الخلاء والملا جميعا وهذا الشخص مشغول الهم بالخلق في الملا والخلا جميعا وهذا من المكايد الخفية للشيطان الدرجة الرابعة وهي ادق واخفى ان ينظر اليه الناس وهو في صلاته فيعجز الشيطان عن ان يقول له اخشع لاجلهم فانه قد عرف انه تفطن لذلك فيقول له الشيطان تفكر في عظمة الله وجلاله ومن انت واقف بين يديه واستحي من ان ينظر الله عز وجل الى قلبك وهو غافل عنه فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه ويظن ان ذلك عين الاخلاص وهو عين المكر والخداع فان خشوعه لو كان لنظره الى جلاله لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة ولكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الامن من هذه الآفة ان يكون هذا الخاطر مما يالفه في الخلوة كما يالفه في الملا ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضوره كما لا يكون حضور البهيمة سببا فما دام يفرق في احواله بين مشاهدة انسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفو الاخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الرياء وهذا الشرك اخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء كما ورد به الخبر ولا يسلم من الشيطان الا من دق نظره وسعد بعصمة الله وتوفيقه وهدايته والا فالشيطان ملازم للمتشمرين لعبادة الله عز وجل لا

يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في كل حركة من الحركات حتى في كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب فان هذه سنن في اوقات مخصوصة وللنفس فيها حظ خفي لارتباط نظر الخلق بها ولاستيناس الطبع فيدعو الشيطان الى فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغي ان تتركها ويكون انبعاث القلب باطنا لها لاجل تلك الشهوات الخفية او مشوبة بها شوبا يخرج من حد الاخلاص بسببه وما لا يسلم عن هذه الآفات كلها فليس بخالص بل من يعتكف في مسجد معمور نظيف حسن العمارة يانس الطبع به فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من ثواب الاعتكاف وقد يكون المحرك الخفي في سره هو الانس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع به ويتبين ذلك في ميله الى احد المسجدين او احد الموضعين اذا كان احسن من الآخر وكل ذلك امتزاج بشوائب الطبع ومبطل حقيقة الاخلاص والغش الذي يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة فمنها ما يغلب ومنها ما يقل لكن يسهل دركه ومنها ما يدق بحيث لا يدركه الا الناقد البصير وغش القلب ودغل الشيطان وخبث النفس اغمض من ذلك وادق كثيرا ولهذا قيل ركعتان من عالم افضل من عبادة سنة من جاهل واريد به العالم البصير بدقايق آفات الاعمال حتى يخلص عنها فان الجاهل نظره الى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوادي الى حمرة الدينار المموه واستدارته وهو زيف في نفسه وقيراط من الخالص الذي يرتضيه الناقد خير من دينار يرتضيه الغبي فهكذا يتفاوت امر العبادات بل اشد واعظم ومداخل الآفات المتطرقة الى فنون الاعمال لا يمكن حصرها واحصاؤها فلينتفع بما ذكرناه مثالا والفطن يغنيه القليل عن الكثير والبليد لا يغنيه التطويل ايضا فلا فائدة في التفصيل

بيان حكم العمل المشوب في استحقاق الثواب به

اعلم ان العمل اذا لم يكن خالصا لوجه الله عز وجل بل امتزج به شوب من الرياء او حظوظ النفس فقد اختلف في ذلك هل يقتضي ثوابا ام يقتضي عقابا ام لا يقتضي شيئا اصلا فلا يكون له ولا عليه اما الذي لم يرد به الا الرياء فهو عليه قطعا وهو سبب المقت والعقاب واما الخالص لوجه الله تعالى فهو سبب الثواب وانما النظر في المشوب وظاهر الاخبار يدل على انه لا ثواب له وليس تخلو الاخبار عن تعارض فيه والذي ينقدح لنا فيه والعلم عند الله ان ينظر الى قدر قوة الباعث فان

وان كان الباعث الديني مساويا للباعث النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه وان كان باعث الرياء اغلب واقوى فهو ليس بنافع بل هو مضر ومفض للعقاب نعم عقابه اخف من عقاب العمل الذي تجرد للرياء ولم يمتزج به شائبة التقرب وان كان قصد التقرب اغلب بالاضافة الى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني وهذا لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها فلا ينبغي ان يضيع قصد الخير بل ان كان غالبا على قصد الرياء حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة وان كان مغلوبا سقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد وكشف الغطاء عن هذا ان الاعمال تأثيرها في القلوب بتأكيد صفاتها فداعية الرياء من المهلكات وانما غذاء هذا المهلك وقوته العمل على وفقه وداعية الخير من المنجيات وانما قوتها بالعمل على وفقها فاذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان فاذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوى تلك الصفة واذا كان العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوى ايضا تلك الصفة واحدهما مهلك والآخر منج فان كانت تقوية هذا بقدر تقوية الآخر فقد تقاوما فكان كالمستضر بالحرارة اذا تناول ما يضره ثم تناول من المبردات ما يقاوم قدر قوته فيكون بعد تناولهما كأنه لم يتناولهما وان كان احدهما غالبا لم يخل الغالب عن اثر فكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب والادوية ولا ينفك عن اثر في الجسد بحكم سنة الله تعالى فكذلك لا يضيع مثقال ذرة من الخير والشر ولا ينفك عن تأثير في انارة القلب او تسويده وفي تقريبه من الله او ابعاده فاذا جاء بما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا فقد عاد الى ما كان فلم يكن له ولا عليه فان كان الفعل مما يقربه شبرين والآخر يبعده شبرا واحدا فضل له لا محالة شبر وقد قال عليه السلم اتبع السيئة الحسنة تمحها فاذا كان الرياء المحض يمحوه الاخلاص المحض عقيبه فاذا اجتمعا جميعا فلا بد ان يتدافعا بالضرورة ويشهد لهذا اجماع الامة على ان من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه واثيب عليه وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس نعم يمكن ان يقال انما يثاب على اعمال الحج عند انتهائه الى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وانما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة ولكن الصواب ان يقال مهما كان الحج هو المحرك الاصلي وكان غرض التجارة

كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب وما عندي ان الغزاة لا يدركون في انفسهم تفرقة بين غزو الكفار في جهة تكثر فيها الغنائم وبين جهة لا غنيمة فيها ويبعد ان يقال ادراك هذه التفرقة يحبط بالكلية ثواب جهادهم بل العدل ان يقال اذا كان الباعث الاصلي والمزعج القوي هو اعلاء كلمة الله وانما الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت قلبه الى الغنيمة اصلا فان هذا الالتفات نقصان لا محالة فان قلت فالآيات والاخبار تدل على ان شوب الرياء محبط للثواب وفي معناه شوب طلب الغنيمة والتجارة وسائر الحظوظ فقد روى طاوس وغيره من التابعين ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم عمن يصطنع المعروف وقال يتصدق فيحب ان يحمد ويوجر فلم يدر ما يقول له حتى نزل قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقد قصد الاجر والحمد جميعا وروى معاذ عنه عليه السلم قال ادنى الرياء شرك وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل عملا فاشرك معي غيري ودعته لشريكي وروي عن ابي موسى ان اعرابيا اتاه فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله فقال عليه السلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه واله من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو له فنقول هذه الاحاديث لا تناقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد بذلك الا الدنيا كقوله من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا وكان ذلك اغلب على همته وقد ذكرنا ان ذلك عصيان وعدوان لا لان طلب الدنيا حرام ولكن طلبها باعمال الدين حرام لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن وضعها واما لفظ الشركة حيث ورد فمطلقه التساوي وقد بينا انه اذا تساوى القصدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغي ان يرجى عليه ثواب ثم الانسان عند الشركة ابدا في خطر فانه لا يدري اي الامرين اغلب على قصده فربما يكون عليه وبالا ولذلك قال الله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا اي لا يرجو اللقاء مع الشركة التي احسن احوالها التساقط ويجوز ان يقال ايضا منصب الشهادة ايضا لا ينال الا بالاخلاص في الغزو وبعيد ان يقال من كانت داعيته الدينية بحيث تزعجه

الى مجرد الغزو وان لم تكن غنيمة وقدر على غزو طائفتين من الكفار احداهما غنية والاخرى فقيرة فمال الى جهة الاغنياء لاعلاء كلمة الله تعالى وللغنيمة لا ثواب له على غزوه البتة ونعوذ بالله ان يكون الامر كذلك فان هذا حرج في الدين ومدخل لليأس على المسلمين لان امثال هذه الشوائب التابعة قط لا ينفك الانسان عنها الا على الندور ويكون تاثير هذا في نقصان الثواب فاما في احباطه فلا نعم الانسان فيه على خطر عظيم لانه ربما يظن ان الباعث الاقوى هو قصد التقرب ويكون الاغلب على سره الحظ النفسي وذلك مما يخفى غاية الخفاء فلا يحصل الاجر الا بالاخلاص والاخلاص قلما يستيقنه العبد من نفسه وان بالغ في الاحتياط فلذلك ينبغي ان يكون ابدا مترددا بين الرد والقبول خائفا ان يكون في عبادته آفة يكون وبالها اكثر من ثوابها وهكذا كان الخائفون من ذوي البصائر وهكذا ينبغي ان يكون كل ذي بصيرة ولذلك قال سفيان رحمه الله لا اعتد بما ظهر من عملي وقال عبد العزيز بن ابي رواد جاورت هذا البيت ستين سنة وحججت ستين حجة فما دخلت في شيء من اعمال الله تعالى الا وحاسبت نفسي فوجدت نصيب الشيطان اوفى من نصيب الله ليته لا لي ولا علي ومع هذا فلا ينبغي ان يترك العمل عند خوف الآفة والرياء فان ذلك منتهى بغية الشيطان منه اذ المقصود ان لا يفوت الاخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والاخلاص جميعا وقد حكي ان بعض الفقراء كان يخدم ابا سعيد الخراز ويخف في اعماله فتكلم ابو سعيد يوما في الاخلاص فاخذ الفقير يطالب نفسه بالاخلاص فتعذر عليه فضاق وانزعج واستفتى الشيخ بذلك فقال له انما الاخلاص لا تقطع المعاملة وذكره وطالبه بالاخلاص وانه يعجز عنها في اكثر اعماله ويتركها فقال ابو سعيد لا تقطع العمل وقد قال الفضيل ترك العمل لاجل الخلق رياء وفعله لاجل الخلق شرك فاذا اخلص في العمل وتحقق بالاخلاص فان تلك ترك العمل ولكن قلت اخلص العمل واجتهد في تحصيل الاخلاص

الباب الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته

بيان فضيلة الصدق

قال الله عز وجل رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا

حتى يكتب عند الله كذابا ويكفي في فضيلة الصدق ان الصديق مشتق منه والله تعالى قد وصف به الانبياء في معرض المدح والثناء فقال واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا وقال واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا وقال اربع من كن فيه ربح الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر وقال بشر بن الحارث من عامل الله عز وجل بالصدق استوحش من الناس وقال رجل لحكيم ما رايت صادقا فقال لو كنت صادقا لعرفت الصادقين وقال الثوري في قوله تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله عز وجل ولم يكونوا بها صادقين واوحى الله تعالى الى داود يا داود من صدقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته وصاح رجل في مجلس الشبلي ورمى نفسه في دجلة فقال ان كان صادقا فالله ينجيه كما نجى موسى عليه السلم وان كان كاذبا فالله يغرقه كما اغرق فرعون وقال محمد بن سعيد المروزي اذا طلبت الله بالصدق اعطاك الله مرآة بيدك حتى تبصر كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة وقال ابو بكر الوراق احفظ الصدق فيما بينك وبين الله عز وجل والرفق فيما بينك وبين خلق الله عز وجل وقيل لذي النون هل للعبد الى اصلاح اموره سبيل فقال

قد بقينا مذبذبين حيارى | نطلب الصدق ما اليه سبيل
فدعاوى الهوى تخف علينا | وخلاف الهوى علينا ثقيل

وعن ابن عباس انه عليه السلم سئل عن الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق وعن الجنيد في قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم قال يسال الصادقين عند انفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا امر على خطر

بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه

اعلم ان لفظ الصدق يستعمل في ستة معان صدق في القول وصدق في النية وصدق في الارادة وصدق في العزم وصدق في الوفاء بالعزم وصدق في العمل وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق لانه مبالغة من الصدق ثم هم ايضا على درجات ومن كان له حظ من الصدق في شيء من الجملة فهو صادق بالاضافة الى ما فيه صدقه

الصدق الاول صدق اللسان وذلك لا يكون الا في الاخبار او فيما يتضمن الاخبار وينبه عليه والخبر اما ان يتعلق بالماضي او بالمستقبل وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه وحق على كل عبد ان يحفظ الفاظه فلا يتكلم الا بالصدق وهذا هو اشهر انواع الصدق واظهرها فمن حفظ لسانه عن الاخبار عن الاشياء على خلاف

ما هو
عليه فهو صادق ولكن لهذا الصدق كمالان احدهما
الاحتراز عن المعاريض وقد قيل ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب وذلك لانها تقوم مقام الكذب اذ المحذور
من الكذب تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه في نفسه الا ان ذلك مما تمس اليه الحاجة
وتقتضيه المصلحة في بعض الاحوال وفي تأديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم وفي
الحذر عن الظلمة وفي قتال الاعداء والاحتراز عن اطلاعهم على اسرار الملك فمن اضطر الى شيء من ذلك فصدقه
فيه ان يكون نطقه فيه لله فيما يأمره الحق به ويقتضيه الدين فاذا نطق به فهو صادق وان كان كلامه مفهما غير ما هو عليه
لان الصدق ما اريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعاء اليه فلا ينظر الى صورته بل الى معناه نعم في مثل هذا الموضع ينبغي ان يعدل
الى المعاريض ما وجد اليه سبيلا كان النبي صلى الله عليه وآله اذا توجه الى سفر ورى بغيره وذلك كيلا ينتهي الخبر الى الاعداء فيقصد
وليس هذا من الكذب في شيء وقال النبي عليه السلام ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او انمى خيرا
ورخص في النطق على وفق المصلحة في ثلاثة مواضع من اصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب والصدق ههنا يتحول الى النية
فلا يراعى فيه الا صدق النية وارادة الخير فمهما صح قصده وصدقت نيته وتجردت للخير ارادته كان صادقا وصديقا
كيف كان لفظه ثم التعريض فيه اولى وطريقه ما حكي عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في داره فقال لزوجته خطي
باصبعك دائرة وضعي الاصبع عليها وقولي ليس ههنا واحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله صدقا
وافهم الظالم انه ليس في الدار فالكمال الاول في اللفظ ان يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض ايضا الا عند الضرورة والكمال
الثاني ان يراعي معنى الصدق في الفاظه التي يناجي بها ربه كقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فان كان قلبه
منصرفا عن الله تعالى مشغولا باماني الدنيا وشهواتها فهو كاذب وكقوله اياك نعبد وقوله انا عبد الله فانه
اذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله عز وجل لم يكن كلامه صدقا ولو طولب يوم القيامة بالصدق في قوله انا
عبد الله لعجز عن تحقيقه فانه ان كان عبد النفس او عبد الدنيا او عبد الشهوات لم يكن صادقا في قوله وكل ما تقيد
به العبد فهو عبده كما قال عيسى عليه السلام يا عبيد الدنيا وقال صلى الله عليه وآله تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة فسمى كل من
تقيد قلبه بشيء عبدا له وانما العبد الحق لله من
اعتق

اعتق اولا عن غير الله تعالى فصار حرا مطلقا فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فحلت فيه
العبودية لله فيشغله بالله وبمحبته ويقيد باطنه وظاهره بطاعته فلا يكون له مراد الا الله تعالى
ثم قد يجاوز هذا الى مقام اسنى منه يسمى الحرية وهو ان يعتق ايضا عن ارادته من حيث هو هو بل يقنع
بما يريد الله من تقريب او ابعاد فتفنى ارادته في ارادة الله عز وجل وهذا عبد عتق عن غير الله تعالى فصار
حرا ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرا وصار مفقودا لنفسه موجودا لسيده ومولاه ان حركه تحرك
وان سكنه سكن وان ابتلاه رضي لم يبق فيه متسع لطلب والتماس واعتراض بل هو بين يدي الله
كالميت بين يدي الغاسل وهذا منتهى الصدق في العبودية فالعبد الحق هو الذي وجوده لمولاه
لا لنفسه وهذه درجات الصديقين واما الحرية عن غير الله فدرجات الصادقين وبعدها تتحقق العبودية
لله وما قبل هذا فلا يستحق صاحبه ان يسمى صادقا ولا صديقا فهذا هو معنى الصدق في القول
الصدق الثاني في النية والارادة ويرجع ذلك الى الاخلاص وهو ان لا يكون له باعث في الحركات والسكنات
الا الله عز وجل فان مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز ان يسمى كاذبا كما
روينا في فضيلة الاخلاص من حديث الثلاثة حين يسأل العالم ما ذا عملت فيما علمت فقال فعلت كذا وكذا
فقال الله عز وجل كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم فانه لم يكذبه ولم يقل له لم تعمل ولكن كذبه في ارادته
ونيته وقال بعضهم الصدق صحة التوجه في القصد ولذلك قال الله تعالى والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون وقد قالوا انك لرسول الله وهذا صدق ولكن كذبهم لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير
القلب وكان التكذيب يتطرق الى الخبر وهذا القول يتضمن اخبارا بقرينة الحال اذ صاحبه يظهر
من نفسه انه يعتقد ما يقوله فكذب في دلالته بقرينة الحال على ما في قلبه فانه كذب في ذلك وان لم يكذب
فيما يلفظ به فيرجع احد معاني الصدق الى خلوص النية وهو الاخلاص وكل صادق فلا بد وان يكون مخلصا
الصدق الثالث صدق العزم فان الانسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه ان رزقني الله مالا
تصدقت بجميعه او بشطره واذا لقيت عدوا في سبيل الله قاتلته ولم ابال وان قتلت وان اعطاني
الله ولاية عدلت فيها ولم اعص الله بظلم وميل الى الخلق فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهي

عزيمة جازمة صادقة
وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة فكان
الصدق ههنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال لفلان شهوة صادقة ويقال هذا المريض شهوته كاذبة مهما لم تكن شهوته عن سبب ثابت قوي او كانت ضعيفة فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى والصادق والصديق هو الذي تصادف
عزيمته في الخيرات كلها قوة تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد بل تسخو نفسه ابدا بالعزم المصمم
الجازم على الخيرات وهو كما قال عمر لان اقدم فتضرب عنقي احب الي من ان اتأمر على قوم فيهم ابو بكر فانه قد وجد من نفسه العزم
الجازم والمحبة الصادقة بانه لا يتأمر مع وجود ابي بكر واكد ذلك بما ذكره من القتل ومراتب الصديقين في العزائم تختلف
العزم ولا ينتهي الى ان يرضى بالقتل فيه ولكن اذا خلي ورأيه لم يتقدم وان ذكر له حديث القتل لم ينقض عزمه بل في الصادقين والمؤمنين من لو خير بين ان يقتل هو او ابو بكر كانت حياته احب اليه
الصدق الرابع في الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال اذ لا مشقة في الوعد والعزم والمؤنة فيه خفيفة فاذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة
وغلبت الشهوات ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا يضاد الصدق فيه ولذلك قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقد روي عن انس ان عمه انس بن النضر
لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فشق ذلك على قلبه وقال اول مشهد شهده رسول الله غبت عنه اما والله لئن اراني
الله مشهدا مع رسول الله ليرين الله ما اصنع قال فشهد احدا في العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو الى اين فقال
واها لريح الجنة اني اجد ريحها دون احد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين رمية وضربة وطعنة فقالت اخته بنت النضر ما عرفت
اخي الا ببنانه ونزلت هذه الآية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ووقف النبي صلى الله عليه وآله على مصعب بن عمير وقد سقط على
وجهه يوم احد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله فقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى
نحبه ومنهم من ينتظر وقال مجاهد رجلان خرجا على ملأ من الناس قعود فقالا ان رزقنا الله من فضله لنصدقن فبخلا به فنزلت ومنهم
من عاهد الله لئن آتانا

من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا
وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فجعل
العزم عهدا وجعل الخلف فيه كذبا والوفاء به صدقا وهذا الصدق اشد من الصدق الثالث فان النفس
قد تسخو بالعزم ثم يلتوي عند الوفاء لشدته عليها ولهيجان الشهوة عند التمكن وحصول الاسباب ولذلك
استثنى عمر رضي الله عنه فقال لان اقدم فتضرب عنقي احب الي من ان اتأمر على قوم فيهم ابو بكر اللهم الا ان
تسول لي نفسي عند القتل شيئا لا اجده الآن لاني لا آمن ان يثقل عليها ذلك فتتغير عن عزمها اشار بذلك
الى شدة الوفاء بالعزم وقال ابو سعيد الخراز رأيت في المنام كأن ملكين نزلا من السماء فقالا لي ما
الصدق فقلت الوفاء بالعهد فقالا لي صدقت وعرجا الى السماء الصدق الخامس في الاعمال وهو ان
يجتهد حتى لا تدل اعماله الظاهرة على امر في باطنه لا يتصف هو به لا بان يترك الاعمال ولكن بان يستجر الباطن
الى تصديق الظاهر وهذا خلاف ما ذكرناه من ترك الرياء لان المرائي هو الذي يقصد ذلك ورب واقف
على هيئة الخشوع في صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة فمن نظر اليه يراه
قائما بين يدي الله عز وجل وهو بالباطن قائم بالسوق بين يدي شهوة من شهواته فهذه اعمال تعرب
بلسان الحال عن الباطن اعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق في الاعمال وكذلك قد يمشي
الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك فهذا غير صادق في عمله وان لم
يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا اياهم ولا ينجو من هذا الا باستواء السريرة والعلانية بان يكون باطنه
مثل ظاهره او خيرا من ظاهره ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب الاشرار لئلا
يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا في دلالة الظاهر على الباطن فاذن مخالفة الظاهر للباطن ان
كانت عن قصد سميت رياء ويفوت بها الاخلاص وان كانت عن غير قصد فيفوت بها الصدق
ولذلك قال عليه السلام اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة وقال عطية بن عبد الله
اذا ساوت سريرة المؤمن علانيته باهى الله به الملائكة يقول هذا عبدي حقا وقال معاوية بن قرة

بالليل ... كان حسن الحال بالنهار وقال عبد الواحد بن زيد كان الحسن اذا امر بشى كان من اعمل الناس به واذا نهى عن شى كان من اترك الناس له ولم ار احدا قط اشبه سريرة بعلانيته منه ...

الصدق السادس وهو اعلى الدرجات واعزها الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجا والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب وساير هذه الامور فان هذه الامور لها مبادى ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقايق والصادق المحقق من نال حقيقتها واذا غلب الشى وتمت حقيقته سمى صاحبه صادقا فيه كما يقال فلان صدق القتال ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذه هي الشهوة الصادقة وقال تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك هم الصادقون وقال تعالى ولكن البر من امن بالله الى قوله اولئك الذين صدقوا وسئل ابو ذر عن الايمان فقرا هذه الاية ... ولنضرب للخوف مثلا فما من عبد يومن بالله واليوم الاخر الا وهو خايف من الله خوفا ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق اي غير بالغ درجة الحقيقة اما تراه اذا خاف سلطانا او قاطع طريق في سفره كيف يصفر لونه وترتعد فرايصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه اكله ونومه ويتشتت عليه فكره حتى لا ينتفع به اهله وولده وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالانس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للاخطار كل ذلك خوفا من درك المحذور ثم انه يخاف النار ولا يظهر عليه شى من ذلك عند جريان معصية عليه ولذلك قال عليه السلام لم ار مثل النار نام هاربها ولم ار مثل الجنة نام طالبها فالتحقيق في هذه الامور عزيز جدا ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبد منها حظ بحسب حاله اما ضعيف واما قوى فاذا قوى سمى صادقا فيه فمعرفة الله عز وجل وتعظيمه والخوف منه لا نهاية لها ولذلك قال عليه السلام لجبريل عليه السلام احب ان اراك في صورتك التي هي صورتك فقال لا تطيق ذلك قال بل ارنى فواعده البقيع في ليلة مقمرة فاتاه فنظر اليه فاذا هو قد سد الافق يعنى جوانب السما فوقع عليه السلام مغشيا عليه فلما افاق وقد عاد جبريل عليه السلام لصورته الاولى فقال ما ظننت ان احدا من خلق الله هكذا قال وكيف لو رايت اسرافيل ان العرش

لعلى كاهله وان رجليه قد مرقتا تخوم الارض السفلى وانه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوصع يعنى العصفور الصغير فانظر ما الذي يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع الى ذلك الحد وساير الملايكة ليسوا كذلك لتفاوتهم في المعرفة فهذا هو الصدق في التعظيم وقال جابر قال عليه السلام مررت ليلة اسرى بى الى السما وجبريل بالملا الاعلى كالحلس البالي من خشية الله عز وجل قال يعنى الكسا الذي يلقى على ظهر البعير ولذلك قال ابن عمر ما يبلغ احد حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس كلهم حمقى في دين الله وقال مطرف ما من الناس احد الا وهو احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الحمق اهون من بعض وقال عليه السلام لا يبلغ احد حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس كالاباعر في جنب الله ثم يرجع الى نفسه فيجدها احقر حقير والصادق اذن في جميع هذه المقامات عزيز ثم درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون بعض فان كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا وقال سعد بن معاذ ثلث انا فيهن قوى وفيما سواهن ضعيف ما صليت صلوة منذ اسلمت فحدثت نفسي بان اعيش حتى افرغ منها وما شيعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قايلة وما هو مقول لها حتى يفرغ من دفنها وما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولا الا علمت انه حق فقال ابن المسيب ما ظننت ان هذه الخصال تجتمع الا في النبي صلى الله عليه وسلم فهذا صدق في هذه الامور وكم من جلة الصحابة قوم قد ادوا الصلوة واتبعوا الجنايز ولم يبلغوا هذا المبلغ فهذه هي درجات الصدق ومعانيه والكلمات الماثورة عن المشايخ في حقيقة الصدق في الاغلب لا تتعرض الا لاحاد هذه المعاني نعم قد قال ابو بكر الوراق الصدق ثلثة صدق التوحيد وصدق الطاعة وصدق المعرفة فصدق التوحيد لعامة المومنين قال الله تعالى والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون وصدق الطاعة لاهل العلم والورع وصدق المعرفة لاهل الولاية الذين هم اوتاد الارض وكل هذا يدور على ما ذكرناه في الصدق السادس ولكنه ذكر اقسام ما فيه الصدق وهو ايضا غير محيط بجميع الاقسام وقال جعفر الصادق عليه السلام الصدق هو المجاهدة وان لا تختار على الله غيره كما لم يختر عليك غيرك فقال تعالى هو اجتبيكم وقيل اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انى اذا احببت عبدا ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال لانظر كيف صدقه فان وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا وان وجدته جزوعا يشكونى الى خلقى خذلته ولا ابالى فاذن من علامات الصدق كتمان المصايب والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليه

تم بحمد الله وحسن توفيقه

... الجزء ... من كتاب ... ويتلوه ...

كتاب المراقبة والمحاسبة وهو الكتاب الثامن من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القايم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل جارحة بما اجترحت المطلع على ضماير القلوب اذا هجست الحسيب على خواطر عباده اذا اختلجت الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض تحركت او سكنت المحاسب على النقير والقطمير والقليل والكثير من الاعمال وان خفيت المتفضل بقبول طاعات العباد وان صغرت المتطول بالعفو عن معاصيهم وان كثرت وانما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما احضرت وتنظر فيما قدمت واخرت فتعلم انه لولا لزومها المراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت في صعيد القيمة وهلكت وخسرت فسبحان من عمت نعمه كافة العباد وشملت واستغرقت رحمته الخلايق في الدنيا والاخرة وغمرت فبنفحات فضله اتسعت القلوب للايمان وانشرحت وبيمن توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات وتادبت وبحسن هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت وبتاييده انقطعت مكايد الشيطان واندفعت وبلطف عنايته ترجح كفة الحسنات اذا ثقلت وبتيسيره تيسرت من الطاعات ما تيسرت فمنه العطا والجزا والحكم بالابعاد والادنا والاسعاد والاشقا والصلوة على محمد سيد الانبيا وعلى اله سادة الاصفيا وقادة الاتقيا وسلم كثيرا اما بعد فقد قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقال يوم يبعثهم الله جميعا فينبيهم بما عملوا احصيه الله ونسوه والله على كل شى قدير وقال يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سو تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه وقال تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور رحيم فعرف ارباب البصاير من جملة العباد ان الله عز وجل لهم بالمرصاد وانهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات

فمن حاسب نفسه قبل ان يحاسب خف في القيمة حسابه وحضر عند السوال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيمة وقفاته وقادته الى الخزي والمقت سيئاته فلما انكشف لهم ذلك علموا انه لا ينجيهم منه الا طاعة الله عز وجل وقد امرهم بالصبر والمرابطة فقال يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا فرابطوا انفسهم اولا بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة فكانت لهم في المرابطة ست مقامات ولا بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الاعمال فيها واصلها المحاسبة ولكن كل حساب فبعد مشارطة ومراقبة ويتبعه عند الخسران المعاتبة والمعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات

المقام الاول من المرابطة المشارطة

اعلم ان مطلب المتعاملين في التجارات المشتركين في البضايع عند المحاسبة سلامة الربح وكما ان التاجر يستعين بشريكه فيسلم اليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الاخرة وانما مطلبه وربحه تزكية النفس اذ بذلك فلاحها قال الله تعالى قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وانما فلاحها بالاعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة اذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله وكما ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج الى ان يشارطه اولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاقبه او يعاتبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة النفس اولا فيوظف عليها الوظايف ويشرط عليها الشروط ويرشدها الى طرق الفلاح ويجزم عليها الامر بسلوك تلك الطرق ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة فانه لو اهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع راس المال كالعبد الخاين اذا خلا له الجو وانفرد بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي ان يحاسبها ويطالبها بالوفا بما شرط فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الانبيا والشهدا فتدقيق الحساب في هذا مع النفس اهم كثيرا من تدقيقه في ارباح الدنيا مع انها محتقرة بالاضافة الى نعيم العقبى ثم كيف ما كان فمصيرها الى التصرم والانقضا ولا خير في خير لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لان الشر الذي لا يدوم اذا انقطع بقي الفرح بانقطاعه دايما وقد انقضى الشر والخير الذي لا يدوم يبقى الاسف على انقطاعه دايما وقد انقطع الخير ولذلك قيل

اشد الغم عندي في سرور … تيقن عنه صاحبه انتقالا

فحتم على كل ذي حزم امن بالله واليوم الاخر ان لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها

فان كان العبد ... كل نفس من الانفاس جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن ان يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه ابد الآباد فانقضاء هذه الانفاس ضائعة او مصروفة الى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسمح به نفس عاقل فاذا اصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي ان يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس كما ان التاجر عند تسليم البضاعة الى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس ما لي بضاعة الا العمر ومهما فني فقد فني راس المال ووقع الياس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد امهلني الله فيه وانسا في اجلي وانعم علي به ولو توفاني لكنت اتمنى ان يرجعني الى الدنيا يوما واحدا حتى اعمل فيه صالحا فاحسبي انك قد توفيت ثم قد رددت فاياك ثم اياك ان تضيعي هذا اليوم فان كل نفس من الانفاس جوهرة لا قيمة لها واعلمي يا نفس ان اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر انه ينشر للعبد بكل يوم وليلة اربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوءة نورا من حسناته التي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار التي هي وسيلته عند الملك الجبار ما لو وزع على اهل النار لادهشهم ذلك الفرح عن الاحساس بالم النار ويفتح له خزانة اخرى سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشاه ظلامها وهي الساعة التي عصى الله فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على اهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة اخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوءه وهي الساعة التي نام فيها او غفل او اشتغل بشيء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من غبن ذلك ما ينال القادر على الربح الكثير والملك الكبير اذا اهمله وتساهل فيه حتى فاته وهكذا تعرض عليه خزائن اوقاته طول عمره فيقول لنفسه اجتهدي اليوم في ان تعمري خزانتك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي اسباب ملكك ولا تميلي الى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لا تفارقك وان دخلت الجنة فالم الغبن وحسرته لا يطاق وان كان دون الم النار وقال بعضهم هب ان المسيء قد عفي عنه اليس قد فاته ثواب المحسنين اشار به الى الغبن والحسرة وقد قال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فهذه وصيته لنفسه في اوقاته ثم يستانف وصيته في اعضائه السبعة وهي العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل ويسلمها اليها فانها رعايا خادمة لها في هذه التجارة وبها تتم اعمال هذه التجارة وان لجهنم سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وانما تتعين تلك الابواب لمن عصى الله تعالى بهذه الاعضاء فيوصيها بحفظها عن معاصيها اما العين فيحفظها عن النظر

الى عورة مسلم او وجه من ليس بمحرم او النظر الى مسلم بعين الاحتقار بل عن كل فضول مستغنى عنه فان الله تعالى
عبده عن فضول النظر كما يسائله عن فضول الكلام ثم اذا صرفها عن هذا لم تقنع حتى يشغلها بما فيه والنظر في كتاب الله
وسنة رسوله ومطالعة كتب الحكمة للاتعاظ والاستفادة وهكذا ينبغي ان يفصل عليها الامر في عضو عضو لا
سيما اللسان والبطن اما اللسان فلانها منطلقة بالطبع ولا مؤنة عليها في الحركة وجنايتها عظيمة بالغيبة
والكذب والنميمة وتزكية النفس ومذمة الخلق والاطعمة والطعن واللعن والدعاء على الاعداء والمماراة في
الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في آفات اللسان فهي بصدد ذلك كله مع انها خلقت للذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم
وارشاد عباد الله الى طريق الله واصلاح ذات البين وسائر خيراتها فليشترط على نفسه ان لا يحرك اللسان
الا في الذكر طول نهاره فنطق المؤمن ذكر ونظره عبرة وصمته فكرة وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد واما البطن
فيكلفه ترك الشهوة وتقليل الاكل من الحلال واجتناب الشبهات ويمنعها من الشهوات ويقتصر على قدر
الضرورة ويشترط عليها ان خالفت شيئا من ذلك عاقبها بالمنع من شهوات البطن ليفوتها اكثر مما نالته بشهواتها
وهكذا يشترط عليها في جميع الاعضاء واستقصاء ذلك يطول ولا تخفى معاصي الاعضاء وطاعاتها ثم يستانف
وصيتها في وظائف الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم والليلة في النوافل التي يقدر عليها ويقدر على الاكثار
منها ويرتب لها تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها باسبابها وهذه شروط يفتقر اليها كل يوم ولكن اذا تعود
الانسان شرط ذلك على نفسه اياما وطاوعته نفسه في الوفاء بجميعها استغنى عن المشارطة فيها وان اطاع في
بعضها بقيت الحاجة الى تجديد المشارطة فيما بقي ولكن لا يخلو كل يوم من مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد
ولله عليه فيه حق ويكثر هذا على من يشتغل بشيء من اعمال الدنيا من ولاية او تجارة او تدريس اذ قلما يخلو يوم
عن واقعة جديدة يحتاج الى ان يقضي حق الله فيها فعليه ان يشترط على نفسه الاستقامة عليه والانقياد للحق
في مجاريها ويحذرها مغبة الاهمال ويعظها كما يوعظ العبد المتمرد الآبق فان النفس بالطبع متمردة عن الطاعات
مستعصية عن العبودية ولكن الوعظ والتاديب يؤثر فيها وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فهذا وما يجري مجراه
هو اول مقام المرابطة مع النفس وهو المحاسبة قبل العمل والمحاسبة تكون تارة بعد العمل وتارة تكون قبله
للتحذير وقال تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه وهذا للمستقبل وكل نظر في كمية ومقدار

لمعرفته زيادة ونقصان فالنظر فيها ... وقد قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وانما ذلك اشارة الى المحاسبة ... ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ... فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه وقال بعض الحكماء اذا اردت ان يكون العقل غالبا للهوى فلا تعمل بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فان مكث الندامة في القلب اكثر من مكث خفة الشهوة وقال لقمان ان المؤمن اذا ابصر العاقبة امن الندامة ... قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ... يوم الحساب وقوله تعالى ... وكتب الى ابي موسى الاشعري حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة ...

المرابطة الثانية المراقبة

اذا اوصى الانسان نفسه ... فلا يبقى الا المراقبة لها عند الخوض في الاعمال وملاحظتها بالعين الكالئة ... ثم درجاتها

اما الفضيلة

فقد سال جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد قال تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقال تعالى الم يعلم بان الله يرى وقال تعالى ان الله كان عليكم رقيبا وقال تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون وقال ابن المبارك لرجل راقب الله تعالى ... وقال عبد الواحد بن زيد اذا كان سيدي رقيبا علي فلا ابالي بغيره وقال ابو عثمان المغربي افضل ما يلزم الانسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة

وسياسته عملا بالعلم وقال ابن عطاء افضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الاوقات وقال ابو عثمان قال لي
ابو حفص اذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك
والله تعالى رقيب على باطنك وحكي انه كان لبعض مشايخ هذه الطائفة تلميذ شاب وكان يكرمه فقال له
بعض اصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طائرا وسكينا و
قال ليذبح كل واحد منكم طيره في موضع لا يراه احد ودفع الى الشاب مثل ذلك وقال اذبحه حيث لا يراك احد
فرجع كل واحد بطيره مذبوحا ورجع الشاب والطير حي في يده فقال ما لك لم تذبح وقد ذبح اصحابك فقال
لم اجد موضعا لا يراني فيه احد اذ الله مطلع علي في كل مكان فاستحسنوا مراقبته وقالوا حق لك ان تكرم
وحكي ان زليخا لما خلت بيوسف قامت فغطت وجه صنمها فقال يوسف ما لك اتستحيين من مراقبة
جماد ولا استحي من مراقبة الملك الجبار وحكي عن بعض الاحداث انه راود جارية عن نفسها فقالت الا
تستحي فقال ما استحي وما يرانا الا الكواكب فقالت واين مكوكبها وقال رجل للجنيد بم استعين على
غض البصر قال بعلمك ان نظر الناظر اليك اسبق من نظرك الى المنظور اليه وقال الجنيد انما يتحقق بالمراقبة من
يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل وعن مالك بن دينار قال جنات عدن من جنات الفردوس
وفيها حور خلقن من ورد الجنة قيل له ومن يسكنها قال يقول الله عز وجل انما يسكن جنات عدن الذين
اذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوا والذين انحنت اصلابهم من خشيتي وعزتي وجلالي اني لاهم بعذاب
اهل الارض فاذا نظرت الى اهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب ٭ وسئل ذو النون
بم ينال العبد الجنة فقال بخمس استقامة ليس فيها روغان واجتهاد ليس معه سهو ومراقبة الله تعالى
في السر والعلانية وانتظار الموت بالتاهب له ومحاسبة نفسك قبل ان تحاسب ٭ وقيل
اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل ٭ خلوت ولكن قل علي رقيب ٭ ولا تحسبن الله يغفل ساعة ٭
ولا ان ما يخفى عليه يغيب ٭٭ الم تر ان اليوم اسرع ذاهب ٭ وان غدا للناظرين قريب ٭
وقال حميد الطويل لسليمان بن علي عظني فقال لئن كنت اذا عصيت الله خاليا ظننت انه يراك
لقد اجترات على امر عظيم ولئن كنت تظن انه لا يراك فلقد كفرت وقال سفيان الثوري عليك

عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء

بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها

اعلم أن حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم إليه فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال إنه يراقب
فلانا ويراعي جانبه ونعني بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة أعمالا في الجوارح وفي القلب
أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته إليه وملاحظته إياه وانصرافه إليه وأما المعرفة التي تثمر هذه الحالة
فهو العلم بأن الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت وأن سر القلب في حقه مكشوف
كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك فهذه المعرفة إذا صارت يقينا أعني أنها خلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب
فرب علم لا شك فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت فإذا استولت على القلب استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه إليه
والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وهم ينقسمون إلى الصديقين وإلى أصحاب اليمين فمراقبتهم على درجتين

الدرجة الأولى مراقبة المقربين من الصديقين وهي مراقبة التعظيم والإجلال وهو أن يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات إلى الغير أصلا
وهذه مراقبة لا نطول النظر في تفصيل أعمالها فإنها مقصورة على القلب أما الجوارح فإنها تتعطل عن التلفت إلى المباحات فضلا عن
المحظورات وإذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة بها فلا تحتاج إلى تدبير وتثبيت في حفظها على سنن السداد بل يسدد الرعية من ملك راعيها
والقلب هو الراعي فإذا صار مستغرقا بالمعبود صارت الجوارح جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف
وهذا هو الذي صار همه هما واحدا فكفاه الله سائر الهموم ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده
وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له مع أنه لا صمم به وقد يمر عليه ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجري عليه ذلك فقال لمن
عاتبه إذا مررت بي فحركني ولا تستبعد هذا فإنك تجد نظير هذا في القلوب المعظمة لملوك الدنيا حتى إن خدم الملوك قد لا يحسون بما يجري عليهم
في مجالس الملوك لشدة استغراقهم بهم بل قد يشتغل القلب بأمر حقير من مهمات الدنيا فيغوص الفكر فيه ويمشي فربما يجاوز الموضع الذي قصده
وينسى الشغل الذي نهض له وقد قيل لعبد الواحد بن زيد هل تعرف في زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق فقال ما أعرف إلا رجلا سيدخل
عليكم الساعة فما كان إلا سريعا حتى دخل عتبة الغلام

قال

فقال له عبد الواحد بن زيد من أين جئت يا عتبة فقال من موضع كذا وكان طريقه على السوق فقال من لقيت في
الطريق فقال ما رأيت أحدا وروي عن يحيى بن زكريا أنه مر بامرأة فدفعها فسقطت على وجهها فقيل
له لم فعلت هذا فقال ما ظننتها إلا جدارا وحكي عن بعضهم أنه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا
منهم فتقدمت إليه فأردت أن أكلمه فقال ذكر الله أشهى فقلت أنت وحدك فقال معي ربي وملكاي
فقلت من سبق من هؤلاء فقال من غفر الله له فقلت أين الطريق فأشار نحو السماء وقام ومشى وقال أكثر
خلقك شاغل عنك فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يتكلم إلا معه ولا يسمع إلا منه فهذا لا
يحتاج إلى مراقبة لسانه وجوارحه فإنها لا تتحرك إلا بما هو فيه ودخل الشبلي على أبي الحسين النوري
فوجده ساكنا حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شيء فقال له من أين أخذت المراقبة والسكون فقال من سنورة
كانت لنا إذا أرادت الصيد رابطت رأس الجحر لا يتحرك لها شعرة وقال أبو عبد الله بن خفيف خرجت من
مصر أريد الرملة للقاء أبي علي الروذباري فقال لي عيسى بن يونس المصري المعروف بالزاهد إن في صور شابا
وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت إليهما نظرة لعلك تستفيد منهما فدخلت صور وأنا جائع
وعطشان وفي وسطي خرقة وليس على كتفي شيء فدخلت المسجد فإذا أنا بشخصين قاعدين مستقبلي القبلة
فسلمت عليهما فما أجاباني فسلمت ثانية وثالثة فلم أسمع الجواب فقلت نشدتكما الله تعالى إلا رددتما
علي السلام فرفع الشاب رأسه من مرقعته فنظر إلي وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل وما بقي من القليل إلا
قليل فخذ من القليل الكثير يا ابن خفيف ما أقل شغلك حتى تتفرغ إلى لقائنا قال فأخذ كلي وطأطأ رأسه
في المكان فبقيت عندهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب جوعي وعطشي وعنائي فلما كان وقت العصر
قلت عظني فرفع رأسه وقال يا ابن خفيف نحن أصحاب المصائب ليس لنا لسان العظة فبقيت عندهما ثلاثة
أيام لا آكل ولا أشرب ولا أنام ولا رأيتهما أكلا ولا شربا ولا ناما فلما كان اليوم الثالث قلت في سري أحلفهما
أن يعظاني لعلي أنتفع بعظتهما فرفع الشاب رأسه وقال يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته و
تقع هيبته على قلبك ويعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا فهذه درجة المراقبين

الدرجة الثانية مراقبة الورعين من أصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهرهم وباطنهم على قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال
بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت إلى الأحوال والأعمال إلا أنها مع ممارسة
الأعمال لا تخلو عن المراقبة نعم غلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يحجمون إلا بعد التثبت فيه
ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيامة فإنهم يرون الله تعالى في الدنيا مطلعا عليهم فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة
وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فإنك في خلوتك قد تتعاطى عملا فيحضرك صبي أو امرأة فتعلم أنه مطلع عليك فتستحي منه فتحسن جلوسك
وتراعي أحوالك لا عن إجلال وتعظيم بل عن حياء فإن مشاهدته وإن كانت لا تدهشك ولا تستغرقك فإنها تهيج الحياء فيك
وقد يدخل عليك ملك من الملوك أو كبير من الأكابر فتستغرقك التعظيم حتى تترك كل ما أنت فيه شغلا به لا حياء منه فهذا تفاوت العباد في مراقبة الله تعالى
ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج إلى أن يراقب جميع حركاته وسكناته ولحظاته وخطراته وبالجملة جميع اختياراته وله في جميع أعماله نظران نظر قبل العمل ونظر في العمل
أما قبل العمل فلينظر أن ما ظهر له وتحرك بفعله خاطره أهو لله خاصة أو هو في هوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت
حتى ينكشف له ذلك بنور الحق فإن كان لله تعالى أمضاه وإن كان لغير الله استحيا من الله وانكف عنه ثم لام نفسه على رغبته فيه
وهمه به وميله إليه وعرفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها وأنها عدوة نفسها إن لم يتداركها الله بعصمته فهذا التوقف في بداية
الأمور إلى حد البيان واجب محتوم لا محيص عنه فإنه في الخبر أنه ينشر للعبد في كل حركة من حركاته وإن صغرت ثلاثة دواوين
الديوان الأول لم والثاني كيف والثالث لمن فمعنى لم أي لم فعلت هذا أكان عليك أن تعمل لمولاك أو ملت إلى حظ عاجل
فإن سلم منه بأن كان عليه أن يعمل ذلك لمولاه سئل عن الديوان الثاني فقال كيف فعلت هذا فإن لله في كل عمل شرطا وحكما لا يدرك
قدره ووقته وصفته إلا بالعلم فيقال كيف فعلته أبعلم أم بجهل فإذا أراد أن يسلم من الديوان الثالث وهو مطالبة الإخلاص فيقال له
لمن عملت

لتنال عاجل دنياك فقد وفينا نصيبك من الدنيا أم عملت لسهو وغفلة فقد سقط أجرك وحبط
عملك وخاب سعيك وإن عملت لغيري فقد استوجبت مقتي وعقابي إذ كنت عبدي تأكل رزقي
وتترفه بنعمتي ثم تعمل لغيري أما سمعتني أقول إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا
عند الله الرزق واعبدوه ويحك أما سمعتني أقول ألا لله الدين الخالص فإذا عرفت أن العبد بصدد
هذه المطالبة والتوبيخ طالب نفسه قبل أن يطالب وأعد للسؤال جوابا وليكن الجواب صوابا
فلا يبدي ولا يعيد إلا بعد التثبت ولا يحرك جفنا ولا أنملة إلا بعد التأمل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ إن
الرجل ليسأل عن كحل عينيه وعن فتات الطين بأصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه وقال الحسن كان أحدهم
إذا أراد أن يتصدق بصدقة نظر وتثبت فإن كانت لله أمضاها وقال الحسن رحم الله عبدا وقف
عند همه فإن كان لله مضى وإن كان لغيره تأخر وقال في حديث سعد حين أوصاه سلمان اتق الله عند
همك إذا هممت وقال محمد بن علي إن المؤمن وقاف متأن يقف عند همه ليس كحاطب ليل فهذا هو النظر
الأول في هذه المراقبة ولا يخلص من هذا إلا العلم المتين والمعرفة الحقيقية بأسرار الأعمال وأغوار النفس
ومكايد الشيطان فمن لم يعرف نفسه وربه وعدوه وهو الشيطان ولم يعرف ما يوافق هواه ولم
يميز بينه وبين ما يحبه الله تعالى ويرضاه في نيته وهمه وفكرته وسكونه وحركته فلا يسلم في هذه
المراقبة بل الأكثرون يرتكبون الجهل فيما يكرهه الله عز وجل وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فلا تظنن
أن الجاهل بما يقدر على التعلم فيه يعذر هيهات بل طلب العلم فريضة على كل مسلم ولهذا كانت
ركعتان من عالم أفضل من ألف ركعة من غير عالم لأنه يعلم آفات النفوس ومكايد الشيطان ومواضع الغرور
فيتقيه والجاهل لا يعرفه فكيف يحترز منه فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة فنعوذ بالله
من الجهل والغفلة فهو رأس كل شقاوة وأساس كل خسران فحكم الله على كل عبد أن يراقب نفسه عند همه
بالفعل وسعيه بالجارحة فيتوقف عن الهم وعن السعي حتى ينكشف له بنور العلم أنه لله تعالى فيمضيه أو هو
لهوى النفس فيتقيه ويزجر القلب عن الفكر فيه وعن الهم به فإن الخطرة الأولى في الباطل إذا لم
تدفع أورثت الرغبة والرغبة تورث الهم والهم يورث جزم القصد والقصد يورث الفعل والفعل

نحو [illegible] والمقت
العقاب [illegible] بمادة الشرس
فينبغي ان يحبس [illegible] فان كان جميع ما وراءه
شيحه الاول وهو الخاطر فان كان من الواقعة [illegible] بكشف
فيعمه وهو ما اشكل على العبد [illegible] الشيطان او بالهوى فان
له فتفكر فيه بنور العلم [illegible] ان الله عز وجل [illegible] العلماء الضالين
ويحترز من [illegible] فراره من الشيطان بل اشد فقد اوحى الله عز وجل الى داود عليه السلم لا تسأل عني
المقبلين على الدنيا فيقطعك عن [illegible] القلوب المظلمة بحب الدنيا
عالما اسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي [illegible]
والقلب عليها محجوبة عن نور الله تعالى [illegible] ان الله تعالى يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات
وعشق ضده وهو شهوات الدنيا وقد قال عليه السلم ان الله تعالى يحب [illegible] العقل الكامل عند حلول الشهوات
[illegible] العقل الضعيف [illegible] الاعلام [illegible] اهل العراق [illegible]
الامور وهو [illegible] فان الناس [illegible] الذي [illegible]
فانه قد [illegible] لا يرجع اليه ابدا [illegible] العلم الذي [illegible]
الاعمال قد اندرست [illegible] الدين وكان [illegible] عند الاشتباه
اتباع الشهوات [illegible] القلوب [illegible] الدين [illegible]
الا ومع اشتغال [illegible] زمان [illegible] محمد صلى الله عليه وسلم [illegible]
خيركم فيه [illegible] ابا وقاص [illegible] اذ قال [illegible] الظن
لما اشكل عليهم [illegible] النبي عليه السلم [illegible]
معي براءة [illegible] ولا تقف ما ليس لك به علم [illegible]
[illegible] بعض العوام [illegible]

وعظمه كان دعاء الصديق اللهم ارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه
ولا تجعله متشابها علينا فنتبع الهوى وقال عليه السلم الامور ثلثة امر استبان رشده فاتبعه وامر
استبان غيه فاجتنبه وامر اشكل عليك فكله الى عالمه وقد كان من دعاء النبي عليه السلم اللهم اني اعوذ بك من ان اقول
في الدين بغير علم فاعظم نعمة الله على عباده هو العلم وكشف الحق والايمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى
امتنانا على عبده وكان فضل الله عليك عظيما واراد به العلم وقال تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال
ان علينا للهدى وقال ثم ان علينا بيانه وقال وعلى الله قصد السبيل وقال علي عليه السلم الهوى شريك العمى ومن التوفيق الوقوف
عند الحيرة ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب الندم وفي الصدق السلامة رب بعيد اقرب من قريب
وغريب من لم يكن له حبيب الصديق من صدق غيبه ولا يعدمك من حبيب سوء الظن نعم الخلق التكرم والحياء
سبب الى كل جميل واوثق العرى التقوى واوثق سبب اخذت به سبب بينك وبين الله عز وجل انما لك من
دنياك ما اصلحت به مثواك والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم تأته اتاك فان كنت
جازعا على ما اصيب من يدك فلا تجزع على ما لم يصل اليك واستدل على ما لم يكن بما كان فانما الامور اشباه
وانما المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه وما نالك من دنياك فلا يكثرن به فرحا و
ما فاتك منها فلا تتبعه نفسك اسفا وليكن همك لما قدمت واسفك على ما خلفت وشغلك لآخرتك
فيما بعد الموت ونقتصر من نقل هذا كله قوله ومن التوفيق الوقوف عند الحيرة فاذن النظر الاول
للمراقب نظره في الهمة والحركة اهي لله تعالى او للهوى وقد قال عليه السلم ثلث من كن فيه فقد استكمل
ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله واذا عرض له امران احدهما للدنيا والاخر للاخرة اثر الاخرة
على الدنيا واقل ما يلزم المراقب في حركاته ان يكون مباحا ولكنه لا يعنيه فيتركه لقوله عليه السلم من حسن اسلام
المرء تركه ما لا يعنيه **النظر الثاني** للمراقبة عند الشروع في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق الله
فيه ويحسن النية في اتمامه ويكمل صورته ويتعاطاه على اكمل ما يمكنه وهذا ملازم له في جميع احواله فانه لا يخلو في
جميع احواله عن حركة وسكون فاذا راقب الله عز وجل في جميع ذلك قدر على عبادة الله فيها بالنية وحسن
الفعل ومراعاة الادب فان كان قاعدا فينبغي ان يقعد مستقبل القبلة لقوله عليه السلم خير المجالس
ما استقبل به القبلة ولا يجلس متربعا اذ لا يجالس الملوك كذلك وملك الملوك مطلع عليك قال ابرهيم بن ادهم جلست

[illegible] مترتعا [illegible]
فقال [illegible] مع [illegible] الادب [illegible]
اجلس بعيد [illegible] العبد [illegible] المراقبة [illegible]
فنام على [illegible] فاذا كان [illegible] الاخلاص والاكمال [illegible]
التي ذكرناها [illegible] بالتوبة والندم والاقلاع [illegible]
لا تخلو اما ان يكون في طاعة او معصية او مباح فمراقبته في الطاعة بالاخلاص [illegible] وفي المعصية بالتوبة والندم [illegible]
فيها عبادة [illegible] الاقسام الثلثة [illegible]
عن الافات [illegible] مراعاة الادب [illegible] المراقبة [illegible]
في المباح [illegible] الشكر عليها [illegible] عبادة [illegible]
عليها او [illegible] الحضرة [illegible] قال [illegible]
اوندب [illegible] افضل الاعمال [illegible]
مراعاتها بدوام المراقبة [illegible]
الفرائض وقدر على الفضائل [illegible]
ثم انها من الفضائل [illegible]
فان [illegible] ساعات [illegible] ساعة [illegible]
العبد [illegible]
ان [illegible] المراقبة [illegible] الموت [illegible]
فيطول عليه العزم على المراقبة [illegible]
اخوانا [illegible] لا يكون المؤمن ظاعنا الا في ثلث [illegible]
ابو ذر من قوله عليه السلم لا يكون [illegible] اربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه [illegible]
في معناه على العاقل ان يكون له [illegible] المطعم والمشرب [illegible] افضل الاعمال [illegible]
صنع الله [illegible] الطعام [illegible]
[illegible] الذكر والفكر [illegible]

من العجائب ما لو تفكر فيه وفطن له لكان ذلك افضل من كثير من اعمال الجوارح والناس فيه اقسام قسم
ينظرون بعين التبصرة والاعتبار فينظرون في عجائب صنعها وكيفية ارتباط قوام الحيوانات بها وكيفية
تقدير الله لاسبابها وخلق الشهوة الباعثة عليها وخلق الالات المسخرة للشهوة فيها كما فصلنا
بعضه في كتاب الشكر وهذا مقام ذوي الالباب وقسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهة
ويلاحظون وجه الاضطرار اليها ويودون لو استغنوا عنها ولكن يرون انفسهم مقهورين فيها مسخرين
لشهواتها وهذا مقام الزاهدين وقسم يرون في الصنعة الصانع ويترقون منها الى صفات الخالق فيكون
مشاهدة ذلك سببا لتذكر ابواب من الفكر تنفتح عليهم بسببه وهو اعلى مقامات العارفين وعلامة
المحبين اذ المحب اذا رأى صنعة حبيبه وكتابته وتصنيفه نسي الصنعة واشتغل قلبه بالصانع وكل ما تردد
العبد فيه صنع الله تعالى فله في النظر منها الى الصانع مجال رحب ان فتحت له ابواب الملكوت وذلك عزيز جدا
وقسم رابع ينظرون فيها بعين الرغبة والحرص فيتأسفون على ما فاتهم منها ويفرحون بما حضرهم من جملتها
ويذمون منها ما لا يوافق هواهم ويعيبونها ويذمون فاعلها فيذمون الطبيخ والطباخ ولا يعلمون
ان الفاعل للطبيخ والطباخ ولقدرته وعلمه هو الله تعالى وان من ذم شيئا من خلق الله بغير اذن الله فقد ذم
الله ولذلك قال عليه السلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر فهذه هي المرابطة الثانية بمراقبة الاعمال
على الدوام والاتصال وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج لمن احكم **المرابطة الثالثة**
محاسبة النفس بعد العمل ولنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها **اما الفضيلة** فقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهذه اشارة الى المحاسبة على ما مضى من الاعمال ولذلك قال عمر حاسبوا
انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وفي الخبر انه عليه السلم جاءه رجل فقال يا رسول الله اوصني فقال
استوص انت قال نعم قال اذا هممت بامر فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته
عنه وفي الخبر ينبغي ان يكون للعاقل اربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وقال الله عز وجل وتوبوا الى الله
جميعا ايها المؤمنون والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقال عليه السلم اني لاستغفر الله عز وجل
واتوب اليه في اليوم مائة مرة وقال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم

يعرفون [illegible]

[illegible] كان [illegible] قال لا [illegible] [illegible] والتريخ [illegible]

[illegible] اليوم [illegible] ان [illegible] قال [illegible] [illegible] [illegible]

فاذا [illegible] اليوم [illegible] وقال الحسن [illegible] [illegible] فقال [illegible] قبل العمل [illegible]

[illegible] بعد العمل [illegible] فقال [illegible] [illegible] الا [illegible] [illegible]

بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل اعلم ان العبد كما يكون له وقت في اول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوصية بالحق فينبغي ان يكون له في آخر النهار ساعة يطالب النفس فيها ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء [illegible] فانهم لكانت الخيرة لهم في فواته ولو حصل ذلك لهم فلا يبقى الا اياما قلايل [illegible] الامر الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله منه [illegible] النقصان فان كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وان كان من خسران طالبه بضمانه [illegible] مال العبد [illegible] الفرايض وربحه النوافل والفضايل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار [illegible] على الفرايض اولا فان اداها على وجهها شكر الله عز وجل عليه ورغبها في مثلها وان فوتها [illegible] ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعتابها وتعذيبها ومعاقبتها [illegible] كما يصنع التاجر بشريكه وكما انه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان [illegible] في شيء منها فينبغي ان يتقي غبينة النفس ومكرها فانها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها [illegible] تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وافكاره وقيامه وقعوده واكله وشربه ونومه حتى عن سكوته [illegible] فاذا عرف مجموع الواجب على النفس [illegible] كان ذلك القدر محسوبا له [illegible] الباقي على النفس فليثبته عليها وليكتبه على

على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي هو على شريكه على قلبه وعلى جريدته ثم النفس غريم يمكن ان يستوفي منه الديون اما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينه وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شي من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء وينبغي ان يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة وكان بالرقة وكان محاسبا لنفسه فحسب يوما فاذا هو ابن ستين سنة وحسب ايامها فاذا هي احد وعشرون الف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال يا ويلتي القى الملك باحد وعشرين الف ذنب كيف وفي كل يوم الف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت فسمعوا قايلا يقول يا لك ركضة الى الفردوس الاعلى فهكذا ينبغي ان يحاسب على الانفاس وعن معصيته بالقلب والجوارح في كل ساعة ولو رمى العبد بكل معصية حجرا في داره لامتلات داره في مدة قريبة من عمره ولكنه يتساهل في حفظها والملكان يحفظان عليه ذلك احصاه الله ونسوه **المرابطة الرابعة** معاقبة النفس على تقصيرها مهما حاسب نفسه فلم تسلم عن مقارفة معصية وارتكاب تقصير في حق الله فلا ينبغي ان يهملها فانه ان اهملها سهل عليه مقارفة المعاصي وانست بها وعسر عليه فطامها وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي ان يعاقبها فاذا اكل لقمة شبهة بشهوة نفس ينبغي ان يعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى غير محرم ينبغي ان يعاقب العين بمنع النظر وكذلك يعاقب كل طرف من اطراف بدنه بمنعه عن شهواته هكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة وقد روي عن منصور بن ابراهيم ان رجلا من العباد كلم امراة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها فوضع يده في النار حتى نشت وروي انه كان في بني اسرائيل رجل يتعبد في صومعته فمكث كذلك زمانا طويلا فاشرف ذات يوم فاذا هو بامراة فافتتن بها وهم بها فاخرج رجله لينزل اليها فادركه الله عز وجل بسابقة فقال ما هذا الذي اريد ان اصنع فرجعت اليه نفسه وعصمه الله فلما اراد ان يعيد رجله الى الصومعة قال هيهات هيهات رجل خرجت تريد ان تعصي الله تعود معي في صومعتي لا يكون ذلك والله ابدا فتركها معلقة من الصومعة تصيبها الامطار والرياح والثلج والشمس حتى تقطعت وسقطت فشكر الله تعالى له ذلك وانزل في بعض الكتب ذكره ويحكى عن الجنيد انه قال سمعت ابن الكريني يقول اصابتني جنابة ليلة فاحتجت الى ان اغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تاخرا وتقصيرا فحدثتني نفسي بان لو تركت حتى تصبح وتسخن الماء او تدخل الحمام ولا تعني

على نفسي [illegible]

فقلت [illegible] [illegible] عز وجل [illegible] [illegible]

[illegible] لله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] وقال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] قال [illegible] [illegible] [illegible]

اللهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ادعيا يا فلان [illegible] [illegible] [illegible]

اللهم اجعل الجنة [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ومن اعظم عداوة [illegible] **المرابطة الخامسة** المجاهدة [illegible]

ولو غفلت [illegible] عيش الآخرة [illegible] بالمعاقبة [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible]

فقد عاقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه نفسه حين فاتته صلوة العصر في جماعة بان تصدق بارض قيمتها مايتا الف درهم وكان ابن عمر اذا فاتته صلوة في جماعة احيا تلك الليلة واخر ليلة صلوة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين وفاتت ابن ابي ربيعة ركعتا الفجر فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة او الحج ماشيا او التصدق بجميع ماله كل ذلك مرابطة للنفس ومواخذة لها بما فيه نجاتها فان قلت ان كانت نفسي لا تطاوعني على الاجتهاد والمرابطة على الاوراد فما سبيل معالجتها فاقول علاجها ان تسمعها ما ورد في الاخبار من فضل المجتهدين ومن انفع اسباب العلاج ان تطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهد في العبادة فيلاحظ احواله ويقتدي به فكان بعضهم يقول اذا اعترتني فترة في العبادة نظرت الى محمد بن واسع والى اجتهاده فعملت على ذلك اسبوعا الا ان هذا علاج قد تعذر اذ فقد في عبادة الله من يجتهد في عبادة الله اجتهاد الاولين فينبغي ان يعدل من المشاهدة الى السماع فلا شي انفع من سماع احوالهم ومطالعة اخبارهم وما كانوا فيه من الجهد وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم ابد الآباد لا ينقطع فما اعظم ملكهم وما اشد حسرة من لا يقتدي بهم فيتمتع نفسه اياما قلايل بشهوات مكدرة ثم ياتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما اشتهاه ابد الآباد نعوذ بالله منه ولنذكر من اوصاف المجتهدين وفضايلهم ما يحرك رغبة المريدين في الاجتهاد اقتداء بهم فقد قال عليه السلام رحم الله اقواما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى قال الحسن جهدتهم العبادة قال الله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال الحسن يعملون ما عملوا من اعمال البر ويخافون ان لا ينجيهم ذلك من عذاب الله وقال النبي عليه السلام طوبى لمن طال عمره وحسن عمله ويروى ان الله عز وجل يقول لملايكته ما بال عبادي مجتهدين فيقولون الهنا خوفتهم شيا فخافوه وشوقتهم الى شي فاشتاقوا اليه فيقول الله تعالى فكيف لو راوا عبادي لكانوا اشد اجتهادا وقال الحسن ادركت اقواما وصحبت طوايف ما كانوا يفرحون بشي من الدنيا اقبل ولا ياسفون على شي منها ادبر ولهي كانت اهون في اعينهم من هذا التراب الذي تطونه بارجلكم ان كان احدهم ليعيش عمره كله ما طوي له ثوب ولا امر اهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الارض شيا قط وادركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم اذا جنهم الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم

على ما حول
عدوهم ... رقابهم ان اعلموا ... وسالوا
ربهم في ذلك في رقابهم وادوا نوا في ... اخوتهم ... ان يسلموا من الذنوب ولا ... وادا فيهم
الحسنه وزاجوا بها ودوا ... واذا علموا ... عمر بن عبد العزيز يعود ... الخبر ... سقام وصنعه ... ذلك
انه ان يتقبل واذا علموا السره ما ... على عمر بن عبد العزيز يعود ... فقال يا امير المؤمنين ... خرة وصغر عندي ... فقال
ان يغفر لهم ما الذي كل ... وبكل ان ... باقي ما الذي بلغ بك ما ارى فقال ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة ... النار فاظما ... الى البيت
تجوا الحوا بالعبرة وبكل ان ... فقال له عمر يا فتى ما الذي بلغ بك ... عرش ربنا والناس يساقون الى الجنة والنار ... نهاري ... الى
شاب ناحل الجسم فقال يا امير المؤمنين ... الى عرش ربنا ... التيب ... فقال ... الاجل ... على عمر
فقال سالتك بالله الا صدقتني فقال ... وحجتها وكانا انظر الى ... كان ... فقال ... حل ... اعتبار ... له
ملاوتها واستوى عندي ذهبها وحجرها وقال ابو نعيم ... عند العبد ... نظر بغير اعتبار
وقيل كل ما انا فيه في جنب ثواب الله وعقابه فقال ان في الكلام ... عظمة الله فكل ... علينه فانى ... ابو ...
انت قراءة حسين آية وقيل رجل عليه يوما فقال ... فضول الكلام ... اقوام
ما نظرت الى السقف وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام الى العبد ... قالت قرأته ... ودعا له
فالتفت عينيه والعبرة تسيل لرد ذلك فقال ... من طول الصلاة والسجود ... الخرج ... جسده
وقالت امرأة مسروق ما كان يوجد مسروق الا وساقاه منتفختان ... واحد الطاقة بالهواجر والعبادة ... ويعطى
وقال ابو الدرداء لولا ثلث ما احببت العيش يوما ... وكان الاسود بن يزيد يجتهد في العبادة ... وكان يصوم ... اربع
ينتقون اطايب الكلام كما ينتقى اطايب الثمر وكان الاسود ... هذا فقال انما انا عبد ... حتى
يصفر لونه وكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب نفسك فيقول ... كرامتها اريد ... فقال ... وكان
يسقط فدخل عليه انس بن مالك والحسن فقالا ان الله لم يامرك بكل هذا ... على ... فقال انما انا عبد ... لا
من الاستكانة لعلي ... وكان بعض المتهجدين يصلي كل يوم الف ركعة حتى اقعد من رجليه ...
الاخرة ... فاذا صلى العصر احتبى ثم قال عجبت للخليقة كيف ارادت بك سواك ... وكان ثابت
رايت ركعة ... عجبت للخليقة كيف آنست ... بذكرك ... ارتبا ... ربه

الله الصلوة وكان يقول اللهم ان كنت اذنت لاحد ان يصلي لك في قبره فاذن لي ان اصلي في قبري وقال الجنيد
ما رايت اعبد من السري اتت عليه ثماني وتسعون سنة ما رئي مضطجعا الا في علته وقال الحرث بن سعد مر قوم
براهب فرأوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده وكلموه في ذلك فقال وما هذا عند ما يراد بالخلق من ملاقاة
الاهوال وهم غافلون قد اعتكفوا على حظوظ انفسهم ونسوا الحظ الاكبر من ربهم فبكى القوم عن آخرهم وعن ابي
محمد المغازلي قال جاور ابو محمد الجريري بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند الى عمود ولا الى حائط ولم يمد رجليه فعبر
عليه ابو بكر الكتاني فسلم عليه وقال له يا ابا محمد بم قدرت على اعتكافك هذا فقال علم صدق باطني فاعانني
على ظاهري فاطرق الكتاني ومشى مفكرا وعن بعضهم قال دخلت على فتح الموصلي فرايته وقد مد كفيه يبكي
حتى رايت الدموع تنحدر من بين اصابعه فدنوت منه فاذا دموعه قد خالطها صفرة فقلت بالله يا فتح
بكيت الدم فقال لولا انك حلفتني بالله ما اخبرتك نعم بكيت دما فقلت له على ماذا بكيت الدموع فقال
على تخلفي عن واجب حق الله تعالى وبكيت الدم على الدموع لئلا تكون ما صحت لي الدموع فقال فرايته
بعد موته في المنام فقلت له ما صنع الله بك قال غفر لي فقلت فما صنع في دموعك قال قربني ربي عز وجل
وقال لي يا فتح الدموع على ماذا فقلت يا رب على تخلفي عن واجب حقك فقال والدم على ماذا
فقلت على دموعي ان لا تصح لي فقال يا فتح ما اردت بهذا كله وعزتي لقد صعد حافظاك اربعين
سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة وقيل ان قوما ارادوا سفرا فحادوا عن الطريق فانتهوا الى راهب
منفرد عن الناس فنادوه فاشرف عليهم من صومعته فقالوا يا راهب انا قد اخطأنا الطريق فكيف
هو فاوما براسه الى السماء فعلم القوم ما اراد فقالوا يا راهب انا سائلوك فهل انت مجيبنا
فقال سلوا ولا تكثروا فان النهار لن يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث فعجب القوم من كلامه
فقالوا يا راهب على م يحشر الخلق غدا عند مليكهم فقال على نياتهم فقالوا اوصنا فقال تزودوا
على قدر سفركم فان خير الزاد ما بلغ البغية ثم ارشدهم الى الطريق وادخل راسه في صومعته
وقال عبد الواحد بن زيد مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته يا راهب فلم يجبني
فناديته الثانية فلم يجب فناديته الثالثة فاشرف علي وقال يا هذا ما انا براهب انما

الراهب من رهب الله في سمائه وعظمه في كبريائه وصبر على بلائه ورضي بقضائه وحمده على آلائه وشكره على نعمائه
وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته وفكر في حسابه وعقابه فنهاره صائم وليله قائم
قد اسهره ذكر النار ومسألة الجبار فذاك هو الراهب فاما انا فكلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة
عن الناس لئلا اعقرهم فقلت يا راهب فما الذي قطع الخلق عن الله بعد ان عرفوه فقال يا اخي انما قطع
الخلق عن الله حب الدنيا وزينتها لانها محل المعاصي والذنوب والعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب
الى الله من ذنبه واقبل على ما يقربه من ربه وقيل لداود الطائي لو سرحت لحيتك فقال اني اذا لفارغ وكان
اويس القرني يقول هذه ليلة الركوع فيحيي الليلة كلها في ركعة وهذه ليلة السجود فيحيي الليل كله في سجدة
وروي عن رجل من اصحاب علي بن ابي طالب عليه السلام انه قال صليت خلف علي عليه السلام الفجر فلما سلم
انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يده فقال والله لقد رايت اصحاب محمد
صلى الله عليه وآله وما ارى اليوم شيئا يشبههم كانوا يصبحون شعثا غبرا صفرا قد باتوا لله سجدا وقياما
يتلون كتاب الله عز وجل يراوحون بين اقدامهم وجباههم فكانوا اذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر
في يوم الريح وهملت اعينهم حتى تبل ثيابهم وكان القوم باتوا غافلين يعني من كان حوله وكان ابو مسلم
الخولاني علق سوطا في مسجد بيته يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه قومي فوالله لازحفن بك زحفا حتى
يكون الكلل منك لا مني فاذا دخلت الفترة تناول سوطه وضرب ساقه ويقول انت اولى بالضرب
من دابتي وقال علي بن ابي طالب عليه السلام سيماء الصالحين صفرة الالوان من السهر وعمش العيون من
البكاء وذبول الشفاه من الصوم عليهم غبرة الخاشعين وقيل للحسن ما بال المتهجدين من احسن الناس
وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره وقال بعض الحكماء ان لله عز وجل عبادا
انعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فاطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والامر اليه فصارت قلوبهم معادن
لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة فهم من الخلائق مقبلون ومدبرون وقلوبهم
تجول في الملكوت وتلوذ بحجب الغيوب ثم ترجع ومعها طرائف من لطائف الفوائد ما لا يمكن واصف ان
يصفه فهم في باطن امورهم كالديباج حسنا وهم في الظاهر مناديل مبتذلة لمن ارادهم تواضعا وهذه
طريقة لا يبلغ اليها بالتكلف وانما هو فضل الله يؤتيه من يشاء وقال بعض الصالحين بينا انا اسير

في بعض جبال بيت المقدس اذ هبطت الى واد هناك فاذا انا بصوت قد علا واذا لتلك الجبال تجاوبها
دوي فقال فاتبعت الصوت فاذا انا بروضة عليها شجر ملتف واذا انا برجل قائم يردد هذه الآية
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الى قوله ويحذركم الله نفسه قال فجلست خلفه اسمع كلامه وهو يردد
هذه الآية اذ صاح صيحة خر بها مغشيا عليه فقلت واسفاه هذا لشقائي ثم انتظرت افاقته فافاق
بعد ساعة فسمعته وهو يقول اعوذ بك من مقام الكذابين اعوذ بك من اعمال البطالين اعوذ بك من اعراض الغافلين
ثم قال لك خشعت قلوب الخائفين واليك فزعت آمال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم
نفض يديه فقال ما لي وللدنيا وما للدنيا ولي عليك يا دنيا بابناء جنسك والاف نعيمك الى محبيك
فاذهبي واياهم فاخدعي ثم قال اين القرون الماضية واهل الدهور انهم في التراب يبلون وعلى
مر الزمان يفنون فناديته يا عبد الله انا منذ اليوم خلفك انتظر فراغك فقال وكيف يفرغ من يبادر
الاوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت الى نفسه ام كيف يفرغ من ذهبت ايامه وبقيت آثامه ثم
قال انت لها ولكل شدة اتوقع نزولها ثم لهى عني ساعة وقرأ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
ثم صاح صيحة اخرى اشد من الاولى وخر مغشيا عليه فقلت قد خرجت نفسه فدنوت منه فاذا هو يضطرب
ثم افاق وهو يقول ما انا ما خطري هب لي اساءتي بفضلك وجللني بسترك واعف عني ذنوبي بكرم وجهك
اذا وقفت بين يديك فقلت له بالذي ترجوه لنفسك وتثق به الا كلمتني فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه
ودع كلام من اوبقته ذنوبه اني لفي هذا الموضع منذ ما شاء الله اجاهد ابليس ويجاهدني فلم يجد عونا
علي ليخرجني مما انا فيه غيرك فاليك عني يا مخدوع فقد عطلت علي لساني وملت الى حديثك شعبة من قلبي
فانا اعوذ بك من شرك ثم ارجو ان يعيذني من سخطه ويتفضل علي برحمته قال فقلت هذا ولي الله اخاف
ان اشغله فاعاقب في موضعي هذا فانصرفت وتركته فهذا كانت سيرة السلف الصالحين من مراعاة
النفس ومراقبتها فمهما تمردت نفسك عليك وامتنعت من المواظبة على العبادة فطالع احوال هؤلاء
فانه قد عز الآن وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم فهو انجع في القلب وابعث على

الاقتدا
عليك بالخبر كالمعالج عن … وقد
واذا عجزت عن هذا … العقلا … ولا
سماع احوال المجتهدين … الفضلا … قال
تنسك بين الاقتدا بهم ودين الاقتدا … ومطالعة احوال المجتهدين … الغيرة
وزوه والبصاير في الدين … والعقل …
ترضى لها ان تنخرط في سلك الحمقى … رجال اقويا … امراة … فقد عارت النجوم … العيون … الليل …
فقد تشبه بهن … ان تكون اقل من امراة … فاذا كان السحر … زوره
ان تنقص بالنفس … فاذا كان السحر …
على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قامت الى المحراب … فاذا كان السحر نادت بصوت محزون
اليك قطع العابدون دجى الليالي يستبقون الى رحمتك وفضل مغفرتك فبك يا الهي اسالك لا بغيرك ان تجعلني في اول زمرة السابقين
وان ترفعني لديك في عليين في درجة المقربين وان تلحقني بعبادك الصالحين فانت اكرم الكرما وارحم الرحما واعظم العظما يا كريم
ثم تخر ساجدة فيسمع لها وجبة ثم لا تزال تدعو وتبكي الى الفجر وقال يحيى بن بسطام كنت اشهد مجلس
شعوانة فكنت ارى ما تصنع من النياحة والبكا فقلت لصاحب لي لو اتيناها اذا خلت فامرناها بالرفق بنفسها
فاتيناها فقلت لها لو رفقت بنفسك واقصرت عن هذا البكا فكان لك اقوى على ما تريدين
قال فبكت ثم قالت والله لوددت اني ابكي حتى تنفد دموعي ثم ابكي دما حتى لا تبقى قطرة من دم في جارحة من جوارحي
واني لي بالبكا فلم تزل تبكي حتى غشي عليها وقال محمد بن معاذ حدثتني امراة من المتعبدات قالت رايت
في منامي كاني ادخلت الجنة فاذا اهل الجنة قيام على ابوابها فقلت ما شان اهل الجنة قيام فقال لي قائل خرجوا ينظرون الى هذه
المراة التي زخرفت الجنان لقدومها فقلت ومن هذه
المراة
قال

قال امة سودا من اهل الابلة يقال لها شعوانة فقلت اختي والله فبينا انا كذلك اذ اقبلت بها علي
نجيبة تطير بها في الهوا فلما رايتها ناديتها يا اختي اما ترين مكاني من مكانك فلو دعوت مولاك
فالحقني بك قالت فتبسمت الي وقالت لم يان لقدومك ولكن احفظ عني اثنين الزم قلبك الحزن
وقدم محبة الله على هواك ولا يضرك متى مت وقال عبد الله بن الحسن كانت لي جارية رومية وكنت
بها معجبا وكانت في بعض الليالي الى جنبي فانتبهت فلمستها فلم اجدها فقمت اطلبها فاذا هي ساجدة
وهي تقول بحبك لي الا غفرت لي ذنوبي فقلت لها لا تقولي بحبك لي ولكن قولي بحبي لك فقالت يا مولاي بحبه
لي اخرجني من الشرك الى الاسلام وبحبه لي ايقظ عيني وكثير من خلقه نيام وقال ابو هاشم القرشي قدمت علينا
امراة من اهل اليمن يقال لها سرية فنزلت في بعض ديارنا قال فكنت اسمع لها من الليل انينا ونشيجا فقلت
يوما لخادمي اشرف على هذه المراة فانظر ماذا تصنع فاشرف عليها فما راها تصنع شيا غير انها لا ترد
طرفها عن السما وهي مستقبلة القبلة تقول خلقت سرية ثم غذيتها بنعمتك من حال الى حال وكل احوالك لها
حسنة وكل بلائك عندها جميل وهي مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيها فلعله بعد فلعله
اتراها تظن انك لا ترى سو فعالها وانت عليم خبير وانت على كل شي قدير وقال ذو النون المصري
خرجت ليلة من وادي كنعان فلما علوت الوادي اذا سواد مقبل علي وهو يقول وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون ويبكي فلما قرب مني السواد اذا هو امراة عليها جبة صوف وبيدها ركوة فقالت لي من انت
غير فازع مني فقلت رجل غريب فقالت يا هذا وهل يوجد مع الله غربة قال فبكيت لقولها فقالت
ما الذي ابكاك فقلت وقع الدوا على دا قد قرح فاسرع في نجاحه قالت فان كنت صادقا
فلم بكيت قلت يرحمك الله والصادق لا يبكي قالت لا قلت ولم ذاك قالت لان البكا راحة
للقلب فسكت متعجبا من قولها وقال احمد بن علي استاذنا على عفيرة فحجبتنا فقعدنا الباب فلما علمت
ذلك قامت لتفتح لنا الباب فسمعتها وهي تقول اللهم اني اعوذ بك ممن جا يشغلني عن ذكرك ثم فتحت
الباب ودخلنا عليها فقلنا يا امة الله ادعي لنا فقالت جعل الله قراكم في بيتي المغفرة ثم قالت لنا كذلك

عطا السليمي رحمه الله فانه … ان
السليمي … فانه … نظر الى السما … بعض
لا تنظر الى السما … فاصابه فتق في بطنه … الترك … بعض
نظرة فوقعت عليه … ورفعت راسها … الموضع … تعجب
بطنه فقالت … وقال بعض الصالحين خرجت الى السوق ومعي جارية حبشية فاحتبستها في موضع بناحية السوق
وذهبت في بعض حوائجي وقلت لا تبرحي حتى انصرف اليك قال فانصرفت فلم اجدها في الموضع فانصرفت الى منزلي
وانا شديد الغضب عليها فلما راتني عرفت الغضب في وجهي فقالت يا مولاي لا تعجل علي انك اجلستني في موضع
لم ار فيه ذاكرا لله تعالى فخفت ان يخسف بذلك الموضع فعجبت لقولها وقلت لها انت حرة فقالت سا ما عملت
كنت اخدمك فيكون لي اجران واما الآن فقد ذهب عني احدهما وقال ابن العلا السعدي كان لي ابن عم …
على المراة … ما صنعت بكثرة البكا … فقالت … قالت …
قرة فقالت … وتعبدت وكانت تكثر البكا … فذهبت … قال فقال … واذا
ثم قال لها … انطلقوا بنا الى هذه المراة … هذا البكا … فانظر … لها
فقال زوجها … حتى يدعى … قالت … فتبكي … الذي … فقامت الى محرابها
يا رض … منها في الدنيا وان كان لها عند الله خير فيبكيها … لا يبطل عندك
فيه وكانت معاذة العدوية اذا جا النهار تقول هذا يومي الذي اموت فيه فما تطعم حتى تمسي
وكانت … فتصلي حتى تصبح وقال ابو سليمان الداراني بت ليلة عند رابعة فقامت الى محرابها
فلم تزل قائمة الى السحر … قلت ما جزا من قوانا على قيام هذه الليلة قالت جزاوه ان نصوم له غدا
التي اموت فيها … وكانت شعوانة تقول في دعائها الهي ما اشوقني الى لقائك واعظم رجائي لجزائك
وانت الكريم الذي لا يخيب لديك امل الآملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين الهي ان كان دنا اجلي
ولم يقربني منك عملي فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل علاتي فان عفوت فمن اولى منك بذلك وان عذبت
فمن اعدل منك هنالك الهي قد جرت على نفسي في النظر لها وبقي لها حسن نظرك فالويل لها ان لم تسعدها
الهي انك لم تزل بي برا ايام حياتي فلا تقطع عني برك بعد مماتي ولقد رجوت ممن تولاني في حياتي
باحسانه ان يسعفني عند مماتي بغفرانه الهي كيف آيس من حسن نظرك بعد مماتي ولم تولني الا الجميل في حياتي
الهي ان كانت ذنوبي قد اخافتني فان محبتي لك قد اجارتني
فتول

فتول من امري ما انت اهله وعد بفضلك على من غره جهله الهي لو اردت اهانتي لما هديتني ولو اردت
فضيحتي لما سترتني فمتعني بما له هديتني وادم لي ما به سترتني الهي ما اظنك تردني في حاجة افنيت فيها
عمري الهي لولا ما قارفت من الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك وقال
الخواص دخلنا على رحلة العابدة وكانت صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت وصلت حتى اقعدت
فكانت تصلي قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرنا لها شيا من العفو ليهون عليها الامر قال فشهقت ثم قالت
علمي بنفسي قرح فوادي وكلم كبدي والله لوددت ان الله لم يخلقني ولم اك شيا مذكورا ثم اقبلت على صلاتها
فعليك ان كنت من المرابطين المراقبين لنفسك ان تطالع احوال الرجال والنسا من المجتهدين لينبعث نشاطك
ويزيد حرصك واياك ان تنظر الى اهل عصرك فانك ان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله و
حكايات المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرناه كفاية للمعتبر وان اردت مزيدا فعليك بالمواظبة على مطالعة
كتاب حلية الاوليا فهو مشتمل على شرح احوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبالوقوف عليه يتبين لك
بعدك وبعد اهل عصرك من اهل الدين فان حدثتك نفسك بالنظر الى اهل زمانك وقالت انما يتيسر
الخير في ذلك الزمان لكثرة الاعوان والآن فان خالفت اهل زمانك راوك مجنونا وسخروا بك
فوافقهم فيما هم فيه فلا يجري عليك الا ما يجري عليهم والمصيبة اذا عمت طابت فاياك ان تنخدع
بخدعها وتنخدع بتزويرها وقل لها ارايت لو هجم سيل جارف يغرق اهل البلد وثبتوا
على مواضعهم ولم ياخذوا حذرهم لجهلهم بحقيقة الحال وقدرت على ان تفارقهم وتركبي سفينة تتخلصين بها من
الغرق فهل يختلج في نفسك ان المصيبة اذا عمت طابت ام تتركين موافقتهم وتستجهلينهم في صنيعهم وتاخذين
حذرك مما دهاك فاذا كنت تتركين موافقتهم خوفا من الغرق وعذاب الغرق لا يكون الا ساعة
فكيف لا تهربين من عذاب الابد وانت متعرضة له في كل حال ومن اين تطيب المصيبة اذا عمت و
لاهل النار شغل شاغل عن الالتفات الى العموم والخصوص ولم تهلك الكفار الا بموافقة اهل زمانهم حيث قالوا انا
وجدنا آبانا على امة وانا على آثارهم مقتدون فعليك اذا اشتغلت بمعاتبة نفسك ان تحملها على الاجتهاد
وان استعصت فلا تترك معاتبتها وتوبيخها وتقريعها وتعريفها سو نظرها لنفسها فعساها ان تنزجر عن
طغيانها

المرابطة السادسة

في توبيخ النفس ومعاتبتها
اعلم ان اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت امارة بالسوء ميالة الى الشر فرارة من الخير وامرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فان اهملتها جمحت وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي اقسم الله بها ورجوت ان تصير النفس المطمئنة المدعوة الى ان تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغل اولا بوعظ نفسك اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وسبيلك ان تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وغباوتها وانها ابدا تتعزز بفطنتها وهدايتها وتشتد انفتها واستنكافها اذا نسبت الى الحمق فتقول لها يا نفس ما اعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وانت اشد الناس غباوة وحمقا اما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وانك صائرة الى احداهما على القرب فما لك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وانت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين او غدا فاراك ترين الموت بعيدا ويراه الله قريبا اما تعلمين ان كل ما هو آت قريب وان البعيد ما ليس بآت اما تعلمين ان الموت ياتي بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطاة وانه لا ياتي في شيء دون شيء ولا في شتاء دون صيف ولا في صيف دون شتاء ولا في نهار دون ليل ولا في ليل دون نهار ولا ياتي في الصبا دون الشباب ولا في الشباب دون الصبا بل كل نفس من الانفاس يمكن ان يكون فيه الموت فجاة فان لم يكن الموت فجاة فيكون المرض فجاة ثم يفضي الى الموت فما لك لا تستعدين للموت وهو اقرب اليك من كل قريب اما تتدبرين قوله تعالى اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ويحك يا نفس ان كانت جراتك على معصية الله لاعتقادك ان الله لا يراك فما اعظم كفرك وان كان مع علمك باطلاعه عليك فما اشد وقاحتك واقل حياءك ويحك يا نفس لو واجهك عبد من عبيدك بل اخ من اخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومقتك له فباي جسارة تتعرضين لمقت الله تعالى وغضبه وشديد عقابه افتظنين انك تطيقين عذابه هيهات هيهات جربي نفسك ان الهاك البطر عن اليم عذابه فاحتبسي ساعة في الشمس او في بيت الحمام او قربي اصبعك من النار ليتبين لك قدر طاقتك ام تغترين بكرم الله وفضله واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فما لك لا تعولين على كرم الله تعالى

في مهمات دنياك فاذا قصدك عدو فلم تستنبطين الحيل في دفعه ولا تكلينه الى كرم الله عز وجل واذا
ارهقتك حاجة الى شهوة من شهوات الدنيا مما لا ينقضي الا بالدينار والدرهم فما لك تنزعين الروح
في طلبه وتحصيله من وجوه الحيل فلم لا تعولين على كرم الله عز وجل حتى يعثرك على كنز او يسلط
عبدا من عبيده ليحمل اليك حاجتك من غير سعيك وطلبك افتحسبين ان الله كريم في الاخرة لا في الدنيا
وقد عرفت ان سنة الله لا تبديل لها وان رب الدنيا والاخرة واحدة وان ليس للانسان الا ما سعى
ويحك ما اعجب نفاقك ودعاويك الباطلة فانك تدعين الايمان بلسانك واثر النفاق ظاهر
عليك الم يقل لك سيدك ومولاك وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال في امر الاخرة
وان ليس للانسان الا ما سعى فقد تكفل لك بامر الدنيا خاصة وصرفك عن السعي لها فكذبته بافعالك
واصبحت تتكالبين على طلبها تكالب المدهوش المستهتر ووكل امر الاخرة الى سعيك فاعرضت عنها
اعراض المغرور المستحقر ما هذا من علامات الايمان فلو كان الايمان باللسان فلما ذا كان المنافقون في
الدرك الاسفل من النار ويحك كانك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين انك اذا مت انفلت وتخلصت
وهيهات اتحسبين ان تتركي سدى الم تكوني نطفة من مني يمنى ثم كنت علقة فخلق فسوى اليس ذلك
بقادر على ان يحيي الموتى فان كان هذا اضمارك فما اكفرك واجهلك اما تتفكرين انه مماذا خلقك
من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ثم اماتك فاقبرك افتكذبينه في قوله ثم اذا شاء انشرك فان
لم تكوني مكذبة فما لك لا تاخذين حذرك ولو ان يهوديا اخبرك في الذ اطعمتك بانه يضرك في مرضك
لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه افكان قول الانبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله عز وجل
في كتبه المنزلة اقل عندك تاثيرا من قول يهودي يخبرك عن حدس وتخمين وظن مع نقصان عقل وقصور
علم ولو اخبرك طفل بان في ثوبك عقربا لرميت ثوبك في الحال من غير مطالبة برهان ودليل افكان قول الانبياء
والعلماء والحكماء وكافة الاولياء اقل عندك من قول صبي من جملة الاغبياء او صار حر جهنم وصديدها
واغلالها وانكالها وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها وافاعيها وعقاربها احقر عندك من

عقرب لا تحسين المها الا يوما او اقل منه ما هذه افعال العقلاء بل لو انكشفت للبهائم حالك لضحكت منك وسخرت من عقلك فان كنت يا نفس قد عرفت جميع ذلك وآمنت به فما لك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد ولعله يختطفك من غير مهلة فبماذا امنت استعجال الاجل وهبك انك وعدت بالامهال مائة سنة افتظنين ان من يطعم الدابة في حضيض العقبة يفلح ويقدر على قطع العقبة بها ان كنت تظنين ذلك فما اعظم جهلك ارايت لو سافر رجل ليتفقه في الغربة فاقام فيها سنين متعطلا بطالا يعد نفسه بالتفقه في السنة الاخيرة عند رجوعه الى وطنه هل كنت تضحكين من عقله وظنه ان تفقيه النفس مما يطمع فيه بمدة قريبة او حسبانه ان مناصب الفقهاء تنال من غير تفقه اعتمادا على كرم الله سبحانه ثم هبي ان الجهد في آخر العمر نافع وانه موصل الى الدرجات العلى فلعل اليوم آخر عمرك فلم لا تشتغلين فيه بذلك فان اوحى اليك بالامهال فما المانع من المبادرة وما الباعث لك على التسويف هل له سبب الا عجزك عن مخالفة شهواتك لما فيها من التعب والمشقة افتنتظرين يوما ياتيك لا تعسر فيه مخالفة الشهوات هذا يوم لم يخلقه الله قط ولا يخلقه فلا تكون الجنة قط الا محفوفة بالمكاره ولا تكون المكاره قط خفيفة على النفوس وهذا محال وجوده اما تتاملين مذ كم تعدين نفسك وتقولين غدا غدا فقد جاء الغد وصار يوما فكيف وجدتيه اما علمت ان الغد الذي جاء وصار يوما كان له حكم الامس بل ما تعجزين عنه اليوم فانت غدا عنه اعجز واعجز لان الشهوة كالشجرة الراسخة التي تعبد العبد بقلعها فاذا عجز العبد عن قلعها للضعف واخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي فاخرها الى سنة اخرى مع العلم بان طول المدة يزيد الشجرة قوة ورسوخا ويزيد القالع ضعفا ووهنا فما لا يقدر عليه في الشباب لا يقدر عليه قط في المشيب بل من العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب والقضيب الرطب يقبل الانحناء فاذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك فاذا كنت ايتها النفس لا تفهمين هذه الامور الجلية وتركنين الى التسويف فما بالك تدعين الحكمة واية حماقة تزيد على هذه الحماقة ولعلك تقولين ما يمنعني عن الاستقامة الا حرصي على لذة الشهوات وقلة صبري على الآلام والمشقات فما اشد غباوتك واقبح اعتذارك ان كنت صادقة في ذلك فاطلبي التنعم بالشهوات الصافية عن الكدورات ابد الآباد ولا مطمع في ذلك الا في الجنة فان كنت ناظرة لشهوتك فالنظر لها في مخالفتها فرب اكلة تمنع اكلات وما قولك في عقل مريض اشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة ايام ليصح ويتهنا بشربه طول عمره واخبره ان شربه مرض مزمن وانه يمتنع عليه

فما مقتضى العقل في قضاء حق الشهوة ان يصبر ثلاثة ايام لينعم طول العمر ام يقضي شهوته في الحال خوفا من الم المخالفة
ثلاثة ايام حتى يلزمه الم المخالفة ثلاثمائة يوم وثلاثة آلاف يوم وجميع عمرك بالاضافة الى الابد الذي هو مدة نعيم الجنة وعذاب
النار اقل من ثلاثة ايام بالاضافة الى جميع العمر وان طالت مدته وليت شعري الم الصبر عن الشهوات اعظم شدة
واطول مدة ام الم النار في دركات جهنم فمن لا يطيق الصبر على الم المجاهدة كيف يطيق الم عذاب الله ما اراك
تتوانين عن النظر لنفسك الا لكفر خفي او لحمق جلي اما الكفر الخفي فهو ضعف ايمانك بيوم الحساب وعظم قدر الثواب
والعقاب واما الحمق الجلي فاعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه من غير التفات الى مكره واستدراجه و
استغنائه عن عبادتك مع انك لا تعتمدين على كرمه في لقمة من الخبز وحبة من المال وكلمة واحدة تسمعينها من
الخلق بل تتوصلين الى غرضك بها بجميع الحيل وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة من النبي عليه السلام حيث قال الكيس من
دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني ويحك يا نفس لا ينبغي ان تغرك
الحيوة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور فانظري لنفسك فما امرك ولا تضيعي اوقاتك فان الانفاس معدودة و
اذا مضى نفس منك فقد مضى بعضك فاغتنمي الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر والشباب
قبل الهرم والحيوة قبل الموت واستعدي للاخرة على قدر بقائك فيها اما تستعدين للشتاء بقدر طول مدته
فتجمعين له القوت والكسوة والحطب واللبد والجبة ولا تتكلين على فضل الله وكرمه حتى يدفع البرد عنك
من غير جبة ولبد وحطب فانه قادر على ذلك افتظنين ان زمهرير جهنم اخف بردا واقصر مدة من زمهرير
الشتاء ام تظنين ان العبد ينجو منها بغير سعي هيهات كما لا يندفع برد الشتاء الا بالجبة والنار وسائر
الاسباب فلا يندفع حر النار وبردها الا بحصن التوحيد والطاعات وانما كرم الله عز وجل في ان عرفك طريق
التحصن ويسر لك اسبابه لا في ان يدفع عنك العذاب دون حصنه كما ان كرم الله تعالى في دفع برد الشتاء
عن نفسك وكما ان شرى الحطب والجبة ما يستغني عنه خالقك ومولاك وانما تشتريه لنفسك اذ جعله
سببا لاستراحتك وطاعتك ومجاهدتك ايضا هو مستغن عنها وانما هي طريقك الى نجاتك فمن احسن
فلنفسه ومن اساء فعليها والله غني عن العالمين ويحك انزعي عن جهلك وقيسي آخرتك بدنياك فما

بعيشكم ولا [illegible] الا كمن انتدل [illegible] واحدة ان [illegible] عاجل عنك [illegible]
وكاديكم تعودون [illegible] ولا تحويلا وما [illegible] عليك [illegible] عاجل عنك وعن كلبه
تجد لها تبديلا ولا تحويلا وما نعرت عليك فاحسبي انك [illegible] الدنيا [illegible]
[illegible] الدنيا وانت [illegible] الحيوة [illegible] الاخرة [illegible] الدنيا [illegible]
[illegible]
فانك سارقة وعشت مابقيت فانك [illegible] الحضرة عنه [illegible] الواحد [illegible]
مرورانه فانما ليسكن من الحسرت [illegible] اعظم [illegible] البصيرة [illegible]
ارضهم ودبارهم [illegible] فيل في الدنيا [illegible] التنقل [illegible] الارض [illegible]
قبرك وتحت الارض [illegible] على جاقتهم [illegible] الدنيا [illegible] ان كل [illegible]
اما تستحيي من [illegible] والحاجات والعلات [illegible] الناس [illegible] الارض [illegible]
تبتغي عقل الانبياء [illegible] لا منتهى له الا الاجل [illegible] والاحد على وجه الارض [illegible]
والذكاء [illegible] ان ابحاه [illegible] لا شئ الا انت ولا احد [illegible]
ادنيك عن [illegible] انت [illegible] الملوك الذين [illegible] في الشرق والمغرب
[illegible] الارض [illegible] واعطت [illegible]
وسابقة زمان [illegible] اطعمت [illegible] كما [illegible]
الا [illegible] حتى اذ ونت [illegible]

وباني اوبارك ووشتا وبك ان ليسلم لك امر محلتك بل امرادك فضلا عن محلتك فان كنت لا تتركين الدنيا
رغبة في الاخرة لجهلك وعمى بصيرتك فانك لا تتركينها ترفعا عن خسة شركائها وتنزها عن كثرة
عنائها وتوقيا من سرعة فنائها ام مالكما تزهدين في قليلها بعد ان زهد فيك كثيرها ومالك
تفرحين بدنيا ان ساعدتك فلا يخلو بلدك من يهود ومجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك في نعيمها
وزينتها فاف لدنيا يسبقك بها هولاء الاخسا فما اجهلك واخس همتك واسقط رايك اذ رغبت
عن ان يكون في زمرة المقربين من الصديقين والنبيين في جوار رب العالمين ابد الابدين لتكوني في صف
النعال من جملة الحمقى الجاهلين ايام فلايل فيا حسرة عليك اذ خسرت الدنيا والدين فبادري ويحك فقد
اشرفت على الهلاك واقترب الموت وورد النذير فمن ذا يصلي عنك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك بعد الموت
ومن ذا يرضي ربك بعد الموت مالك الا ايام معدودة هي بضاعتك ان اتجرت فيها وقد ضيعت اكثرها
فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيعت منها لكنت مقصرا في حق نفسك فكيف اذا ضيعت البقية واصررت
على عادتك اما تعلمين ان الموت [illegible] والقبر بيتك والتراب فراشك والدود انيسك والفزع
الاكبر بين يديك اما علمت ان عسكر الموتى على باب البلد ينتظرونك وقد الوا كلهم على انفسهم بالايمان
المغلظة انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم ياخذوك الى انفسهم اما تعلمين انهم يتمنون الرجعة الى الدنيا يوما
ليشتغلوا بتدارك ما فرط منهم فانت في امنيتهم ويوم من عمرك لو بيع منهم بالدنيا بحذافيرها لاشتروه
لو قدروا عليه وانت تضيعين ايامك اما تستحيين تزينين ظاهرك للخلق وتبارزين الله تعالى بالعظايم
افتستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق ويحك اهو اهون الناظرين اليك ويحك اتامرين الناس
بالخير وانت متلطخة بالرذائل تدعين الى الله وانت منه فارة وتذكرين بالله وانت له ناسية اما تعلمين
ان المذنب انتن من العذرة وان العذرة لا تطهر غيرها فلم تطمعين في تطييب غيرك وانت غير طيبة في
نفسك ويحك لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت ان الناس لا تصيبهم بلاء الا بشومك ويحك قد
جعلت نفسك حمار الابليس يقودك الى حيث يريد ويسخر بك ومع هذا تعجبين بعملك وفيه

الا آفات ما لو [illegible] الا ان [illegible]
تجرت مسر ان ان من لك مع كثرة خطاياك [illegible] ولكل نفس
فكيف تعجبين بعملك مع [illegible] واحدة بعدان [illegible] ولكل [illegible] فحشاية [illegible]
قد لعن الله ابليس بخطيئة واحدة [illegible] مع اعوانك على [illegible] مع هذه الخطايا [illegible]
سنة واخرج ادم من الجنة بخطيئة واحدة [illegible] وانت تطمعين [illegible]
ما اعد [illegible] ويحك [illegible] بالنفس [illegible] لا تشتغلين [illegible] ابدا [illegible]
كم تعدين وتتقضين [illegible] الى اهل القبور [illegible] الاخرة [illegible]
كانك عن قريب [illegible] اما لك [illegible] الارض [illegible] زيادة ما لك [illegible]
قبرا او اعلم [illegible] الوجه [illegible] بالعذاب [illegible] عند الموت [illegible]
ما انت الا في [illegible] البصيرة والفطنة [illegible] الدنيا [illegible]
الزاقي ان تبدوا [illegible] الاخرة [illegible] الدنيا [illegible]
البكاء والعجب كل العجب [illegible] ولا [illegible] لا تتركين [illegible]
عمرك وما [illegible] الله تعالى [illegible] السلامة [illegible]
يوما لم [illegible] نفسك [illegible] تنفين [illegible] لدار [illegible]
ترجعين [illegible] فانظري [illegible] طوال [illegible] الدار [illegible]
باله عن [illegible] قبل ان تخرجي منها [illegible]
جوابا وللجواب صوابا واعلمي [illegible] ايام قصار [illegible] الابرار [illegible]
نعيم وخلود [illegible] الدنيا [illegible] النار [illegible]
بالبيسا عندك من [illegible] الدنيا [illegible] اعتبارا [illegible]
وباكل ويشرب [illegible] الدنيا [illegible] اعتبارا
مش الى الدنيا [illegible] اختيارا [illegible]
[illegible] الاخرة [illegible]

ولا تكوني ممن يعجز عن شكر ما اوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي وينهى الناس ولا ينتهي واعلمي انه ليس للدين
عوض ولا للايمان بدل ولا للجسد خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان لم
يسر فاتعظي يا نفس بهذه الموعظة واقبلي هذه النصيحة فان من اعرض عن الموعظة فقد رضي بالنار وما
اراك بها راضية ولا لهذه الموعظة واعية وان كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة فاستعيني
عليها بدوام التهجد والقيام فان لم تزل فبالمواظبة على الصيام فان لم تزل فبقلة المخالطة والكلام
فان لم تزل فبصلة الارحام واللطف بالايتام فان لم تزل فاعلمي ان الله قد طبع على قلبك واقفل عليه
وانه قد تراكمت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه فوطني نفسك على النار فقد خلق الله الجنة و
خلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وكل ميسر لما خلق له فان لم يبق فيك مجال للوعظ فاقنطي
من نفسك والقنوط كبيرة من الكبائر نعوذ بالله فلا سبيل لك الى القنوط ولا سبيل لك الى الرجاء لانسداد
طرق الخير عليك فان ذلك اغترار وليس برجاء فانظري الان هل ياخذك حزن على هذه المصيبة التي
ابتليت بها وهل تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك فان سمحت فمستقى الدمع من بحر الرحمة
فقد بقي فيك موضع الرجاء فواظبي على النياحة والبكاء واستغيثي بارحم الراحمين واشتكي الى اكرم
الاكرمين وادمني الاستغاثة ولا تملي طول الشكاية لعله ان يرحم ضعفك ويغيثك فان مصيبتك
قد عظمت وبليتك قد تفاقمت وتماديك قد طال وقد انقطعت منك الحيل وراحت منك
العلل فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا ملجا ولا منجا الا الى مولاك فافزعي اليه
بالتضرع واخشعي في تضرعك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك فانه يرحم المتضرع الذليل ويغيث
الطالب الملهوف ويجيب دعوة المضطر الذليل وقد اصبحت اليه مضطرة والى رحمته محتاجة
وضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق وانقطعت منك الحيل ولم تنجع فيك العظات
ولم يكسرك التوبيخ فالمطلوب منه كريم والمسئول جواد والمستغاث به روف والرحمة واسعة
والكرم فايض والعفو شامل وقولي يا رحمن يا رحيم يا حليم يا عظيم يا كريم انا المذنب المصر انا

يجري
الذي لا أقلع وأنا الذي لا أستحيي منك ولا أبالي أغاثني
الهادي أنا الذي المنقطع المسكين الغريق فتجاوز عني وارزقني قوة ابتهل
إليك أنا مقام الجهد والهالك الغريق بعفوك فتغمدني من قبل والنوم السابع وبحرمة
التقيد الضعيف وادنني من رحمتك عليه السلام عند ما دعاه فاطلع الله عليه فأغظت بعيني وأقات بعد الفجر
ورحمني واريد أنا بارزتك وأنا الذي أرى بيك قال يا رب عظمت على النصب بعيدا راحة ولى دار السلام يا آدم
عصيتك يا أرحم الراحمين أبدا أنا بك آدم عليه السلام لا ترفع اليه يا آدم ما أبعدني الذي اراد الجنة ولى دار النعب وعلى كل وجهه
الله عز وجل آدم إلى الأرض قال وما لمه البيت يا آدم ما بعد الجنة بعد الكرامة في الكسب لا لا الكسب على بعض يا ودى واجهت
كيف كظيم شكل الناس فقام ملكوت أن أخرجت من دار الهوان بعد الخلود والبقاء بعد الخلوة إلى أقلعك قال بكى بعد ولو على الله
لي خطيئتي وأخرجت من دار الموت والفنا بعد الخلود وخصصتك بكرامتي وحذرتك سخطي إلى الأرض ما أكلهم شيئا يحل بكارات
وفي دار الزوال بعد القرار وقد أحللتك في داري وخصصتك بكرامتي وحذرتك سخطي فتعرضت لسخطي ونسيت عهدي وتعرضت لسخطي وعزتي وملائكتي لو ملأت الأرض رجالا كلهم مثلك يعبدونني ويسبحونني ثم عصوني لأنزلتهم منازل العاصين فبكى آدم عند ذلك مائة عام وكان يقول
الم أحسنك بنفسي وأحللتك في داري وخصصتك بكرامتي ونسيت عهدي وتعرضت لسخطي فتعرضت لسخطي فوعزتي وكان عيسى عليه السلام يقول ثم يبكي أكثر البكاء إن أخوه الحبيب لما أصابه
سلائكتي فعصيت أمري ونسيت عهدي فبكى آدم عند ذلك مائة عام ثم كتب غفر خطيئته وقد غضب حاجة الطالب بيع عمرتك ما أردت
ثم عصوني لأنزلتهم منازل العاصين وقيل إنا الذي كلما قمت تبت وأعبده وأعبده فيحرز بك يا رب مستحق
إلهي أنا الذي كلما طال عمري زادت في ذنوبي أنا الذي كلما كانت الفاتحة إلى أن تب يا أيها عز وجل وهو إليك أشد العفو بيك مستوحش والانطراح بمعصيتك لجهلي و
أن ركب شيئا وما وعدي وأعبده أن أكون في أن بالكوفة عابدا أناجي ربه عز وجل وهو يقول إلهي ما عصيتك إذ عصيتك وأنا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا لنظرك مستخف ولكن سولت لي نفسي وأعانني على ذلك شقوتي وغرني سترك المرخى علي فالآن من عذابك من يستنقذني وبحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني واسوأتاه
لا تنقضي وقال منصور بن عمار سمعت بعض العباد بالكوفة عابدا ... يا أيها ... وعصيتك ... على ...
بمعصيتك مخالفتك ولا عصيتك ... وغرني سترك المرخى علي فالآن من عذابك ... من ... إن قطعت حبلك عني واسوأتاه ... على ما مضى من أيامي في معصية ربي يا ويلي كم أتوب وكم أعود قد آن لي أن أستحيي من ربي فهذه
وكم ... نفسي ... أمر قيل الحبيب ... جوزوا وللمثقلين حطوا ... ويلي
فالله أتحمل ... أم مع المثقلين أحط ... ويلي كلما كبرت سني كثرت ذنوبي
من الوقوف بين يديك غدا إذا قيل للمخفين جوزوا أم مع المثقلين
ويلي

ويلي كلما طال عمري كثرت معاصي فمن كم أتوب وكم أعود أما آن لي أن أستحيي من ربي فهذه طرق القوم في مناجاة مولاهم وفي معاتبة نفوسهم وإنما مطلبهم من المناجاة الاسترضاء ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء فمن أهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا ويوشك أن لا يكون الله عنه راضيا ٥

تم كتاب المحاسبة والمراقبة منتجبا جواهر عرائسه مجتنيا زواهر نفائسه ويتلوه في الربع الرابع
والوسع كتب شكر أنه مطالبه متزايدا في حقائقه ومعانيه متزودا في جبل من جبال
قرية من قرى قاشان حماه الله عن الخلل والطغيان والزلل الحدثان ... مزار
سلطان الأولياء والعرفاء برهان المكاشفين والمتأليهين محو الله الفضل
القدس المرشد الشيخ رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه
وأنا العبد الراجي الضعيف محمد جلال الدين محمد الشهير بمولانا ... الشيخ
وعنه ... ما كتبه بيده ... لينتفع بها ... لا وفاته مجاب ... معاتبا لنفسه
العاصية الغافلة محمود الله الطبسي
ووقع الفراغ يوم الثلثاء تاسع عشر
شهر رمضان المبارك لسنة
اثنين وخمسين وألف
من الهجرة النبوية المصطفوية
على هاجرها ألف الف
صلوة وتحية

كتاب التفكر وهو التاسع من ربع المنجيات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي لم يقدر لانتهاء عزته نحوا ولا قطرا ولم يجعل لمرقاة أقدام الأوهام ومرمى سهام الأفهام إلى حمى عظمته مجرى وترك قلوب الطالبين في بيداء كبريائه والهة حيرى كلما اهتزت لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال وإذا همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا صبرا ثم قيل أجيلي في ذل العبودية فكرا لأنك لو تفكرت في جلال الربوبية لم تقدري له قدرا وإن طلبت وراء الفكر في صفاتك أمرا فانظري في نعم الله وأياديه كيف توالت عليك تترى وجددي لكل نعمة منها ذكرا وشكرا وتأملي في بحار المقادير كيف فاضت على العالمين خيرا وشرا ونفعا وضرا وعسرا ويسرا وفوزا وخسرا وجبرا وكسرا وطيا ونشرا وإيمانا وكفرا وعرفانا ونكرا وإن جاوزت النظر في الأفعال إلى النظر في الذات فقد حاولت أمرا إمرا وخاطرت بنفسك مجاوزة حد طاقة البشر ظلما وجورا فقد انبهرت العقول دون مبادي إشراقه وانتكصت على أعقابها اضطرارا وقهرا والصلوة على محمد المصطفى صلوة تبقى لنا في عرصات القيمة عدة وذخرا وعلى آله وأصحابه الذين أصبح كل واحد منهم في سماء الدين بدرا ولطوائف المسلمين صدرا وسلم **أما بعد** فقد ورد في السنة أن تفكر ساعة خير من عبادة سنة وكثر الحث في كتاب الله عز وجل على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ولا يخفى أن الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم وأكثر الناس قد عرفوا فضيلته ورتبته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته ولم يعلموا أنه كيف يتفكر وفيما ذا يتفكر وما الذي يطلب به أهو مراد لعينه أو لثمرة تستفاد منه وإن كان لثمرة فما تلك الثمرة أهي من العلوم أو من الأحوال أو منهما جميعا وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر أولا فضيلة التفكر ثم حقيقة التفكر وثمرته ثم مجاري الفكر ومسارحه إن شاء الله تعالى

فضيلة التفكر قد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى وأثنى على المتفكرين فقال تعالى ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار

وقد

وقد قال ابن عباس إن قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وآله تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تفكروا فيه فإن بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها أو بياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله طرفة عين قالوا يا رسول الله فأين الشيطان منهم قال ما يدرون خلق الشيطان أم لا قالوا من ولد آدم قال لا يدرون خلق آدم أم لا وعن عطاء قال انطلقت أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة رضي الله عنها وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا فقال قول النبي صلى الله عليه وآله زر غبا تزدد حبا فقال ابن عمير أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وآله قال فبكت وقالت كل أمره كان عجبا أتاني في ليلتي حتى مس جلدي جلده ثم قال ذريني أتعبد لربي عز وجل فقام إلى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الأرض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلوة الصبح فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله علي في هذه الليلة إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وقيل للأوزاعي ما غاية التفكر فيهن قال يقرأهن ويعقلهن وعن محمد بن واسع أن رجلا من أهل البصرة ركب إلى أم ذر بعد موت أبي ذر فسألها عن عبادة أبي ذر فقالت كان نهاره أجمع في ناحية البيت يتفكر وعن الحسن قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة وعن الفضيل قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك وقيل لإبراهيم إنك تطيل الفكر فقال الفكر مخ العقل وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما يتمثل بهذا البيت إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة وعن أبي سعيد الخدري قال قال النبي صلى الله عليه وآله أعطوا أعينكم حظها من العبادة قالوا وما حظها من العبادة يا رسول الله قال النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه وعن امرأة كانت تسكن البادية أنها قالت لو تطلعت قلوب المتقين بفكرها إلى ما قد ذخر في حجب الغيوب من خير الآخرة لم يصف

عيش في الدنيا وقال ابو سليمان عودوا اعينكم البكاء وقلوبكم التفكر وقال الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكر في الآخرة يورث الحكمة ويحيي القلب وروي ان الله عز وجل قال في بعض كتبه اني لست اقبل كلام كل حكيم ولكن انظر الى همته وهواه فاذا كان همه وهواه لي جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وان لم يتكلم وقال الجنيد اشرف المجالس واعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكاس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله تعالى ثم قال يا لها من مجالس ما اجلها ومن شراب ما الذه طوبى لمن رزقه وقال الفضائل اربع احداها الحكمة وقوامها الفكرة والثانية العفة وقوامها في الشهوة والثالثة القوة وقوامها في الغضب والرابعة العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس فهذه اقاويل العلماء في الفكرة وما شرع احد منهم في ذكر حقيقتها وبيان مجاريها

بيان حقيقة الفكر وثمرته

اعلم ان معنى الفكر هو احضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة ومثاله ان من مال الى العاجلة وآثر الحيوة الدنيا واراد ان يعرف ان الآخرة اولى بالايثار من العاجلة فله طريقان احدهما ان يسمع من غيره ان الآخرة اولى بالايثار من الدنيا فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الامر فيميل بعمله الى ايثار الآخرة اعتمادا على مجرد قوله وهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة والطريق الثاني ان يعرف ان الابقى اولى بالايثار ثم يعرف ان الآخرة ابقى فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو ان الآخرة اولى بالايثار ولا يمكن تحقق المعرفة بان الآخرة اولى بالايثار الا بالمعرفتين السابقتين فاحضار المعرفتين في القلب للتوصل الى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتاملا وتدبرا اما التامل والتدبر والتفكر فعبارات مترادفة على معنى واحد ليست تحتها معان مختلفة واما اسم التذكر والاعتبار والنظر فهي مختلفة المعاني وان كان اصل المسمى واحدا كما ان اسم الصارم والمهند والسيف يتوارد على شيء واحد ولكن باعتبارات مختلفة فالصارم يدل على السيف من حيث هو قاطع والمهند يدل عليه من حيث نسبته الى موضعه والسيف يدل دلالة مطلقة من غير اشعار بهذه الزوائد فكذلك الاعتبار ينطلق على احضار المعرفتين من حيث انه يعبر منهما الى المعرفة الثالثة فان لم يقع العبور ولم يمكن الا الوقوف على المعرفتين فينطلق عليه اسم التذكر لا اسم الاعتبار واما النظر والتفكر فيقع عليه من حيث ان فيه طلب المعرفة الثالثة فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى ناظرا فكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر

متفكرا

متفكرا وفائدة التذكار تكرار المعارف على القلب لترسخ وتثبت ولا تنمحي عن القلب وفائدة التفكر تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكر والمعارف اذا اجتمعت في القلب وازدوجت مع معرفة اخرى حصل منها نتاج آخر وهكذا يتمادى النتاج ويتمادى العلوم ويتمادى الفكر الى غير نهاية وانما ينسد طريق زيادة المعارف بالموت والعوائق هذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدي الى طريق التفكر فاما اكثر الناس فانما منعوا الزيادة في العلوم لفقدهم راس المال وهو المعارف التي منها تستثمر العلوم كالذي لا بضاعة له فانه لا يقدر على الربح وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صنعة التجارة فلا يربح فكذلك قد يكون له من المعارف ما هو راس العلوم ولكنه ليس يحسن استعمالها وتاليفها وايقاع الازدواج المفضي الى النتاج فيها ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار تارة تكون بنور الهي في القلب يحصل بالفطرة كما كان للانبياء عليهم السلم وذلك عزيز جدا وقد يكون بالتعلم والممارسة وهو الاكثر ثم المتفكر قد تحضره هذه المعارف وتحصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصولها ولا يقدر على التعبير عنه لقلة ممارسته لصناعة التعبير في الايراد فكم من انسان يعلم ان الآخرة اولى بالايثار علما حقيقيا ولو سئل عن سبب معرفته لم يقدر على ايراده والتعبير عنه مع انه لم تحصل معرفته الا عن المعرفتين السابقتين وهو ان الابقى اولى بالايثار وان الآخرة ابقى من الدنيا فتحصل له معرفة ثالثة وهو ان الآخرة اولى بالايثار فرجع حاصل حقيقة الفكر الى احضار معرفتين للتوصل بهما الى معرفة ثالثة واما ثمرة الفكر فهي العلوم والاحوال والاعمال ولكن ثمرتها الخاصة العلم لا غير نعم اذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب واذا تغير حال القلب تغيرت اعمال الجوارح فالعمل تابع للحال والحال تابع للعلم والعلم تابع للفكر فالفكر اذن هو المبدا والمفتاح للخيرات كلها وهذا هو الذي يكشف لك عن فضيلة التفكر وانه خير من الذكر والتذكر لان في الفكر ذكرا وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل لما فيه من الذكر فاذن التفكر افضل من جملة الاعمال ولذلك قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة وقيل هو الذي ينقل من المكاره الى المحاب ومن الرغبة والحرص الى الزهد والقناعة وقيل هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك قال تعالى لعلهم يتقون او

يحدث

يحدث لهم ذكرا وان اردت ان تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه من امر الآخرة فان الفكر فيها يعرفنا ان الآخرة اولى بالايثار فاذا رسخت هذه المعرفة يقينا في قلوبنا تغيرت القلوب الى الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا وهذا ما عنيناه بالحال اذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل اليها والنفرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت ارادته ورغبته ثم اثمر تغير الارادة اعمال الجوارح في اطراح الدنيا والاقبال على اعمال الآخرة فههنا خمس درجات اولاها التذكر وهو احضار المعرفتين في القلب وثانيتها التفكر وهو طلب المعرفة المقصودة منهما والثالثة حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها والرابعة تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة والخامسة خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من الحال فكما يضرب الحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضيء بها الموضع فتصير العين مبصرة بعد ان لم تكن مبصرة وتنتهض الاعضاء للعمل فكذلك زناد نور المعرفة هو الفكر فيجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تاليفا مخصوصا كما يضرب الحجر على الحديد ضربا مخصوصا فينبعث نور المعرفة كما ينبعث النار من الحديد ويتغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل الى ما لم يكن يميل اليه كما يتغير البصر بنور النار فيرى ما لم يكن يراه ثم تنتهض الاعضاء للعمل بمقتضى حال القلب كما ينتهض العاجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند ادراك البصر ما لم يكن يبصره فاذن ثمرة الفكر العلوم والاحوال والعلوم لا نهاية لها والاحوال التي يتصور ان تتقلب على القلب لا يمكن حصرها ولهذا لو اراد مريد ان يحصر فنون الفكر ومجاريه وانه فيماذا يتفكر لم يقدر عليه لان مجاري الفكر غير محصورة وثمراتها غير متناهية نعم نحن نجتهد في ضبط مجاريه بالاضافة الى مهمات العلوم الدينية وبالاضافة الى الاحوال التي هي مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطا جمليا فان تفصيل ذلك يستدعي شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضها فانها مشتملة على علوم تلك الافكار فيها فلنشر الى ضبط المجامع فيه ليحصل الوقوف على مجاري الفكر

بيان مجاري الفكر

اعلم ان الفكر قد يجري في امر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بغير الدين وانما غرضنا ما يتعلق بالدين فلنترك القسم الآخر ونعني بالدين المعاملة التي بين العبد وبين الرب تعالى فجميع افكار العبد اما ان تتعلق بالعبد وصفاته وافعاله واما ان تتعلق بالمعبود وصفاته وافعاله لا يمكن ان يخرج عن هذين القسمين وما يتعلق بالعبد اما ان

يكون

يكون نظرا فيما هو محبوب عند الله تعالى او فيما هو مكروه ولا حاجة الى الفكر في غير هذين القسمين وما يتعلق بالرب تعالى اما ان يكون نظرا في ذاته وصفاته واسمائه الحسنى واما ان يكون نظرا في افعاله وملكه وملكوته وجميع ما في السموات والارضين وما بينهما وينكشف لك انحصار الفكر في هذه الاقسام بمثال وهو ان حال السائرين الى الله والمشتاقين الى لقائه تضاهي حال العشاق فلنتخذ العاشق المستهتر مثالنا فنقول العاشق المستغرق الهم بعشقه لا يعدو ذكره من ان يتعلق بمعشوقه او يتعلق بنفسه فان تفكر في معشوقه فاما ان يتفكر في جماله وحسن صورته ليتنعم بالفكر فيه ومشاهدته واما ان يتفكر في افعاله اللطيفة الحسنة الدالة على اخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضعفا للذته ومقويا لمحبته وان تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي يسقط من عين محبوبه حتى يتنزه عنها او في الصفات التي تقربه منه وتحببه اليه حتى يتصف بها فان تفكر في شيء خارج من هذه الاقسام فذلك خارج عن حد العشق وهو نقصان فيه لان العشق التام الكامل ما يستغرق العاشق ويستولي على القلب حتى لا يترك فيه متسعا لغيره فمحب الله تعالى ينبغي ان يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكره محبوبه ومهما كان تفكره محصورا في هذه الاقسام الاربعة لم يكن خارجا عن مقتضى المحبة فلنبدا بالقسم الاول وهو تفكره في صفات نفسه وافعاله ليميز المحبوب منها عن المكروه فان هذا القسم هو الذي يتعلق بعلم المعاملة الذي هو مقصود الكتاب واما القسم الآخر فيتعلق بعلم المكاشفة ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله او محبوب ينقسم الى ظاهر كالطاعات والمعاصي والى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات التي محلها القلب وذكرنا تفصيلها في ربع المنجيات والمهلكات والطاعات والمعاصي تنقسم الى ما يتعلق بالاعضاء السبعة والى ما ينسب الى جميع البدن كالفرار من الزحف وعقوق الوالدين والسكون في المسكن الحرام ويجب في كل واحد من المكاره التفكر في ثلثة امور الاول التفكر في انه هل هو مكروه عند الله ام لا فرب شيء لا يظهر كونه مكروها بل يدرك بدقيق النظر الثاني التفكر في انه ان كان مكروها فما طريق الاحتراز عنه الثالث ان هذا المكروه هل هو متصف به في الحال فيتركه او هو متعرض له في الاستقبال فيحترز عنه او قارفه فيما مضى من الاحوال فيحتاج الى تداركه وكذلك كل واحد من هذه المحبوبات ينقسم الى هذه الانقسامات فاذا جمعت هذه الاقسام زادت مجاري الفكر في هذه الاقسام على مائة والعبد مدفوع الى الفكر اما في جميعها او في اكثرها وشرح آحاد هذه الاقسام يطول ولكن انحصر هذا القسم

في اربعة انواع المعاصي والطاعات والصفات المهلكات والمنجيات فلنذكر في كل نوع مثالا ليقيس به المريد سائرها وينفتح له باب الفكر ويتسع عليه طريقه

النوع الاول المعاصي ينبغي ان يفتش الانسان صبيحة كل يوم جميع اعضائه السبعة تفصيلا ثم بدنه على الجملة هل هو في الحال ملابس لمعصية بها فيتركها او لابسها بالامس فيتداركها بالترك والندم او هو متعرض لها في نهاره فيستعد للاحتراز والتباعد عنها فينظر في اللسان ويقول انه متعرض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء والمماراة والممازحة والخوض فيما لا يعني الى غير ذلك من المكاره فيقرر اولا في نفسه انها مكروهة عند الله ويتفكر في شواهد القرآن والاخبار على شدة العذاب فيها ثم يتفكر في احواله انه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر انه كيف يحترز منها ويعلم انه لا يتم له ذلك الا بالعزلة والانفراد او بان لا يجالس الا صالحا تقيا ينكر عليه مهما تكلم بما يكرهه الله والا فيضع حجرا في فيه اذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا له فهكذا يتفكر في حيلة الاحتراز ويتفكر في سمعه انه يصغي به الى الغيبة والكذب وفضول الكلام والى اللهو والبدعة وان ذلك انما يسمعه من زيد وعمرو وانه ينبغي ان يحترز عنه بالاعتزال او بالنهي عن المنكر فمهما كان ذلك فيفعل ويتفكر في بطنه انه انما يعصي الله فيه بالاكل والشرب اما بكثرة الاكل من الحلال فان ذلك مكروه عند الله ومقو للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله واما باكل الحرام او الشبهة فينظر من اين مطعمه وملبسه ومسكنه ومكسبه ويتفكر في طرق الحلال ومداخله ثم يتفكر في طريق الحيلة في الاكتساب منه والاحتراز من الحرام ويقرر على نفسه ان العبادات كلها ضائعة مع اكل الحرام وان اكل الحلال هو اساس العبادات كلها وان الله لا يقبل صلوة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام كما ورد الخبر به فهكذا يتفكر في اعضائه ففي هذا القدر كفاية عن الاستقصاء فمهما حصلت بالتفكر حقيقة المعرفة بهذه الاحوال اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الاعضاء عنها

واما النوع الثاني وهو الطاعات فينظر اولا في الفرائض المكتوبة عليه انه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير او كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ثم يرجع الى عضو عضو فيتفكر في الافعال التي تتعلق بها مما يحبه الله تعالى فيقول مثلا ان العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والارض عبرة ولتستعمل في طاعة الله وتنظر في كتاب الله وسنة رسوله وانا قادر على ان انظر الى فلان المطيع بعين التعظيم فادخل السرور على قلبه وانظر الى فلان الفاسق بعين الازدراء فازجره بذلك عن معصيته فلم لا افعله وكذلك يقول في سمعه اني قادر

على استماع كلام الله واستماع حكمة وعلم او استماع قراءة وذكر فما لي اعطله وقد انعم الله عز وجل علي به واودعنيه لاشكره فما لي اكفر نعمة الله فيه بتضييعه وتعطيله وكذلك يتفكر في اللسان ويقول اني قادر على ان اتقرب الى الله بالوعظ وبالتودد الى قلوب اهل الصلاح وبالسؤال عن احوال الفقراء وادخال السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة فانها صدقة وكذلك يتفكر في ماله فيقول انا قادر على ان اتصدق بالمال الفلاني فاني مستغن عنه ومهما احتجت اليه رزقني الله مثله وان كنت محتاجا الآن فانا الى ثواب الايثار احوج مني الى ذلك المال وهكذا يفتش عن اعضائه وجملة بدنه وامواله بل عن دوابه وغلمانه واولاده فان كل ذلك ادواته واسبابه ويقدر على ان يطيع الله عز وجل بها ويستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها ويتفكر فيما يدعوه الى البدار الى تلك الطاعات ويتفكر في اخلاص النية ويطلب لها مظان الاستحقاق حتى يزكو بها عمله وقس على هذا سائر الطاعات

واما النوع الثالث فهو الصفات المهلكة التي محلها القلب فيعرفها مما ذكرناه في ربع المهلكات وهي استيلاء الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب والرياء والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك ويتفقد من قلبه هذه الصفات فان ظن ان قلبه منزه عنها فيتفكر في كيفية امتحانه والاستشهاد بالعلامات عليه فان النفس ابدا تعده الخير من نفسها وتكذب فاذا ادعت التواضع والبراءة من الكبر فينبغي ان تجرب بحمل حزمة حطب في السوق كما كان الاولون يجربون به انفسهم واذا ادعت الحلم تعرض لغضب يناله من غيره ثم تجربها في كظم الغيظ وكذلك في سائر الصفات وهذا تفكر في انه هل هو موصوف بالصفة المكروهة ام لا ولها علامات ذكرناها في ربع المهلكات فاذا دلت العلامات على وجودها فكر في الاسباب التي تقبح تلك الصفات عنده وتبين ان منشأها من الجهل والغفلة وخبث الدخلة كما لو راى في نفسه عجبا بالعمل فيتفكر ويقول انما عملي ببدني وجارحتي وبقدرتي وارادتي وكل ذلك ليس مني ولا الي وانما هو من خلق الله عز وجل وفضله علي فهو الذي خلقني وخلق قدرتي وارادتي وهو الذي حرك اعضائي بقدرته فكيف اعجب بعملي او بنفسي ولا اقوم لنفسي بنفسي واذا احس في نفسه بالكبر قرر على نفسه ما فيها من الحماقة ويقول لها لم ترين نفسك اكبر والكبير

من هو عند الله كبير وذلك ينكشف بعد الموت وكم من كافر في الحال يموت مقربا الى الله بنزوعه عن الكفر وكم من مسلم يموت شقيا بتغير حاله عند الموت بسوء الخاتمة فاذا عرف ان الكبر مهلك وان اصله الحماقة فيتفكر في علاج ازالته بان يتعاطى افعال المتواضعين واذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشرهه تفكر في ان هذه صفة البهائم ولو كان في شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من صفات الله وصفات الملائكة كالعلم والقدرة ولما اتصف به البهائم ومهما كان الشره عليه اغلب كان بالبهائم اشبه وعن الملائكة المقربين ابعد وكذلك يقرر على نفسه في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه في هذه الكتب فمن يريد ان يتسع له طريق الفكر فلا بد له من تحصيل ما اشتمل عليه ربع المهلكات

واما النوع الرابع وهو المنجيات فهي التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص والصدق في الطاعات ومحبة الله وتعظيمه والرضا بافعاله والشوق اليه والخشوع والتواضع له وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع وذكرنا اسبابها وعلاماتها فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يعوزه من هذه الصفات التي هي المقربة الى الله عز وجل فاذا افتقر الى شيء منها فليعلم انها احوال لا يثمرها الا علوم وان العلوم لا يثمرها الا افكار فاذا اراد ان يكتسب لنفسه حال التوبة والندم فليفتش ذنوبه اولا وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها في قلبه ثم لينظر في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع فيه وليتحقق عند نفسه انه متعرض لمقت الله تعالى حتى ينبعث له حال الندم واذا اراد ان يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر في احسان الله اليه واياديه عليه وفي ارساله جميل ستره عليه وذكر باقي الحديث الطويل واذا اراد حال المحبة والشوق فليتفكر في جلال الله عز وجل وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجائب الحكمة وبدائع صنعه واذا اراد حال الخوف فلينظر اولا في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم لينظر في الموت وسكراته ثم فيما بعده من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه ثم في هول النداء عند نفخة الصور ثم في هول المحشر عند جمع الخلائق على صعيد واحد ثم في المناقشة في الحساب والمضايقة في النقير والقطمير ثم في الصراط ودقته وحدته ثم في خطر الامر عنده انه يصرف الى الشمال فيكون من اصحاب النار او يصرف الى اليمين فينزل دار القرار ثم ليحضر في قلبه صورة جهنم ودركاتها ومقامعها واهوالها وسلاسلها وزقومها وصديدها

وصديدها وانواع العذاب فيها وقبح صورة الزبانية الموكلين بها وانه كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها وانهم كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وانهم اذا راوهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وهلم جرا الى جميع ما ورد في القرآن من شرحها واذا اراد ان يستجلب حال الرجاء فلينظر الى الجنة ونعيمها واشجارها وانهارها وحورها وولدانها ونعيمها المقيم وملكها الدائم فهكذا طريق الفكر الذي يطلب به العلوم التي تثمر الاتصاف باحوال محبوبة او التنزه عن صفات مذمومة وقد ذكرنا في كل واحدة من هذه الاحوال كتابا مفردا يستعان به على تفصيل الفكر اما بذكر مجامعه فلا يوجد فيه انفع من قراءة القرآن بالتفكر فانه جامع لجميع المقامات والاحوال وفيه شفاء للعالمين فيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الاحوال وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة فينبغي ان يقراها العبد ويردد الآية التي هو محتاج الى التفكر فيها مرة بعد اخرى ولو مائة مرة فقراءة آية بتردد وفهم خير من ختمة بغير تدبر وفهم وليتوقف في التامل فيها ولو في ليلة واحدة فان تحت كل كلمة منها اسرارا لا تنحصر ولا يوقف عليها الا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة وكذلك مطالعة اخبار النبي عليه السلام فقد اوتي جوامع الكلم وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة ولو تاملها العالم حق تامله لم ينقطع فيها نظره طول عمره وشرح آحاد الآيات والاخبار يطول فانظر الى قوله عليه السلام ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فان هذه الكلمات جامعة حكم الاولين والآخرين وهي كافية للمتاملين فيها طول العمر اذ لو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم ولحالت بينهم وبين التلفت الى الدنيا بالكلية فهذا هو طريق الفكر في علوم المعاملة وصفات العبد من حيث هي محبوبة عند الله او مكروهة والمبتدي ينبغي ان يكون مستغرق الهم بهذه الافكار حتى يعمر قلبه بالاخلاق المحمودة والمقامات الشريفة وينزه باطنه وظاهره عن المكاره وليعلم ان هذا مع انه افضل من سائر العبادات فليس هو غاية المطلب بل المشغول به محجوب عن مطلب الصديقين وهو التنعم بالفكر في جلال الله وجماله واستغراق القلب بحيث يفنى عن نفسه اي ينسى نفسه واحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الهم بالمحبوب كالعاشق المستهتر عند لقاء الحبيب فانه لا يتفرغ الى النظر في احوال نفسه واوصافها بل يبقى كالمبهوت الغافل عن نفسه وهو منتهى لذة العشاق فاما ما ذكرناه فهو نظر في عمارة الباطن ليصلح

للرب كذا وذا نتيجة
والوصال كذا واصلاح عمره وما كان الخوف من ان قال لي عند ربك شيء
فتح من عمره ولذلك كان الحق لما قال لبعض الصديقين ان ربك
لمن يشتم بالذنب وبحسن الخوف والمنصور وقال ان يعبد الغافلين ويشتري بعلم الصحابة
لي البوادي يلقيه بحسن لحق فقال ان التوكل فقال انبت الطالبين والاتصاف بالصبر ان يعلم ان الطاعة
ادوية البوادي في ان الموحد فان الواحد المحق ان يقصد العبادة بالطاعة ووجبها وشرطها زوجها الكفا
فاين النجاة في التوحيد فان الله الاعلى ابحار الحق والمرء الخ وتطييبها وبذلك عمر الاجال والطاعة
واما التنزه عن الصفات المهلكات يجري كالجرح في الوصول كان اذكر من ايام الانف والاخرة ويعين الذنب
المنجيات وسائر الطاعات تبرئ الراح والوصل يكون من الاعمال كيف الطهر فاذا عرفت كال الكبر والحسد
زوجها فان استغرقت جميع عمره فانما بنية الحق الاخر فان من الخوف والكبر يلقي العقوبة في ان الكبر وجل العاصي
ان كنت من اهل المجالسة وان كنت كالعبد الذي لا يغفر من اهل الجنة فلا تغفل عن نفسك وطهر الصفات المهلكات والمحجوبات والرياء والحسد
ومسك القلب كما كشفنا فاذا قضيت حق الاعمال كنت من صالح وجل هذه الصفات المهلكات ومن النجاة الكبر والعجب والرياء والقسر على الله
التي من العبد ومن ذريته فينبغي ان يجد ذلك عاذلك ومسيك كيف فيها سلم منها سلم من اخرته ومن الدين على الذنوب ومن الخلق مع
المنزلة اليه تعالى بل كل مريد ينبغي ان يكون جبورة يكتب فيها جملة الصفات المهلكات فاذا علم ان اسلم منها سلم من البكر والاخلاص من الخلق واحدة
والطاعات نفسه عليها كل يوم ويكتب من المهلكات حب المال وحب الجاه ومن المنجيات التوبة والصبر والزهد في الدنيا والاخلاص الصحيح والمذمومات ذلك لم ابعد
الغضب وشره الطعام وشره الوقاع وحب المال والجاه والخوف والرجاء والزهد في الدنيا والرياء لحموده لما كفى كان من المنكر وعلمه ان ذلك لم يبعد
والرضا بالقضاء والشكر على النعماء واعتدال الخوف خصلة عشرين منها مذمومة وعشر محمودة فما كفى منها وعلم ان يبقي يكتب ويجد لديه
الخلق وحب الله والخشوع له فهذه عشرون خصلة عشر منها محمودة ومنها ما يبقى من المذمومة فيتعلق بنفسه من النجاة البواقي وبجد والندم
فيحفظ عليها في جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله عز وجل على بحر ابل الزوابل عن نفسه يتعلق بواحدة منها كالتنزيه والذنوب
الا بتوفيق الله وعونه ولو وكله الى نفسه لم يقدر على محو اقل الرذائل فاذا اتصف بواحدة من اهل الكبر وان اساءه من الحسد كالا كل
في يحفظ على الجميع وكذلك يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات فاذا اتصف بواحدة منها كالتوبة عن المعاصي الظاهرة كالمرا
بالمعاصي والاطلاق البرية لحمية المال العاصي بالغيبة والنميمة والاغراض
مشلاحظ عليها واستغل بالبواقي وهذا يحتاج اليه المريد المشمر فاما التوقي الى ان يتلى الفرح به
من الصالحين ممن ان يتبعه لما جرية فيهم عن الكبر الذي هو الغيبة بالشبهة والطلاق الى ان الغيبة ما
فانه من الناس
وان من الاعداء
ان يعادي

وموالاة الاولياء، والمداهنة مع الخلق في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان اكثر من يغترّ
من وجود الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه وما لم يطهر الجوارح عن الآثام لا يمكنه الاشتغال
بعمارة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية فينبغي ان يكون تفقدهم لها وتفكرهم فيها
لا في معاص هم بمعزل عنها مثاله العالم الورع فانه لا يخلو في غالب الامر عن اظهار نفسه بالعلم وطلب الشهرة
وانتشار الصيت اما بالتدريس او بالوعظ ومن فعل ذلك فقد تصدى لفتنة عظيمة لا ينجو منها الا الصديقون
فانه ان كان كلامه مقبولا احسن الوقع في القلوب لم ينفك عن الاعجاب والخيلاء والتزين والتصنع وذلك
من المهلكات وان رد كلامه لم ينفك عن انفة وغيظ وحقد على من رده هو اكثر من غيظه على من رد عليه كلام
غيره وقد يلبس الشيطان عليه ويقول ان غيظك من حيث انه رد الحق وانكره فان وجد تفرقة بين
ان يرد عليه كلامه او يرد على عالم آخر فهو مغرور وضحكة للشيطان ثم مهما كان للارتياح بالقبول والفرح
بالثناء، والاستنكاف من الرد والاعراض لم يخل عن تكلف وتصنع لتحسين اللفظ والايراد حرصا
على استجلاب الثناء والله لا يحب المتكلفين والشيطان قد يلبس عليه ويقول انما حرصك على تحسين
الالفاظ والتكلف فيها لينتشر الحق ويحسن موقعه في القلوب اعلاء لدين الله عز وجل فان كان
فرحه بحسن الفاظه وثناء الناس عليه اكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من اقرانه فهو مخدوع
انما يدندن حول طلب الجاه وهو يظن ان مطلبه الدين ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر
على ظاهره ذلك حتى يكون للمعتقد لفضله اكثر احتراما ويكون بلقائه اشد استبشارا ممن يغلو في
موالاة غيره وان كان ذلك الغير مستحقا للموالاة وربما ينتهي الامر باهل العلم الى ان يتغايروا ويتغاضب
النساء، فيشق على احدهم ان يختلف بعض تلامذته الى غيره وان كان يعلم انه منتفع بغيره ومستفيد منه
في دينه وكل هذا رشح الصفات المهلكات المستكنة في سر القلب التي قد يظن العالم النجاة منها
وهو مغرور فيها وانما ينكشف ذلك بهذه العلامات ففتنة العالم عظيمة وهو اما مالك واما هالك
ولا مطمع له في السلامة عن العوام فمن احس من نفسه بهذه الصفات فالواجب عليه الانزواء
والعزلة وطلب الخمول والمدافعة للفتاوى مهما سئل فقد كان المسجد يحوي جماعة من اصحاب النبي ﷺ

وكانوا
يتدافعون الفتيا
كان يتغير كل ذلك
غيره وعشرة فيها بين ان يكن
الانس اذ كالوا الانقطاع عن الخلق وترك العلم ان المراد الاسلام مستوح فيه كال العلم وفضله والاتحاد
لاندرست العلوم من الخلق فقيل لهم ان ذلك من الاسلام انهم ان كان الاسلام من الدين يكون فيعال
كان من اقبل وكذلك يكون بعيدا ولو انتم تركتم لاندرس العلم وكان الشيطان وان الدين هو الذي يصير
عنه وانا اقول ان الناس اذا هم قعدوا واكتفوا بالعلم في طلب العلم كان الحق في العلم كما قال عليه الصلاة والسلام ان الله ليؤيد هذا الدين
غاية الجهل فان الناس لو حبسوا في السجن وقيدوا بالقيود واشتغلوا بطلب العلم لما كفاهم ذلك عن الخلق بل ان ذلك مما يؤيد الدين
بحبهم في كثير العقد وهو حب الحصول على الخروج لعله الى الدين الذي يمنعهم من الخروج والتمكن التي الى طلب المال وحب الجاه والمال في الدنيا الا العالم في
الرياسة والشيطان لا ينقرض وعليه الى يوم القيامة ولا ينقص من ذلك النشر ولا يعبر العالم بهذه الشبهات ومن اجل ذلك فيكثر رجال فلا يقبل بمعنى
لا خلاق فان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فان ذلك الذي قال النبي ﷺ حب المال والجاه في الدنيا بحبهما افسدا فيهما انسانا
في قلبه حب الجاه والثناء والتعظيم فان ذلك يدل على انه لا يسلم من المنافقين مثل ما زيد كل ما ذكر فيه على غنم باكثر من فساد حب الجاه في دين المرء المسلم
البخل وقال عليه السلام ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا فيها من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم ولا ينقلع حب الجاه من القلب الا بالاعتزال عن الناس والهرب من الطمع في الطلب وطلب العالم ان هو لا، الامر وقد
ولا ينقلع حب الجاه من القلب الا بالاعتزال عن الناس والهرب من طريق الاخلاص منه وهذه الصفات المهلكة ان دخلت القلب
الشيطان حظا بهذه الصفات من قلبه ولا استغناء طريق الخلاص الصالحين تعالوا الطمأنينة ومن رحمة الله يتكلم في ان
ان يكون منكم من تباشر ابانهم حين الى الله او اليه لو ذاق حاله في الجنة والنار فان من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه وان طلب الجنة بترك
يوم الحساب فان عاد اعمال من يرجو الجنة والخوف من النار ان ترك المعاصي وعمل ما يتكلمون فيها الى الحرص على الدنيا
على ان المرء من الناس يترك الشبهات والحرام لكن اذا ترك المعاصي ما بالا الا انه يبتدئ في النار كل العوام اذا
الطاعات ونحن متصرفون في الفرائض منها فلم يحصل لنا من ثمرة العلم شيء الا انه تلقن ما يجب فليت لنا ان كالعوام في ان
والكلاب عليها وقال لو كان هذا مذموما لكان العلماء اولى باجتنابه فان اعظم الفتنة التي تعرضت لها الوعاظ ويطلع بما
فيها نقصان الله عز وجل ان يبتلي ان يتلي
تبين مات منا ذنوبا
وهو يعرفها التوبة قبل ان
تبرك انه

انه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا فهذه مجاري افكار العلماء والصالحين في علم المعاملة فان فرغوا
منها انقطع التفاتهم الى انفسهم وارتقوا منها الى التفكر في جلال الله وعظمته والتنعم بمشاهدته بعين القلب
ولا يتم ذلك الا بعد الانفكاك عن جميع المهلكات والاتصاف بجميع المنجيات وان ظهر منه شيء قبل ذلك
كان مدخولا معلولا مكدرا منقطعا وكان ضعيفا كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم وكان كالعاشق الذي
خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه عقارب تلدغه مرة بعد اخرى فتنغص عليه لذة المشاهدة ولا
طريق له في كمال التنعم الا باخراج العقارب من ثيابه وهذه الصفات المذمومة عقارب وحيات
وهي موذيات ومشوشات وفي القبر يزيد المها لذعها على لدغ العقارب والحيات فهذا القدر كاف

القسم الثاني

في التنبيه على مجاري فكر العبد في صفات نفسه المحبوبة والمكروهة عند ربه الفكر في
جلال الله وعظمته وكبريائه وفيه مقامات المقام الاعلى الفكر في ذاته وصفاته وفي معاني اسمائه وهذا مما منع
منه حيث قيل تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله وذلك لان العقول تتحير فيه فلا يطيق مد البصر
اليه الا الصديقون ثم لا يطيقون دوام النظر اليه بل سائر الخلق احوال ابصارهم بالاضافة الى جلال
الله كحال بصر الخفاش بالاضافة الى نور الشمس فانه لا يطيقها البتة بل يختفي نهارا وانما يتردد ليلا ينظر
في بقية نور الشمس اذا وقع على الارض واحوال الصديقين كحال الانسان في النظر الى الشمس فانه يقدر
على النظر اليها ولكن لا يطيق دوامه ويخشى على بصره لو دام النظر اليها ونظره المختطف اليها يورث
العمش ويضعف البصر وكذلك النظر الى ذات الله عز وجل يورث الحيرة والدهش واضطراب
العقل فالصواب اذن ان لا نتعرض لمجاري الفكر في ذات الله وصفاته فان اكثر العقول لا
تحتمله بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو ان الله عز وجل مقدس عن المكان منزه عن
الاقطار والجهات وانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه
قد حير عقول اقوام حتى انكروه اذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته بل ضعفت طائفة عن احتمال اقل من هذا
اذ قيل لهم انه تعالى عن ان يكون له رأس ورجل ويد وعين وعضو وان يكون جسما متحيزا

ويجيء وابدا وعظمته
ومقدار فانك تدرج من العدوان الى السكين الى الجنة ولا
فلنذكر انه ذلك قال بعض الحكماء الا انه فطن لا يعرف الانفس الا انه تقدير بيته
وصلاح الخلق حتى قال بعض المحققين لا يعرف الانسان الا نعمة فيه نقص عن عابث ان تقدير ذلك نوع من
وصنف يطلع شدى لا وصنف الاعضاء وهذا الان الانسان لا يعرف النطفة فلا جرم عابث والابد والارجل والا يكون الا اكله وقدرته وعلى البعض البعض
والعظيمة هذه الاعضاء وجوه لى وصفاته فلا يفهم ان بشكرون ان لا يسبح لك عجائبان والطيران او يكون طعاما
بعظم الانفس فكل ما لا باب وجوه على من ردوه بين يديه فلان يشكر ان لا يسبح لك عجائبان عدو على الطيران
جبل الصورة عجائب على من ردوه فيه النطفة بل الكل للذباب يشكل وذلك بعضه على الانسان حول الطلام كما رد وتذكره وحى تصرفه
الله تعالى وتقدس في نعم النطفة بل الكل ليعرض الخلق والعقل وان الانسان فان ذات الله عز وجل وصفاته وبدائع صنعه
ذلك وقال كيف يكون خالي انفض في الحكمة بل هذا العقل وان كان انظر في ذات الله والنظر الى افعاله وعجائب صنعه
وهو حالي ومصورى وعقول اكثر الخلق قد جزم عن بالجنون ولما كان النظر في ذات وقدرته فسبيل النظر الى الصنائع
عبادى بصنعاى فتفكروا وكمل اضرام عن بالجنون ولما كان النظر في ذات الله وقدرته فسبيل النظر وسائر موجودات
وصلاح الخلق بان لا يتعرض لمجاري الفكر في ذات الله تعالى لكن يعدل الى النظر في افعاله وعجائب صنعه وبدائع امره في خلقه فانها
يدل على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه ويدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته فسبيل النظر الى الوجود
وان الانطيق النظر الى الارض مهما استنار بنور الشمس فيستدل به على عظم نور الشمس بالاضافة الى نور القمر وسائر الكواكب
لان نور الارض من آثار الشمس والنظر في الاثر يدل على المؤثر دلالة ما وان كان لا يقوم مقام النظر في الشمس
الدنيا اثر من آثار قدرة الله تعالى ونور من انواره بل لا ظلمة اشد من العدم والانوار الجسام كان قوام كل ما في الدنيا
كلها نور من انوار ذاته تعالى وتقدس اذ قوام وجود الاشياء بذاته القيوم بنفسه كما ان قوام انوار الاجسام بنور
المضيئة بنفسها ومهما كسف بعض الشمس جرت العادة بان يوضع طست ماء حتى يرى الشمس فيه وينظر اليها
فيكون الماء واسطة يغض قليلا من نور الشمس حتى يطاق النظر اليه وكذلك الافعال واسطة نشاهد فيها صفات
الفاعل ولا نبهر بانوار الذات بعد ان تباعدنا عنه بواسطة الافعال فهذا سر قوله عليه السلم تفكروا في خلق الله
ولا تفكروا في ذات الله

بيان كيفية التفكر في خلق الله عز وجل

اعلم ان كل ما في الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله عز وجل وخلقه وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض
وصفة وموصوف ففيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته

واحصاء

واحصاء ذلك غير ممكن لانه لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي بل عشر
عشير ذلك ولكنا نشير الى جمل ليكون ذلك كالمثال لما عداه فنقول الموجودات المخلوقة منقسمة الى ما
لا يعرف اصلها فلا يمكننا التفكر فيها وكم من الموجودات التي لا نعلمها كما قال تعالى سبحان الذي خلق الازواج كلها
مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وقال ونشئكم فيما لا تعلمون والى ما يعرف اصلها وجملتها ولا يعرف تفصيلها
فيمكن ان يتفكر في تفصيلها وهي منقسمة الى ما ادركناه بحس البصر والى ما لا ندركه بالبصر اما الذي لا ندركه بالبصر فكالملائكة
والجن والشياطين واما المدركات بحس البصر فهي السموات السبع والارضون وما بينهما والسموات مشاهدة
بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها في طلوعها وغروبها والارض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها
وانهارها وبحارها وحيوانها ونباتها وما بين السماء والارض وهو الجو مدرك بغيومها وامطارها وثلوجها ورعدها
وبرقها وصواعقها وشهبها وعواصف رياحها فهذه هي الاجناس المشاهدة من السموات والارض
وما بينهما وكل جنس منها ينقسم الى انواع وكل نوع ينقسم الى اقسام ويتشعب كل قسم الى اصناف ولا نهاية
لانشعاب ذلك وانقسامه في اختلاف صفاتها وهيآتها ومعانيها الظاهرة والباطنة وجميع ذلك مجال
الفكر فلا تتحرك في السموات والارض ذرة من جماد ونبات وحيوان وفلك وكوكب الا وهو محركها وهو الله عز وجل
وفي حركتها حكمة او حكمتان او عشر او الف حكمة كل ذلك شاهدة لله تعالى بالوحدانية ودالة على جلاله وكبريائه
وهي الآيات الدالة عليه وقد ورد القرآن بالحث على التفكر في هذه الآيات كما قال ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار لآيات وكما قال ومن آياته ومن آياته من اول القرآن الى آخره فلنذكر كيفية الفكر في
بعض الآيات فمن آياته الانسان المخلوق من النطفة واقرب شيء اليك نفسك وفيك من العجائب الدالة
على عظمة الله تعالى ما تنقضي الاعمار في الوقوف على عشر عشيره وانت غافل عنها فيا من هو غافل عن نفسه و
جاهل بها كيف تطمع في معرفة غيرك وقد امرك الله تعالى بالتدبر في نفسك في كتابه العزيز فقال وفي انفسكم
افلا تبصرون وذكر انك مخلوق من نطفة قذرة فقال تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه
فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وقال تعالى ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم
بشر تنتشرون وقال الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى وقال الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في

قرار مكين وقال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج
نبتليه ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما فقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة الآية فتكرار ذكر النطفة في الكتاب العزيز ليس ليسمع
لفظها ويترك التفكر في معناه فانظر الآن الى النطفة وهي قطرة من الماء قذرة لو تركت ساعة ليضربها
الهواء فسدت وانتنت كيف اخرجها رب الارباب من الصلب والترائب وكيف جمع بين الذكر والانثى
والقى الالفة والمحبة في قلوبهما وكيف قادهما بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع وكيف استخرج النطفة
من الرجل بحركة الوقاع وكيف استجلب دم الحيض من اعماق العروق وجمعه في الرحم ثم كيف خلق
المولود من النطفة وسقاه بماء الحيض وغذاه ورباه وكيف جعل النطفة وهي بيضاء مشرقة علقة حمراء
ثم كيف قسم اجزاء النطفة وهي متشابهة متساوية الى العظام والاعصاب والعروق والاوتار واللحم
ثم كيف ركب من اللحوم والاعصاب والعروق الاعضاء الظاهرة فدور الرأس وشق السمع والبصر و
الانف والفم وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم رؤسها بالاصابع وقسم الاصابع بالانامل
ثم كيف ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة
والامعاء كل واحد على شكل مخصوص لعمل مخصوص ثم كيف قسم كل عضو من هذه الاعضاء بأقسام اخر
فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة منها
او زالت صفة من صفاتها لتعطلت العين عن الابصار ولو ذهبنا نصف ما في آحاد هذه الاعضاء
من العجائب والآيات لانقضت فيه الاعمار فانظر الآن الى العظام وهي اجسام قوية صلبة كيف
خلقها من نطفة سخيفة رقيقة ثم جعلها قواما للبدن وعمادا له ثم قدرها بمقادير مختلفة واشكال مختلفة فمنها
صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق ولما كان الانسان محتاجا الى الحركة بكل بدنه
وببعض اعضائه للتردد في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى تتيسر بها
بها الحركة وقدر شكل كل واحد منها على وفق الحركة المطلوبة ثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض
باوتار انبتها من احد طرفي العظم والصق بالطرف الآخر كالرباط له ثم خلق في احد طرفي العظم

زوائد

كتاب ذكر الموت وما بعده وهو العاشر من المنجيات

وهو الكتاب الرابع الاربعين من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة وكسر به
ظهور الاكاسرة وقصر به آمال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد
الحق فاذا هم في الحافرة فنقلوا من القصور الى القبور ومن ضياء المهود الى ظلمة اللحود ومن ملاعبة
الجواري والغلمان الى مصاحبة الهوام والديدان ومن التنعم بالشراب الى التمرغ في التراب ومن انس
العشرة الى وحشة الوحدة ومن المضجع الوثير الى المصرع الوبيل فانظر هل وجدوا من الموت حصنا
او اتخذوا من دونه حجابا وحرزا وانظر هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فسبحان من تفرد بالقهر
والاستيلاء واستأثر باستحقاق البقاء واذل اصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء ثم جعل الموت
مخلصا للاتقياء وموعدا في حقهم للقاء وجعل القبر سجنا للاشقياء وحبسا ضيقا عليهم
الى يوم الفصل والقضاء فله الانعام بالنعم المتظاهرة وله الانتقام بالنقم القاهرة وله
الشكر في السموات والارض وله الحمد في الاولى والآخرة والصلوة على محمد ذي المعجزات
الظاهرة والآيات الباهرة وعلى آله واصحابه وسلم كثيرا اما بعد فجدير بمن
الموت مصرعه والتراب مضجعه والدود انيسه ومنكر ونكير جليسه والقبر مقره وبطن
الارض مستقره والقيامة موعده والجنة والنار مورده ان لا يكون له فكر الا في الموت
ولا ذكر الا له ولا استعداد الا لاجله ولا تدبير الا فيه ولا تطلع الا اليه ولا تعريج
الا عليه ولا اهتمام الا به ولا حوم الا حوله ولا انتظار ولا تربص الا له وحقيق بان يعد
نفسه من الموتى ويراها في اصحاب القبور فان كل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت
وقد قال عليه السلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ولن يتيسر الاستعداد للشيء

الا عند تجدد ذكره على القلب ولا يتجدد ذكره الا عند التذكر بالاصغاء الى المذكرات له
والنظر في المنبهات عليه ونحن نذكر من امر الموت ومقدماته ولواحقه واحوال الآخرة
والقيمة والجنة والنار ما لا بد للعبد من تكراره على التكرار وملازمته بالافتكار و
الاستبصار ليكون ذلك مستحثا على الاستعداد فقد قرب الرحيل فما بقي من العمر الا قليل
والخلق غافلون واقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ونحن نذكر ما يتعلق
بالموت في شطرين **الشطر الاول** في مقدماته وتوابعه الى نفخة الصور وفيه ابواب

الباب الاول في فضل ذكر الموت والترغيب فيه اعلم ان المنهمك في الدنيا المكب على
غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره واذا ذكر له كرهه ونفر منه اولئك الذين
قال الله تعالى فيهم قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم
بما كنتم تعملون والناس اما منهمك واما تائب مبتدئ او عارف منته اما المنهمك فلا يذكر الموت وان
ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ويشتغل بمذمته وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا واما التائب
فانه يكثر ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من ان يختطفه
قبل تمام التوبة وقبل اصلاح الزاد وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله عليه السلم من
كره لقاء الله كره الله لقاءه فان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وانما يخاف فوت لقاء الله لقصوره
وتقصيره وهو الذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقاء
وعلامة هذا ان يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه والا التحق بالمنهمك في الدنيا واما العارف فانه
يذكر الموت دائما لانه موعد لقائه لحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا في غالب الامر
يستبطئ مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين كما روي
عن حذيفة رضي الله عنه انه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم اللهم ان كنت
تعلم ان الفقر احب الي من الغنى والسقم احب الي من الصحة والموت احب الي من العيش فسهل علي الموت حتى

القاك

القاك فاذن التائب معذور في كراهة الموت وهذا معذور في حب الموت وتمنيه واعلى رتبة منهما
من فوض امره الى الله فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حيوة بل يكون احب الاشياء اليه احبها الى مولاه فهذا
قد انتهى بفرط الحب والولاء الى درجة التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى وعلى كل حال ففي ذكر
الموت ثواب وفضل فان المنهمك في الدنيا ايضا يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا اذ ينغص
عليه نعيمه ويتكدر عليه صفو لذته وكل ما يكدر على الانسان اللذات والشهوات فهو من اسباب النجاة

بيان فضل ذكر الموت كيفما كان قال النبي صلى الله عليه وآله اكثروا ذكر هادم اللذات اي
نغصوا اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلوا على الله تعالى وقال عليه السلم لو ان البهائم تعلم ما تعلمون
من الموت ما اكلتم منها سمينا وقالت عائشة يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء احد قال نعم من يذكر الموت في اليوم
والليلة عشرين مرة وانما سبب هذه الفضيلة كلها ان ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويتقاضى
الاستعداد للآخرة والغفلة عن الموت تدعو الى الانهماك في شهوات الدنيا وقال عليه السلم تحفة
المؤمن الموت وانما قال هذا لان الدنيا سجن المؤمن اذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه و
رياضة شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق له من هذا العذاب والاطلاق تحفة في حقه وقال عليه السلم
كفارة كفارة لكل مسلم واراد بهذا المسلم حقا المؤمن صدقا الذي سلم المسلمون من لسانه ويده و
تحقق فيه اخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي الا باللمم والصغاير فالموت يطهره ويكفره بعد اجتنابه
الكبائر واقامة الفرائض وقال عطاء الخراساني مر رسول الله بمجلس قد استعلاه الضحك فقال شوبوا
مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت وقال انس قال النبي صلى اكثروا
ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا وقال عليه السلم كفى بالموت مفرقا وقال كفى بالموت
واعظا وخرج النبي عليه السلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اكثروا ذكر الموت اما و
الذي نفسي بيده لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وذكر عند النبي صلى رجل فاحسنوا الثناء عليه
فقال كيف كان ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم

ليس هناك وقال ابن عمر اتيت النبي صلى عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من اكيس الناس واكرم الناس يا رسول الله فقال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم استعدادا له اولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة الآثار قال الحسن فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فيها فرحا وقال الربيع بن خثيم ما غائب ينتظره المؤمن خيرا له من الموت وكان يقول لا تشعروا بي احدا وسلوني الى ربي سلا وكتب بعض الحكماء الى رجل من اخوانه يا اخي احذر الموت في هذه الدار قبل ان تصير الى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيمة والآخرة ثم يبكون حتى كان بين ايديهم جنازة وقال ابراهيم التيمي شيئان قطعا عني لذاذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها وقال مطرف رايت فيما يرى النائم كان قائلا يقول في وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم الا والهين وكان عيسى عليه السلم اذا ذكر الموت عنده يقطر جلده دما وكان داود عليه السلم اذا ذكر الموت والقيمة يبكي حتى تنخلع اوصاله فاذا ذكر الرحمة رجعت اليه نفسه [illegible]

بيان تحقيق ذكر الموت اعلم ان الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا فلا ينجع ذكر الموت في قلبه فالطريق فيه ان يفرغ العبد قلبه عن كل شيء الا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد ان يسافر الى مفازة مخطرة او يركب البحر فانه لا يتفكر الا فيه فاذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك ان يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه وانجع طريق فيه ان يكثر ذكر اشكاله واقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصرعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم واحوالهم ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت اجزاؤهم في قبورهم وكيف ارملوا نساءهم وايتموا اولادهم وضيعوا اموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت آثارهم فمهما تذكر رجلا رجلا وفصل في قلبه حاله وكيفية

وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده واملهُ في العيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة
الاسباب وركونه الى القوة والشباب وميله الى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع
والهلاك السريع وانه كيف كان يتردد والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق وقد اكل
الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد اكل التراب اسنانه وانه كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى عشر
سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت الا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه
فانكشفت له صورة الملك وقرع سمعه النداء اما بالجنة او بالنار فعند ذلك ينظر في نفسه انه مثلهم وغفلته كغفلتهم
وستكون عاقبته كعاقبتهم وقال ابو الدرداء اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كاحدهم وقال ابن مسعود السعيد من
وعظ بغيره فملازمة هذه الافكار وامثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت
في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه فعند ذلك يوشك ان يستعد له ويتجافى عن دار الغرور والا فالذكر
بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا ينبغي ان يتذكر
في الحال انه لا بد من مفارقته نظر ابن مطيع يوما الى داره فاعجبه حسنها ثم بكى فقال والله لولا الموت لكنت
بك مسرورا ولولا ما نصير اليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا اعيننا ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته

الباب الثاني في طول الامل وسبب طوله وكيفية معالجته وفضيلة قصر الامل

فضيلة قصر الامل قال النبي صلى الله عليه وآله لعبد الله بن عمر اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا
تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا و
روي عن علي عليه السلم انه عليه السلم قال ان اشد ما اخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الامل فاما
اتباع الهوى فانه يصد عن الحق واما طول الامل فانه الحب للدنيا ثم قال الا ان الله تعالى يعطي الدنيا من
يحب ويبغض واذا احب عبدا اعطاه الايمان الا ان للدين ابناء وللدنيا ابناء فكونوا من ابناء الدين ولا
تكونوا من ابناء الدنيا الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية الا ان الآخرة قد ارتحلت مقبلة الا وانكم في يوم عمل
ليس فيه حساب الا وانكم توشكون في يوم حساب ليس فيه عمل وقالت ام المنذر اطلع رسول الله ذات
عشية الى الناس وقال ايها الناس اما تستحيون من الله عز وجل قالوا وما ذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تاكلون

ما لا تعقلون وقال ابو سعيد الخدري اشترى اسامه بن زيد من زيد بن ثابت وليده بمائه دينار الى شهر فسمعت النبي صلعم يقول الا تعجبون من اسامه المشتري الى شهر ان اسامه لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي الا ظننت ان شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت اني واضعه حتى اقبض ولا لقمت لقمه الا ظننت اني لا اسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال يا بني آدم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى والذي نفسي بيده ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين وقال ابن عباس ان رسول الله صلعم كان يخرج يهريق الماء فيتمسح بالتراب فاقول يا رسول الله ان الماء منك قريب فيقول ما يدريني لعلي لا ابلغه وروي انه صلعم اخذ ثلاثه اعواد فغرز عودا بين يديه والآخر الى جنبه واما الثالث فابعده فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا الانسان وهذا الاجل وذاك الامل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الاجل دون الامل وقال عليه السلام مثل ابن آدم والى جنبه تسعه وتسعون منيه ان اخطاته المنايا وقع في الهرم قال ابن مسعود هذا المرء وهذه الحتوف حوله شوارع اليه والهرم وراء الحتوف والامل وراء الهرم فهو يؤمل وهذه الحتوف شوارع اليه فايها امر به اخذه فان اخطاته الحتوف قتله الهرم وهو ينتظر الامل وقال عبد الله خط لنا رسول الله صلعم خطا مربعا وخط وسطه خطا وخط خطوطا الى جنب الخط وخط خطا خارجا فقال اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا الانسان للخط الذي في الوسط وهذا الاجل محيط به وهذه الاعراض للخطوط التي حوله تنهشه ان اخطاه هذا نهشه هذا وذاك الامل للخط الخارج وقال انس قال رسول الله صلعم يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنان الحرص والامل وفي روايه وتشب معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر وقال عليه السلام نجا اول هذه الامه باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الامه بالبخل والامل وقيل بينا عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاه يثير بها الارض فقال عيسى عليه السلام اللهم انزع منه الامل فوضع الشيخ المسحاه واضطجع فلبث ساعه فقال عيسى عليه السلام اللهم اردد اليه الامل فقام فجعل يعمل فساله عيسى عن ذلك فقال بينا انا اعمل اذ قالت لي نفسي الى متى تعمل وانت شيخ كبير فالقيت المسحاه واضطجعت ثم قالت لي نفسي والله لابد لك من عيش ما بقيت فقمت الى مسحاتي وقال الحسن قال رسول الله صلعم اكلكم يحب ان يدخل الجنه قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا من الامل وثبتوا آجالكم بين ابصاركم واستحيوا من الله حق الحياء وكان عليه السلام يقول في دعائه اللهم اني اعوذ

بك من دنيا تمنع خير الآخرة واعوذ بك من حياة تمنع خير الممات واعوذ بك من امل يمنع خير العمل **الآثار**
قال الحسن السهو والامل نعمتان عظيمتان على بني آدم ولولاهما ما مشى المسلمون في الطرق وقال الثوري بلغني ان
الانسان خلق احمق ولولا ذلك لم يهنه العيش وقال سعيد بن عبد الرحمن انما عمرت الدنيا بقلة عقول اهلها
وقال سلمان الفارسي ثلث اعجبتني حتى اضحكتني مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس يغفل عنه وضاحك
ملء فيه لا يدري اساخط رب العالمين عليه ام راض عنه وثلث احزنني حتى ابكتني فراق الاحبة محمد و
حزبه وهول المطلع والوقوف بين يدي ربي لا ادري الى الجنة يؤمر بي او الى النار وقيل للحسن يا ابا سعيد
الا تغسل قميصك قال الامر اعجل من ذلك ودخل الشقيق الى استاذ له يقال له ابو هاشم الرماني وفي طرف
كسائه شيء مصرور فقال له استاذه ايش هذا الذي معك قال لوزات دفعها الي اخ لي وقال
احب ان تفطر عليها فقال يا شقيق وانت تحدث نفسك انك تبقى الى الليل لا كلمتك ابدا
قال فاغلق دوني الباب ودخل الدار وقال ابو زكريا التيمي بينا سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام
اذ اتي بحجر منقور فطلب من يقرأ فاتي بوهب بن منبه فاذا فيه ابن آدم انك لو رايت قرب ما بقي من اجلك
لزهدت في طول املك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا
ندمك لو قد زلت بك قدمك واسلمك اهلك وحشمك وفارقك الولد والقريب ورفضك الوالد و
النسيب فلا انت الى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيمة قبل الحسرة والندامة فبكى
سليمان بكاء شديدا

بيان السبب في طول الامل وعلاجه

اعلم ان طول الامل له
سببان احدهما الجهل والآخر حب الدنيا اما حب الدنيا فهو انه اذا انس بها وبشهواتها ولذاتها و
علائقها ثقلت على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه عن الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها وكل من كره شيئا دفعه
عن نفسه والانسان مشغوف بالاماني الباطلة فيمني نفسه ابدا ما يوافق مراده وانما يوافق مراده البقاء
في الدنيا فلا يزال يتوهمها ويقدرها في نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج اليه من مال واهل ودار و
اصدقاء ودواب وسائر اسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر

الموت ولا يقدر قربه فان خطر له في بعض الاحوال امر الموت والحاجة الى الاستعداد له سوف ووعد نفسه وقال الايام بين يديك الى ان تكبر ثم تتوب واذا كبر فيقول الى ان تصير شيخا فاذا صار شيخا قال الى ان تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة او ترجع من هذه السفرة او تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له او تفرغ من قهر هذا العدو الذي يشمت بك فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض في شغل الا ويتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة اشغال اخر وهكذا على التدريج يؤخر يوما بعد يوم ويفضي به شغل الى شغل بل الى اشغال الى ان تختطفه المنية في وقت لا يحتسبه فتطول عند ذلك حسرته واكثر اهل النار صياحهم من سوف يقولون واحزناه من سوف والمسكين لا يدري ان الذي يدعوه الى التسويف اليوم هو معه غدا وانما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا ويظن انه يتصور ان يكون للخائض في الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات فما يفرغ منها الا من اطرحها وما انتهى ارب الا الى ارب واصل هذه الاماني كلها حب الدنيا والانس بها والغفلة عن معنى قوله عليه السلام احبب من احببت فانك مفارقه واما الجهل فهو ان الانسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا اقل من عشر اهل البلد وانما قلوا لان الموت في الشبان اكثر والى ان يموت شيخ يموت الف صبي وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجاة ولا يدري ان ذلك غير بعيد وان كان ذلك بعيدا فالمرض فجاة غير بعيد وكل مرض فانما يقع فجاة واذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم ان الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وربيع ومن ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعواه الى طول الامل والى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو ابدا يظن ان الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه وهو ابدا يظن انه يشيع الجنائز ولا يقدر ان تشيع جنازته لان هذا قد تكرر عليه والفه وهو مشاهدة موت غيره فاما موت نفسه فلم يالفه

بالغد ولا يتصور ان يالفه فانه لم يقع واذا وقع لم يقع دفعة اخرى بعده فهو الاول وهو الآخر وسبيله ان يقيس
نفسه بغيره ويعلم انه لابد ان يحمل جنازته ويدفن في قبره ولعل اللبن الذي يغطي به لحده قد ضرب وفرغ منه
وهو لا يدري فتسويفه جهل محض واذا عرفت ان سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه اما الجهل فيدفع
بالفكر الصافي من القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة واما حب الدنيا فالعلاج في اخراجه
من القلب شديد وهو الداء العضال الذي اعيى الاولين والآخرين علاجه ولا علاج له الا الايمان باليوم الآخر
وما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الخطير
هو الذي يمحو عن القلب حب الحقير فاذا راى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف ان يلتفت الى الدنيا كلها
وان اعطي ملك الارض من المشرق الى المغرب فكيف وليس عنده من الدنيا الا قدر يسير مكدر منغص
فكيف يفرح بها او ترسخ في القلب حبها مع الايمان بالآخرة فنسال الله تعالى ان يرينا الدنيا كما اراها
الصالحين من عباده ولا علاج في تقدير الموت في القلب مثل النظر الى من مات من الاقران والاشكال
وانهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوا اما من كان مستعدا فقد فاز فوزا عظيما واما من
كان مغرورا بطول الامل فقد خسر خسرانا مبينا ولينظر الانسان كل ساعة في اطرافه واعضائه وليتدبر
انها كيف تاكلها الديدان لا محالة وكيف تتفتت عظامها وليتفكر ان الدود يبتدي بحدقته اليمنى اولا و
باليسرى فما على بدنه شيء الا وهو طعمة الدود وما له من نفسه الا العلم والعمل الخالص لوجه الله عز وجل وكذلك
يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر واهوال القيمة وقرع النداء يوم
العرض الاكبر فامثال هذه الافكار هي التي تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه الى الاستعداد له

بيان مراتب الناس في طول الامل وقصره

اعلم ان الخلق في ذلك متفاوتون فمنهم من يامل
البقاء ويشتهي ذلك ابدا قال الله تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة ومنهم من يامل البقاء الى الهرم وهو اقصى
العمر الذي شاهده وراه وهو الذي يحب الدنيا حبا شديدا قال النبي صلعم قلب الشيخ شاب في طلب
الدنيا وان التفت ترقوتاه من الكبر الا الذين اتقوا وقليل ما هم ومنهم من يامل الى سنة فلا يشتغل

تعرض لينته [illegible]

ودار [illegible] ولا يسير [illegible] الضيف

وجود ال[illegible] عام وسهم [illegible] الضيف فهم ارمع

عدة الصيف والاخر الشتاء [illegible] باب الضيف [illegible] فقال عيسى [illegible] وان

باب الشتاء [illegible] فلما [illegible] لا تعد [illegible] عليه السلام [illegible]

الله الى يوم [illegible] اجالكم [illegible] عليه السلام [illegible]

لا تهتموا برزق غد [illegible] الاجال [illegible]

لكن [illegible] فلا تحدث نفسك بالمسا، واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح [illegible]

اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمسا [illegible] فالذي [illegible] صلوة مودع [illegible]

ساعة كان النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] الانسان [illegible] الاسود [illegible] الى العمل [illegible] الموت [illegible]

وهو يتطهر وهذا [illegible] والمبادرة الى العمل [illegible]

الا ظننت اني لا ابتهها اخرى [illegible] ولكل درجات عند الله [illegible] الامل [illegible] المبادرة [illegible]

بانه لا ينبغي [illegible] مثقال ذرة [illegible] طول الامل [illegible] فرح [illegible]

مثقال ذرة [illegible] الاحتياج [illegible] شكر الله تعالى [illegible] العمل [illegible]

يبتغي بابا [illegible] الوقت [illegible] الا لمن [illegible] الموت [illegible] العمل

للموت الذي [illegible] الصباح وكذا اذا اصبح [illegible] فالموت [illegible] السعادة [illegible] اتعان [illegible]

ثم [illegible] الاستعداد والتذ [illegible] المنزل وقطعت [illegible] الاخوان [illegible]

بيان المبادرة الى العمل وحذار آفة التاخير

واعلم ان [illegible] عاقل عن نفسك [illegible] للذي تقدم الى [illegible] الموت [illegible]

[illegible] ... [illegible] المدة [illegible]

[illegible] يتقصى [illegible]

[illegible] مبادرة

العمل

العمل ابدا فانه ابدا يرى لنفسه متسعا في تلك المدة ويؤخر العمل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ينتظر احدكم من الدنيا الا غنى مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او الدجال فالدجال شر غائب ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر وقال ابن عباس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وقال عليه السلام نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ اي انه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما وقال عليه السلام من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة وقال النبي عليه السلام جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه وكان عليه السلام اذا انس من اصحابه غفلة او غرة نادى فيهم بصوت رفيع اتتكم المنية راتبة لازمة اما بشقاوة واما بسعادة وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم انا النذير والموت المغير والساعة الموعد وقال ابن عمر خرج النبي صلى الله عليه وسلم والشمس على اطراف السعف فقال ما بقي من الدنيا الا مثل ما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه وقال عليه السلام مثل ثوب شق من اوله الى آخره فبقي معلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع وقال جابر كان النبي عليه السلام اذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كانه منذر جيش يقول صبحتكم ومسيتكم بعثت انا والساعة كهاتين وقرن بين اصبعيه وقال ابن مسعود رضي الله عنه تلا النبي صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقال ان النور اذا دخل الصدر انفسح فقيل يا رسول الله هل لذلك من علامة تعرف فقال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وقال السدي الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا اي ايكم اكثر ذكرا للموت وله احسن استعدادا ومنه اشد خوفا وحذرا وقال حذيفة ما من صباح ولا مساء الا ومناد ينادي ايها الناس الرحيل الرحيل وتصديق ذلك قوله تعالى انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر في الموت وكان يقول الحسن في موعظته المبادرة فانما هي الانفاس لو حبست لانقطعت عنكم اعمالكم التي تتقربون بها الى الله عز وجل رحم الله امرا نظر لنفسه وبكى

على ذنوبه [illegible] ثم قرا هذه الاية انما نعد لهم عدا يعني الانفاس [illegible] آخر العدد [illegible] اهلك [illegible] اللذات [illegible]

لهم عدا يعني الانفاس آخر العدد خروج [illegible] قال الموت [illegible]

نفسك آخر العدد [illegible] فقال الموت [illegible]

وقال بعض [illegible] قوله تعالى [illegible] الذي [illegible]

وتربصتم قال بالتوبة وارتبتم [illegible] الحسن [illegible] فانه [illegible]

الغرور وقال ابو عبيدة [illegible] الاذان [illegible] يعلمون [illegible]

فانكم اتيته بالسلام [illegible] الارض [illegible]

هذا الحجر [illegible] الموت [illegible]

الباب الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عند الموت

لنه علي [illegible] ولا فضة [illegible] الموت [illegible]

عبدا جعل العيش [illegible] واحدا [illegible] الاعذاب [illegible]

بانيه اجله وهو على [illegible] العبد المسكين كرب [illegible] الاهوال [illegible]

اعلم انه لو لم يكن بين يدي العبد [illegible] قال لقمان لابنه [illegible] الا ان [illegible]

ويتكدر عليه سروره [illegible] مجالس اللهو [illegible] النزع وهو [illegible]

بعض الحكماء [illegible] اعظم اللذات [illegible] سكرات الموت [illegible] ان كل عضو [illegible]

الانسان لو كان [illegible] كل يوم [illegible] الموت لا يعرفها [illegible] فاما الناس [illegible]

عليه عيشه [illegible] سكرات الموت [illegible] النزع على شدة [illegible] الاجزاء [illegible]

واعلم ان شدة الالم في سكرات الموت [illegible] الروح [illegible] اللحم [illegible] الروح [illegible]

التي ادركها [illegible] الروح [illegible] الالام [illegible] النزع عبارة عن

فلا يحس الا الالم [illegible] الروح [illegible] النزع [illegible]

روح فيتعدد [illegible] الا بعض [illegible] الالام [illegible] جميع اجزائها

فما اعظم [illegible]

لم يبق جزء من اجزاء الروح المنتشرة في اعماق البدن الا وقد حل به الالم فلو اصابته شوكة فالالم الذي يجده انما يجري في جزء من الروح يلاقي ذلك الموضع الذي اصابه الشوك وانما يعظم اثر الاحراق لان اجزاء النار تغوص في سائر

وكان من دعائه عليه السلام إذا عرضت له مهمة أو نزلت به ملمة بسم الله الرحمن الرحيم يا من تحل به عقد المكاره ويا من يفثأ
به حد الشدائد ويا من يلتمس منه المخرج إلى روح الفرج ذلت لقدرتك الصعاب وتسببت بلطفك الأسباب وجرى
بقدرتك القضاء ومضت على إرادتك الأشياء فهي بمشيتك دون قولك مؤتمرة وبإرادتك دون نهيك منزجرة
أنت المدعو للمهمات وأنت المفزع في الملمات لا يندفع منها إلا ما دفعت ولا ينكشف منها إلا ما كشفت وقد نزل
بي يا رب ما قد تكأدني ثقله وألم بي ما قد بهظني حمله وبقدرتك أوردته علي وبسلطانك وجهته إلي فلا مصدر
لما أوردت ولا صارف لما وجهت ولا فاتح لما أغلقت ولا مغلق لما فتحت ولا ميسر لما عسرت ولا ناصر لمن خذلت
فصل على محمد وآله وافتح لي يا رب باب الفرج بطولك واكسر عني سلطان الهم بحولك وأنلني حسن النظر فيما شكوت
وأذقني حلاوة الصنع فيما سألت وهب لي من لدنك رحمة وفرجا هنيئا واجعل لي من عندك مخرجا وحيا ولا
تشغلني بالاهتمام عن تعاهد فروضك واستعمال سنتك فقد ضقت لما نزل بي يا رب ذرعا وامتلأت بحمل
ما حدث علي هما وأنت القادر على كشف ما منيت به ودفع ما وقعت فيه فافعل بي ذلك وإن لم أستوجبه
يا ذا العرش العظيم

طریق ختم این کلمه قبل از طلوع صبح ابتدا کند تا ده روز هر روز ده مرتبه قبل از طلوع بخواند و هر دفعه قبل
از شروع کردن صلوات دو ستد و چهل مرتبه یا الله یکفیتی بخواند و شروع نماید و در میان دعا هر بار که به سر چندان
تکرار کند که نفس منقطع شود و بعد سر به سجده بگذارد و مطلب خود را عرض نماید و سر بردارد و تتمه را بخواند تا تمام شود
و بعد از فراغ از هر قعده هم چهل مرتبه یا الله بترک یکفیتی بگوید و سجده او و سبحه یکبار یا ذا الجلال والاکرام
بیکفیتی بگوید و مطلب خود را عرض نماید انشاء الله مراد او روا خواهد شد

من كلام آدم اوليا علي المرتضى صلوات الله عليه وآله

بسم الله الرحمن الرحيم اللّهُمَّ الْعَنْ
صَنَمَيْ قُرَيْشٍ وَجِبْتَيْهَا وَطَاغُوتَيْهَا اللَّذَيْنِ خَالَفَا أَمْرَكَ وَأَنْكَرَا
وَحْيَكَ وَجَحَدَا إِنْعَامَكَ وَعَصَيَا رَسُولَكَ وَقَلَبَا دِينَكَ وَ
حَرَّفَا كِتَابَكَ وَعَطَّلَا أَحْكَامَكَ وَأَبْطَلَا فَرَائِضَكَ
وَأَلْحَدَا فِي آيَاتِكَ وَعَادَيَا أَوْلِيَاءَكَ وَوَاليَا أَعْدَاءَكَ وَأَفْسَدَا
عِبَادَكَ وَخَرَّبَا بِلَادَكَ اللّهُمَّ الْعَنْ بِعَدَدِ كُلِّ مُنْكَرٍ أَتَوْهُ
وَحَقٍّ أَخْفَوْهُ وَمِنْبَرٍ عَلَوْهُ وَمُنَافِقٍ وَلَّوْهُ وَمُؤْمِنٍ أَرْجَوْهُ وَوَلِيٍّ
آذَوْهُ وَطَرِيدٍ آوَوْهُ وَصَادِقٍ طَرَدُوهُ وَكَافِرٍ نَصَرُوهُ
وَإِمَامٍ قَهَرُوهُ وَفَرْضٍ غَيَّرُوهُ وَأَثَرٍ أَنْكَرُوهُ وَشَرٍّ آثَرُوهُ
وَشَرٍّ أَظْهَرُوهُ وَدَمٍ أَرَاقُوهُ وَأَمْرٍ بَدَّلُوهُ وَحُكْمٍ قَلَبُوهُ
وَكُفْرٍ أَبْدَعُوهُ وَكِذْبٍ دَلَّسُوهُ وَإِرْثٍ غَصَبُوهُ وَفَيْءٍ اقْتَطَعُوهُ
وَسُحْتٍ أَكَلُوهُ وَخُمْسٍ اسْتَحَلُّوهُ وَبَاطِلٍ أَسَّسُوهُ وَجَوْرٍ

بسطوه وظلم نشروه ووعد اخلفوه وامان خانوه وعهد نقضوه
وحلال حرموه وحرام احلوه ونفاق اسروه وغدر اضمروه
وبطن فتقوه وضلع دقوه وصك مزقوه وشمل بددوه
وذليل اعزوه وعزيز اذلوه وحق منعوه اللهم العنهم
بعدد كل اية حرفوها وفريضة تركوها وسنة غيروها واحكام
عطلوها وايمان جحدوها ورسوم قطعوها ووصية ضيعوها
وبيعة نكثوها وشهادة كتموها ودعوى ابطلوها وبينة
انكروها وازباق لحزوها وحيلة احدثوها وخيانة
اوردوها وعقبة ارتقوها ودباب دحرجوها اللهم
العنهما واتباعهما واشياعهما ومحبيهما اللهم العنهم
في مستسر السر والعلانية لعنا كثيرا ابدا سرمدا لا انقطاع
لعدده ولا نفاد لامده لعنا لا يعد اوله ولا ينقطع اخره
ولاعوانهم وانصارهم ومحبيهم ومواليهم والمائلين اليهم

والناهضين باحتجاجهم والمقتدين بموالاتهم و
المصدقين باحكامهم يقول اربع مرات اللهم
عذبهم بعذاب يستغيث منه اهل النار امين
والحمد لله اولا واخرا

منتخب المنقذ من الضلال

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فقد سألتني ايها الاخ في الدين ان ابث اليك غاية العلوم واسرارها وغائلة المذاهب واغوارها واحكي لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق مع تباين المسالك والطرق وما استفدته اولا من علم الكلام وما اجتويته ثانيا من طرق اهل التعليم القاصرين لدرك الحق على تقليد الامام وما ازدريته ثالثا من طرق التفلسف وما ارتضيته آخرا من طريقة التصوف فابتدرت لاجابتك الى مطلبك بعد الوقوف على صدق رغبتك وقلت مستعينا بالله تعالى ومتوكلا عليه ومستوفقا منه وملتجئا اليه اعلموا احسن الله ارشادكم ان اختلاف الخلق في الاديان والملل ثم اختلاف الائمة في المذاهب على كثرة الفرق بحر عميق غرق فيه الاكثرون وما نجا منه الا الاقلون وكل فريق يزعم انه الناجي وكل حزب بما لديهم فرحون وهو الذي وعدنا به سيد المرسلين صلوات الله عليه وهو الصادق المصدوق حيث قال ستفترق امتي ثلاثا وسبعين فرقة الناجية منها واحدة فقد كاد ما وعد ان يكون ولم ازل منذ راهقت وقبل بلوغ العشرين الى الآن وقد اناف السن على الخمسين اقتحم لجة هذا البحر العميق واخوض غمرته خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور واتوغل في كل مظلمة واتهجم على كل مشكلة واتقحم كل ورطة واتفحص عن عقيدة كل فرقة واستكشف اسرار مذهب كل طائفة لاميز بين محق ومبطل ومتسنن ومبتدع لا اغادر باطنيا الا واحب ان اطلع على باطنيته ولا ظاهريا الا واريد ان اعلم حاصل ظاهريته ولا فلسفيا الا واقصد الوقوف على كنه فلسفته ولا متكلما الا واجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ولا صوفيا الا واحرص على العثور على سر صوفيته ولا متعبدا الا واترصد ما يرجع اليه حاصل عبادته ولا زنديقا معطلا الا واتجسس وراءه للتنبه لاسباب جرأته في تعطيله وزندقته وقد كان التعطش الى درك حقائق الامور دأبي وديدني من اول امري وريعان عمري غريزة وفطرة من الله وضعتا في جبلتي لا باختياري وحيلتي حتى انحلت عني رابطة التقليد وانكسرت علي العقائد الموروثة على قرب عهد سن الصبا اذ رأيت صبيان النصارى لا يكون لهم نشوء الا على التنصر وصبيان اليهود لا نشوء لهم الا على التهود وصبيان المسلمين لا نشوء لهم الا على الاسلام وسمعت الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فتحرك باطني الى طلب حقيقة الفطرة الاصلية وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والاستاذين والتمييز بين هذه التقليدات واوائلها تلقينات وفي تمييز الحق منها عن الباطل اختلافات

فقلت اولا في نفسي انما مطلوبي العلم بحقائق الامور فلا بد من طلب حقيقة العلم ما هي فظهر لي ان العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط والوهم ولا يتسع القلب لتقدير ذلك بل الامان من الخطأ ينبغي ان يكون مقارنا لليقين مقارنة لو تحدى باظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهبا والعصا ثعبانا لم يورث ذلك شكا وانكارا فاني اذا علمت ان العشرة اكثر من الثلاثة فلو قال لي قائل لا بل الثلاثة اكثر بدليل اني اقلب هذه العصا ثعبانا وقلبها وشاهدت ذلك منه لم اشك بسببه في معرفتي ولم يحصل لي منه الا التعجب من كيفية قدرته عليه فاما الشك فيما علمته فلا ثم علمت ان كل ما لا اعلمه على هذا الوجه ولا اتيقنه هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به ولا امان معه وكل علم لا امان معه فليس بعلم يقيني

القول في مداخل السفسطة وجحد العلوم

ثم فتشت عن علومي فوجدت نفسي عاطلا من علم موصوف بهذه الصفة الا في الحسيات والضروريات فقلت الآن بعد حصول اليأس لا مطمع في اقتباس المشكلات الا من الجليات وهي الحسيات والضروريات فلا بد من احكامها اولا لاتيقن ان ثقتي بالمحسوسات واماني من الغلط في الضروريات من جنس اماني الذي كان من قبل في التقليديات ومن جنس امان اكثر الخلق في النظريات ام هو امان محقق لا غدر فيه ولا غائلة له فاقبلت بجد بليغ اتأمل في المحسوسات والضروريات وانظر هل يمكنني ان اشكك نفسي فيها فانتهى بي طول التشكك الى ان لم تسمح نفسي بتسليم الامان في المحسوسات ايضا واخذ يتسع هذا الشك فيها ويقول من اين الثقة بالمحسوسات واقواها حاسة البصر وهي تنظر الى الظل فتراه واقفا غير متحرك وتحكم بنفي الحركة ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة تعرف انه متحرك وتنظر الى الكوكب فتراه صغيرا في مقدار دينار ثم الادلة الهندسية تدل على انه اكبر من الارض في المقدار هذا وامثاله من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحس باحكامه ويكذبه حاكم العقل ويخونه تكذيبا لا سبيل الى مدافعته فقلت قد بطلت الثقة بالمحسوسات ايضا فلعله لا ثقة الا بالعقليات التي هي من الاوليات كقولنا العشرة اكثر من الثلاثة والنفي والاثبات لا يجتمعان في الشيء الواحد والشيء الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما واجبا محالا فقالت المحسوسات بم تأمن ان تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات وقد كنت واثقا بي فجاء حاكم العقل فكذبني ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي فلعل وراء ادراك العقل حاكما آخر اذا تجلى كذب العقل في حكمه كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه وعدم تجلي ذلك الادراك لا يدل على استحالته فتوقفت النفس في جواب ذلك قليلا وايدت اشكالها بالمنام وقالت اما تراك تعتقد في النوم امورا وتتخيل احوالا وتعتقد لها ثباتا واستقرارا ولا تشك في تلك الحالة فيها ثم تستيقظ فتعلم انه لم يكن لجميع متخيلاتك ومعتقداتك اصل وطائل فبم تأمن ان يكون جميع ما تعتقده في يقظتك بحس او عقل هو حق بالاضافة الى حالتك لكن يمكن ان يطرأ عليك حالة تكون نسبتها الى يقظتك كنسبة يقظتك الى منامك وتكون يقظتك نوما بالاضافة اليها فاذا وردت تلك الحالة تيقنت ان جميع ما توهمت بعقلك خيالات لا حاصل لها ولعل تلك الحالة ما يدعيه الصوفية انها حالتهم اذ يزعمون انهم يشاهدون في احوالهم التي لهم اذا غاصوا في انفسهم وغابوا عن حواسهم احوالا لا توافق هذه المعقولات ولعل تلك الحالة هي الموت اذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فلعل الحياة الدنيا نوم بالاضافة الى الآخرة فلما خطرت لي هذه الخواطر وانقدحت في النفس حاولت لذلك علاجا فلم يتيسر اذ لم يكن دفعه الا بالدليل ولم يمكن نصب دليل الا من تركيب العلوم الاولية فاذا لم تكن مسلمة لم يمكن تركيب الدليل فاعضل هذا الداء ودام قريبا من شهرين انا فيهما على مذهب السفسطة بحكم الحال لا بحكم النطق والمقال حتى شفى الله تعالى من ذلك المرض وعادت النفس الى الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقا بها على امن ويقين ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر وذلك النور هو مفتاح اكثر المعارف فمن ظن ان الكشف موقوف على الادلة المحررة فقد ضيق رحمة الله تعالى الواسعة ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الشرح ومعناه في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام قال هو نور يقذفه الله تعالى في القلب فقيل وما علامته فقال التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود وهو الذي قال صلى الله عليه وآله فيه ان الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن ذلك النور ينبغي ان يطلب الكشف وذلك النور ينبجس من الجود الالهي في بعض الاحايين ويجب الترصد له كما قال ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها والمقصود من هذه الحكاية ان يعمل كمال الجد في الطلب حتى ينتهي الى طلب ما لا يطلب فان الاوليات ليست مطلوبة فانها حاضرة والحاضر اذا طلب فقد واختفى ومن طلب ما لا يطلب فلا يتهم بالتقصير في طلب ما يطلب

القول في اصناف الطالبين

ولما شفاني الله تعالى من هذا المرض بفضله وسعة جوده انحصرت اصناف الطالبين عندي في اربع فرق المتكلمون وهم يدعون انهم اهل الرأي والنظر والباطنية وهم يزعمون انهم اصحاب التعليم والمخصوصون بالاقتباس من الامام المعصوم والفلاسفة وهم يزعمون انهم اهل المنطق والبرهان والصوفية وهم يدعون انهم خواص الحضرة واهل المشاهدة والمكاشفة فقلت في نفسي الحق لا يعدو هذه الاصناف الاربعة فهؤلاء هم السالكون سبل طلب الحق فان شذ الحق عنهم فلا يبقى في درك الحق مطمع اذ لا مطمع في الرجوع الى التقليد بعد مفارقته اذ من شرط المقلد ان لا يعلم انه مقلد فاذا علم ذلك انكسرت زجاجة تقليده وهو شعب لا يرأب وشعث لا يلم بالتلفيق والتأليف الا ان يذاب بالنار ويستأنف لها صنعة اخرى مستجدة فابتدرت لسلوك هذه الطرق واستقصاء ما عند هذه الفرق مبتدئا بعلم الكلام ومثنيا بطريق الفلسفة ومثلثا بتعليمات الباطنية ومربعا بطريق الصوفية

القول في علم الكلام

ثم اني ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعقلته وطالعت كتب المحققين منهم وصنفت فيه ما اردت ان اصنف فصادفته علما وافيا بمقصوده غير واف بمقصودي وانما مقصوده حفظ عقيدة اهل السنة وحراستها عن تشويش اهل البدعة فقد القى الله تعالى الى عباده على لسان رسوله صلى الله عليه وآله عقيدة هي الحق على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم كما نطق بمعرفته القرآن والاخبار ثم القى الشيطان في وساوس المبتدعة امورا مخالفة للسنة فلهجوا بها وكادوا يشوشون عقيدة الحق على اهلها فانشأ الله تعالى طائفة المتكلمين وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب يكشف عن تلبيسات اهل البدعة فلقد قام طائفة منهم بما ندبهم الله اليه فاحسنوا الذب عن السنة والنضال عن العقيدة المتلقاة بالقبول من النبوة ولكنهم اعتمدوا في ذلك على مقدمات تسلموها من خصومهم واضطرهم الى تسليمها اما التقليد او اجماع الامة او مجرد القبول من القرآن والاخبار وكان اكثر خوضهم في استخراج مناقضات الخصوم ومؤاخذتهم بلوازم مسلماتهم وهذا قليل النفع في حق من لا يسلم سوى الضروريات شيئا اصلا فلم يكن الكلام في حقي كافيا ولا لدائي الذي كنت اشكوه شافيا نعم لما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض فيه وطالت المدة تشوق المتكلمون الى محاولة الذب عن السنة بالبحث عن حقائق الامور وخاضوا في البحث عن الجواهر والاعراض واحكامها ولكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى فلم يحصل منه ما يمحق بالكلية ظلمات الحيرة في اختلافات الخلق ولا ابعد ان يكون قد حصل ذلك لغيري بل لست اشك في حصول ذلك لطائفة ولكن حصولا مشوبا بالتقليد في بعض الامور التي ليست من الاوليات والغرض الآن حكاية حالي لا الانكار على من استشفى به فان ادوية الشفاء تختلف باختلاف الداء وكم من دواء ينتفع به مريض ويستضر به آخر

القول في الفلسفة

ثم اني ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام بعلم الفلسفة وعلمت يقينا انه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على

منتهى ذلك العلم حتى يساوي أعلمهم في ذلك العلم ثم يزيد عليه ويجاوز درجته فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب ذلك العلم من غوره وغائلته فإذ ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقاً ولم أر أحداً من علماء الإسلام صرف عنايته إلى ذلك ولم يكن في كتب المتكلمين من كلامهم حيث اشتغلوا بالرد عليهم إلا كلمات معقدة مبددة ظاهرة التناقض والفساد لا يظن الاغترار بها بغافل عامي فضلاً عمن يدعي دقائق العلوم فعلمت أن رد المذهب قبل فهمه والاطلاع على كنهه رمي في عماية فشمرت عن ساق الجد في تحصيل ذلك العلم من الكتب بمجرد المطالعة من غير استعانة بأستاذ وأقبلت على ذلك في أوقات فراغي من التدريس والتصنيف في العلوم الشرعية وأنا ممنو بالتدريس والإفادة لثلثمائة نفس من الطلبة ببغداد فأطلعني الله تعالى بمجرد المطالعة في هذه الأوقات المختلسة على منتهى علومهم في أقل من سنتين ثم لم أزل أتفكر فيه بعد فهمه قريباً من سنة أعاوده وأردده وأتفقد غوائله وأغواره حتى اطلعت على ما فيه من خداع وتلبيس وتحقيق وتخييل اطلاعاً لم أشك فيه فاسمع الآن حكايته وحكاية حاصل علومهم فإني رأيتهم أصنافاً ورأيت علومهم أقساماً وهم على كثرة أصنافهم يلزمهم وصمة الكفر والإلحاد وإن كان بين القدماء منهم والأقدمين وبين الأواخر منهم والأوائل تفاوت عظيم في البعد عن الحق والقرب منه **اعلم** أنهم على كثرة فرقهم واختلاف مذاهبهم ينقسمون إلى ثلثة أقسام **الدهريين** وهم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر العالم القادر وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بلا صانع ولم يزل الحيوان من نطفة والنطفة من حيوان كذلك كان وكذلك يكون أبداً وهؤلاء هم الزنادقة **الثاني** الطبيعيون وهم قوم أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة وعن عجائب الحيوان والنبات وأكثروا الخوض في علم تشريح أعضاء الحيوانات فرأوا فيها من عجائب صنع الله تعالى وبدائع حكمته ما اضطروا معه إلى الاعتراف بفاطر حكيم مطلع على غايات الأمور ومقاصدها ولا يطالع التشريح وعجائب منافع الأعضاء مطالع إلا ويحصل له هذا العلم الضروري بكمال تدبير الباني لبنية الحيوان ولا سيما بنية الإنسان إلا أن هؤلاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة ظهر عندهم لاعتدال المزاج تأثير عظيم في قوام قوى الحيوان فظنوا أن القوة العاقلة من الإنسان تابعة لمزاجه أيضاً وأنها تبطل ببطلان مزاجه فتنعدم ثم إذا انعدم فلا يعقل إعادة المعدوم كما زعموا فذهبوا إلى أن النفس تموت ولا تعود فجحدوا الآخرة وأنكروا الجنة والنار والقيامة والحساب فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ولا للمعصية عقاب فانحل عنهم اللجام وانهمكوا في الشهوات انهماك الأنعام وهؤلاء أيضاً زنادقة **الثالث** الإلهيون وهم المتأخرون منهم مثل سقراط وهو أستاذ أفلاطون وأفلاطون أستاذ أرسطاطاليس وأرسطاطاليس هو الذي رتب لهم المنطق وهذب لهم العلوم وخمر لهم ما لم

يكن مخمراً من قبل وأنضج لهم ما كان فجاً من علومهم وهم بجملتهم ردوا على الصنفين الأولين من الدهرية والطبيعية وأوردوا في الكشف عن فضائحهم ما أغنوا به غيرهم وكفى الله المؤمنين القتال بتقاتلهم ثم رد أرسطاطاليس على أفلاطون وسقراط ومن كان قبلهم من الإلهيين رداً لم يقصر فيه حتى تبرأ عن جميعهم إلا أنه استبقى أيضاً من رذائل كفرهم وبدعتهم بقايا لم يوفق للنزوع عنها فوجب تكفيرهم وتكفير شيعتهم من المتفلسفة الإسلاميين كابن سينا والفارابي وغيرهما **اعلم** أن علومهم بالنسبة إلى الغرض الذي نطلبه ستة أقسام **الرياضيات** تتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم وليس يتعلق شيء منها بالأمور الدينية نفياً وإثباتاً بل هي أمور برهانية لا سبيل إلى مجاحدتها بعد فهمها ومعرفتها وقد تولدت منه آفة وهي أن كل من ينظر فيها يتعجب من دقائقها ومن ظهور براهينها فيحسن بسبب ذلك اعتقاده في الفلاسفة ويحسب أن جميع علومهم في الوضوح ووثاقة البرهان كهذا العلم ثم يكون قد سمع من كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع ما تداولته الألسنة فيكفر بالتقليد المحض ويقول لو كان الدين حقاً لما اختفى على هؤلاء مع تدقيقهم في هذا العلم **وأما المنطقيات** فلا يتعلق شيء منها بالدين نفياً وإثباتاً بل هو النظر في طرق الأدلة والمقاييس وشروط مقدمات البرهان وكيفية تركيبها وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبه وأن العلم إما تصور وسبيل معرفته الحد وإما تصديق وسبيل معرفته البرهان وليس في هذا ما ينبغي أن ينكر بل هو من جنس ما ذكره المتكلمون وأهل النظر في الأدلة وإنما يفارقونهم بالعبارات والاصطلاحات وبزيادة الاستقصاء في التعريفات والتشعيبات **وأما الطبيعيات** فهو بحث عن عالم السموات وكواكبها وما تحتها من الأجسام المفردة كالماء والهواء والتراب والنار وعن الأجسام المركبة كالحيوان والنبات والمعادن وعن أسباب تغيرها واستحالتها وامتزاجها وذلك يضاهي بحث الطب عن جسم الإنسان وأعضائه الرئيسة والخادمة وأسباب استحالة مزاجه وكما ليس من شرط الدين إنكار علم الطب فليس من شرطه أيضاً إنكار ذلك العلم إلا في مسائل معينة ذكرناها في كتاب تهافت الفلاسفة وجملتها أن تعلم أن الطبيعة مسخرة لله تعالى لا تعمل بنفسها بل هي مستعملة من جهة فاطرها **وأما الإلهيات** ففيها أكثر أغاليطهم فما قدروا على الوفاء بالبرهان على ما شرطوه في المنطق ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيه ولقد قرب مذهب أرسطاطاليس فيها من مذاهب الإسلاميين على ما نقله الفارابي وابن سينا ولكن مجموع ما غلطوا فيه يرجع إلى عشرين أصلاً يجب تكفيرهم في ثلثة منها وتبديعهم في سبعة عشر ولإبطال مذهبهم في هذه المسائل العشرين صنفنا كتاب التهافت

أما المسائل الثلث فقد خالفوا فيها كافة الإسلاميين وذلك في قولهم إن الأجساد لا تحشر وإنما المثاب والمعاقب هي الأرواح المجردة والمثوبات والعقوبات روحانية لا جسمانية ولقد صدقوا في إثبات الروحانية ولكن كذبوا في إنكار الجسمانية وكفروا بالشريعة فيما نطقوا به ومن ذلك قولهم إن الله تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات وهذا أيضاً كفر صريح بل الحق أنه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ومن ذلك قولهم بقدم العالم وأزليته ولم يذهب أحد من المسلمين إلى شيء من هذه المسائل وأما ما وراء ذلك من نفيهم الصفات وقولهم إنه عالم بالذات لا بعلم زائد على الذات وما يجري مجراه فمذهبهم فيها قريب من مذهب المعتزلة ولا يجب تكفير المعتزلة بمثل ذلك **وأما السياسيات** فجميع كلامهم فيها يرجع إلى الحكم المصلحية المتعلقة بالأمور الدنياوية والإيالة السلطانية وإنما أخذوها من كتب الله المنزلة على الأنبياء ومن الحكم المأثورة عن سلف الأنبياء **وأما الخلقيات** فجميع كلامهم فيها يرجع إلى حصر صفات النفس وأخلاقها وذكر أجناسها وأنواعها وكيفية معالجتها ومجاهدتها وإنما أخذوها من كلام الصوفية وهم المتألهون المثابرون على ذكر الله تعالى وعلى مخالفة الهوى وسلوك الطريق إلى الله تعالى بالإعراض عن ملاذ الدنيا وقد انكشف لهم في مجاهدتهم من أخلاق النفس وعيوبها وآفات أعمالها ما صرحوا به فأخذها الفلاسفة ومزجوها بكلامهم توسلاً بالتجمل بها إلى ترويج باطلهم ولقد كان في عصرهم بل في كل عصر جماعة من المتألهين لا يخلي الله تعالى العالم عنهم فإنهم أوتاد الأرض كما روي في الخبر حيث قال عليه السلام بهم تمطرون وبهم ترزقون ومنهم كان أصحاب الكهف وكانوا في سالف الأزمنة على ما نطق به القرآن فتولد من مزجهم كلام النبوة وكلام الصوفية في كتبهم آفتان آفة في حق القابل وآفة في حق الراد **أما** الآفة في حق الراد فعظيمة إذ ظنت طائفة من الضعفاء أن ذلك الكلام إذا كان مدوناً في كتبهم وممزوجاً بباطلهم ينبغي أن يهجر ولا يذكر بل ينكر على كل من يذكره إذ لم يسمعوه أولاً إلا منهم فسبق إلى عقولهم الضعيفة أنه باطل لأن قائله مبطل وهذه عادة ضعفاء العقول يعرفون الحق بالرجال لا الرجال بالحق والعاقل يقتدي بسيد العقلاء علي رضي الله عنه حيث قال لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله والعاقل يعرف الحق ثم ينظر في نفس القول فإن كان حقاً قبله سواء كان قائله مبطلاً أو محقاً بل ربما يحرص على انتزاع الحق من أقاويل أهل الضلال عالماً بأن معدن الذهب الرغام ولا بأس على الصراف إن أدخل يده في كيس القلاب وانتزع الإبريز الخالص من الزيف والبهرج مهما كان واثقاً ببصيرته وإنما يزجر عن معاملة القلاب القروي دون الصراف البصير ويمنع من ساحل البحر الأخرق دون السابح الحاذق ويصد

عن الحية الصبي دون المعزم البصير ولعمري لما غلب على أكثر الخلق ظنهم بأنفسهم الحذاقة والبراعة وكمال العقل في تمييز الحق عن الباطل والهدى عن الضلال وجب أن يحسم الباب في زجر الكافة عن مطالعة كتب أهل الضلال ما أمكن إذ لا يسلمون عن الآفة الثانية التي سنذكرها أصلاً وإن سلموا من هذه الآفة التي ذكرناها ولقد اعترض على بعض الكلمات المبثوثة في تصانيفنا في أسرار علوم الدين طائفة من الذين لم تستحكم في العلوم سرائرهم ولم تنفتح إلى أقصى غايات المذاهب بصائرهم وزعموا أن تلك الكلمات من كلام الأوائل مع أن بعضها من مولدات الخواطر ولا يبعد أن يقع الحافر على الحافر وبعضها يوجد في الكتب الشرعية وأكثرها موجود معناه في كتب الصوفية وهب أنها لم توجد إلا في كتبهم فإذا كان ذلك الكلام معقولاً في نفسه مؤيداً بالبرهان ولم يكن على مخالفة الكتاب والسنة فلم ينبغي أن يهجر ويترك فلو فتحنا هذا الباب لزمنا أن نهجر جملة من آيات القرآن وأخبار الرسول وحكايات السلف وكلمات الحكماء والصوفية لأن صاحب كتاب إخوان الصفا أوردها في كتابه وأقل درجات العالم أن يتميز عن العامي الغمر فلا يعاف العسل وإن وجده في محجمة الحجام ويتحقق أن المحجمة لا تغير ذات العسل وهذا الوهم الباطل غالب على أكثر الخلق **الآفة الثانية** آفة القبول فإن من نظر في كتبهم كإخوان الصفا وغيره فرأى ما مزجوه بكلامهم من الحكم النبوية والكلمات الصوفية ربما استحسنها وقبلها وحسن اعتقاده فيهم فسارع إلى قبول باطلهم الممزوج به لحسن ظن حصل فيما رآه واستحسنه وذلك نوع استدراج إلى الباطل ولأجل هذه الآفة يجب الزجر عن مطالعة كتبهم لما فيها من الغدر والخطر وكما يجب صون من لا يحسن السباحة عن مزالق الشطوط يجب صون الخلق عن مطالعة تلك الكتب وكما يجب صون الصبيان عن مس الحيات يجب صون الأسماع عن مختلط تلك الكلمات وكما يجب على المعزم أن لا يمس الحية بين يدي ولده الطفل إذ يعلم أنه سيقتدي به ويظن أنه مثله فكذلك يجب على العالم الراسخ مثله وكما أن المعزم الحاذق إذا أخذ الحية وميز بين الترياق والسم واستخرج منه الترياق وأبطل السم فليس له أن يشح بالترياق على المحتاج وكذلك الصراف الناقد البصير إذا أدخل يده في كيس القلاب وأخرج منه الإبريز الخالص وطرح الزيف والبهرج فليس له أن يشح بالجيد

[illegible]

الفصل

[illegible]

فصل في طرق الصوفية

[illegible]

للذين اوتوا العلم ماذا قال انفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم وما قلناه بان لنا بالضرورة من ممارسة طريقتهم حقيقة النبوة وخاصيتها ولا بد من التنبيه على اصلها لشدة مسيس الحاجة اليها

القول

في حقيقة النبوة واضطرار كافة الخلق اليها اعلم ان جوهر الانسان في اول الفطرة خلق خاليا ساذجا لا خبر معه من عوالم الله تعالى والعوالم كثيرة لا يحصيها الا الله تعالى وانما خبره من العوالم بواسطة الادراك وكل ادراك من الادراكات خلق ليطلع الانسان به على عالم من الموجودات ونعني بالعوالم اجناس الموجودات فاول ما يخلق في الانسان حاسة اللمس فيدرك بها اجناسا من الموجودات كالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة وغيرها واللمس قاصر عن الالوان والاصوات قطعا بل هي كالمعدوم في حق اللمس ثم يخلق له البصر فيدرك به الالوان والاشكال وهو اوسع عالم المحسوسات ثم ينفخ فيه السمع فيسمع الاصوات والنغمات ثم يخلق له الذوق وكذلك الى ان يجاوز عالم المحسوسات فيخلق فيه التمييز وهو قريب من سبع سنين وهو طور اخر من اطوار وجوده فيدرك فيه امورا زائدة على عالم المحسوسات لا يوجد منها شي في عالم الحس ثم يترقى الى طور اخر فيخلق له العقل فيدرك الواجبات والجائزات والمستحيلات وامورا لا توجد في الاطوار التي قبله ووراء العقل طور اخر تنفتح فيه عين اخرى يبصر بها الغيب وما سيكون في المستقبل وامورا اخر العقل معزول عنها كعزل قوة التمييز عن ادراك المعقولات وكعزل قوة الحس عن مدركات التمييز وكما ان المميز لو عرض عليه مدركات العقل لاباها واستبعدها فكذلك بعض العقلاء ابوا مدركات النبوة واستبعدوها وذلك عين الجهل اذ لا مستند له الا انه طور لم يبلغه ولم يوجد في حقه فيظن انه غير موجود في نفسه والاكمه لو لم يعلم بالتواتر والتسامع الالوان والاشكال وحكي له ذلك ابتداء لم يفهمها ولم يقر بها وقد قرب الله تعالى على خلقه بان اعطاهم انموذجا من خاصية النبوة وهو النوم اذ النائم يدرك ما سيكون من الغيب اما صريحا واما في كسوة مثال يكشف عنه التعبير وهذا لو لم يجربه الانسان من نفسه وقيل له ان من الناس من يسقط مغشيا عليه كالميت ويزول عنه احساسه وسمعه وبصره فيدرك الغيب لانكره واقام البرهان على استحالته وقال القوى الحساسة اسباب الادراك فمن لا يدرك الاشياء مع وجودها وحضورها فبان لا يدرك مع ركودها اولى واحق وهذا نوع قياس يكذبه الوجود والمشاهدة فكما ان العقل طور من اطوار الادمي يحصل فيه عين يبصر بها انواعا من المعقولات والحواس معزولة عنها فالنبوة ايضا عبارة عن طور يحصل فيه عين لها نور يظهر في نورها الغيب وامور لا يدركها العقل والشك في النبوة اما ان يقع في امكانها او في وجودها ووقوعها

ودليل امكانها وجودها ودليل وجودها وجود معارف في العالم لا يتصور ان تنال بالعقل كعلم الطب والنجوم فان من بحث عنها علم بالضرورة انها لا تدرك الا بالهام الهي وتوفيق من جهة الله تعالى ولا سبيل اليها بالتجربة فمن الاحكام النجومية ما لا يقع الا في كل الف سنة مرة فكيف ينال ذلك بالتجربة وكذلك خواص الادوية فتبين بهذا البرهان ان في الامكان وجود طريق لادراك هذه الامور التي لا يدركها العقل وهو المراد بالنبوة لا ان النبوة عبارة عنها فقط بل ادراك هذا الجنس الخارج عن مدركات العقل احدى خواص النبوة ولها خواص كثيرة سواها وما ذكرناها قطرة من بحرها وانما ذكرناها لان معك انموذجا منها وهو مدركاتك في النوم ومعك علوم من جنسها في الطب والنجوم وهي معجزات الانبياء ولا سبيل اليها للعقلاء ببضاعة العقل اصلا واما ما عدا هذه من خواص النبوة فانما يدرك بالذوق في سلوك طريق التصوف لان هذا انما فهمته بانموذج رزقته وهو النوم ولولاه لما صدقت به فان كان للنبي خاصية ليس لك منها انموذج فلا تفهمها اصلا فكيف تصدق بها وانما التصديق بعد الفهم وذلك الانموذج يحصل في اول طريق التصوف فيحصل به نوع من الذوق بالقدر الحاصل ونوع من التصديق بما لم يحصل بالقياس اليه فهذه الخاصية الواحدة تكفيك للايمان باصل النبوة فان وقع لك الشك في شخص معين انه نبي ام لا فلا يحصل اليقين الا بمعرفة احواله اما بالمشاهدة او بالتواتر والتسامع فانك اذا عرفت الطب والفقه يمكنك ان تعرف الفقهاء والاطباء بمشاهدة احوالهم وسماع اقاويلهم وان لم تشاهدهم ولا تعجز ايضا عن معرفة كون الشافعي فقيها وكون جالينوس طبيبا معرفة بالحقيقة لا بالتقليد عن الغير بان تتعلم شيئا من الطب والفقه وتطالع كتبهما وتصانيفهما فيحصل لك علم ضروري بحالهما فكذلك اذا فهمت معنى النبوة فاكثرت النظر في القران والاخبار يحصل لك العلم الضروري بكونه عليه السلام على اعلى درجات النبوة واعضد ذلك بتجربة ما قاله في العبادات وتاثيرها في تصفية القلب وكيف صدق في قوله عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم وكيف صدق في قوله عليه السلام من اعان ظالما سلطه الله عليه وكيف صدق في قوله عليه السلام من اصبح وهمومه هم واحد كفاه الله هموم الدنيا والاخرة فاذا جربت ذلك في الف والفين والاف حصل لك علم ضروري لا تتمارى فيه فمن هذا الطريق اطلب اليقين بالنبوة لا من قلب العصا ثعبانا وشق القمر فان ذلك اذا نظرت اليه وحده ولم تنضم اليه القرائن الكثيرة الخارجة عن الحصر ربما ظننت انه سحر وتخييل وانه من الله تعالى اضلال فانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء

وترد عليك اسئلة المعجزات فان كان مستند ايمانك كلاما منظوما في وجه دلالة المعجزة فينخرم ايمانك بكلام مرتب في وجه الاشكال والشبهة عليها فلتكن هذه الخوارق احدى الدلائل والقرائن في جملة نظرك حتى يحصل لك علم ضروري لا يمكنك ذكر مستنده على التعيين كالذي يخبره جماعة بخبر متواتر لا يمكنه ان يبين ان اليقين مستفاد من قول واحد معين بل من حيث لا يدري ولا يخرج عن جملة ذلك ولا بتعيين الاحاد فهذا هو الايمان القوي العلمي واما الذوق فهو كالمشاهدة والاخذ باليد ولا يوجد الا في طريق الصوفية فهذا القدر من حقيقة النبوة كاف في الغرض الذي اقصده الان وساذكر وجه الحاجة اليه

القول في سبب نشر معاودة العلم بعد الاعراض عنه

اني لما واظبت على العزلة والخلوة قريبا من عشر سنين وبان لي في اثناء ذلك على الضرورة من اسباب لا احصيها مرة بالذوق ومرة بالعلم البرهاني ومرة بالقبول الايماني ان الانسان خلق من بدن وقلب واعني بالقلب حقيقة روحه التي هي محل معرفة الله تعالى دون اللحم والدم الذي يشارك فيه الميت والبهيمة وان البدن له صحة بها سعادته ومرض فيه هلاكه وان القلب كذلك له صحة وسلامة ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم وله مرض فيه هلاكه الابدي الاخروي كما قال الله تعالى في قلوبهم مرض وان الجهل بالله سم مهلك وان معصية الله بمتابعة الهوى داؤه الممرض وان معرفة الله تعالى ترياقه المحيي وطاعته بمخالفة الهوى دواؤه الشافي وانه لا سبيل الى معالجته بازالة مرضه وكسب صحته الا بادوية كما لا سبيل الى معالجة البدن الا بذلك وكما ان ادوية البدن توثر في كسب الصحة بخاصية فيها لا يدركها العقلاء ببضاعة العقل بل يجب فيها تقليد الاطباء الذين اخذوها من الانبياء الذين اطلعوا بخاصية النبوة على خواص الاشياء فكذلك بان لي على الضرورة ان ادوية العبادات بحدودها ومقاديرها المحدودة المقدرة من جهة الانبياء لا يدرك وجه تاثيرها ببضاعة عقل العقلاء بل يجب فيها تقليد الانبياء الذين ادركوا تلك الخواص بنور النبوة لا ببضاعة العقل وكما ان الادوية تركب من اخلاط مختلفة النوع والمقدار وبعضها ضعف البعض في الوزن والمقدار فلا يخلو اختلاف مقاديرها عن سر هو من قبيل الخواص فكذلك العبادات التي هي ادوية داء القلوب مركبة من افعال مختلفة النوع والمقدار حتى ان السجود ضعف الركوع وصلاة الصبح نصف صلاة العصر في المقدار ولا يخلو عن سر من الاسرار هو من قبيل الخواص التي لا يطلع عليها الا بنور النبوة فقد تحامق وتجاهل جدا من اراد ان يستنبط لها بطريق العقل حكمة او ظن انها ذكرت على الاتفاق لا عن سر الهي فيها يقتضيها بطريق الخاصية وكما ان في الادوية اصولا هي اركانها وزوائد هي متمماتها ولكل واحد منها خصوص تاثير في اعمال اصولها كذلك النوافل والسنن متممات لتكميل اثار اركان العبادات وعلى الجملة فالانبياء اطباء امراض القلوب وانما فائدة العقل

وتصرفه ان عرفنا ذلك ويشهد للنبوة بالتصديق ولنفسه بالعجز عن درك ما يدرك بعين النبوة واخذ بايدينا وسلمنا اليها تسليم العميان الى القائدين وتسليم المرضى المتحيرين الى الاطباء المشفقين فالى هاهنا مجرى العقل ومخطاه وهو معزول عما بعد ذلك الا عن تفهم ما يلقيه الطبيب اليه فهذه امور عرفناها بالضرورة الجارية مجرى المشاهدة في مدة الخلوة والعزلة ثم راينا فتور الاعتقاد في اصل النبوة ثم في حقيقة النبوة ثم في العمل بما شرحته النبوة وتحققنا شيوع ذلك بين الخلق فنظرت الى اسباب فتور الخلق وضعف ايمانهم فاذا هي اربعة سبب من الخائضين في علم الفلسفة وسبب من الخائضين في طريق التصوف وسبب من المنتسبين الى دعوى التعليم وسبب من معاملة الموسومين بالعلم فيما بين الناس واني تتبعت مدة احاد الخلق اسال من يقصر منهم في متابعة الشرع واساله عن شبهته وابحث عن عقيدته وسره وقلت له ما لك تقصر فيها فان كنت تومن بالاخرة ولست تستعد لها وتبيعها بالدنيا فهذه حماقة فانك لا تبيع الاثنين بواحد فكيف تبيع ما لا نهاية له بايام معدودة وان كنت لا تومن فانت كافر فدبر نفسك في طلب الايمان وانظر ما سبب كفرك الخفي الذي هو مذهبك باطنا وهو سبب جراتك ظاهرا وان كنت لا تصرح به تجملا بالايمان وتشرفا بذكر الشرع فقائل يقول هذا امر لو وجبت المحافظة عليه لكان العلماء اجدر بذلك وفلان من المشاهير بين الفضلاء لا يصلي وفلان يشرب الخمر وفلان ياكل اموال الاوقاف واموال اليتامى وفلان ياكل ادرار السلطان ولا يحترز عن الحرام وفلان ياخذ الرشوة على القضاء والشهادات وهلم جرا الى امثاله وقائل ثان يدعي علم التصوف ويزعم انه قد ترقى عن الحاجة الى العبادة وقائل ثالث يتعلل بشبهة اخرى من شبهات اهل الاباحة وهولاء هم الذين ضلوا عن التصوف وقائل رابع لقي اهل التعليم فيقول الحق مشكل والطريق اليه متعسر والاختلاف فيه كثير وليس بعض المذاهب اولى من بعض وادلة العقول متعارضة فلا ثقة براي اهل الراي والداعي الى التعليم متحكم لا حجة له فكيف ادع اليقين بالشك وقائل خامس يقول لست افعل هذا تقليدا ولكني قرات علم الفلسفة وادركت حقيقة النبوة وان حاصلها يرجع الى الحكمة والمصلحة وان المقصود من تعبداتها ضبط عوام الخلق وتقييدهم عن التقاتل والتنازع والاسترسال في الشهوات فما انا من العوام الجهال حتى ادخل في حجر التكليف بل انا من الحكماء اتبع الحكمة وانا بصير بها مستغن فيها عن التقليد هذا منتهى ايمان من قرا مذهب فلاسفة الالهيين منهم وتعلم ذلك من كتب ابن سينا وابي نصر الفارابي وهولاء هم المتجملون بالاسلام وربما ترى الواحد منهم يقرا القران ويحضر الجماعات والصلوات ويعظم الشريعة باللسان ولكنه مع ذلك لا يترك شرب الخمر وانواعا من الفسق والفجور واذا قيل له ان كانت النبوة غير صحيحة فلم تصلي فربما يقول لرياضة الجسد ولعادة اهل البلد

لمال

والعلل وبنا [illegible]

قال الشيخ [illegible] العداوة والبغضاء

[illegible] الا انها تورث العداوة [illegible]

[illegible] والايمان والتراهم العبادات الدينية [illegible]

حتى ان [illegible] الشريعة [illegible]

[illegible]

وزن من الافيون [illegible]
وانقص من الافيون الذي [illegible] علم
ثم قابل لا انه يجد بعد تبريده والذي ينبغي علم بالآثار
العروق لفرط برودته انما يبرد المركبات لعنصر [illegible] الامن الآثار
الطبيعة بزعم انه البارد ان ويعلم [illegible] طبيعي بهذا ولو يخبر [illegible]
التراب وهما العنصران الباطنان الى هذا الحد ولو اخبر [illegible] والنباتية لا تزيدها برودة
التراب لا يبلغ تبريده في الباطن الى هذا الحد [illegible] فان انفسهم اليهما ان فان لا [illegible]
هذا المحال وبالدليل على استحالته [illegible] هذا الافراط [illegible] على هذا الحس فانهم [illegible]
[illegible]

[illegible]

بانه معصية بل الشهوات الغالبة عليك فشهوته كشهوتك وقد غلبته كما غلبتك فعلم ان
وراء هذه يتميز بها عنك لا يناسب زيادة زجر عن هذا المحظور المعين وكم من مؤمن بالطب لا
يصبر عن الفاكهة وعن الماء البارد وان زجره الطبيب عنه ولا يدل ذلك على انه غير ضار او على
ان الايمان بالطبيب ليس بصحيح فهذا محمل هفوة العلماء والثاني ان يقال للعامي ينبغي ان
تعتقد ان العالم اتخذ علمه ذخرا لنفسه في الاخرة فيظن ان علمه ينجيه ويكون شفيعا له حتى
يتساهل معه في اعماله لفضيلة علمه وان جاز ان يكون زيادة حجة عليه فهو يجوز ان يكون زيادة
درجة له وهو ممكن فهو وان ترك العمل فيدلي بالعلم واما انت ايها العامي اذا نظرت اليه وتركت
العمل وانت عن العلم عاطل فتهلك بسوء عملك ولا شفيع لك الثالث وهو الحقيقة ان العالم
الحقيقي لا يقارف معصية الا على سبيل الهفوة ولا يكون مصرا على المعاصي اصلا اذ العلم الحقيقي
ما يعرف ان المعصية سم مهلك والاخرة خير من الدنيا ومن عرف ذلك لا يبيع الخير بما هو ادنى و
هذا العلم لا يحصل بانواع العلوم التي يشتغل بها اكثر الناس فلذلك لا يزيدهم ذلك العلم الا
جرأة على معصية الله تعالى واما العلم الحقيقي فيزيد صاحبه خشية وخوفا ورجاء وذلك يحول
بينه وبين المعاصي الا الهفوات التي لا ينفك عنها البشر في الفترات وذلك لا يدل على ضعف الايمان
فالمؤمن مفتن تواب وهو بعيد عن الاصرار والاكباب هذا ما اردت ان اذكره من ذم
الفلسفة والتعليم وافاتهما وافات من انكر عليهم لا بطريقه ونسأل الله العظيم ان يجعلنا

ممن آثره واجتباه وارشده الى الحق وهداه والهمه ذكره
حتى لا ينساه وعصمه من شر نفسه وهواه حتى لم يؤثر عليه سواه و [illegible]
واستخلصه لنفسه حتى لم يعبد الا اياه
تم انتخاب المنقذ من الضلال على يد
الفقير الى الله الغني
محمد [illegible]
[illegible]